

المدير الناشر

الدكتور محمد محمود جلال الطلبة

هيئة التحرير

رئيس التحرير:

د. بشير محمد باريك

الأعضاء:

د. عبد الله ولد عبيد

د. مامادو هديا كان

د. محمد الأمين محمد محمود

أحمد ولد العباس

محمد الهادي محمد المصطفى

لجنة القراءة

د. محمد الأمين الحسن

د. كان هاديا

أ.د. روبر فيرني

د. بوسليم صالح

أ.د. محمد الأمين مولاي ابراهيم

د. عثمان ولد دادي

اللجنة الاستشارية

د. الناني ولد الحسين - جامعة انواكشوط،

موريتانيا

د. عبد القادر بوبايه - جامعة وهران -

الجزائر

د. كمال ابراهيم صيدم - جامعة انواكشوط -

فلسطين

د. روبر فيرني - باحث متعاون مع المعهد -

فرنسا

د. إمحمد سعيد الطويل - جامعة الزاوية -

ليبيا

د. بوسليم صالح - جامعة غرداية - الجزائر

الأفكار الواردة في المقالات لا تعبر إلا عن آراء

أصحابها، وترتيب البحوث يخضع لاعتبارات فنية

الحقوق:

جميع الحقوق محفوظة للمعهد الموريتاني للبحث والتكوين في مجال التراث والثقافة، فلا يسمح بإعادة طباعة هذه المادة ولا تخزينها، سواء كان ذلك عن طريق النسخ أو التصوير أو التسجيل أو غيره إلا بإذن خطي من المعهد.

الوسيط

مجلة علمية محكمة

تصدر عن المعهد الموريتاني للبحث والتكوين في مجال التراث والثقافة

العدد 24 • 1448هـ / 2026 م

الرقم الدولي: ISSN 3006-5402. رقم الإيداع بالمكتبة الوطنية: 2026/3956

التعريف بالمجلة

مجلة الوسيط هي مجلة علمية محكمة، تصدر سنويا عن المعهد الموريتاني للبحث والتكوين في مجال التراث والثقافة، وتسعى للإسهام في البحث العلمي الرصين من خلال النشر الأصيل العالي القيمة للبحوث عالية الجودة في مجالات متنوعة تشمل: العلوم الإسلامية والآداب والعلوم الإنسانية والفنون والاقتصاد والقانون وغيرها، كما تهدف إلى إثراء التفكير المجتمعي، وتسليط الضوء على القضايا الأدبية والإنسانية المختلفة. وللمجلة لجنة للتحرير ولجنة للقراءة من أرفع المستويات العلمية تحكم البحوث، ومجلس استشاري من كبار الأساتذة الجامعيين على المستوى الإقليمي والوطني. ونشرها معتمد بالجامعات العربية والإفريقية بشكل عام.

الناشر:

المعهد الموريتاني للبحث والتكوين في مجال التراث والثقافة،

الجمهورية الإسلامية الموريتانية، انواكشوط، ص.ب. : 5055

الهاتف: 00 (222) 46444825

الموقع الإلكتروني: Web : www.imrs.mr

البريد الإلكتروني: garybechir@gmail.com

الاشتراكات:

في موريتانيا: للمؤسسات والهيئات: 300 أوقية جديدة.

للأفراد والجمعيات: 100 أوقية جديدة.

في الخارج: في الدول العربية والإفريقية: 15 دولار أمريكي مضاف إليها مصاريف

البريد.

في بقية دول العالم: 20 دولار مضافا إليها مصاريف البريد.

شروط النشر في المجلة

- 1- ألا يكون البحث جزءاً من عمل أكاديمي قد نال به صاحبه درجة علمية، إلا إذا كان النص تلخيصاً لذلك العمل، وألا يكون قد سبق نشره.
- 2- يجب أن تكون لغة البحث سليمة وخالية من الأخطاء اللغوية والنحوية والمطبعية.
- 3- يسلم الباحث نسخة ورقية ونسخة إلكترونية بصيغة "Word". ويمكن إرساله بالبريد الإلكتروني أيضاً. ولا بد أن يذكر الباحث (أو الباحثون) اسمه (أو أسماءهم) في المخطوط، على الصفحة الأولى.
- 4- ينبغي ألا يتجاوز البحث 25 صفحة وألا يقل عن 10 صفحات (لا يتجاوز ملخص البحث نصف صفحة)، وذلك بالخصائص التالية: المسافة بين السطور 1 سم، وحجم الحرف 14، وحجم الصفحة: أعلى: 2.5 سم، أسفل: 2.5 سم، يمين: 2.5، يسار: 2.5 سم، على ورق A4. وترقم الصفحات في الأسفل وفي الوسط.
- 5 - تكتب أسماء الباحثين من ثلاثة مقاطع أو مقطعين على الأقل: الاسم، اسم الأب، الاسم العائلي أو ما يعادل ذلك، وذلك تحت عنوان البحث. كما يكتب في الهامش عنوان الباحث والمؤسسة التي يعمل بها، ورقم هاتفه وبريده الإلكتروني.
- 6- يرفق البحث بملخص مترجم (اللغة العربية أو الفرنسية).
- 7- يراعى عدم استعمال المصطلحات والجمل التي يمكن أن تفهم على أنها ذات مدلول يدعو إلى التمييز على أساس الدين أو الجنس أو اللون أو العرق.
- 8 - الجداول والأشكال والخرائط والصور: توضع في المتن، ويكون عنوانها فوقها ويحمل رقماً تسلسلياً خاصاً، ومصدرها تحتها، وإذا كانت ملحقة يوضع كل شكل على صفحة منفصلة مزودة بالرقم والعنوان في الأعلى والمصدر في الأسفل. وترقم على التوالي، حسب ورودها في المخطوط، وتزود بعناوين على رأس كل جدول أو شكل أو خريطة أو صورة.
- 9 - مرفقات البحث: من المحتمل عدم نشر ملاحق المخطوط أو أية استبيانات، وذلك بسبب محدودية المساحة في المجلة. وفي حالة عدم نشرها كاملة توضع ملاحظة في البحث تدل على العنوان الذي تتوافر فيه نسخ تحتوي على الملاحق.
- 10 - النص المكتوب: لطباعة المخطوط نظام خاص، ويطبق على النحو التالي: العنوان، اسم الباحث، مكان العمل، الكلمات المفتاحية، ملخص البحث، النص الرئيس، المراجع، الملاحق. أما بالنسبة للهوامش - باستثناء مصادر الجداول والأشكال والخرائط والصور - والملاحظات العلمية يشار إليها في المتن بأرقام وتكتب أسفل الصفحة.
- 11 - المراجع: تكتب المصادر والمراجع في قائمة في نهاية البحث على أن تقتصر على ما تمت الإحالة إليه في المتن.

التوثيق:

- 1- إذا استشهد بكتاب أو مرجع أو أشير إلى مؤلف انفراداً بفكرة مبتكرة أو إبداع معين، فيكتب اسم المؤلف ثم عنوان المرجع ويليه مكان النشر ودار النشر وتاريخ النشر، وأخيراً الصفحة التي أخذت منها المعلومة.
- 2- إذا تكرر اسم المؤلف في أكثر من صفحة من البحث نفسه، فيشار إليه بذكر اسم المؤلف وعنوان البحث، والصفحة التي أخذت منها المعلومة.
- 3- لتفسير أمر غامض أو شرحه، تستعمل طريقة الحواشي في المتن، كأن ترد كلمة أو مصطلح يتطلب التوضيح، فيشار إليه بالأرقام في المتن.
- 4- ترتب المراجع حسب الحروف الأبجدية للاسم الأخير (اللقب) لمؤلف الكتاب، إذا كان هو المؤلف الوحيد، أو الاسم الأخير لأول مؤلف. وفي حالة عدم معرفة اسم المؤلف يذكر اسم الجهة المسؤولة عن كتابة المرجع (مثال ذلك التقارير الإدارية). أما إذا كان هناك أكثر من مرجع للمؤلف نفسه، فترتب حسب أقدمية نشرها. وإذا كانت السنوات ذاتها فتميز

باستخدام الأحرف. (أ) للمرجع الأول و(ب) للمرجع الثاني، وهكذا، بعد ذكر مكان النشر، ودار النشر وتاريخ صدور المرجع.

- الكتب: تتبع الطريقة التالية: الاسم الأخير للمؤلف (اللقب)، ثم الاسم الأول، فعنوان البحث، ثم مكان النشر، ثم دار النشر، ثم تاريخ النشر.

- المجلات: تتبع الطريقة الآتية: الاسم الأخير للمؤلف (اللقب)، ثم الاسم الأول، فعنوان البحث بين مزدوجتين، ثم اسم المجلة، والجهة التي تصدر عنها، ورقم العدد.

حقوق النشر:

تحتفظ مجلة الوسيط بحقوق النشر للأبحاث المنشورة فيها، وهي المالك الوحيد، ويجب على المؤلف الحصول على موافقة خطية من رئيس التحرير عند استخدامه البحث لأغراض أخرى.

السيرة الذاتية: يسلم كل مؤلف سيرة ذاتية بحدود صفحة أو اثنتين. وتتضمن هذه السيرة أعلى مؤهل علمي، واسم الجامعة التي حصل منها الشهادة، ومكان عمله، ووظيفته واهتماماته العلمية الحالية، ورقم هاتفه وبريده الإلكتروني، إضافة إلى صورة شخصية ملونة حديثة، وذلك للتوثيق.

متفرقات:

- الآراء الواردة في مجلة الوسيط تعبر عن آراء كاتبها ولا تعكس ضرورة سياسة المعهد.

- على الباحث أن يقدم إقراراً خطياً بعدم تقديم بحثه للنشر إلى أية جهة أخرى.

- تحفظ الأبحاث المنشورة في قاعدة بيانات المعهد، وتخضع لتعليماته بهذا الخصوص.

- لهيئة التحرير الحق في إدخال تغييرات على أسلوب الكتابة أو القواعد.

- قرار هيئة التحرير المتعلق بمدى ملاءمة البحث للنشر نهائي، لا يطعن فيه، وتحتفظ بحق إبداء الأسباب.

- يلتزم الباحث بدفع النفقات المالية المترتبة على إجراءات التقويم في حال طلبه سحب البحث، ورغبته في عدم متابعة إجراءات التقويم.

- لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة تحرير المجلة إلا لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير، وذلك قبل إشعاره بقبول بحثه للنشر.

- تستبعد هيئة التحرير أي بحث مخالف للشروط المذكورة.

- تدفع المجلة مكافآت مقابل البحوث المنشورة، أو مراجعات النصوص أو أية مشاركة علمية أخرى.

- يعطى الباحث نسخة من العدد الذي نشر فيه.

ترسل البحوث إلى العنوان البريدي:

المعهد الموريتاني للبحث والتكوين في مجال التراث والثقافة،
الجمهورية الإسلامية الموريتانية، انواكشوط،
ص.ب.: 5055 الهاتف: 44 48 2546 (222) 00
البريد الإلكتروني: garybechir@gmail.com

محتويات العدد

المؤلف	العنوان	الصفحات
محمد محمود جلال الطلبة	كلمة العدد	5
بشير باريك وأمنة الشيخ بيده	مجلة الوسيط.. 52 سنة من البحث والعطاء العلمي	45-6
عبد الله عبيد	الإصلاح والتجديد من خلال أضواء البيان	56-46
المصطفى بن خطري	فقه النوازل الشنقيطي: النشأة والتحول	67-57
محمد محمود بلال	نوازل فقهية في أحكام الميت	78-68
محمد عالي أحمد الفاروق	اعتصار الأم في الهبة لأولادها بعد اليتم بين الجواز والمنع – دراسة خلافة في المذهب المالكي	94-79
محمد والداه أيده	قراءة أولية في ديوان السعادة في مدح صاحب السيادة لإنبوي بن الإمام	104-95
مريم بنت الشيخ ولد أحمد مسكة	مجالس السمر والسهر في الشعر الشنقيطي	116-105
محمدن أحمد المحبوبي	شرح لامية العرب للمختار بن بوز الحاجي: دراسة وتحقيق	133-117
محمد الأمين مولاي إبراهيم	السرديات والتنظير لأنواع السردية: ظهور النص وسردية الخطاب	142-134
أحمد المصطفى بداه	سيمائيات الزخرفة في المخدات الجلدية التقليدية: مساهمة في قراءة العلامات البصرية	152-143
محمد محمد الأمين اباه	مصادر التمويل في المصارف الإسلامية	160-153
الشيخ إبراهيم آكيه	رحلة شيخ القراء سيدي عبد الله بن أبي بكر التنواجيوي ومكانتها في تاريخ التواصل العلمي بين موريتانيا والمغرب الأقصى	168-161
محمد عبد الله ولد يحيى ولد المختار	قراءة في الرحلات العلمية للشيخ محمد محمود ولد التلاميذ التركي الشنقيطي، وتقييماته على الكتاب المخطوط	182-169
حميدان محمود ناجي	ثورة العامة ضد الحكم المصري في فلسطين (1250هـ/ 1834م)	193-183
مراد طويل وآخرون	تنوع المشاهد الطبيعية والثقافية بجبال الأطلس وانعكاسها على الجذب السياحي - جهة بني ملال خنيفرة انموذجا	206-194
محمد ادوكميني	تأثير المناخ على زراعة البصل في ولاية الترارزة	227-207

Auteur	Titre	Pages
Mohamed Mahmoud Jelal Toulba	Editorial	6
Abdellahi Fall	Nasr – ed – Dine, propagateur de l'Islam dans la basse vallée du Sénégal	7-15
Mamadou Dahmed	Eléments de psychanalyse pour le roman francophone	16-26
Mamadou Kalidou BA	De la servitude à la liberté ou la trajectoire historique du personnage haratine dans <i>L'appel du Ksar</i> de Mamadou Ould DAHMED	27-37
Mbough Seta Diagana	Naissance et développement de la littérature mauritanienne francophone : une archéologie culturelle »	38-47
Ahmed Salem Chah	L'extrémisme religieux dans « <i>Je suis seul</i> » de Beyrouk et « <i>Les Remparts de l'espérance</i> » de Mamadou Kalidou Ba.	48-58
Oumar Hamady	Configuration territoriale et composition identitaire au service de l'engagement civique et citoyen dans <i>La Vierge du matin</i> de Bakari Mohamed Semega, <i>La Couleur du vent</i> d'Aïchetou Mint Ahmedou et <i>Les Vagues d'une vie</i> de Hamady Samba Sy	59-71
Sidi Mohamed Abdy	L'idéologie coloniale en matière d'enseignement	72-87

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد

الإخوة الأفاضل، بتوفيق من الله العلي القدير، نحن سعداء بإخراج العدد 24 من مجلتكم العلمية "الوسيط"، المجلة الرائدة وطنيا في مجال البحث العلمي، والتي يصدرها سنويا المعهد الموريتاني للبحث والتكوين في مجال التراث والثقافة، حيث نواصل فتح آفاق معرفية جديدة وتعزيز جهود البحث العلمي في العديد من المجالات، سائلين الله تعالى أن يوفقنا ويحقق المقصود وينفع بالذي تضمنه هذا العدد من بحوث علمية رعت فيها - قدر الوسع - أدبيات وقواعد البحث العلمي الرصين.

فُراءنا الأعزاء، تضمن هذا العدد الجديد ثلاثة وعشرين بحثا متنوعة من حيث المواضيع والمؤلفين واللغات: فمن الموضوعات ضم العدد أحد عشر بحثا في مجال الأدب والشعر وأربعة بحوث في التاريخ وثلاثة بحوث في الفقه وبحثيان في الجغرافيا وثلاثة بحوث في مواضيع أخرى. ومن حيث جنسيات المؤلفين، فقد كانوا جميعا موريتانيين، باستثناء بحث من المملكة المغربية الشقيقة وبحث من دولة تونس الشقيقة، أما بالنسبة للغات فقد تضمن العدد ستة عشر بحثا باللغة العربية وسبعة بحوث باللغة الفرنسية.

وما نزال في هيئة تحرير "الوسيط" حريصين على التميز في المحتوى والشكل على المستوى المحلي والإقليمي، وبضاعتنا في ذلك مزجاة، غير أن الذي يشفع لنا بهذا الخصوص هو وجود إرادة ماضية وخبرة متراكمة وجهود حثيثة، والتعويل على اقتراحاتكم المصوبة وتوجيهاتكم المسددة بكل ما من شأنه التحسين الكيفي والمنهجي للمجلة في أبعادها المختلفة، وهي مناسبة نغتنمها للإعراب عن جزيل الشكر للباحثين الذي اختارونا منبرا لنشر أعمالهم العلمية، والشكر موصول لهيئة التحرير ولكل مسهم في هذا العدد من إعداداته حتى الإخراج والله من وراء القصد.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

المدير الناشر

الدكتور محمد محمود جلال الطلبة

مجلة الوسيط..

52 سنة من البحث والعطاء العلمي

د. بشير باريك

د. آمنة الشيخ بيده

مختبر البيئة والصحة والمجتمع

مختبر البيئة والصحة والمجتمع

جامعة نواكشوط

جامعة نواكشوط

الكلمات المفتاحية: مجلة - مجلة الوسيط - البحث العلمي - المقالات.

ملخص البحث

تعد المجالات العلمية من أهم مصادر المعلومات بالنسبة للباحثين لما تتميز به من الحداثة والابتكار، ولما تنشر من بيانات وبحوث ورؤى علمية، معالجة بأقلام العديد من الباحثين في مختلف مجالات المعرفة، وهذا ما أكسب البحث أهميته من خلال تسليط الضوء على هذا النمو المتزايد من البحوث والمقالات المنشورة في مجلة الوسيط، وذلك للتعرف على السمات العددية والموضوعية والزمنية. وتم اختيار مجلة الوسيط لكونها دورية علمية محكمة.

ويهدف هذا البحث إلى حصر الأبحاث المنشورة بالمجلة وإعداد قائمة ببيولوجرافية لها، والتعرف على السمات العددية والموضوعية والزمنية لهذه البحوث، والتعرف على أكثر المؤلفين إسهامًا وأكثرهم إنتاجية من البحوث ... إلخ.

واعتمدت البحث المنهج البيولوجرافي الذي يقوم على إعداد القوائم البيولوجرافية التي تحصر وتسجل البحوث العلمية المنشورة بالمجلة من ناحية، والمنهج الوصفي التحليلي لدراسة الاتجاهات والخصائص العددية والموضوعية والزمنية من ناحية أخرى.

يندرج هذا البحث ضمن البحوث الإحصائية ذات القاعدة التاريخية، ويهدف إلى التعريف بمجلة الوسيط من خلال رصد المقالات التي نشرت منذ نشأتها سنة 1975 إلى الآن (سنة 2026). وقد عمدنا إلى عرض البيانات بأشكال بيانية وأعمدة منفصلة ودوائر وباستعمال جداول، قصد إعطاء البحث نفسا حيويا.

ولقد توصل البحث إلى العديد من النتائج أهمها أن عدد المقالات المنشورة بالمجلة بلغ 389 بحثا، كان لمجال التاريخ النصيب الأكبر منها حيث بلغ 80 مستلة بحثية، وأوصت الدراسة بضرورة العمل على إجراء العديد من الأبحاث حول مجالات العلوم الإنسانية الأخرى والآداب والفكر.

وتتمحور الإشكالية حول البحوث المنشورة من حيث أعدادها وطبيعتها ومجالات اهتمامها واللغات التي كتبت بها، وهذا يسمح للباحث بتحديد دوائر اهتمامه ومعرفة الجوانب التي يمكنه البحث فيها مستقبلا، حتى يتجاوز التكرار والخوض في مواضيع عولجت قبلا.

تناول البحث المقالات المنشورة في كل أعداد مجلة الوسيط، وقد صنفت على أساس التطور السنوي وعلى أساس التخصصات وعلى أساس اللغات التي كتبت بها، وعلى أساس الباحثين، وعلى أساس جنسيات الباحثين.

1- مقدمة

تضخمت البيانات في هذا العصر وأضحى البحث العلمي سمته الأساسية، حيث برز ذلك في كمية البحوث العلمية وكم المعلومات المنشورة بالدوريات العلمية حتى أصبحت ركيزة أساسية للباحثين. أهمية البحث: تعد المجالات العلمية من أهم مصادر المعلومات بالنسبة للباحثين لما تتميز به من الحداثة والابتكار ولما تنشر من بيانات وبحوث ورؤى علمية، معالجة بأقلام العديد من الباحثين في مختلف مجالات المعرفة، وهذا ما أكسب البحث أهميته من خلال تسليط الضوء على هذا النمو المتزايد من البحوث والمقالات المنشورة في مجلة الوسيط، وذلك للتعرف على السمات العددية والموضوعية والزمنية. وتم اختيار مجلة الوسيط لكونها دورية علمية محكمة.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى:

- حصر الأبحاث والمقالات البحثية المنشورة في المجلة وإعداد قائمة ببيوغرافي لها.

- رصد السمات العددية والزمنية والموضوعية لهذه البحوث.

- التعرف على أكثر المؤلفين إسهاما وأكثرهم إنتاجية لهذه البحوث.

حدود البحث: يقتصر البحث موضوعيا على نوع واحد من مصادر المعلومات وهو "مجلة الوسيط"، وتغطي البحوث (المقالات) العلمية التي نشرت في المجلة من العدد الأول الصادر سنة 1975 وحتى العدد 24 الصادر سنة 2026 ليلعب عدد السنوات 52 سنة.

الإشكالية والفرضيات

تتمحور إشكالية البحث حول التساؤلات التالية: هل لمجلة الوسيط قيمة علمية؟ وهل يمكن تسويقها كمجلة علمية محكمة ذات رقم دولي ووطني؟ وهل تستطيع منافسة المجلات المحلية وإقليميا ودوليا؟ ولطرح فرضيات البحث، نعتبر أن لمجلة الوسيط قيمة علمية كبيرة في وسطها، ويمكن تسويقها نظرا لحصولها على المؤهلات، وتستطيع منافسة كل المجلات العلمية العاملة معها في التخصص محليا وإقليميا ودوليا.

منهج البحث

استخدم البحث المنهج⁽¹⁾ البليوجرافي الذي يقوم على إعداد القوائم البليوجرافية التي تحصر وتسجل البحوث والمقالات العلمية المنشورة بالمجلة من ناحية والمنهج الوصفي التحليلي لدراسة الاتجاهات والسمات العددية والموضوعية والزمنية من ناحية أخرى. وتم الاعتماد في ذلك على ما يأتي:

- فحص أعداد المجلة في الفترة المحددة للوقوف على العدد الفعلي للأبحاث المنشورة،

- دراسة المبحوث المنشورة من الناحية العددية والموضوعية والزمنية إضافة إلى إسهامات المؤلفين وأكثرهم إنتاجا من تلك البحوث.

- تسجيل نتائج البحث باستخدام الأساليب الإحصائية للوقوف على خصائص وسمات البحوث المنشورة محل الدراسة،

- إعداد القائمة البليوجرافية للمستلزمات البحثية محل الدراسة.

لقد اعتمد هذا البحث دراسة بليومترية⁽²⁾ (إحصائية) للبحوث الصادرة في مجلة "الوسيط"، وذلك في قياس حجم الإنتاج المعرفي وتحليل الإنتاج العلمي، وتوزيع المقالات حسب التخصصات واللغة، والتاريخ، والباحثين وجنسياتهم، ومعرفة الاتجاه العام للنشر، وهو بالتالي لا يهدف إلى تقويم البحوث المنشورة، لأن ذلك يستدعي قراءة كل البحوث وتحديد مكانتها العلمية، وهذا ما يتطلب وقتا طويلا، ليس متاحا لنا الآن، وقد يكون موضوعا

(1) المنهج في اللغة هو الطريق الواضح، وهو في الاصطلاح الطريق الذي يؤدي إلى الهدف بواسطة مجموعة من القواعد التي تهيمن على سير

التخصص العلمي (الخضر، 2016) وسلك منهج يوصل دوما إلى نتيجة منطقية (أبو منقلة، 2006). والمنهج العلمي هو النهج الذي يسلكه الباحث لدراسة ظاهرة ما، بغرض تحليلها؛ لإثبات مدى صحة فرضياته للإجابة على التساؤلات وحل إشكالية البحث. (العابدي، 2005).

(2) العلم أو البحث الذي ينصرف إلى دراسة الإنتاج الفكري العام أو المتخصص، أي الذي يتناول موضوعا بعينه دراسة كمية ونوعية تطبق فيه غالبا المناهج الرياضية والإحصائية. (العابدي، 2005). إنها أساليب إحصائية وقياسات كمية تستخدم في تحليل البيانات المتعلقة بموضوع معين لصبر أغواره. (بن شعيرة، 2006).

لبحث قادم، وإنما اكتفى الباحث بإبراز أهمية الإنتاج كمياً ضمن مجموع التخصصات التي عالجتها المستلزمات البحثية مع توضيح المحاور العلمية الكبرى التي تم التطرق لها.

خطوات البحث

يندرج هذا البحث ضمن البحوث الإحصائية ذات القاعدة التاريخية، وتهدف إلى التعريف بمجلة الوسيط من خلال رصد المقالات التي نشرت بها منذ إنشائها إلى اليوم، وقد عمد الباحث إلى عرض البيانات الرقمية باستعمال الجداول والأشكال قصد إعطاء التاريخ نفساً حيواً.

قام الباحث بدراسة استطلاعية لمعرفة العدد الإجمالي للمستلزمات البحثية التي نشرت في مجلة "الوسيط" منذ إنشائها سنة 1975 وإلى اليوم (2026)، وتعد استكمالاً لدراسة المرحوم غالي سيد أعمر، والتي تمت الإشارة إليها في المراجعة العلمية للبحث، وقد تم الوقوف على كل المقالات فعلياً.

أعد الباحث استمارة لتجميع البيانات واعتبرها أداته لجمع المادة العلمية للموضوع، تم جمع البيانات (البحوث) محل البحث، ووصل عددها إلى 388 بحثاً منشوراً بالمجلة. تمت عملية الحصر التي استمرت شهوراً، وكان من نتائج فرزها قائمة ببليوغرافية منضبطة مرتبة حسب الأعداد، وحسب التخصصات العلمية.

تم تفريغ البيانات في جداول من أجل استقصاء الخصائص والسمات والاتجاهات العددية والزمنية للمستلزمات البحثية محل البحث، ومن ثم تحليلها وتصميم الأشكال اللازمة من أجل إفادة جمهور المستفيدين والباحثين المتخصصين.

حصاد ما تم من جهد وبلورته في صورة مجموعة من النتائج، ووضع مجموعة من التوصيات، إضافة إلى الملاحق، لينتهي البحث على ذلك.

الدراسة التقنية

نشير إلى أننا اقتصرنا في هذا العمل على البحث في أعداد المجلة الورقية باعتبارها أول مجلة علمية تجمع المقالات الوطنية ضمن أرضية واحدة وتقدم خدمة للباحثين بتجميعها، وهو ما يوفر عليهم - عند البحث - كثيراً من الجهد والوقت.

إن البحوث في هذا المجال محدودة جداً، لذا اعتمدنا على جرد قام به المرحوم الباحث في المعهد غالي ولد سيدي أعمر سنة 2010، الذي لم يتجاوز جمع عدد المقالات المنشورة قبل سنة 2010. وبلغ ما حصر 96 بحثاً، منها 64 مقالا محرراً بالعربية و32 بالفرنسية.

لقد اعتمد الباحث في تحليله للبيانات على المنهج البليومتري⁽¹⁾ أو القياسات البليوجرافية، من خلال الخطوات التالية: - حصر أعداد "الوسيط" الصادرة منذ النشأة (سنة 1975: عدد رقم 1) إلى اليوم (2026: عدد رقم 24)، - تهيئة جداول الفرز، لتفريغها وعرضها على هيئة أشكال ورسوم بيانية، واستخراج النتائج.

المنهجية:

لقد تم تقسيم البحث إلى مقدمة وسبعة محاور وخاتمة، تناول المحور الأول المستلة البحثية، وتناول الثاني مجلة الوسيط، بينما تناول المحور الثالث عدد البحوث حسب السنوات والأعداد، والمحور الرابع تصنيف البحوث حسب الحجم، أما المحور الخامس فتناول التوزيع الموضوعي للبحوث، وتناول المبحث السادس تصنيف البحوث حسب الباحثين، ليتناول المحور السابع والأخير تصنيف البحوث حسب اللغات.

(1) طريقة بحث تعتمد على الأساليب الإحصائية والرياضية لتحليل المنشورات العلمية والإنتاج الفكري، ويهدف إلى رسم خريطة للاتجاهات البحثية ومعرفة تأثير الأبحاث، وتحديد التعاون بين الكتاب والدول من خلال فحص البيانات حتى الكلمات المفتاحية والاستشهادات.

المحور الأول: المستلة البحثية (المقالة العلمية)

من المفيد التعرف على الأنواع المختلفة من المقالات التي تنشرها المجلات العلمية بصورة عامة، ليتمكن الباحث من اختيار النوع المناسب لورقته عند رفعها على نظام النشر الخاص بالمجلة، ليسهل على هيئة التحرير التعامل معها، وليتجنب رفضها.⁽¹⁾

تعتبر المستللات البحثية (المقالات البحثية) ذات أهمية خاصة لأنها ترفع من شأن الباحث عندما تتضمنها سيرته الذاتية المهنية وعند البحث عن التقدم للوظائف وفرص البحث، وعند طلب الارتفاع من مستوى علمي إلى مستوى أعلى.⁽²⁾ والمقالات البحثية العلمية هي السبب الرئيسي لوجود المجلات الأكاديمية والعلمية (أيًا كان اسم المجلة)، ويكون تصميم مثل هذه البحوث عادة تحليليًا، مع إشكالية بحث محددة وفرضيات، ومناقشة كيفية إجابة النتائج على السؤال بإثبات أو دحض الفرضيات.⁽³⁾

ويشتمل تنسيق البحث المناسب للعديد من المجالات على الأقسام التالية: مقدمة وطرق ونتائج ومناقشة كاملة. وتوضح شروط النشر في كل مجلة علمية طريقة تناول المواضيع وشكل المقالات النهائي.⁽⁴⁾ وتخضع المقالات البحثية لمراجعة شاملة من قبل خبراء مؤهلين لضمان الجودة، لذلك يجب على المؤلف أن يكرس اهتمامًا خاصًا للتمييز العلمي والتواصل الواضح، وأن يكون مستعدًا أيضًا لإجراء مراجعات استجابةً للتعليقات النقدية للمراجعين والمحررين قبل نشر المقالة، لتكون مقبولة للنشر. وفي الشكل الأساسي للبحث، لا بد من مقدمة تحتوي على كافة عناصر المقدمة، وتقرير أساسي يضم مباحث أو محاور توضح المنهجية التي اتبعها الباحث، وتؤكد على الانتقال من العام إلى الخاص في التبويب واعتماد أساليب التحليل الأقرب للتخصص.⁽⁵⁾

وعلى الرغم من تعدد أنواع الأبحاث المنشورة والتنوع الكبير في الأسماء التي يتم نشرها بموجبها، فإن معظم المقالات تدخل ضمن الأنواع التالية: بحث أصلي⁽⁶⁾، ومراجعة⁽⁷⁾، وتجربة⁽⁸⁾، وتعليق⁽⁹⁾، وتقرير حالة⁽¹⁰⁾، وورقة بحث موجزة⁽¹¹⁾.

- (1) سعيد إسماعيل صيني، قواعد أساسية في البحث العلمي، بيروت، 4 مؤسسة الرسالة، 1994.
- (2) ماهر محمد الكبير أحمد أحمد، اتجاهات البحوث العلمية المنشورة في مجلة كلية اللغة العربية بأسبوط: دراسة تحليلية، المجلة العربية الدولية لدراسات المكتبات والمعلومات، مجلد 3، عدد 3، يوليو 2024.
- (3) محمد عوض العائدي، إعداد وكتابة البحوث والرسائل الجامعية مع دراسة عن مناهج البحث، القاهرة، شمس المعارف، 2005.
- (4) محمود محمد بخيت، 2008، مقالات اللغة العربية وآدابها في الدوريات الأكاديمية لكليات جامعة الأزهر بالوجه القبلي: دراسة تحليلية.
- (5) الهوش، أبو بكر محمود، 1981، تكنولوجيا التعليم "الحاسب الآلي الأنترنت وعلوم المكتبات والعلوم التربوية والدراسات العليا والمنهج الببليوجرافي بتاريخ 2026/07/29: <https://kenanaonline.com/users/tamer2011-com/posts/553279>
- (6) هو أكثر البحوث شيوعًا، إنه ذلك النوع الذي يقدم تقريرًا كاملاً عن البيانات الناتجة بحثه، أي أنها تعني بحثًا علميًا أصليًا، قام به باحث، وأدى إلى نتائج تضاف للمعرفة في ذلك الحقل من العلوم.
- (7) تعتمد على البحث عن كلما كتب عن موضوع معين، وكلما زاد عدد الاستشهادات والإحالات ارتفع مستوى البحث، لأن الإحاطة بكل ما نشر تعني الجودة.
- (8) تعني الاعتماد على دراسة ميدانية يقوم بها الباحث، ويجمع معلومات طبيعية بأدوات وأجهزة مناسبة، ويجمع معلومات بشرية من خلال استمارات ومقابلات يتم فرزها وتحليلها وتطبيق معايير عملية للتوصل إلى نتائج أقرب ما تكون من الدقة، وطرح استنتاجات علمية ذات سند علمي دقيق.
- (9) يقدم هذا النوع من المقالات وجهة نظر نقدية أو بديلة حول قضية معينة، أو تقترح نظرة جديدة لموضوع شبه متفق عليه من طرف الباحثين، أو تعليق علمي على كتاب أو مقال نشره باحث، وهذا النوع كثيرًا ما تطلبه جهة معينة من باحث مرموق.
- (10) يدرس هذا النوع من البحوث ظاهرة معينة، باعتبارها فريدة أو يمكن حملها إلى جهة أخرى تماثلها في نواحي معينة، للتأكيد أن الحالة ليست صدفًا، أو التأكد من أنها صدف ولا يجوز تكرارها. والأهم في مثل هذه البحوث هو اعتماد المعلومات الدقيقة. تشير هذه المقالات إلى حالات محددة من الظواهر المثيرة للاهتمام. الهدف من دراسات الحالة هو توعية الباحثين الآخرين بإمكانية حدوث ظاهرة معينة. غالبًا ما يستخدم هذا النوع من الدراسة في الطب للإبلاغ عن حدوث أمراض غير معروفة سابقًا أو ناشئة، أو ظاهرة مرصودة أو قياسات لحالة محدودة.

-المستلزمات البحثية في العالم

يقدر عدد المجلات العلمية في العالم اليوم بأكثر من 30 ألف مجلة، تنشر أبحاثاً في مختلف المجالات، وتتصدر بريطانيا الدول من حيث عدد المجلات. فقد تم نشر ما يزيد عن 20 مليون بحث علمي في السنوات العشر الأخيرة (2016 - 2025) بواقع نشر 2 ملايين بحث سنوياً، أي 5473 بحث في اليوم، وحوالي 228 بحث/الساعة، وحوالي 4 بحوث/الثانية، وجاءت الصين في المقدمة من حيث عدد البحوث.⁽¹⁾ ومن المتوقع أن تؤثر الزيادة المستمرة في أعداد المجلات والبحوث المنشورة على مقاييس تقييم المقالات العلمية في الأوساط الأكاديمية.⁽²⁾ وتشير الزيادة في المقالات المنشورة في مجلات رفيعة المستوى إلى أن هذه الأخيرة أصبحت أقل انتقائية في النشر. ويعيد البعض ذلك إلى الضغوط المالية، ودخول باحثين أثرياء إلى هذا المجال من دون قدرات علمية، وتقديم أعمالهم إلى هذه المجلات المرموقة. وهذا من شأنه إضعاف القيمة العلمية للبحوث المنشورة في مجلات النخبة.⁽³⁾

والمهم أن هذا الكم الهائل من المقالات المتاحة للنشر في العدد الكبير من المجلات يجعل من الصعوبة بمكان على الباحثين الاطلاع على الإنتاج العلمي الجديد في تخصصاتهم، مما يؤدي إلى التكرار، كما أن بعض المجلات التجارية تنشر بمقابل رسوم، ولا يهتمها عادة إلا الدخل، وهذا قلل من مراقبة الجودة في النشر. ويرى البعض أن جودة النشر العلمي تفرض على الناشرين وضع أسس جديدة لكيفية تقييم البحوث، فقد أصبحت المقاييس التقليدية مثل عدد الأبحاث المنشورة، ومعامل تأثير المجلات أقل أهمية في مواجهة طفرة النشر.⁽⁴⁾

ويذكر أن عدد الاستشهاد بالمراجع قد يكون مؤشراً على الجودة أو التأثير لكنه قد يكون كذلك في بعض الأحيان. وأحياناً يحدث لبس بين أسماء المجلات زيادة على الرسوم الباهظة للدوريات، والاستفادة منها شبه معدومة، لذا يمكن اعتبار المجلات المتاحة للباحثين في مجال تخصصاتهم، والتي تتبع عادة لجهة علمية أو أكاديمية (مراكز بحث وجامعات)، وبيئتها العلمية تتيح لها التداول بشكل دائم، ويؤكد ذلك كثرة الإحالات إليها، لكنها لا تستقبل رسوماً، وتقدم لها التشجيعات، وهذا عامل تأثير في حد ذاته.⁽⁵⁾

فالحاجة ماسة اليوم إلى معايير تقييم تركز على جودة البحوث المنشورة ومساهماتها العلمية بغض النظر عن الكمية، وخاصة تقييم الزملاء، والجهات المستفيدة، وتأثير الأبحاث على المجتمع والتنمية. فقد امتلأت المخازن بالأبحاث، ولم يعد يلتفت إليها أحد، لكثرتها وقلة قيمتها العلمية.⁽⁶⁾ ومن هنا لا بد من المعايير الموضوعية لقياس الجودة وتعظيم دورها في تقدير التميز وتشجيعه بين الباحثين على مستوى الرسائل الجامعية والأطاريح والترقيات والجوائز.

والفرق بين الدول المتقدمة ودول العالم النامية هي الرؤية لأهمية البحث العلمي في طرح حلول علمية لمشكلات المجتمع الحقيقية، وهذا لن يأتي بحلول مستوردة من الخارج، حيث أن لكل مجتمع خصائصه ومعطياته.⁽⁷⁾

(11) بحوث قصيرة تقدم في ندوات علمية أو كجزء من منشور علمي جماعي، ويتكفل كل باحث بجزءه، وهو يحاول اقتراح حل لجزء من مشكلة كبيرة تتناولها مجموعة من الباحثين. وكثيراً تتوصل مثل هذه البحوث إلى نتائج دقيقة، وهي لا تنشر علمياً إلا بعد استكمال كل جوانب المؤلف الجماعي. وهي رغم صغر حجمها لا بد أن تكون موثقة ومدعمة بكافة مدعيات البحث.

(1) سهير عبد الباسط، تحليل محتويات دورية عالم المعلومات والمكتبات والنشر: دراسة تحليلية، 2004.

(2) سليمان جودي داود الأسدي، مجلة آداب البصرة، للمدة (2010-2004): دراسة تحليلية، مركز دراسات البصرة والخليج العربي، مجلد 18، عدد 60. 2012.

(3) رشا عيد محمد عبد الفتاح، المجلة المصرية لعلوم المعلومات (2014-2021م): دراسة تحليلية وكشاف، 2022.

(4) المرجع السابق.

(5) سعاد بن شعيرة، الإنتاج العلمي في مجال المكتبات والمعلومات بالجزائر: دراسة تحليلية ببيومترية، الجزائر: جامعة منتوري قسطنطينية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2006.

(6) نجيب محمد الخطيب، كشاف مجلة المعلومات، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، مج 14، عدد 2، 2008.

(7) عبد الهادي، محمد فتحي، 2002، البحث ومناهجه في علم المكتبات والمعلومات، القاهرة، الجار المصرية اللبنانية، ص 32.

وأهم شيء في هذا المجال هو اهتمام جميع القطاعات بالبحث العلمي الجاد ونتائجه، وما يفيد بلدنا هو أننا، كل يوم، نُحكم أبحاثاً وننشرها ونسمع عن ترقية ناس وجهد ضائع من الباحث ولجان التحكيم، وتبقى العلاقة بين مؤسسات البحث والمجتمع وحل مشاكله في كل نواحي الحياة من أدبية وعلمية أمر ذا بال.

المحور الثاني: مجلة "الوسيط"

مجلة الوسيط هي مجلة محكمة، تصدر سنوياً عن المعهد الموريتاني للبحث العلمي، الذي أصبح المعهد الموريتاني للبحث والتكوين في مجال التراث والثقافة، وهي تسعى لإثراء التفكير المجتمعي، وتسليط الضوء على القضايا الأدبية والإنسانية المختلفة، من خلال النشر الأصلي العالي القيمة. وتصنف مجلة علمية لأنها محكمة ولأنها تركز على نشر البحوث عالية الجودة في مجالات متنوعة تشمل: العلوم الإسلامية والآداب والعلوم الإنسانية والفنون والاقتصاد والقانون وغيرها. وللمجلة لجنة للتحضير ولجنة للقراءة تحكم البحوث، من أرفع المستويات العلمية بمختلف تخصصات العلوم الإنسانية، ومجلس استشاري من كبار الأساتذة الجامعيين على المستوى الإقليمي والوطني. ونشرها معتمد بالجامعات العربية والإفريقية بشكل عام.

1. أهداف المجلة

تهدف مجلة الوسيط إلى نشر البحوث العلمية المحكمة للسادة الباحثين الراغبين في الترقية من درجة علمية إلى أخرى، وتسعى إلى إثراء المكتبة الوطنية والعالمية التي من شأنها إيضاح مفهوم الإنسان، ودراسة تفاعلاته الاجتماعية مع محيطه، من حيث اللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا والثقافة والتراث، والموسيقى، وذلك بهدف صناعة الإنسان الواعي والمدرّك لما يدور حوله انطلاقاً من أبنية إنسانية واجتماعية قيّمة ومثالية.

1. تسعى المجلة إلى تحقيق الريادة في نشر البحوث العلمية المحكمة التي تسهم في فهم الظواهر الاجتماعية، الوطنية ومعالجة التحديات المعاصرة، وتعزيز الحوار بين الثقافات والحضارات. وتلتزم المجلة بمعايير التحكيم العلمي الدولي، مما يضمن جودة ورصانة المحتوى المنشور ويعزز من مكانتها كمرجع علمي موثوق للباحثين والأكاديميين. الرقم الدولي: **ISSN 3006-5402** والرقم الوطني: متاح كل سنة. وهي تهيئ نفسها لأن يتم تسجيلها في سكوبيس، بل وتحصل على معامل تأثير، لم لا؟

2. مراحل تهيئة العدد

- 1- الإعلان عن استقبال البحوث في شهريناير وينتهي في شهر ابريل ويمدد عادة لشهر مايو،
- 2- ترسل المقالات للتقييم إلى أعضاء لجنة القراءة، وهم يتغيرون حسب العدد، وقد يحتفظ بهم حسب الظروف، وللمراجع شهر يونيو وقد يمدد لأن أغلب الأساتذة الباحثين يأخذون عطلة في هذه الفترة، حتى نهاية يوليو.
- 3- نُذكر من تأخر في إرسال التقييم، ونطلب منه التعجيل، وإذا لم يستجب خلال 15 يوماً، نحيل البحث إلى مُراجع آخر، ونطلب منه التعجيل، ونعتمد في هذه الحالة كثيراً على الزملاء المحليين.
- 4- تراجع المقالات التي تحتاج مراجعة وترسل إفادات القبول إلى أصحابها لكي يستفيدوا منها قبل نشر مقالهم.
- 5- تحدد قائمة مقالات العدد، وقائمة المؤلفين، وتتم تهيئة البدايات والغلاف.
- 6- يكون العدد جاهزاً للإرسال إلى المطبعة، والإدخال الرقمي في شهر أكتوبر.

3. مجالات النشر

تهتم المجلة بالنشر في المجالات التالية: علوم القرآن والفقه، وعلوم اللغة والأدب والشعر والتاريخ والأركيولوجيا والجغرافيا وعلم الاجتماع والفلسفة والفنون والعلوم الاقتصادية والقانونية.

4. مجلة منافسة: لقد اهتم الكثير من الباحثين بكتابة مقالاتهم العلمية بحث تكون شاملة لفكرة معينة وطرح جميع الأسباب والتساؤلات الخاصة بها وتقديم الحلول المختلفة لها، بهدف إفادة المجتمع العلمي والاستفادة منه، وطرحها في ورقة بحثية ونشرها في مجلة علمية محكمة معتمدة، ومن خلالها يستطيع مختلف الباحثين تبادل الأفكار والعلوم مما يساعد في توسع دائرة المعرفة، وكانت مجلة "الوسيط" هي تلك المجلة.

5. ضوابط النشر: تعتمد مجلة الوسيط ضوابط خاصة أهمها الحيادية والموضوعية وتجنب دعم أي اتجاهات ذات أجندة خاصة، إضافة إلى الصدق والأمانة والالتزام بالتعليمات وقواعد النشر التي تضعها لجنة تحرير المجلة والجهات المنظمة للأبحاث العلمية، واحترام الملكية الفكرية لأصحاب البحوث وحفظ حقوق النشر وعدم الانتحال أو السرقة، وتلتزم بالمحافظة على سرية المعلومات واكتساب ثقة الباحثين الناشرين في المجلة، ومن ضوابطها نشر ما يفيد في إثراء البحث العلمي واستبعاد ما لا يصلح للنشر لأسباب علمية أو أخلاقية أو يتعارض مع الدين والعقيدة الإسلامية ... إلخ.

6. أهم المجالات العلمية الوطنية: رابط المجلة: <https://www.imrfpc.mr>

لقد رفعت الأبحاث العلمية الجادة المنشورة في "الوسيط" من شأن المجلة بين المجالات العلمية، ومن المستوى العلمي للمعهد الموريتاني للبحث العلمي بين المعاهد، وطبعًا من قيمة المجلة لدى قرائها وكتابها. إن الانضباط والانظام في النشر يكسبان المجلة سمعة جيدة لدى معتمدي المجالات العلمية على المستوى الدولي، مما ينعكس مباشرة على الباحثين.

فالمجلة بهذا المعنى تصبح مصدرا مهما للثقافة وكسب المعرفة، بل وتعد مصدر جيداً للاقتباس للباحثين في المشاريع ورسالة الماجستير الدكتوراه وكافة الأبحاث الدراسية للطلاب.

لقد عملت الأبحاث المنشورة حتى الآن على تعزيز مكانة المجلة دوليًا، بحصولها على الرقم الدولي، ومحليا بحصولها على الرقم الوطني، وهي تهدف الآن إلى الحصول على تصنيف أعلى ومؤشرات مرتفعة، مثل سكوبس، أو معامل التأثير، الذي يعتمد ذلك على معدل الاقتباسات من المجلة.

والوسيط اليوم واحدة من أفضل المجالات العلمية الوطنية، وأكثرها شهرة، يتم إصدارها باللغتين العربية والفرنسية، وتعتبر الوسيلة الأمثل لنشر الأبحاث الطلاب الباحثين، والباحثين.

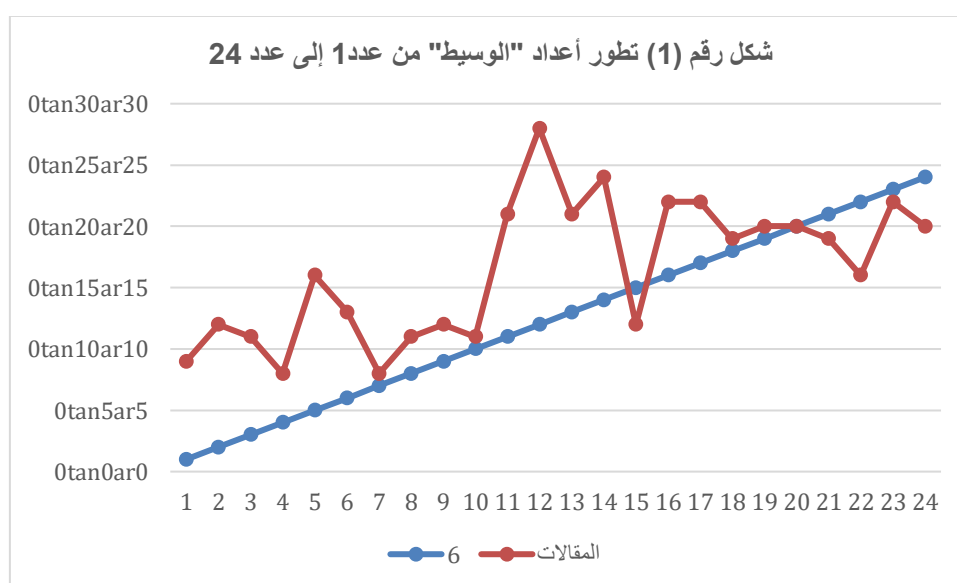
المحور الثالث: عدد البحوث حسب السنوات والأعداد

أول ما نستهل به البحث هو ملاحظة قلة المقالات المنشورة في مجلة الوسيط حتى الآن (388 بحثًا)، مقارنة بعمرها (52 سنة)، بمعدل 7 مستلات بحثية للسنة. كما ستنتشر العدد رقم 24، هذه السنة (2026)، ونظرًا لأن المجلة حولية (سنوية) فمن المنطقي أن تصل أعدادها إلى 52، لكن 28 سنة من عمرها ضاعت من دون سبب مقنع، ولعل ذلك يعود إلى ما أصاب المعهد من ركود وعدم استقرار، وما أصاب البحث العلمي والباحثين من تهيميش. ومع ذلك يلاحظ من الشكل رقم (1) أن الاتجاه العام نحو التزايد.

جدول رقم (1) تطور أعداد مجلة الوسيط عبر السنين وعدد البحوث ولغتها

السنوات	1975	1976	1977	1978	1979	1980	1981	1982	1983	1984	1985	1986	1987	مج
العدد	1													1
عربية	1													1
فرنسية	8													8
الحجم	125													125
السنوات	1988	1989	1990	1991	1992	1993	1994	1995	1996	1997	1998	1999	2000	
العدد	2	3				4			5		6			
عربية	5	4				4			9		9			31
فرنسية	7	7				4			7		4			29
الحجم	212	263				162			185		143			965
السنوات	2001	2002	2003	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011	2012	2013	
العدد		7		8	9	10					11		12	

عربية	5		6	7	9							16	20	63
فرنسية	3		5	5	2							5	8	28
الحجم	89		141	140	162							197	197	926
السنوات	2014	2015	2016	2017	2018	2019	2020	2021	2022	2023	2024	2025	2026	
العدد	13	14		15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	
عربية	15	14		7	15	15	14	15	16	14	11	18	16	170
فرنسية	6	10		5	7	7	5	5	4	5	5	4	7	70
الحجم	235	314		188	236	294	230	228	255	243	204	265	228	2920
الإجمالي														4936



وقد أمكن التمييز بين عدة فترات كبرى لكل منها خصائصها كما يلي: من 1975 - 1989، ومن 1990 - 2004، ومن 2005 - 2019، ومن 2020 - 2026.

- الفترة من 1975 - 1989: يتبين من خلال الجدول رقم (2) أنه خلال الـ 15 سنة (من 1975 - 1989) لم تظهر سوى 3 أعداد، حيث حدث انقطاع بعد نشر العدد الأول وصل إلى 13 سنة، وتتالي الخروج في سنتي 1988 و1989. وقد وصل عدد الأبحاث في هذه الفترة إلى 32 بحثاً، أي بمعدل 11 بحثاً في السنة تقريباً إذا ما اعتمدنا السنوات التي خرجت فيها المجلة، أما إذا ما اعتمدنا كل الفترة فسيكون المعدل بحثان في السنة، وكان العدد الثاني في الصدارة بـ 12 بحثاً تلاه العدد الثالث ليأخذ العدد الأول المستوى الأخير.

جدول رقم (2) فترة 1975 - 1989	
السنوات: من 1975 إلى 1989	عدد المقالات
العدد الأول 1975	9
العدد الثاني 1988	12
العدد الثالث 1989	11
3 أعداد في 15 سنة	32

- **الفترة من 1990-2004**: تبين من الجدول رقم (3) أن ظهور 5 أعداد في 15 سنة، ومقارنة بالفترة الماضية زادت الأعداد باثنين، وزاد عدد الأبحاث ب 24 بحثاً، وكانت سنة 1996 (العدد الخامس) أعلى السنوات من ناحية العدد البحوث، وقد بلغ المعدل السنوي بالاعتماد على الأعداد 11 بحثاً للعدد، أما عند اعتماد السنوات فبلغ المعدل حوالي 4 بحوث في السنة.

جدول رقم (3) الفترة من 1990-2004	
السنوات من 1990 إلى 2004	عدد المقالات
العدد الرابع 1993	8
العدد الخامس 1996	16
العدد السادس 1998	13
العدد السابع 2002	8
العدد الثامن 2004	11
5 أعداد في 15 سنة	56

وكانت سنتا 1993 و2002 أدنى السنوات، حيث سجلتا 8 بحوث. فماذا حدث سنة 1996 في المعهد؟ لماذا؟ ولا شك أن خمسة أعداد في 15 سنة تدعو للدهشة، لكن الواقع يقول إن الظروف كانت جد صعبة على المؤسسة.

- **الفترة من 2005-2019**: حدث تغير واضح في هذه الفترة، ذلك أن الأعداد وصلت 9 بدلا من 5 في الفترة السابقة، مع أن المجلة حولية، ولم يكن مقبولا تأخرها ولو لسنة، ولعل ذلك يعود إلى متابعة نهج الانضباط في الخروج السنوي لغاية سنة 2011 أو 2013، حيث انتقل المعهد من مقره، ولم يعد إلا سنة 2009. وسنلاحظ أنه لم ينقطع منذ سنة 2013 لتعرف هذه الفترة قفزة نوعية أوصلت الأبحاث إلى 173 مقالا بدلا من 56 في الفترة السابقة، ولعل ذلك يعود إلى اهتمام إدارة المعهد بالنشر عموما وبالمستلزمات البحثية ومجلة "الوسيط" خصوصا، الأمر الذي أدى إلى عدم انقطاع المجلة طوال هذه الفترة والفترة التي تليها.

جدول رقم (4) الفترة من 2005-2019	
السنوات من 2005 إلى 2019	عدد المقالات
العدد التاسع 2005	12
العدد العاشر 2006	11
العدد الحادي عشر 2011	21
العدد الثاني عشر 2013	28
العدد الثالث عشر 2014	21
العدد الرابع عشر 2015	24
العدد الخامس عشر 2017	12
العدد السادس عشر 2018	22
العدد السابع عشر 2019	22
9 أعداد في 15 سنة	173

ويبلغ المعدل السنوي للنشر بالاعتماد على الأعداد 19 بحثا للعدد، أما عند اعتماد السنوات فيبلغ المعدل حوالي 11 بحثا في السنة. وجاء في الصادرة العدد 12 لسنة 2013 الذي وصل عدد مستلته البحثية إلى 28 مستلة، يليه العدد 14 لسنة 2015 ب 24 مستلة بحثية، ليأخذ العدد 10 لسنة 2006 المركز الأدنى ب 11 مستلة بحثية، يليه العددان بالتساوي 9 و 15 ب 12 مستلة بحثية لكل منهما.

وتمثل هذه الفترة أكثر الفترات نشرا واستمرارية،

- الفترة من 2020 - 2026: يظهر الجدول رقم (5) الذي يمثل الفترة الأخيرة غياب الانقطاع تماما، وقصر الفترة (7 سنوات) مقارنة مع الفترات السابقة (15 سنة)، أي أقل من النصف، ومع ذلك وصل عدد الأبحاث على 138 بحثا، وأن الأعداد تراوحت بين 19 و 22 بحثا، نستثني منها العدد 22 الذي لم يتجاوز 16 بحثا. ومقارنة بين هذه الفترة والفترة السابقة نجد بأن فارق عدد الأبحاث كان 37 بحثا لصالح الأولى ويمكن إرجاع ذلك إلى كون الفترة الأولى أخرجت 9 أعداد/15 سنة، بينما اقتصرت الأخيرة على 7 أعداد/7 سنوات.

جدول رقم (5) الفترة من 2020 - 2026	
السنوات من 2020 إلى 2026	عدد المقالات
العدد الثامن عشر 2020	19
العدد التاسع عشر 2021	20
العدد عشرون 2022	20
العدد واحد وعشرون 2023	19
العدد اثنان وعشرون 2024	16
العدد ثلاثة وعشرون 2025	22
العدد الرابع والعشرون 2026	22
7 أعداد في 7 سنوات	138

المحور الرابع: تصنيف البحوث حسب الحجم

يلاحظ من الشكل رقم (2) أن العدد الإجمالي للصفحات وصل حدود 5000 صفحة، جاء في مقدمتها العدد 14 ب 314 صفحة، وأدناها كان العدد 7 ب 89 صفحة. وكان متوسط العدد 206 صفحة، حيث جاءت 11 عددا أسفله، وكلها قبل 2014، باستثناء العدد 15 (188 صفحة) الذي نذكر بأنه استثنائي. ويمكن التمييز بين فترات كبرى لكل منها خصائصها: من 1975 - 1989، ومن 1990 - 2004، ومن 2005 - 2019، ومن 2020 - 2026.

- الفترة الأولى: من 1975 إلى 1989: بلغ عدد الصفحات في هذه الفترة (3 أعداد في 15 سنة) 600 صفحة. لقد تطور حجم الأعداد بشكل ملحوظ فكان العدد الثالث هو أكبرها حجما (263 صفحة)، كما كان التدرج في زيادة عدد الصفحات حسب الأعداد واضحا جدا، حيث انتقل من 125 صفحة في العدد الأول إلى 263 صفحة في العدد الثالث مروا بالعدد الثاني 212 صفحة.

جدول رقم (6) فترة 1975 - 1989	
السنوات: من 1975 إلى 1989	الحجم (عدد الصفحات)
العدد الأول 1975	125
العدد الثاني 1988	212

العدد الثالث 1989	263
3 أعداد في 15 سنة	600

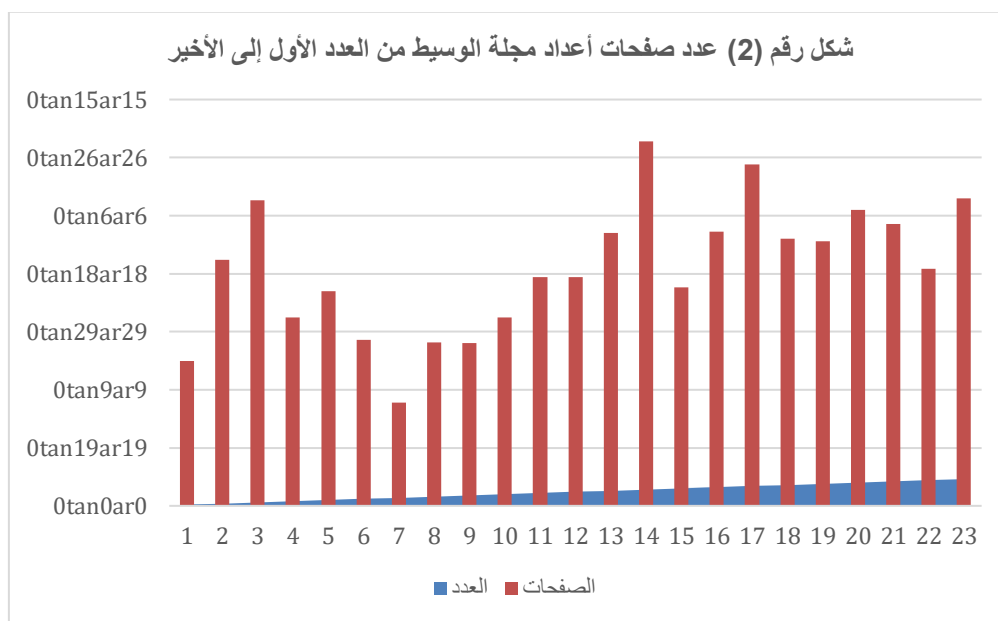
الفترة الثانية: من 1990 إلى 2004: بلغ عدد صفحات هذه الفترة 720 صفحة، وكلها الأعداد كانت دون المتوسط العام (206 صفحة)، وكانت سنة 1996 (العدد الخامس) أعلى السنوات من ناحية حجم البحوث، وبالنتيجة زاد عدد الصفحات ب 120 صفحة خلال الفترة من 1990 إلى 2004، مقارنة بالفترة الأولى، وكانت سنة 2002 أدنى السنوات، حيث لم تتجاوز 89 صفحة. وكان المتوسط الحسابي للأعداد الخمسة هو 144 صفحة، وعند حسابه على أساس عدد السنوات (15) فإنه يصبح 48 صفحة فقط.

جدول رقم (7) الفترة من 1990-2004	
السنوات من 1990 إلى 2004	الحجم (عدد الصفحات)
العدد الرابع 1993	162
العدد الخامس 1996	185
العدد السادس 1998	143
العدد السابع 2002	89
العدد الثامن 2004	141
5 أعداد في 15 سنة	720

الفترة الثالثة: من 2005 إلى 2019: يشير الجدول رقم (8) إلى أن مجموع الصفحات في هذه الفترة وصل إلى 1963 صفحة بدلا من 720 صفحة في الفترة السابقة، ولعل ذلك يعود إلى اهتمام إدارة المعهد بالنشر عموما وبالمستلزمات البحثية وعدم انقطاع المجلة خصوصا. وتحتوي هذه الفترة على العدد الأكبر حجما (عدد 14) الذي سجل 314 صفحة، والذي يليه (عدد 19).

جدول رقم (8) الفترة من 2005-2019	
السنوات من 2005 إلى 2019	الحجم (عدد الصفحات)
العدد التاسع 2005	140
العدد العاشر 2006	162
العدد الحادي عشر 2011	197
العدد الثاني عشر 2013	197
العدد الثالث عشر 2014	235
العدد الرابع عشر 2015	314
العدد الخامس عشر 2017	188
العدد السادس عشر 2018	236
العدد السابع عشر 2019	294
9 أعداد في 15 سنة	1963

جدول رقم (10) تصنيف البحوث حسب الحجم والأعداد															
الأعداد	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	مج	م	
الحجم (صفحة)	125	212	263	162	185	143	89	141	140	162	197	197	2016	168	
الأعداد	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	مج	م	
الحجم	235	314	188	236	294	230	228	255	243	204	265	228	2920	243	
مج (صفحة)														4936	206



حضور قوي للفترة الأخيرة (5/3)

لقد تم تقسيم ال 52 سنة التي أمضتها مجلة "الوسيط" إلى 4 فترات، طول كل منها 13 سنة، وهو ما يبينه الجدول رقم (1) حيث لم يظهر في الفترة الأولى (من 1975 - 1987) إلا العدد الأول، وبلغ 125 صفحة. أما الفترة الثانية (من 1988-2000) فظهر بها 5 أعداد، وصلت إلى 965 صفحة، ليظهر الفارق الكبير بين الأولى من حيث عدد الأعداد (5/1) وعدد الصفحات (8/1)، والفترة الثالثة (من 2000 - 2013) وصل فيها عدد الأعداد إلى 6، لكن عدد الصفحات لم يتجاوز 926 صفحة، في حين أن الفترة الأخيرة (2014-2026) كانت شبه مكتملة حيث لم تتغيب الجلة عن النشر إلا سنة 2016، لأن الإدارة اهتمت في عدد 14 (سنة 2015) بنشر ترجمة أبحاث تم نشرها في أعداد سابقة، وكان متوقعا متابعة ذلك في العدد الموالي، والمهم أن عدد صفحات 12 عددا في 13 سنة بلغ 2920، بنسبة تقدر ب 59%، أي أخذت في الربع الأخير مسارا مغايرا لما سبقه، من حيث الاستمرار والحجم.

ويشير الجدول رقم 10 إلى أن العدد الأول نشر سنة 1975، بينما لم ير العدد الثاني النور إلا سنة 1988، أي بعد 12 سنة، إنها البدايات الأولى للنشر الحديث في موريتانيا، وتلاه العدد الثالث سنة 1989، ليحدث انقطاعا لمدة ثلاث سنوات، ويظهر العدد الرابع سنة 1993، والعدد الخامس سنة 1996 والسادس سنة 1998، ثم العدد السابع سنة 2002، وانقطعت سنة 2003، وتتابع ثلاثة أعداد في ثلاثة سنوات متتالية 2004 و2005 و2006، أخرجت فيها الأعداد 8 و9 و10، وتغيب أربع سنوات ليظهر العدد الحادي عشر سنة 2011، ومنذ سنة 2013، وظهر العدد 12، ولم تنقطع منذ ذلك الوقت إلا سنة 2016. وهذا يعني أن عناية خاصة أعطيت لنشر المجلة، وحصدت نتيجتها من خلال كسبها الرقم الدولي (ISBN numérique) 978-1-988391-09-0 سنة 2019، والرقم الدولي ISNI 0000000494908908 سنة 2024 والرقم الدولي (ISSN): 5402-3006، سنة 2023 أيضا.

جدول رقم (10) تطور عدد المقالات والحجم من العدد الأول إلى العدد الأخير				
السنوات	عدد المقالات	النسبة	الحجم: عدد الصفحات	النسبة
العدد الأول 1975	9	2.32	125	2.5

4.25	212	3.1	12	العدد الثاني 1988
5.27	263	2.8	11	العدد الثالث 1989
3.25	162	0.26	8	العدد الرابع 1993
3.71	185	4.12	16	العدد الخامس 1996
2.86	143	3.35	13	العدد السادس 1998
1.8	89	0.26	8	العدد السابع 2002
2.82	141	2.8	11	العدد الثامن 2004
2.8	140	3.1	12	العدد التاسع 2005
3.25	162	2.8	11	العدد العاشر 2006
3.95	197	5.41	21	العدد الحادي عشر 2011
3.95	197	7.22	28	العدد الثاني عشر 2013
4.71	235	5.41	21	العدد الثالث عشر 2014
6.29	314	6.18	24	العدد الرابع عشر 2015
3.77	188	3.1	12	العدد الخامس عشر 2017
4.73	236	5.67	22	العدد السادس عشر 2018
5.89	294	5.67	22	العدد السابع عشر 2019
4.61	230	4.9	19	العدد الثامن عشر 2020
4.57	228	5.15	20	العدد التاسع عشر 2021
5.11	255	5.15	20	العدد عشرون 2022
4.87	243	4.9	19	العدد واحد وعشرون 2023
4.09	204	4.12	16	العدد اثنان وعشرون 2024
4.31	265	5.67	22	العدد ثلاثة وعشرون 2025
4.65	228	5.67	23	العدد الرابع والعشرون 2026
100	4936	100	400	المجموع

ظهر خلال 52 سنة 24 عددا، ونظرا لأن المجلة حولية (سنوية) فكان ينبغي أن تصل أعدادها إلى 52، وهذا يعني أن المجلة غابت 28 سنة (من سنة 1975 إلى سنة 2026)، ولعل ذلك يعود إلى ما أصاب المعهد من ركود، وما أصاب البحث العلمي والباحثين من تهيمش.

وبالنظر للجدول رقم 10، أمكن تقسيم المستلزمات البحثية المنشورة عبر الزمن إلى 5 فترات زمنية كل فترة منها تشمل 10 سنوات، بدءً من العدد الأول لغاية العدد الأخير.

الفترة الأولى من 1975 - 1984: الفترة الأولى: سجل عدد مقالات قدره 9، مثلت نسبة 2.32% من إجمالي البحوث المنشورة بالمجلة، ويصل عدد الصفحات المنشورة إلى 125 صفحة (2.5%).

الفترة الثانية (1985 - 1994م): ظهرت في هذه الفترة ثلاثة أعداد من المجلة هي الثاني والثالث والرابع، جمعت 31 مستلة بحثية، ووصلت ما يناهز 14% من مجموع الصفحات المنشورة، و6% من مجموع عدد المستلات البحثية.

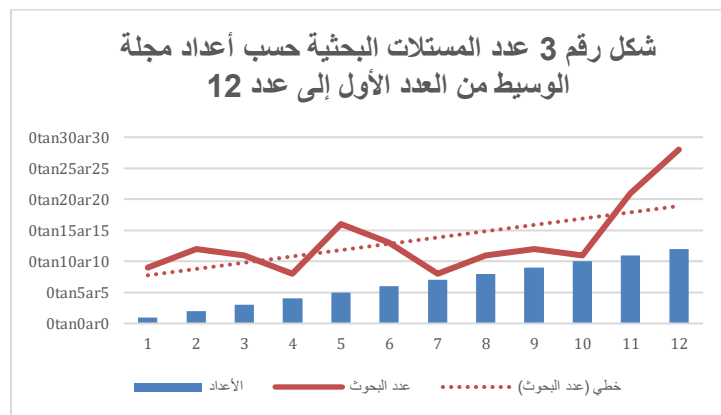
الفترة الثالثة (1995 - 2004): ظهر في هذه الفترة أربعة أعداد هي الخامس والسادس والسابع والثامن، جمعت 48 مستلة، جمعت حوالي 10% من مجموع المقالات وأكثر من 10% من مجموع الصفحات.

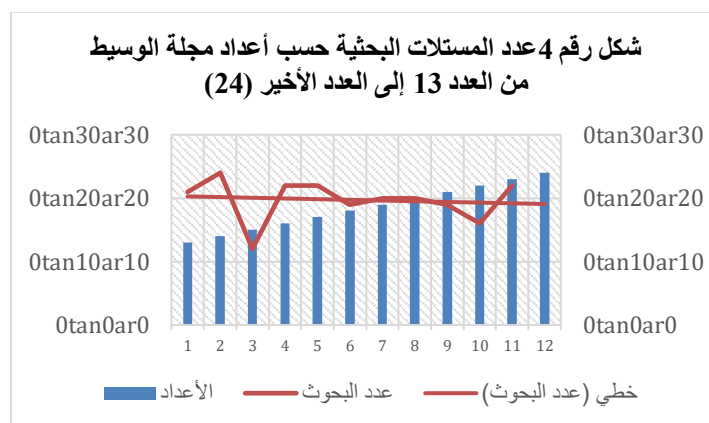
الفترة الرابعة (2005 - 2014): خلال هذه العشرية ظهر خمس أعداد، تمثلت في العدد التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، جمعت من خلالها 93 مستلة بحثية، قدرت نسبتها بـ 24%، بينما قدرت نسبة عدد الصفحات بـ حوالي 18%.

الفترة الخامسة (2015 - 2024): أهم ما يميز هذه الفترة هو عدم غياب النشر ولو لسنة واحدة، أي ظهور 10 أعداد، شملت 174 مستلة بحثية، بنسبة حوالي 55%، أي أكثر من نصف البحوث المنشورة في المجلة، وبنسبة أكثر من 70% من حيث عدد الصفحات المنشورة.

الفترة الأخيرة (2025 - 2026): نضيف السنتان الباقيتان اللتان سجلتا 44 مستلة بحثية، بنسبة أكثر من 11%، ونسبة حوالي 10% بالنسبة لعدد الصفحات.

يلاحظ من خلال ما سبق أن الفترة الخامسة احتلت الجارة من جميع النواحي سواء تعلق الأمر بعدد الأعداد أو بعدد المستلات البحثية (55%) أو بعدد الصفحات (70%)، وكان التدرج الإيجابي واضح، حيث انتقلنا من عدد واحد في العشرية الأولى، إلى ثلاثة أعداد في العشرية الثانية وإلى أربعة أعداد في العشرية الثالثة، وخمسة أعداد في العشرية الرابعة ثم 10 أعداد في العشرية الخامسة. وهذا ما ترتب عليه تطور في عدد المستلات البحثية وفي عدد الصفحات.





يلاحظ من الجدولين 3 و4 أن مسار المجلة كان إيجابيا من حيث الحجم، وقد عرف قفزة نوعية منذ العدد 11، عندما وصل 20 بحثا، ولأول مرة، بينما بدأ بتسعة بحوث فقط، وكانت الانطلاقة الحقيقية للمجلة لأن الاستقرار في حدود الـ 20 بحثا/عدد كان واضحا، ويعود نزول العدد 15 إلى 16 مستلة بحثية إلى كونه عددا خاصا بترجمة بعض البحوث الصادرة في أعداد سابقة، وتحويلها إلى مادة العدد العلمية، أما العدد 22 فقد تقلص بفعل الحد من الإنفاق، وتقليص عدد البحوث.

المحور الخامس: التوزيع الموضوعي (التخصصات) للبحوث

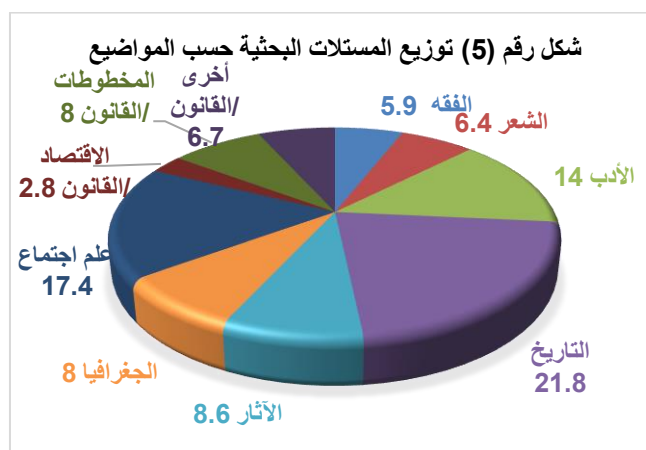
من خلال توزيع هذا الإنتاج العلمي، كما قدمه الباحثون، على الموضوعات الكبرى التي عالجوها، يمكن للقارئ تكوين صورة عن تطور البحث حول موضوع معين على ضوء تتبع النشر. فعند إلقاء نظرة سريعة على عناوين المقالات يظهر أن المواضيع المعالجة والمجالات المدروسة ووتيرة الإنتاج عرفت تطورا مستمرا عكست، إلى حد كبير، التحولات التي مست المعهد.

جدول رقم (11) تصنيف البحوث حسب الموضوعات والأعداد												
التصنيف / العدد	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12
الفقه					1						1	2
الشعر	1			1	1	1		1	1			7
الأدب	1	4	2					1	1	3	1	14
التاريخ	1	1	2	4	4	5	5	3	3	2	4	47
الآثار	3	3	2		4		1		1	2	1	20
الجغرافيا	2							2		1	3	10
علم الاجتماع/الفكر	1	3	3	1	1			2	3	1	7	27
الاقتصاد والقانون							1					01
المخطوطات		1	2	2	2	5			2	1	4	19
أخرى	3		1		4	1	1	2	1	1	1	13
المجموع	9	12	11	8	16	13	8	11	12	11	21	160
التصنيف / العدد	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24

21	3	6	1	4	2	1	2	1			1		الفقه
18	3	3		3	1	3	1	1	2			1	الشعر
40	8	2	4	3	2	4	4	1	3	1	3	5	الأدب
38	4	4	4	1	4	4	1	3	2	1	6	5	التاريخ
12							1	2	3	4	2		الأثار
22	2	1		2	2	1	2	2	2	2	3	3	الجغرافيا
40		2	2	3	3	2	2	7	4	3	6	6	علم الاجتماع/فكر
12	1	2	1	2	1	2	2	1					الاقتصاد والقانون
12		1	1			1	1	1	4		2	1	المخطوطات
24	2	1	3	1	5	2	3	3	2	1	1		أخرى
240	23	22	16	19	20	20	19	22	22	12	24	21	المجموع

شمل تصنيف المستلآت البحثية حسب الموضوعات 10 تخصصات بدأت من الفقه وانتهت بأخرى، وقد أخذ التاريخ نصيب الأسد في ال 12 عدد الأولى تلاه علم الاجتماع والفكر، وفي الجزء الثاني (من العدد 13 إلى العدد 24) والذي بلغ عدد المستلآت البحثية به 240 مستلة بحثية، ظفر الأدب وعلم الاجتماع /الفكر بالمرتبة الأولى متعادلان (40 مستلة بحثية لكل منهما)، كما نلاحظ من الجدول أن تخصص التاريخ جاء في المقدمة بـ 84 مستلة بحثية، (نسبة 22.4%)، وكان الاقتصاد /القانون في أسفل القائمة بـ 11 مستلة بحثية، أي 2.93% من مجموع المواضيع.

ويلاحظ أن العدد الإجمالي بلغ 400 مستلة بحثية، بلغت نسبة النصف الأخير منه حوالي 61%، بـ 240 مستلة بحثية. ونلاحظ أن متوسط المستلآت البحثية في العدد الواحد تبلغ 15 مستلة بحثية/عدد. مع أن كل الأعداد الواقعة بعد العدد لسنة 2011، تجاوز هذا الرقم باستثناء العدد 15 لسنة 2017. وأخذ التاريخ الريادة بنسبة 21.8% بينما كان الاقتصاد /القانون أدناها بنسبة حوالي 3%. وكان نصيب العلوم الإنسانية 47%.



المحور السادس: تصنيف حسب الباحثين وحسب لغة البحث

نلاحظ من الجدول رقم 12، أن عدد الباحثين الذين شاركوا في الجزء العربي من المجلة وصل إلى 277 باحثا، وأن ثلاثة من هؤلاء استأثروا بـ 36 بحثا (نسبة 13% من مجموع البحوث)، حيث ساهم بشيرباريك بـ 14 بحثا

وأحمد محمد يحيى ب11 بحثا ومحمدن المحجوبي ب11 بحثا، بينما الفئة الثانية 42 بحثا أساسهم من المعهد (المرحوم محمد المصطفى ولد الندي والمرحوم غالي سيد أعمر ومحمد الأمين محمد محمود والطالب أحمد ولد طوير الجنة، وقد نشر كل واحد منهم 6 بحوث)، ومن جامعة نواكشوط محمد الأمين ولد مولاي ابراهيم (7 بحوث) ومن جامعة لعون الإسلامية أبوبكر محمد احمد (6 بحوث). وفي الفئة الثالثة تداخل باحثو المعهد مع الآخرين (مستوى 5 و4 بحوث)، ونذكر هنا من المعهد كل من المرحوم السالك محمد المصطفى (5) وعبد الله أحمد عبيد (5) ومحمد الهادي محمد المصطفى (4)، ومن خارج المعهد المصطفى خطري وأمنة الشيخ بيده وكمال ابراهيم صيدم ومريم الشيخ أحمد مسكه، وفي المستوى قبل الأخير (3 بحوث) نجد من المعهد المرحوم محمد يحيى ولد سيد أحمد وآخرون من مؤسسات عليا مختلفة وهم محمدو محمدن والاب إزيدية الحضرامي وإسلم خونا ومحمد محمود الصديق. وقد يلاحظ من خلال تتبع تطور النشر أن مشاركات باحثي المعهد تقلصت كثيرا في السنوات الأخيرة، لأسباب منها قلة التعويض، وضعف رواتب الباحثين (البحث عن دوريات تدفع أكثر) وضعف التكوين العلمي، وعدم ترغيب الإدارة وكون البحث ليس من موجبات الترقية.

جدول رقم (12) تصنيف عدد البحوث حسب الباحثين

الاسم	بشير	أ. يحيى	م. محجوبي	إبراهيم	غالي	سالم	الأمين	الندي	طالب	حميد
عدد البحوث	14	11	11	7	6	6	6	6	6	6
الاسم	خطري	سالک	عبيد	صيدم	بيده	جيلالي	مريم			
عدد البحوث	5	5	5	5	5	5	5			
الاسم	الهادي	ان	م. حسن	جفدان	بلال					
عدد البحوث	4	4	4	4	4					
الاسم	م. يحيى	م. محمدن	الب	خونا	الصاديق	مج				
عدد البحوث	3	3	3	3	3	277				

بشير(بشير ياريك)، أ. يحيى (أحمد محمد يحيى)، م. محجوبي (محمدن أحمد المحجوبي) ابراهيم (محمد الأمين مولاي ابراهيم) غالي (غالي سيد أعمر)، سالم (سيد أحمد أحمد سالم)، الأمين (محمد الأمين محمد محمود) الندي (محمد المصطفى ولد الندي)، طالب (الطالب أحمد ولد طوير الجنة)، حميد (أبو بكر محمد احمد)، خطري (المصطفى خطري)، سالک (السالک محمد المصطفى)، عبيد (عبد الله أحمد عبيد)، صيدم (كمال ابراهيم صيدم)، بيده (أمنة الشيخ بيده)، جلال (بكر جيلالي)، الهادي (محمد الهادي محمد المصطفى)، أن (محمد الأمين ان)، م. حسن (محمد الحسن محمد المصطفى)، جفدان (محمد جفدان)، بلال (محمد محمود الناجي بلال)، مريم (مريم بنت الشيخ ولد أحمد مسكه)، م. يحيى (محمد يحيى سيد أحمد)، م. محمدن (محمدو محمدن)، الب (الب إزيدية الحضرمي)، خونا (إسلم خونا)، الصاديق (محمد محمود بن الصاديق).

هذا، ونشر باللغة الفرنسية حتى الآن 165 باحثا، 17 منهم من ظهرت لهم مستلات بحثية أكثر من مرة والباقيون لم يظهروا سوى مرة واحدة، وكان روبرير فيرنري في مقدمة هؤلاء ب 13 بحثا، تلاه رسين انجاي ومامادو دحمد بالتساوي 9 بحوث لكل منهما، ثم جاء مبهو سيتا جاكابا ب 8 بحوث وعبد الله فال ب6 بحوث.

الاسم	RV	RN	MD	MSD	AF	MMT	ED	MK	BMN
العدد	13	9	9	8	7	6	5	3	3
الاسم	SL	BB	CTCh	ACh	GA	NGK	NMG	PB	
العدد	3	2	2	2	2	2	2	2	158

RN (Racine Ndiaye) RV (Robert Vernet) MD (Mamadou Dahmed) MSD (MBouh Séta Diagana) AB (Abdellahi Fall), MMT (Mohameden Ould Mohamed Telmid), ED (Ethmane Dady), Mk (Mohamed Khattar, BMN (Baouba Mohamed Nafé, SA (Sylvie Amblard), BB (Bechir Barick), CTCh (Caterine Taine Cheikh), ACh

(Aminetou Cheikh), GA (Ginette Aumassip), NGK Namy Ghassem Mohamed Kaber, NMG (Nicolas Martin Granel), PB (Pierre Bonte).

حضور قوي للباحثين الوطنيين

جدول رقم (13) البحوث حسب الباحثين														
العدد	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	مج	%
وطني	2	4	3	3	9	12	5	10	9	9	19	17	106	100
عربي	1	3	3	3	7	9	3	6	7		15	10	68	64
فرنسي	0	1	0	0	2	3	2	4	2	9	4	7	38	36
أجنبي	8	8	8	5	7	1	3	1	3	2	1	11	55	100
عربي	1	2	3	4	4	1	1	0	0	0	0	10	21	38.18
فرنسي	7	6	5	1	3	0	2	1	3	2	1	1	34	61.81
العدد	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24		
وطني	16	15	4	14	19	16	19	18	19	16	22	22	182	100
عربي	12	13		9	14	12	15	16	15	11	18	16	134	73.6
فرنسي	4		4	5	5	5	4	5	4	5	4	6	48	26.4
أجنبي	5	9	10	6	3	2	1	0	0	0	0		55	100
عربي	4	2	7	5	1	2							33	60
فرنسي	1	7	3	2	2		1						22	40

في العدد الأول كان عدد الأجانب 8 والوطنيين 2، ليرتفع عدد الوطنيين في العدد الثاني حتى 6، وبقي عدد الأجانب على حاله، وفي العدد الثالث لم يتجاوز عدد الوطنيين 3 بينما وصل عدد إلى الأجانب 11، وفي العدد الرابع زاد عدد الوطنيين على الأجانب ولأول مرة، حيث كان عدد الوطنيين 7 وعدد الأجانب 6، ليستمر الأمر بتناقص الأجانب حتى انتهى بهم الأمر إلى الغياب تماما من الأعداد 20 و21 و22 و23.

نلاحظ من الجدول رقم 14 أن عدد الباحثين الذين شاركوا في الجزء الفرنسي من مجلة الوسيط وصل إلى 165 فردا، وما يناهز نصفها (80 بحثا) يعود إلى 17 باحثا، و57 منها كانت من نصيب 7 باحثين، وهم على التوالي: روبرير فيرني (13 بحثا) ورأسين انجاي (9 بحوث) ومامدو دحمد (9 بحوث) ومبوه سيتا جاكانا (8) وعبد الله فال (7) ومحمدن محمد اتليميدي (6) وعثمان دادي (5). فروبير فيرني باحث متعاون مع المعهد وعثمان دادي باحث في المعهد، والباقيون من جامعة نواكشوط.

أما باقي البحوث فيتشارك فيها 151 باحثا، نضيف إلى ذلك أن بعض الباحثين شاركوا في الجزئين (العربي والفرنسي) مثل بشير باريك وعثمان دادي ومحمد ختار وأمنة الشيخ وبوبه محمد نافع، وعبد الودود ولد الشيخ.

المحور السابع: تصنيف حسب اللغات

81 باحثا أجنبيا من بينهم عربا، وكان الفرنسيون يمثلون 51% من مجموع الكتاب باللغة الفرنسية، بينما لم تتجاوز نسبة الأجانب الباحثين باللغة العربية 10%.

حضور قوي للغة العربية

نلاحظ أن اللغة العربية لم يكن لها من الحضور إلا مستلة بحثية واحدة في العدد الأول، مقابل 8 مستلات بحثية أجنبية، وفي الأعداد الـ 12 الأولى كانت نسبة البحوث العربية 64%. وفي الأعداد الـ 12 الثانية بلغت النسبة 73.6%.

جدول رقم (14) البحوث حسب اللغة													
العدد	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	مج %
عربي	1	5	3	4	5	9	3	6	7		15	10	68
فرنسي	1	1	0	3	2	3	2	4	2	9	4	7	38
أجنبي	8	8	11	5	3	1	1	1	3	2	1	11	55
عربي	1	2	3	4		1	0	0	0	0	0	10	21
فرنسي	7	6	8	1	3	0	1	1	3	2	1	1	34
العدد	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	
وطني	20	11	4	14	19	17	20	21	18	16	22	21	182
عربي	14	11		9	14	12	16	16	13	11	18	15	134
فرنسي	6		4	5	5	5	4	5	5	5	4	7	48

ولن ننتهي قبل أن نشير إلى تصنيف الكتاب حسب جنسهم إلى 34 بحثا للإناث من بينهن 14 باحثة باللغة الفرنسية و20 باحثة باللغة العربية، وكان ذلك من أصل حوالي 386 باحثا أي نسبة 8.8%.

النتائج

بناء على ما سبق، أي بعد جرد الأعداد وتصنيفها زمنيا، وجرد العناوين وتصنيفها من حيث التخصصات وجرد أسماء الباحثين وتصنيفهم، تم التوصل إلى النتائج التالية:

- بلغ عدد المستلات البحثية 388 بحثا، كان لتخصص التاريخ النصيب الأكبر منها، بلغ 80 بحثا (نسبة 23%) وحصد تخصص علم الاجتماع والفكر نسبة 18%.

- حصدت الفترة قبل الأخيرة (2015- 2024) الترتيب الأول من بين الفترات، حيث بلغ عدد المقالات بها (174 بحثا) بنسبة 55%.

- بلغت ذروة الإنتاجية المنشورة في عام 2013 (عدد 12)، حيث بلغ عدد البحوث المنشورة 28 بحثا مثلت نسبة 7.22%.

- كان الموريتانيون الأكثر مساهمة بالبحوث المنشورة بالمجلة من حيث توزيع الباحثين بسحب الجنسية.

- جاء على رأس المؤلفين الأكثر إنتاجية ومساهمة ببحوثهم المنشورة بالمجلة د. بشير باريك (16 بحثا) مثلت نسبة 4.12%، من إجمالي عدد البحوث المنشورة.

الخاتمة

لقد تأكد الباحثان من فرضيتهما الأولى عندما أظهر التحليل علمية مجلة "الوسيط" وريادتها في وسطها، حتى أضحت من أهم المراجع التي يُستند إليها في مجالات نشرها، وهذا ما رفع من شأنها ووزنها بين مثيلاتها، وقد تم تسويقها فعلا، لكن بشكل محتشم، لأسباب منها عدم توقفها منذ سنة 2013، وظهور النسخ الرقمية، والحصول على الرقم الدولي، وأصبحت أنظار الباحثين (محليين وأجانب) تتجه نحوها، بحثا عن النشر وعن توثيق العلاقة، وهي اليوم مجلة منافسة لكل المجلات الوطنية والإقليمية وتطمح للتسجيل في سكوبيس وفي الحصول على معامل التأثير.

هذا الطموح سيعطيها دفعا لتحافظ على مكتسباتها ولتواصل توفير متطلبات التسجيل في سكوبيس والحصول على معامل التأثير.

التوصيات

- تشجيع النشر في التخصصات النادرة والمهمشة مثل الأركيولوجيا وعلم الاجتماع وغيرهما.

- وضع خطط لدعم البحوث البينية التي تدمج بين تخصصات العلوم الإنسانية وبين باحثين محليين وخارجيين.
- رقمنة الأعداد القديمة وتوفيرها عبر قواعد البيانات الأكاديمية (مثل المجلات الجامعية) لزيادة مقروئية المقالات.
- إنشاء منصة خاصة بالمعهد، يستطيع كل باحث العودة إليها لجلب المعلومات.
- التعاون والتنسيق بين المعهد والباحثين وتبادل الخبرات في مجال العمل الببليوجرافي وإصدار المزيد من الدراسات من أجل التعريف بالمقالات والأبحاث المنشورة وتبسيط الضوء عليها وإظهارها لمجتمع المستفيدين من الباحثين وخاصة في مجالات الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية.
- العمل على تجميع الإنتاج الفكري من المشروعات الببليوجرافية وعمل مشروع ضخم لقاعدة بيانات عالمية أو إقليمية أو محلية لتجميع الإنتاج العلمي المنشور في مختلف مجالات المعرفة ووضعها بين أيدي المهتمين للاستفادة منه وعدم تكرار الأعمال البحثية.

قائمة المصادر والمراجع

- المعهد الموريتاني للبحث العلمي، أعداد مجلة الوسيط.
- أحمد، ماهر محمد الكبير أحمد، اتجاهات البحوث العلمية المنشورة في مجلة كلية اللغة العربية بأسبوط: دراسة تحليلية، المجلة العربية الدولية لدراسات المكتبات والمعلومات، المجلد الثالث، عدد 3، يوليو 2024.
- الأسدي، سليمان جودي داود، مجلة آداب البصرة، للعدد (2004-2010): دراسة تحليلية، مركز دراسات البصرة والخليج العربي، مجلد 18، عدد 60، 2012.
- بخيت، محمود محمد، مقالات اللغة العربية وآدابها في الدوريات الأكاديمية لكليات جامعة الأزهر بالوجه القبلي: دراسة تحليلية، 2008.
- بن شعيرة، سعاد، الإنتاج العلمي في مجال المكتبات والمعلومات بالجزائر: دراسة تحليلية ببليومترية، الجزائر، جامعة منتوري قسطنطينية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2006.
- الخطيب، نجيب محمد، كشاف مجلة المعلومات، 2008.
- الخطيب، نجيب محمد، كشاف مجلة المعلومات، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية، مج 14، عدد 2، 2008.
- سليمان جودي داود الأسدي، مجلة البصرة الجراحية: 2004-2011: دراسة تحليلية.
- سهير عبد الباسط، تحليل محتويات دورية عالم المعلومات والمكتبات والنشر: دراسة تحليلية، 2004.
- سيد أعمر، غالي، فهرست منشورات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، مجلة الوسيط، تصدر عن المعهد الموريتاني للبحث العلمي، عدد 11، 2011.
- صيني، سعيد إسماعيل، قواعد أساسية في البحث العلمي، بيروت، 4 مؤسسه الرسالة، 1994.
- العايدي محمد عوض، إعداد وكتابة البحوث والرسائل الجامعية مع دراسة عن مناهج البحث، القاهرة، شمس المعارف، 2005.
- عبد الفتاح، رشا عيد محمد، المجلة المصرية لعلوم المعلومات (2014-2021م): دراسة تحليلية وكشاف، 2022.
- عبد الفتاح، رشا محمد، المجلة المصرية لعلوم المعلومات (2014-2021)، دراسة تحليلية وكشاف كلية الآداب، بجامعة بني سويف، قسم علوم المعلومات، 2022.
- عبد المحسن محفوظ، مجموعة الدوريات في مكتبات جامعة الأزهر: دراسة تقييمية، 2007.
- عبد الهادي، محمد فتحي، البحث ومنهجه في علم المكتبات والمعلومات، القاهرة، الجار المصرية اللبنانية، 2002.
- عبد الهادي، محمد فتحي، مقدمة في علم المعلوماتية، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2008.
- الهوش، أبو بكر محمود، تكنولوجيا التعليم "الحاسب الآلي الأنترنت وعلوم المكتبات والعلوم التربوية والدراسات العليا والمنهج الببليوجرافي، 1981. بتاريخ 2026/07/29

<https://kenanaonline.com/users/tamer2011-com/posts/553279>

الملاحق

المقالات المنشورة باللغة العربية			
اسم الباحث	عدد البحوث	اسم الباحث	عدد البحوث
بشيرى محمد باريك	13	محمد بن ب بن أحمد يحيى بن محمد المامي	1
أحمد بن محمد يحيى	11	محمد الأمين ولد أيد	1
أبو بكر بن محمد أحمد	6	محمد ولد ختار	1
الطالب أحمد أطوير الجنة	6	محمد ولد محمد الطفيل	1
أمنة الشيخ بيده	5	فاطمة الزهراء بنت أبا سعيد	1
بيكر جلاي	5	فاطمة بنت أو	1
السالك بن محمد المصطفى	5	فاطمة بنت عبد الوهاب	1
سيد أحمد بن أحمد سالم	5	فاناكير C. Vanacker	1
عبد الله أحمد عبيد	5	فوزي دريدي	1
إسلم خونا / محمد سيد لمين	3	كيسه ولحية	1
الب إزيدييه الحضرمي	3	م.د شغان ظاهر عبد الله	1
إسلم بن السبتي	2	محمد الأمين بن حمادي	1
التاه بن محمد بن اجمد	2	مردراج شلبي	1
الزهراء بنت الشيخ	2	محمد الأمين ولد محمد المختار	1
السالك مولاي أحمد شريف	2	محمد المختار سيدي محمد الهادي	1
الشيخ سعد بوه بن محمد فاضل بن الشيخ عبداتي	2	محمد بكار	1
عمر آدم عبد الله بليلة	2	محمد بن الشيخ عبد الله	1
أبو أمادوبا	1	محمدو / أحمد / شريف بوي	1
ابوه ولد محمد ولد بلبلاه	1	محمد سالم محمد مختار السالم	1
أبي ولد محفوظ محمدن	1	محمد قويسم	1
أجه محمد أمينه	1	محمد محفوظ	1
احمد ولد العباس	1	محمد محمود ولد سيدي المختار	1
أحمد كوري ولد ياية السالكي	1	محمد ولد تتا	1
أحمد مولود ولد أيده	1	محمد ولد جدو	1
إزيد بيه بن محمد محمود	1	محمد ولد عبيد	1
إزيدييه ولد محمد البشير	1	مريم الهاشمي	1
الأمير ولد آكأة	1	مريم بنت بن باب الدين	1
الأمين ولد محمد باب	1	مزامح علاوي الساهري	1
إيزابل ليكوف Isabelle Le GOFFE	1	مزرعي سمير	1
باب ولد أحمد ولد الشيخ سيديا	1	معايز عبد القادر	1
باب ولد سيد أحمد اعل	1	ملاي اسعيد ولد سيدات	1
بلبروات بن عتو	1	ميمونه منت الإمام	1
بن علال فاطمة الزهراء	1	الفاني ولد الحسين	1
وبن منصور مليكة	1	نبيل عبد الفتاح اسماعيل ابراهيم	1
بوركيبة محمد	1	نيكول ابتي مير Nicole Petit-Maire	1
التجاني ابيليل	1	يحيى بن البراء	1
تريه عمار	1	يحيى ولد أحمد معلوم	1
جان أكلود ميسكوفسكي Jean-Claude Miskovsky	1	يُسرية موسى أحمد جمال الدين	1
حسان سخسوخ	1	المعلوم محمد الحضرمي	2
حم ولد أديه	1	محمد ولد محمد الأمين ولد اباه	2
حماء الله ولد السالم	1	المختار ولد حامد	2
حماء الله ولد مياي	1	يحيى بن البراء	2
حمود أعمر جوده	1	محمد المختار بن السعد	2
خادمة الله بنت ابيش	1	محمد عالي أحمد الفاروق	2
خالد حربي	1	محمد فال محمد محمود السالك	2
خديجة أحمد فال	1	محمد فال ولد عبد الرحمن	2
خديجة بنت عبد الحي	1	محمد محمد الأمين اباه	2
الخليل النحوي	1	محمد ولد الداه ولد أيده	2
رشيد بن محمد عمري	1	محمد ولد بادي	2

2	محمد يوسف ددي	1	زاهدة محمد طه المزوري
3	محمد الأمين عبد الوهاب سدين	1	الزين ولد المصطفى
3	محمد محمود بن الصديق	1	سيباستيان بولاي Sébastien Boulay
3	محمد يحيى بن سيد أحمد	1	سيد محمد ولد ابابه
3	محمد وبن محمدن	1	سيداتي ولد الداه
4	محمد الهادي ولد محمد المصطفى	1	سيدنا عمر ولد محمد الأمين
4	محمد الحسن محمد المصطفى	1	سيدي محمد ولد أحمد ولد المصطفى
4	محمد الأمين ولد ان	1	سيدي ولد مناه
4	محمد ولد أحمد ولد اشريف أحمد	1	سيلفي أمبلار Sylvie Amblard
4	محمد جفدان	1	ش. استدارت - -
4	محمد محمود الناجي بلال	1	الشيخ التجاني أحمدي
4	مريم بنت الشيخ ولد أحمد مسكة	1	الشيخ ولد أحمد ولد خطري
5	كمال ابراهيم صيدم	1	الطيب بن دحان
5	المصطفى بن خطري	1	عالي بن المرواني ابو
6	محمد المصطفى بن الندي	1	عبد الرحمن عبد الله باب
6	غالي ولد سيد اعمر	1	عبد الغفار بن نعمة
6	محمد الأمين بن محمد محمود	1	عبد القادر خليف
7	محمد الامين مولاي ابراهيم	1	عبد الله بن بابكر
10	محمد بن أحمد بن المحبوب	1	عبد الودود ولد الشيخ
		1	عبدوتي ولد عال
		1	العبد بكري
296			المجموع

الملاحق (تابع)
المقالات المنشورة بالفرنسية

Nom	Nb	Nom	Nb
A. Gallin	1	Joël Suire	1
Abdel Moumine Ouls Sid'Ahmed	1	Khadijettou Mint Abdel Haye	1
Abdel Wedoud Ould Cheikh	1	Madeleine Sélo	1
Abdallahi Fall	7	Mamadou Dahmed	9
Abdellahi Mohamed Vall HMEYADA	1	Mamadou Kalidou Ba	9
Abdoul Dicko	1	Marianne Klaissle	1
Aboubakry THIAM	2	Marie P.	1
Ahmedou Soule	1	M'bouh Seta DIAGANA	8
Al Mukhtar Ibn Hamidun	1	Med El Bechir Hamadi	1
Alain Person	1	Michel Raimbault	1
Aline Tauzin	1	Michel Tauveron	1
Amadou Tijani DIALLO	1	Mohamed Khattar (M.Kh.)	3
Aminetou Cheick	1	Mohamed Lemine Ould Sidi Hamadi	2
André Cormillot	1	Mohamed Mahmoud O. Sid El Moktar	1
André Delcourt	1	Mohamed Saïd Ould Ahmedou	1
Anne France Maurer	1	Mohamed Salem Ould Sabar	1
Antoine COURCIER	1	Mohamed Vall Ould BLEYLA	1
Baouba Med Naffé	3	Mohameden Ould Mohamed Telmidi	6
Bechir Mohamed Barick	2	Mohamedou Bathily	1
Bilal Ould Hamza	1	Mohamedou Ould Mohameden	1
Catherine Taine Cheikh	2	Mouhamedou Mawloud Diakité	1
Cheikh Sidi Mohamed Ould Aly	1	Moulaye Ahmed Ould Hasni	1
Chloé Albaret	1	Nadjib Ferhat	1
Christiane Barbey	1	Namy Ghassem Ould Mohamed Kaber	2
Courcier A.	1	Nicolas Martin Granel	2
D. Robert Chaleix	1	Nicole Lambert	1
Denise Rober Chaleix	1	Nicole Petit -Maire	1
Diallo Alpha	1	Ould Aly Cheikh Sidi Mohamed	1
Elemine Mohamed Baba	2	Ousmane WAGUE	1

Ethmane Ould Dadi	5	Ph. Tous	1
George Hugot	1	Pierre Bonte	2
Georges Voisset	1	Pierre Boulanger	1
Ginette Aumassip	2	Racine Oumar N'Diaye	9
Hélène Jousse	1	Robert Vernet	13
Hugot Buffet	1	Sébastien Boulay	1
Isabelle Le Goff	1	Sidi Mohamed Ould Dadi	1
Issaga Diagana	1	Sidiya Ould Mheiham	1
Izidbih Ould Mohamed Mahmoud	1	Sylvie Amblard	3
J. F. Saliège	1	Thibault Vallette	1
Jan Schlögl	1	Thierry Tillet	1
Jean Claudeb Miskovsky	1	Tijani Boilil	1
Jean François Pasty,	1	Yeslem Ould Hamdane	1
Jean Michel OTT	1	Youssef Gueye	1
Total			158

المقالات المنشورة باللغة العربية حسب الأعداد

رقم العدد	عنوان المقال	اسم الباحث	السنة	الصفحات
1	من أساليب الشعراء الموريتانيين	المختار ولد حامد	1975	12-2
1	القبيلة في تجلياتها المختلفة	عبد الودود ولد الشيخ	1987	
1	تقديم كتاب "حياة موريتانيا" للمختار بن حامد	محمد المصطفى ولد الندي	1987	
1	تقديم فهرس الجزء الخاص بالتاريخ من مخطوطات المعهد الموريتاني للبحث العلمي	يحيى ولد البرا	1987	
2	تأثير اللهجة الحسانية في الشعر الموريتاني	سيدي أحمد بن أحمد سالم	1988	12-3
2	الهجرة في اللغة العربية تصور الماهية وشكل الانجاز	يحيى بن البراء	1988	27-13
2	عواطف البحث في التاريخ الموريتاني	محمد المختار بن السعد	1988	43-28
2	الأمثال الحسانية: متى وكيف؟	محمد المصطفى بن الندي	1988	59-44
2	المصادر التاريخية في مكرو فيلمات المعهد	أحمد ولد محمد يحيى	1988	89-60
3	نموذج من النشر الفني الشنقيطي (تقديم وشرح مقامة ذات الدخان وأتاي للمختار بن حامد)	عبد الله بن بابكر	1989	57-3
3	كتب الرحلات الفرنسية خلال القرن XIX مصادر للتاريخ الموريتاني	محمود بن محمذن	1989	68-58
3	تحقيق شرح تميمية حميد بن ثور الهاللي لمؤلف مجهول	إسلم بن السبتي	1989	113-69
3	المخطوطات الموريتانية محاولة جديدة لفهرستها	ش. استدارت - سيدي احمد بن أحمد سالم - أحمد بن محمد يحيى	1989	114-121
3	عرض وتقديم للمعجم الحساني الفرنسي لكاترين الشيخ	سيدي احمد بن أحمد سالم	1989	122-123
4	الصنائع والحرف وأوجه المعاش في موريتانيا	المختار ولد محمد حامد	1993	9-1
4	تحقيق نظم ملح بني ديمان للشيخ سيدي محمد ولد الشيخ سيدي	محمد يحيى ولد سيدي أحمد	1993	39-10
4	العلاقات الثقافية المغاربية من خلال المخطوطات الموريتانية	أحمد ولد محمد يحيى	1993	52-40
4	تحقيق رسالة في التاريخ والأنساب للشيخ سيدي محمد	سيدي أحمد ولد أحمد سالم	1993	73-53

			بن الشيخ أحمد بن سليمان الديماني	
			الملخصات	
4		السالك ولد محمد المصطفى	ملخصات بحوث ورسائل وأطروحات جامعية.	
4		محمد المصطفى ولد الندي	حصىلة رحلة استطلاعية إلى منطقة أوجفت	
4		أحمد/ محمد يحيى ومحمد/ محمد الطفيل	مهمة إلى تيشيت وتجكجة	
4		ملاي اسعيد/ سيدات ومحمد المصطفى/ الندي	مهمة استطلاعية إلى بلدة أوجفت	
5	1996	محمن ولد المحبوبي	الرحلة الشنقيطي رباط حضاري وعناق معرفي	
5	1996	محمد محمود ولد سيدي المختار	ظاهرة الشاي ومضمونها الاجتماعي والأدبي	
5	1996	د. أزيد بيه بن محمد محمود	تكتبة حاضرة الركيز الشرقي	
5	1996	الأستاذة خديجة بنت عبد الحي	الخطوط العربية ومنزلة النموذج الموريتاني فيها	
5	1996	الأستاذ أحمد ولد محمد يحيى	موريتانيا آخر معاقل المخطوطات الأصلية القديمة	
5	1996	محمد يحيى بن سيد أحمد	حياة يحظيه بن عبد الودود - نظم ممون عبد الحميد الجكني (تحقيق وتعليق)	
5	1996	سيد أحمد بن أحمد سالم	أنساب بني حسان للشيخ سيد المختار الكنتي	
5	1996	محمد المصطفى بن الندي	أولويات عن اهتمام الموريتانيين بالتأليف والبحث	
			تحقيقات	
5			عروض وملخصات	
5	1996	د. إسم بن السبتي	الفروسية والسيادة في شعر عوف بن عطية وبشر بن أبي حازم	
5	1996	الأستاذ السالك بن محمد المصطفى	ملخصات لأطروحات ورسائل جامعية	
5	-141 143 -144 145		أدب الشايات في موريتانيا مشروع التقاليد المروية والمكتوبة	
6	1998	د. يحيى ولد أحمد معلوم	تحقيق النصوص وقواعده	
6	1998	الناني ولد الحسين	المرابطون والذاكرة الجمعية الشنقيطية	
6	1998	الخليل النحوي	بعض مصنفات الشناقة في علوم الحديث وأسانيدهم	
6	1998	د. محمد ولد محمد	دور الأرشيف السنغالي في كتابة التاريخ الموريتاني المعاصر	
6	1998	محمد المصطفى ولد الندي	أرجوزة العبر وتذكرة الندي	
6	1998	أحمد ولد محمد يحيى	فهرست مخطوطات شنقيط وودان	
6	1998	أ محمن ولد المحبوبي	الحضور الجاهلي في المنتوج الشنقيط	
6	1998	سيدي ولد مناه	الكتابة السياسية عند قاضي المرابطين أبو بكر المرادي	
6	1998	د. نبيل عبد الفتاح اسماعيل إبراهيم	تقرير عن صيانة المخطوطات الموريتانية بالمعهد الموريتاني بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي	
7	2002	محمد المختار ولد السعد	الأرستوقراطية الدينية والسلطة السياسية الأميرية التروزية في مواجهة التوسع الاستعماري الفرنسي في القرن التاسع عشر	
7	2002	حماء الله ولد السالم	العلماء الموريتانيون والاستعمار الفرنسي - مشاغل الإصلاحية وهموم النهضة	

7	منهج تفسير القرآن في موريتانيا	عبد الله ولد أحمد عبيد	2002	65-48
7	تقديم إمارة آدرار- نبذة تاريخية ببيير بونت (ت بوب محمد نافع)	غالي ولد سيد أعمر	2002	
7	الأركيولوجيا في متحف نواكشوط - بوب ولد محمد نافع وروبير فيرن	غالي ولد سيد أعمر	2002	
8	إسهام آبه ولد اخطور في تطوير منهج التفسير: مقارنة بين منهجه ومنهج بعض سابقه من الموريتانيين	عبد الله ولد أحمد عبيد	2004	24-7
8	صفحات من تاريخ العمارة التقليدية بموريتانيا	أحمد مولود ولد أيده	2004	40-25
8	كتاب الشعر الشنقيطي والأسلوبية التكوينية: قراءة للوعي بالمنهج وتطبيقاته عند د. جمال ولد الحسن	د. محمد الأمين ولد مولاي ابراهيم	2004	48-41
8	: البعد الاجتماعي في الفتاوى الموريتانية (ملاحظات في النظر الفقهي عند علماء القرنين 13 و14 للهجرة).	محمدن ولد المحبوبي	2004	62-49
8	تطور فن القصص في موريتانيا: من المقامة إلى الرواية، دراسة في الأبنية والمضامين، الأستاذة الراحلة خديجة بنت عبد الحي	فاطمة بنت عبد الوهاب	2004	72-63
8	كتاب السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة (أول مؤلف معروف في غرب الصحراء (ق 5 هجري 11 م)).	أحمد ولد محمد يحيى	2004	82-74
9	منهج التفسير في أضواء البيان من خلا المدرسة الإصلاحية	عبد الله ولد أحمد عبيد	2005	24-7
9	عرض لأطروحة محمد محمود ولد صدفة حول شرح الشعر القديم لدى الشناقطة: دراسة تطبيقية في حركة الشعر الشنقيطية خلال القرنين الهجريين الثالث والرابع عشر	محمد ولد تتا	2005	32-25
9	فهرس المخطوطات الموريتانية: تجارب وخلاصات	السالك/ محمد المصطفى ومحمد الهادي/ محمد المصطفى	2005	40-33
9	الأوضاع السياسية والاجتماعية في المغرب الوسيط من خلال نوازل المعيار للونشريسي: فتاوي استغراق الذمة	محمد الأمين ولد محمد المختار	2005	54-41
9	من تراث إيمراكن	غالي ولد سيد أعمر	2005	64-55
9	التجربة النقدية بموريتانيا: الدوائر والمرتكزات	محمد الأمين ولد مولاي ابراهيم	2005	70-65
9	لمرابط صاحب إيقيو	الأمين ولد محمد باب	2005	76-71
10	التعليم الأهلي في موريتانيا وضرورة التكيف مع الظروف الجديدة خدمة للتنمية	محمود ولد محمدن	2006	18-7
10	مصادر التاريخ الثقافي الموريتاني (وقفه مع مؤسسات الموضوع ومدونات المطبوع)	محمدن ولد أحمد ولد المحبوبي	2006	34-19
10	جهود علماء الشناقطة في مصطلح الحديث	محمد ولد الشريف أحمد	2006	48-35
10	مخطوطات علوم القرآن في المعهد الموريتاني للبحث العلمي	غالي ولد سيدي أعمر	2006	62-49
10	النقد الأدبي والتاريخ الثقافي، إشكالية العلاقة في التجربة الموريتانية وأثر الإخلاق بنسق العلاقة	محمد الأمين ولد مولاي ابراهيم	2006	70-63
10	حضور مقامات الحريري وتأثيرها في الثقافة الشنقيطية	محمد يحيى ولد سيدي أحمد	2006	90-71
10	رحلة المنى والمنة بين الخفاء والتجلي	محمد الهادي ولد محمد المصطفى	2006	102-91
10	منهجية الفهرسة	أحمد ولد محمد يحيى	2006	-103 112
10	الأقاليم المناخية كما بينها تصنيف ديمارتون	بشير ولد محمد وآخرون	2006	-113

136				
11	مراحل تطور الخط العربي	أحمد ولد محمد يحيى	2011	13-7
11	صور من التأثير المتبادل بين المسلمين وأهل الذمة في الأندلس	محمد الأمين ولد أن	2011	40-32
11	رسالة أحمد الصغير بن حمى الله المسلمي التشيتي إلى الزاوية الكنتية	حماء الله ولد مياي	2011	45-41
11	رسالة المختار بن بلول حول إيدو الحاج	فاطمة بنت أو	2011	48-46
11	دور النوازل في إثراء المعارف وحل المشكلات	محمد ولد أحمد ولد اشريف أحمد	2011	58-49
11	خواطر حول العادات والتقاليد بين الثبات والتغير	محمد فال ولد محمد عبد الرحمن	2011	64-59
11	فولكلور تيشيت : الاحتفالات نموذجاً	السالك ولد محمد المصطفى	2011	79-65
11	الاستعارة وأثرها في بناء المعنى	إزيديه ولد محمد البشير	2011	86-80
11	دور الجغرافيا في التنمية المستدامة في موريتانيا	كمال صيدم وبشير محمد وسيدات الداه	2011	101-87
11	حول هجرة العمالة الأجنبية إلى موريتانيا	عبدوتي ولد عال	2011	-102 112
11	محمية جاولينج: دور الحماية في استعادة النظم البيئية المتدهورة في الدلتا السفلى لنهر السنغال	ميمونه منت الإمام	2011	-113 122
11	تجربة المعهد الموريتاني للبحث العلمي في مجال المخطوطات	أحمد ولد محمد يحيى	2011	-123 129
11	دور المعهد الموريتاني للبحث العلمي في ترميم التراث الثقافي غير المادي	السالك ولد محمد المصطفى	2011	-130 137
11	فهرست منشورات المعهد الموريتاني للبحث العلمي	غالي ولد سيد اممر	2011	-138 142
11	تقرير عن نشاطات مختبر صيانة المخطوطات بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي		2011	-143 150
11	تقديم مخطوط (روضة الأفكار في علم الليل والنهار)		2011	-151 153
12	رسالة "اتلايمد" إيداع نثري وتقليد محظري (وقفة مع تلطيف الأجواء وتأمين الغذاء)	محمد بن أحمد بن المحبوبي	2013	22-1
12	تجديد أصول الفقه في مشروع "التراث والتجديد"، الاستمداد والمكانة	أبو بكر جيلالي	2013	32-22
12	الحوار الحضاري في حياة الرسول ﷺ من خلال السيرة النبوية	بوركيبة محمد	2013	48-32
12	قراءة في رواية نجمة للروائي الجزائري كاتب ياسين	محمد فال ولد عبد الرحمن	2013	57-48
12	الشعر الموريتاني الحديث والتراث اتصال أم انفصال	محمد محفوظ	2013	68-57
12	ثقافة لكصور حوار الملح والذهب.	حم ولد أدبه	2013	74-68
12	الفضائيات وصناعة الهوية الثقافية الجديدة	فوزي دريدي	2013	84-74
12	الغطاء النباتي وفي ولاية الحوض الشرقي.	بشير محمد باريك - كمال صيدم	2013	106-84
12	تصور مشروع حضري لمدينة انواكشوط	فاطمة الزهراء بنت أبا سعيد	2013	113- 106
12	الفلك في الحضارة الإسلامية وتأسيس العلم الحديث، البيروني نموذجاً.	خالد حربي	2013	125- 113
12	ميلاد وانتشار التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنين (7-9 هجري / 13-15 ميلادي).	مزرعي سمير	2013	139- 125
12	التواصل الثقافي والحضاري بين المشرق والمغرب	تربة عمار	2013	156-

139			الإسلاميين (الأسباب والنتائج).	
172-156	2013	عبد القادر خليف	سياسة ديغول الإفريقية من خلال مذكراته (الأمل).	12
184-172	2013	محمد الأمين ولد أن	صور من الحياة الاجتماعية ليهود الأندلس	12
195-184	2013	مزامح علاوي الساهري	أهمية جبال المغرب العربي في العصر الوسيط - دراسة في أحوالها العامة	12
207-195	2013	محمد ولد جدو	تصورات لاستكمال التعريف بالمقاومة الموريتانية (دراسة لإشكالات التواصل بين المقاومة الموريتانية والمغرب).	12
215-207	2013	بلبروات بن عتو	صدي زيادة محمد عبده للجزائر سنة 1903	12
222-215	2013	علي بن المرواني ابو	وسائط التبادل التجاري عبر الصحراء (حالة موريتانيا)	12
242-222	2013	كيسه ولحية	المرأة القبايلية (الزواوية) عادات وتقاليد - دراسة	12
250-242	2013	مريم الهاشمي	سوسيولوجيا في العهد العثماني الإشعاع العلمي بمدينة ندورمة	12
7-1	2014	محمد الأمين ولد مولاي إبراهيم	النقد الأدبي في موريتانيا: النص والتلقي	13
17-8	2014	غالي ولد سيد أعمر	شروح المعلقات - إعادة قراءة	13
32-18	2014	الطيب بن دحان	جماليات الحيز في المنظومة السردية	13
40-33	2014	محمد ولد بادي	الشكلانية	13
51-41	2014	بويكر جيلالي	الإصلاح والتجديد لدى محمد إقبال: الإنسان والتاريخ والحضارة	13
78-66	2014	محمد الأمين ولد ان	الحوار الديني بين أهل الذمة والمسلمين في الأندلس: قراءة في الخلفيات والدلالات والنتائج	13
90-79	2014	أجه محمد أمينه	الرحلات الشنقيطية غير المدونة ودورها في التواصل الثقافي مع مصر والمغرب	13
102-91	2014	سيد محمد ولد ابابه	المباهلة ودورها في الحوار الإسلامي	13
-103-114	2014	أحمد بن محمد يحيى بن أحمد فال	تيشيت حاضرة العلم وملتقى العلماء	13
-115-127	2014	الطالب أحمد ولد اطوير الجنه	من التاريخ الثقافي لمدينة وادان	13
-128-137	2014	محمد الهادي ولد محمد المصطفى	مفاهيم ثقافية ونماذج تراثية	13
-138-147	2014	احمد ولد العباس	تجربة المعهد الموريتاني للبحث العلمي في حفظ وصيانة التراث	13
-148-157	2014	محمود / أحمد / شريف بوي	الثقافة ودورها في التنمية (تيشيت نموذجاً)	13
-158-173	2014	محمد ولد عبيد	الفقر في مدينة انواكشوط مقارنة سويسيو مجالية	13
-174-190	2014	بشيرى محمد وكمال صيدم	التساقطات المطرية في موريتانيا	13
16-1	2016	محمن بن أحمد بن المحبوبي	المرأة الشنقيطية ونوازل الزينة والبدانة (وقفه مع المنحى الاجتماعي في التوجه الإفتائي)	14

14	الواسطة في المجتمع الموريتاني وطرق تدبيرها	بشير ولد محمد وكمال ابراهيم صيدم	2016	31-17
14	مفهوم الفتوى قراءة في اصطلاحات اللغويين وتقسيمات الفقهاء	محمد فال محمد محمود السالك	2016	41-32
14	مكانة المرأة المزابية في المجتمع والدولة	أحمد كوري ولد يابا السالكي	2016	55-42
14	الصراع التاريخي بين جبهة التحرير الوطني والحركة الوطنية الجزائرية من خلال الوثائق الفرنسية (1955 - 1954)	محمد بكار	2016	67-56
14	الكتابة التاريخية إحدى حلقات التواصل بين القطرين المغربي والأندلسي خلال الفترة الممتدة بين 6 هـ - 14 م	العبد بكري	2016	81-68
14	موريتاني في عصر ما قبل التاريخ	خادمة الله بنت ابيش	2016	92-82
14	مؤلفات الشناقطة حول بدر الكبرى - سرد وتعليق	التاه بن محمد بن احمد	2016	105-93
14	أساليب الشناقطة في تأديب الناشئة قراءة في الطريقة ومحاور المنهج	ابوه ولد محمد ولد بلبله	2016	-106 122
14	اهتمامات المحظرة بالأبعاد التربوية من خلال البرامج الشعرية	الأمير ولد آكاه	2016	-123 131
14	هل الطبيب الفاضل فيلسوف؟ الطب والفلسفة في القرون الوسطى	سيدي محمد ولد أحمد ولد المصطفى	2016	-132 142
14	الشذور الذهبية على القواعد المنطقية	الطالب أحمد بن اطوير الجنة	2016	-143 157
14	نظم المعاني والعلوم التي تضمنها القرآن من كتاب ابن جزي للعلامة زين العابدين بن احمد الدالي رحمه الله تعالى	تقديم وتحقيق الشيخ التجاني أحمدي	2016	-158 174
14	التفاوت الجغرافي لمستويات التنمية البشرية في العالم	عمر آدم عبد الله بليلة	2016	-175 196
15	الوضعية الراهنة للبحوث المتعلقة بالزمن الجيولوجي الرابع في حوض تيشيت المنحدر (موريتانيا الصحراوية الجنوبية الشرقية)	عمر آدم عبد الله بليلة	2017	15 - 2
15	تكدوست II - أبحاث حول أوداغست / التنقيب في حي حرق	فاناكير C. Vanacker	2017	50-16
15	الخزف ذو الزخرفة المتموجة في العصر الحجري الموريتاني	إيزابل ليكوف Isabelle GOFFE Le	2017	60-51
15	السكن القديم والبيئة في الجنوب الشرقي الموريتاني منطقة تجكجة - آغريجت	سيلفي أمبلار, Sylvie Amblard, محمد ولد ختاروجان أكلود ميسكوفسكي Jean-Claude Miskovsky	2017	70-61
15	مقابر العصر الحجري في الشمال الغربي الموريتاني ضمن سياقها البيئي	نيكول ابتي مير Nicole Petit-Maire	2017	75- 71
15	إسهام في تاريخ انتشار النمط المعماري البدوي في غرب الصحراء	سيباستيان بولاي Sébastien Boulay	2017	92 - 76
15	إسهام الشناقطة في خدمة كتاب الله (الشواهد والضوابط القرآنية نموذجاً)	الزين ولد المصطفى	2017	106-93

16	كيف نمارس فهرسة المخطوطات؟	محمد الهادي ولد محمد المصطفى	2018	8-2
16	من واقع المكتبات الموريتانية وأقدم المخطوطات في المدن التاريخية	الطالب أحمد أطوير الجنة	2018	17-9
16	مخطوطات العالم أحمد بن قنفذ القسنطيني (ت 810هـ/1408م)	محمد قويسم	2018	27-18
16	طريقة فهرسة وتصنيف الوثائق	محمد بنب بن أحمد يحيى بن محمد المامي	2018	35-28
16	المنهجية في البحث العلمي	المصطفى ولد خطري	2018	50-36
16	منهج الإمام أبي العباس الملوي في كتابه تحفة القضاة ببعض مسائل الرعاة "دراسة مخطوطة"	رشيد بن محمد عمري	2018	64-51
16	الدية الشرعية والتعويض القانوني (إشكالية التمايز والتدخل)	محمد محمود بن الصديق	2018	77-65
16	البعد الديني والأخلاقي في أمثلة الخلاصة لابن مالك	محمد الأمين بن محمد محمود	2018	86-78
16	التراث الشفهي في الثقافة العربية الأمثال الشعبية بالجنوب الغربي الجزائري نموذجاً	معايز عبد القادرون منصور مليكة	2018	94-87
16	محنة العقل الحديث بين الشعر الجاهلي وإعجاز القرآن الكريم	عبد الغفار بن نعمة	2018	102-95
16	الحياة العلمية لليهود في ظل الدولة الإسلامية في الأندلس	محمد الأمين ولد أن ومردراج شلبي	2018	103-113
16	رؤية المستشرق اسكوفت في التحول الفضائي المملوكي على عهد القاضي تاج الدين بن بنت الأعز	زاهدة محمد طه المزوري وم.د شفان ظاهر عبد الله	2018	114-128
16	المقاومة في الشرق الموريتاني (أهل عبدوكة نموذجاً)	محمد ولد بادي	2018	129-136
16	واقع الأمومة بين التقليد والعصرنة	بن غلال فاطمة الزهراء	2018	137-147
16	زراعة الأرز في موريتانيا، دراسة في الجغرافيا الزراعية	بشير ولد محمد وكمال ابراهيم صيدم	2018	148-163
17	ومضات	محمد محمود ولد محمد الأمين	2019	10-1
17	العرف والعادات والتقاليد في العمل التشريعي الشنقيطي	المصطفى ولد خطري	2019	20-11
17	حركة التأليف في موريتانيا	عبد الله عبيد	2019	36-21
17	الشناقطة ونسخ الكتب والتهميش وجمع الفوائد والتكنيش	الناء بن محمد بن اجمد	2019	51-37
17	القصد الجنائي بين القوانين الوضعية والفقه الإسلامي	محمد محمود بن الصديق	2019	65-52
17	المخطوطات في المدن التاريخية الموريتانية الواقع والتحديات	الطالب أحمد سيدي أحمد أطوير الجنة	2019	78-66
17	المدن وتبلور الثقافة الشنقيطية	مريم بنت بن باب الدين	2019	88-79
17	الجهاد الصوفي في السودان الغربي خلال القرن 19 (الحاج عمر الفتوي نموذجاً)	أبو أمادوبا	2019	103-89
17	أثر التحفيز والدفاعية في الواقع	إسلم خونا / محمد سيد لمين	2019	104-114
17	المصارف الإسلامية المفهوم والنشأة والتطور	محمد جقدان	2019	115-119
17	منهج الاجتهاد في دلالات الألفاظ عن الإمام بن عبد البر	محمد محمود الناجي بلال	2019	120-131
17	طرافة الغزل في شعر ابن الشيخ المعلوم البوصادي	أبو بكر بن محمد حميد	2019	132-140

17	مشكلة النفايات السائلة في انواكشوط	آمنة بنت الشيخ ولد بيده	2019	141-156
17	تداعيات ظاهرة التغيرات المناخية على الأمن المناخي العربي	بشير محمد / التجاني ابيليل	2019	157-180
17	البعد الثقافي والفكري للعولمة وتداعياته في العالم المعاصر	جلالي بوككر	2019	181-186
18	سرديات الثرية وظهور الأشكال السردية - النص الموريتاني نموذجاً	محمد الامين مولاي ابراهيم	2020	12-2
18	ازدواجية اللغة الشعرية بين العامية والفصحى في ديوان "ابن أحمد يوره" الموريتاني	أبو بكر بن محمد احميد	2020	23-13
18	تقليد الدية في الفقه الإسلامي	محمد محمود بن الصديق	2020	35-24
18	عواطف الكتابة التاريخية في المجال الموريتاني	باب ولد أحمد ولد الشيخ سيديا	2020	45-36
18	نماذج من الآراء القابلة والرافضة للتعامل مع الإدارة الفرنسية	محمد يوسف ددي	2020	58-46
18	تقنية المصغرات الفيلمية (الميكرو فيلم والميكرو فيش) وتجربة المعهد الموريتاني للبحث العلمي	بشير ولد محمد الولاتي	2020	77-59
18	جغرافية المخطوط وأثره في الرحلات العلمية - موريتانيا والجزائر نموذجاً	محمد الامين ولد أهد	2020	90-78
18	القبض في المعاملات المالية: أنواعه وأحكامه	محمد محمود ولد بلال	2020	101-91
18	المرأة الشنقيطية والتصوف	الزهراء بنت الشيخ أحمد مسكه	2020	102-110
18	الشيخ محمد فاضل بن مامين: الهوية - الفاضلية - المطية	الب إزيدية الحضرمي	2020	111-130
18	التصورات الاجتماعية للمجتمع الموريتاني حول ظاهرتي الصحة والمرض - دراسة تحليلية	إسلم خونا امحمد سيد لمين	2020	131-139
18	أساليب الضغط النفسي وآثاره النفسية والجسمية	حسان سخسوخ	2020	140-146
18	مشكلة النفايات الصلبة في انواكشوط	آمنة بنت الشيخ ولد بيده	2020	147-169
18	التراث والمجتمع: قراءة في المجتمع العربي المعاصر	بيكر جلالي	2020	170-179
19	الشعر العربي في بلاد شنقيط: الخطاب والوعي بالخطاب - مساهمة في وصف موقف النقد من الخطاب وتاريخ النص	محمد الامين مولاي ابراهيم	2021	9-2
19	تقنيات السرد الروائي في موريتانيا من خلال رواية "القبر المجهول"	محمد الحسن محمد المصطفى	2021	24-10
19	سيادة بحر الطويل على شعراين سيدي أحمد	مريم بنت الشيخ ولد أحمد مسكه	2021	34-25
19	قراءة في آراء ابن قتيبة في بنية القصيدة العربية	أبو بكر بن محمد احميد	2021	42-35
19	كتاب المعيار المعرب للونشريسي - مكانته وأثره في الفتاوى والنوازل الشنقيطية	محمد فال محمد محمود السالك	2021	53-43
19	الاختيارات الفقهية لمحمد امبارك اللمتوني في أحكام الجنب والحائض "جمعاً ودراسة"	سيدنا عمر ولد محمد الأمين	2021	65-54
19	العولمة والأخلاق	جيلالي بوككر	2021	72-66
19	دور الدولة في جمع الزكاة وتوزيعها في الاقتصاد الإسلامي	محمد ولد محمد الأمين ولد اباه	2021	79-73
19	التسعير في الشريعة الإسلامية	محمد محمود بلال	2021	85-80

99-86	2021	محمد بن الشيخ عبد الله	19	شرط الواقف وقصده وأثرهما في التوجهات الإدارية والاستثمارية للوقف
-100 110	2021	محمد بن أحمد بن المحبوب	19	رحلة الشنقيطي محمد أمين جهد مبارك ودرثمين (تلبث مع محطات الثقافة والوصال)
-111 124	2021	محمد الأمين ولد محمد محمود	19	التبصر والاستدلال في بلاد شنقيط خلال القرنين 13-14هـ
-125 133	2021	عبد الرحمن عبد الله باب	19	علماء موريتانيا في القرن الثالث عشر الهجري "العلامة المختار إبراهيم قال البركني نموذجاً"
-134 145	2021	محمد يوسف ددي	19	نماذج من الآراء الرافضة للتعامل مع الإدارة الفرنسية
-146 174	2021	بشير ولد محمد وآخرون	19	التصحر في انواكشوط: الأسباب والمكافحة
15-02	2022	محمد المختار سيدي محمد الهادي	20	موريتانيا في مواجهة الغزو الاستعماري الفرنسي 1800-1934 (حلقة مفقودة من تاريخ حركة التحرر العربية)
29-16	2022	محمد أحمد المحبوبي	20	رحلة البشير البهاوي عنوان للثقافة والتلاقح (ملاحظات في الصلات الثقافية بين المغاربة والشناقطة)
40-30	2022	الطالب أحمد بن سيد أحمد بن أطوير الجنة	20	المحضرة الموريتانية نشأتها ودور خريجها في نشر العلم وأقدم المخطوطات في مكتباتها
53-41	2022	محمد سالم محمد مختار السالم	20	الفن البدائي لدى المجتمع الموريتاني القديم "مفهومه، أساليبه، دلالاته"
63-54	2022	المصطفى بن خطري	20	الدعوة لإقامة إمامة إسلامية في بلاد شنقيط: خلال القرن الثالث عشر الهجري/19م
75-64	2022	محمد الأمين بن محمد محمود	20	أوجه الاتفاق والاختلاف بين المطلق والعالم
88-76	2022	محمد الأمين عبد الوهاب سدين	20	القول الفقهي الضعيف، حقيقته ومتى يؤخذ به عند المالكية
97-89	2022	مريم بنت الشيخ ولد أحمد مسكه	20	دور الشعر في تعزيز العلاقة بين "موريتانيا ومحيطها الإفريقي والعربي"
107-98	2022	أبو بكر أحمد	20	الآراء الأدبية والنقدية في كتاب "الأمالي الشجرية" (شعر المتنبي نموذجاً)
-108 130	2022	أبو بن إزيدي بن الحضرامي	20	شيوخ الشيخ محمد فاضل بن الشيخ محمد الأمين (مامين) القلقمي (1211 هـ - 1286 هـ) بين الحقيقة والوهم: كشف بأسمائهم وتراجهم
-131 149	2022	الشيخ سعد بوه بن محمد فاضل بن الشيخ عبداتي	20	الشيخ سعد أبيه بن الشيخ محمد فاضل بن مامين القلقمي (1335 هـ / 1917 م) حياته ومريده وإنتاجه المعرفي
-150 174	2022	بشير ولد محمد وأمنة بنت الشيخ بيده	20	مراكز أو معاهد البحث العلمي: أهميتها وطرق تفعيلها موريتانيا
-175 188	2022	خديجة أحمد فال	20	الأرشيف الوثائقي، الجهاز المفهومي والمجال العلمي
-189 197	2022	محمد جقدان	20	الاستثمار في الاقتصاد الإسلامي: المفهوم، الحكم الشرعي، والمقاصد، والضوابط
-198 209	2022	الشيخ ولد أحمد ولد خطري	20	التطور الإرسابي لساحل انواكشوط من خلال تقنيات: (القياسات الطبوغرافية، الأسبار الرسوبية، التكميم الريحي)
16-1	2023	عبد الله أحمد عبيد	21	إشكالات معاصرة من خلال أضواء البيان

21	دعوى الاجتهاد والمطالبة بالانفتاح على المذاهب	محمد الامين ولد محمد محمود	2023	26-17
21	منهج الاجتهاد عند الإمام ابن عبد البر	محمد محمود الناجي بلال	2023	38-27
21	وقائع الأعيان ونماذج من تطرق الاحتمال	محمد الأمين عبد الوهاب سيدنا	2023	49-39
21	السرديات التوسيعية ورواية الجنوب	محمد الامين مولاي ابراهيم	2023	57-50
21	إرهاصات النقد الأدبي في بلاد شنقيط	محمد الحسن محمد المصطفى	2023	70-58
21	رثاء المرأة في مدونات الشعر الشنقيطي	مريم بنت الشيخ ولد أحمد مسكة	2023	84-71
21	ملاحظات عن الثناص في الشعر الموريتاني	أبو بكر بن محمد احميد	2023	93-85
21	دالية الولاتي بين إسداء الثناء وإحكام البناء	محمد بن أحمد بن المحبوب	2023	101-94
21	الريح بدل الفائدة في المصارف الإسلامية	محمد جفدان	2023	102-111
21	دور الوقف في التنمية الاقتصادية	محمد ولد محمد الأمين ولد اباه	2023	112-119
21	البعد الصوفي في المنهج المقاصدي عند الإمام أبي إسحاق الشاطبي	الشيخ سعد بوه / محمد فاضل / الشيخ عبداتي	2023	120-127
21	النظام الجدلي وأشكال التحالفات والصراعات بين الفاعلين الاجتماعيين في السكن غير القانوني بمدينة نواكشوط	السالك مولاي أحمد شريف	2023	128-139
21	حوض آرकिन بين الحركة والاستقرار	بشير ولد محمد وأمنة الشيخ بيده	2023	140-160
22	دور المعهد الموريتاني للبحث العلمي حماية وحفظ المخطوطات	بشير ولد محمد	2024	15-2
22	دور خريجي المحظرة الموريتانية في نشر العلم	الطالب أحمد بن اطوير الجنه	2024	25-16
22	اللغة العربية بين الأثر والتأثير	محمد ولد الداه ولد أيد	2024	41-26
22	عناصر السرد الروائي في رواية "الحدقي" لأحمد فال ولد الدين	محمد الحسن محمد المصطفى	2024	51-42
22	النوازل المالكية ومراحل تطورها	محمد الأمين عبد الوهاب سيدن	2024	69-52
22	البعد المناقب من خلال الدر الخالد في معرفة الوالد لمحمد محمود بن سيدي عبد الله العلوي	مريم بنت الشيخ ولد أحمد مسكه	2024	79-70
22	الشيخ الدر فن - عالم النحو المغمور - ومضات على السيرة والوسط	المعلوم محمد الحضرامي	2024	92-80
22	طرد الضوال والهمل عن الكروع في حياض مسائل العمل	المصطفى بن خطري	2024	99-93
22	الفقر وعلاجه في الاقتصاد الإسلامي	محمد محمد الأمين اباه	2024	100-108
22	دراسة سوسيو مهنية للتحفيز الإداري المادي والمعنوي وتأثيره على العمال في موريتانيا شركة صوملك نموذجاً	إسلم خونا	2024	109-122
22	مكانة العقوبة في السياسة الجنائية بين الشرع والقانون (دراسة مقارنة)	أبي ولد محفوظ محمدين	2024	123-138
23	الإمالة في القراءات القرآنية: بحث صوتي مقارنة	الب إزيدية الحضرمي	2025	13-2
23	أثر الإسلام في انتشار اللغة العربية	محمد ولد الداه ولد أيد	2025	21-14
23	مبررات التقليد في شنقيط خلال القرنين 13-14 هـ بين العجز المعرفي، وتثمين الموروث الفقهي	محمد الامين ولد محمد محمود	2025	31-22
23	مصطلح الحديث نشأته وتطوره والإسهام الشنقيطي	محمد بن شريف أحمد	2025	52-32
23	اختلاف السادة المالكية في ذبح العقيقة بعد الفجر، وقبل طلوع الشمس	محمد عالي أحمد الفاروق	2025	61-53
23	المرأة الشنقيطية في النوازل الفقهية	الزهراء بنت الشيخ	2025	71-62

23	التنظير لفقه البداوة والتسيب في الحيز الشنقيطي	المصطفى بن خطري	2025	84-72
23	عشق الكتب والتنويه بمكانتها العلمية في بعض أشعار الفقهاء الشناقطة	أبو بكر حميد	2025	92-85
23	شرح بانث سعاد للشيخ عبد الله بن الحاج حمى الله القلاوي (دراسة وتحقيق)	محمد بن أحمد بن المحبوب	2025	113-93
23	من صور تكامل الفنون عند الشناقطة حضور الخط العربي في الأدب الشنقيطي	المعلوم محمد لحضرامي	2025	-114 124
23	المقاصد الاجتماعية لحد القذف	حمود أعمار جوده	2025	-125 135
23	التحقيب التاريخي للشعر العربي في موريتانيا	محمد الحسن محمد المصطفى	2025	-136 143
23	الحركة العلمية في ولايته من خلال بعض مصادر القرن 19	محمد الأمين بن حمادي	2025	-144 154
23	الإستراتيجية العسكرية للإمام المهدي بكردفان ودورها في فتح الخرطوم 1885م	يُسريرة موسى أحمد جمال الدين	2025	-155 167
23	الهوية في المجتمع الموريتاني - قراءة في إستراتيجية الدولة والتمثل المجتمعي	باب ولد سيد أحمد اعل	2025	-168 182
23	الوساطة المالية بين البنوك التقليدية والمصارف الإسلامية	محمد جفدان	2025	-183 194
23	التمويل الإسلامي: المفهوم والخصائص	محمد محمد الأمين اباه	2025	-195 205
23	النبات جزء من التراث الموريتاني	بشير ولد محمد وأمنة الشيخ بيده	2025	-206 228
24	مقالات مجلة الوسيط مسار طويل من البحث العلمي: 52 سنة	بشير باريك وأمنة الشيخ بيده	2026	21-2
24	الإصلاح والتجديد من خلال أضواء البيان	عبد الله أحمد عبيد	2026	44-34
24	فقه النوازل الشنقيطي: النشأة والتحول	المصطفى بن خطري	2026	56-44
24	نوازل فقهية في أحكام الميت	محمد محمود بلال	2026	66-57
24	اعتصار الأم في الهبة لأولادها بعد اليتيم بين الجواز والمنع - دراسة خلافة في المذهب المالكي	محمد عالي أحمد الفاروق	2026	83-67
24	قراءة أولية في ديوان السعادة في مدح صاحب السباحة، لانبوي بن الإمام	محمد والداه أيده	2026	92-84
24	مجالس السمر والسهر في الشعر الشنقيطي	مريم بنت الشيخ ولد أحمد مسكة	2026	102-93
24	شرح لامية العرب للمختار بن بوز الحاجي - دراسة وتحقيق	محمد بن أحمد المحبوبي	2026	-103 121
24	السرديات والتنظير للأنواع السردية: ظهور النص وسردية الخطاب	محمد الأمين مولاي إبراهيم	2026	-122 130
24	سيمائيات الزخرفة في المخدات الجلدية التقليدية: مساهمة في قراءة العلامات البصرية	أحمد المصطفى بداه	2026	-131 140
24	مصادر التمويل في المصارف الإسلامية	محمد محمد الأمين اباه	2026	-141 151
24	رحلة شيخ القراء سيدي عبد الله بن أبي بكر التناوجيوي ومكانتها في تاريخ التواصل العلمي بين موريتانيا والمغرب	الشيخ إبراهيم أكثيه	2026	-152 158

الأقصى			
24	2026	محمد عبد الله ولد يحيى ولد المختار	قراءة في الرحلات العلمية للشيخ محمد محمود ولد التلاميذ التركي الشنقيطي، وتقييداته على الكتاب المخطوط
24	2026	حميدان محمود ناجي	ثورة العامة ضد الحكم المصري في فلسطين (1250هـ/1834م)
24	2026	مراد طويل وآخرون	تنوع المشاهد الطبيعية والثقافية بـجبال الأطلس وانعكاسها على الجذب السياحي - جهة بني ملال خنيفرة انموذجا
24	2026	محمد ادوكمي	تأثير المناخ على زراعة البصل في ولاية الترارزة
المجموع			

Articles publiés en langue française

N°	Sujet	Auteur	Année	Pages
	Annales n° 1 1975		1975	
1	Les nécropoles néolithiques de la Mauritanie nord occidentale dans leur contexte écologique	Nicole Petit -Maire	1975	2-5
1	Mines et métallurgie antiques dans la région d'Akjoujt	Nicole Lambert	1975	6-24
1	Etat actuel des recherches sur le quaternaire lacustre du bassin versant de Tichitt	George Hugot	1975	26-35
1	Le site néolithique d'Akreijit, Tentative de reconstruction de l'urbanisme et de l'homme social néolithique	Marie P. et Hugot Buffet	1975	36-41
1	Etude exoscopique de sable de la Mauritanie occidentale	Christiane Barbey	1975	42-43
1	L'apport de la collection des journaux de bord du service hydrographique de la marine à la connaissance du passé mauritanien.	André Delcourt	1975	44-86
1	Etude anthropologique et sociologique de la société mauritanienne : bilan et perspective de recherche	Pierre Bonte	1975	88-94
1	Aspects de la littérature Pulaar	Youssef Gueye	1975	95-103
2	Poteries préhistorique du Maghreb et du Sahara- le façonnage et son identification	Ginette Aumassip	1988	4-20
2	La céramique néolithique mauritanienne à décorondé	Isabelle Le Goff	1988	21-30
2	Occupation ancienne et environnement dans le sud-est mauritanien. La région de Tidjikja - Akrejhut	Sylvie Amblard, Mohamed Ould Khtar et Jean Claudeb Miskovsky	1988	31-41
2	A propos de Désert, un roman « Saharien » de Le Clésio	Nicolas Mary Granel	1988	42-50
2	Des couleurs et voiles – pratique de la teinture chez les maures à Nouakchott (Mauritanie)	Aline Tauzin	1988	51-72
2	Note sur le travail des enfants en Mautitanie	Abdel Wedoud Ould Cheikh	1988	73-88
2	Les diminutifs dans le dialecte arabe de Mauritanie	Catherine Taine Cheikh	1988	89-118
3	Guerriers et repentants : la Tawba et l'évolution politique de la société émirale maure	Pierre Bonte	1989	5-18
3	Le vent et le devant – de l'orientation chez les maures	Catherine Taine Cheikh	1989	19-41
3	Le grand partage, ses petits et la littérature – questions autour de l'oralité en Mauritanie	Nicolas Martin Granel	1989	43-66
3	Alcofribas et l'azimut mauritanien : une lecture géographique de la rabelais	Georges Voisset	1989	67-86
3	De l'exceptionnel au quotidien : objets de la vallée du Sénégal et de l'Aftout es Sahli	Denise Rober Chaleix	1989	87-102
3	L'occupation humaine et les formations géologiques récentes du Tijirit méridional (Mauritanie nord	Sylvie Amblard, Ginette Aumassip, Mohamedou	1989	103-121

	occidentale)	Bathily, Nadjib Ferhat, Mohamed Ould Khttar et Michel Tauveron		
3	Paléologie et occupation humaine à Nouakchott (2500-1500BP)	Robert Vernet	1989	123-127
4	The Theydin	Moulaye Ahmed Ould Hasni	1993	5-30
4	L'Emirat du Tagant (naissance et évolution)	Ould Aly Cheikh Sidi Med	1993	31-44
4	Sel, coquillages et Jarosite (à propos de la Saline Médiév. d'Awlil)	D. Robert Chaleix	1993	45-58
4	Structures dans les gisements de Buttes du Tijirit (Mauritanie occidentale)	Mohamed Khattar	1993	59-64
5	Manh Algafur d'Almahjoubi A walati	Med Lemine Ould Hamadi	1996	2-7
5	Ouadane et Cinguitti deux exemples de rayonnement de villes sahariennes	Izidbih Ould Mohamed Mahmoud	1996	8-12
5	Notes sur l'histoire des recherches archéologiques en Mauritanie	Baouba Ould Med Naffé	1996	13-16
5	Le bassin sénégal-mauritanien- évolution climatique au pléistocène supérieur et évolution chronologique de l'atérien	Thierry Tillet	1996	17-20
5	Une industrie du néolithique récent du Nord de la région de NKC	Robert Vernet	1996	21-29
5	Les occupations préhistoriques du nord mauritanien	Jean François Pasty, Namy Ghassem Ould Mohamed Kaber	1996	30-37
5	Les fichiers archéologiques informatisés de l'IMRS	André Cormillot – Namy Ghassem Ould Mohamed Kaber	1996	38-40
6	La société Maure au XIX ^{ème} siècle à travers les relations des voyageurs français	Mohamedou Ould Mohameden	1998	1-11
6	Petite histoire de l'Ile d'Arguin	Abdellahi Fall	1998	12-16
6	Les échanges commerciaux et le glissement de la Mauritanie du Sahara vers l'atlantique	Mohamed Saïd Ould Ahmedou	1998	17-20
6	Hommes et milieux dans la région de Nouakchott au néolithique et au début de l'histoire	Robert Vernet	1998	21-24
7	La discrimination entre arabes et berbères au Maghreb aurait-elle partiellement inspiré la politique coloniale en Mauritanie	Elemine Mohamed Baba	2002	1-9
7	Une affaire d'interprètes : plaintes formulées par des Niab contre l'interprète principal Malamine en service à Boutilimit dans les années trente	Racine Oumar N'diaye	2002	10-19
7	Inventaire archéologique de la Mauritanie occidentale	Robert Vernet	2002	21-24
8	Le système national de trésors humains vivants : un nouvel espoir pour la sauvegarde du patrimoine culturel immatériel en Mauritanie	Yeslem Ould Hamdane	2004	9-14
8	Chronologie isotopique de l'occupation humaine sur le rivage du maximum nouakchotien (Mauritanie atlantique)	Robert Vernet, A. Gallin, J. F. Saliège et Ph. Tous	2004	15-36
8	Les modalités du pèlerinage à la Mecque des mauritaniens sous le régime colonial	Racine N'Diaye	2004	37-42
8	La contribution à l'histoire de Walata	Med Lemine Ould Hamadi	2004	43-52
8	Note sur l'agriculture en Mauritanie	Abdel Moumine Sid'Ahmed	2004	53-59
9	Les anciennes villes caravanières de Mauritanie	Baouba Ould Med Naffé	2005	7-22
9	Contribution à une histoire de la diffusion d'architectures nomades dans l'ouest du Sahara	Sébastien Boulay	2005	23-46
9	Le téléphone mobile en Mauritanie	Marianne Klaissle	2005	47-54
9	Une hache -lisseur en os de mammifère marin de l'Aftout es-Sahili (Mauritanie occidentale)	Robert Vernet	2005	55-56
9	Un poème d'Ahmed Ould Ebnou at-Tandaghi (Présentation et traduction)	Cheikh Sidi Med Ould Aly	2005	57-64

10	Peuplement d'un environnement refuge en Mauritanie sud-orientale (la mission Néma)	Alain Person, Thibault Vallette, Hélène Jousse, Michel Raimbault, Sidiya OULD Mheiham, Sylvie Amblard-Pison, Joël Suire, Anne France Maurer, Jan Schlögl, Madeleine Sélo et Chloé Albaret	2006	7-18
10	Traces de pas conservées dans la diatomite des paléolacs holocène de Mauritanie	Robert Vernet	2006	19-26
11	L'archéologie en Mauritanie	Ethmane Ould Dady	2011	7-15
11	Interprétation et traitement des maladies mentales dans les sociétés traditionnelles ; le cas des Haalpulaar en Mauritanie	Diallo Alpha	2011	16-21
11	La résistance du pays Maure à la colonisation	Mohameden Med Telmidi	2011	22-30
11	Découverte de traces d'éléphants dans la zone de Aghaouras (département de Ouadane)	Ethmane Ould Dadi et Mohamed Salem Ould Sabar	2011	31-33
11	Etude des objets de parure du cimetière de l'Ain en Nouss	Jean Michel OTT ; Pierre Boulanger et Robert Vernet	2011	34-44
12	Oualata : éléments d'histoire	Ethmane Ould Dadi	2013	1 - 8
12	L'école coloniale en Mauritanie	Mohameden Ould Tleimidi	2013	9-18
12	Soubassements culturels des motivations à l'aventure chez les jeunes peuls	Mamadou Kalidou Ba	2013	19-28
12	L'éducation, les capacités et la mendicité : le système éducatif en vigueur dans certaines écoles coraniques en Mauritanie	Bilal Ould Hamza	2013	29-43
12	Acteurs, usages et développement durable dans la RBSTS ; cas de la partie mauritanienne	Aboubakry Thiam	2013	44-56
12	Préhistoire du Tiris et du Zemour : un bilan	Robert Vernet	2013	57-80
12	Sécurité des objets dans les musées	Abdoul Dicko	2013	81-89
12	L'archéologie préventive en Mauritanie	Ethmane Ould Dady et Bechiry Ould Mohamed	2013	90-100
13	Felwine Sarr entre subversion esthétique et obsession de l'homme intègre	Mamadou Kalidou BA	2014	1 - 11
13	Un Nègre à Paris de Bernard Dadié ou la découverte de l'Autre	Mamadou Ould DAHMED	2014	12 – 22
13	De quelques aspects de la littérature orale soninkée en Mauritanie	M'bouh Seta DIAGANA	2014	23 – 36
13	L'idéologie dans la Société Maure	Mohameden TELMIDI	2014	37 – 51
13	Les Technologies de l'Information et de la Communication pour l'Education (TICE) en Mauritanie. Retour sur une formation de formateurs.	Racine Oumar N'DIAYE	2014	52 – 63
13	Le littoral mauritanien face aux effets du changement climatique	Aboubakry THIAM	2014	64-73
14	Koumbi Saleh : le site archéologique le plus important de l'ouest africain	Med El Bechir Hamadi	2016	1-7
14	Lecture Préliminaire d'IGDI, les voies du temps d'Idoumou Ould Med Lemine	Mamadou Ould Dahmed	2016	8-19
14	Analyse psycho-idéologique du Héros et de son cheminement dans le théâtre césarien	Mamadou Kalidou BA	2016	20-29
14	Aperçu sur la littérature peule de Mauritanie : de poèmes du terroir à la poésie religieuse	M'bouh Seta DIAGANA	2016	30-35
14	Phytothérapie – opportunités et défis en Afrique subsaharienne : Exemple de l'obstétrique traditionnelle en Mauritanie	Abdellahi Mohamed vall HMEYADA et autres	2016	36-47
14	Prolifération de Typha australis dans le delta du fleuve Sénégal : problématique de la gestion d'une plante envahissante	Mouhamedou Mawloud Diakité	2016	48-61
14	Education et sécurité	Sidi Mohamed Ould Dadi	2016	61-70
14	La restructuration des quartiers précaires de Nouakchott (Mauritanie): Etat des lieux et premiers enseignements des opérations engagées entre 2000 et 2012	Issagua Diagana	2016	71-85
14	L'Islam dans la société Maure	Mohameden TELMIDI	2016	86-105
14	Les foyers d'enseignement religieux en Afrique : le cas de	Racine Oumar N'DIAYE	2016	106-

	l'école de Thilogne (Sénégal) et de Mahadhir (Mauritanie) XIème – XIème siècle			117
15	Les styles de la calligraphie arabe / Quelle place pour le modèle mauritanien ?	Khadijettou Mint Abdel Haye	2017	2-13
15	Extrait de l'ouvrage « Vie de la Mauritanie » - Tome III, Artisanat, métiers et modes de vie	Al Mukhtar Ibn Hamidun	2017	14-22
15	Le thé vu sous l'angle social	Med Mah. Sid El Moktar	2017	23-28
15	Caractéristiques des peuplements à <i>Ziziphus mauritiana</i> dans le sahel mauritanien (zone de Sounckou	Ahmedou Soule	2017	29-55
15	Murs et structures construites en pierres en Adrar de Mauritanie. Etude préliminaire	Robert Vernet	2017	56-81
16	Archéologie de la zone d'El Ghaicha (Tasiast).	R. Vernet et Baouba Med Naffé	2018	2-14
16	Fouille Archéologique d'un Tumulus en croissant.	Ethmane Ould Dadi	2018	15-25
16	La question de l'origine et du développement de la métallurgie du cuivre dans la région de l'Inchiri (Mauritanie)/ Les premiers résultats du projet franco-mauritanien/ CUPRUM.	Courcier A. et Autres	2018	26-35
16	La poétique narrative dans <i>Le Pleurer-rire</i> d'Henri Lopes.	Mamadou Kalidou BA	2018	36-45
16	<i>Le Fou d'Izziwane</i> d'Idoumou Mohamed Lemine ABASS / Troubles de l'identité : récits des origines et origines du récit.	Mamadou Dahmed	2018	46-51
16	Le conte traditionnel maure, un patrimoine culturel en péril.	Mohamed Vall Ould BLEYLA	2018	52-65
16	Les Technologies de l'Information et de la Communication pour l'Education (TICE) en Mauritanie / (Retour sur une formation de formateurs).	Racine Oumar N'DIAYE	2018	66-76
17	Le tumulus à alignement frontal de pierres dressées : un type de structure funéraire fréquent au nord de la Mauritanie	Robert VERNET	2019	1-10
17	La métallurgie du cuivre dans la région de l'Inchiri, en Mauritanie au cours de l'Holocène récent. Etat de la recherche à la lumière des nouvelles recherches menées	Antoine COURCIER	2019	11-48
17	Rapport sur le volet toponymique de la mission du Projet CUPRUM/ Août – septembre 2016	Elemine OULD MED BABE	2019	49-58
17	« Foutankagal » ou les constantes d'une autoreprésentation identitaire à travers <i>Les sept cercles. Une odyssée noire</i> , de Sophie Caratini	Mamadou Kalidou Ba	2019	59-67
17	La néologie arabe dans les dictionnaires bilingues : « Néologie de forme dans les verbes »	Amadou Tijani DIALLO	2019	68-80
17	Titres coutumiers au service d'une reconnaissance politique et sociale : L'exemple du N'Guenaar au Fuuta Tooro.	Racine N'DIAYE	2019	81-95
17	Enfants déshérités de Nouakchott : entre travail informel, délinquance et tentatives de réintégration	Ousmane WAGUE	2019	94-108
18	Première prospection des sites d'habitat ancien dans le périmètre urbain d'Aïoun-el-Atrouss (octobre 1983-juillet 1984)	Abdellahi Fall	2020	2-17
18	Les enjeux d'un terroir problématique dans <i>Le Rivage des fantômes</i> (Joussour /Ponts, 2019) de Kane Ismaïla Demba	Mamadou Dahmed	2020	18-27
18	La naissance de la presse en Mauritanie 1944-1951	Racine N'DIAYE	2020	28-33
18	Les proverbes dans la littérature mauritanienne francophone	Mbouh Seta Diagana	2020	34-40
18	Culture du mil : facteurs limitant en Mauritanie	Bechir Barick /Tijani Boilil/Aminetou Cheick /	2020	41-64
19	Cartographie des stations rupestres de l'Adrar de Mauritanie	Robert Vernet	2021	2-12
19	Les jeux traditionnels en Mauritanie	Abdellahi Fall	2021	13-19
19	Les metamorphoses de l'ogre amoureux : une lecture semio-comparative de contes Hassaniya	Mamadou Dahmed	2021	20-36

19	D'un texte à l'autre : <i>La légende du Wagadu vue par Sia Yatabéré</i> de Moussa Diagana et <i>Et Le Ciel a oublié de pleuvoir de Beyrouk</i> . Histoires parallèles et destins croisés	Mbouh Seta Diagana	2021	37-44
19	Esclavage et ffeodalisme dans deux romans mauritaniens : et le ciel a oublié de pleuvoir de Beyrouk et le reveil agite de Harouna -Rachid Ly	Mamadou Kalidou Ba	2021	45-54
20	A l'occasion du 116 ^{ème} anniversaire de la mort de Coppolani : 12 mai 1905 – 12 mai 2021	Abdellahi Yedaly FALL	2022	2-11
20	Introduction à l'émergence de la littérature mauritanienne de langue française	Mbouh Seta Diagana	2022	12-17
20	Présentation du Roman l'Enfer, hier, dans le corps, aujourd'hui, dans l'âme (L'Harmattan, 2020) De Mohamed Borboss: De l'aliénation de l'esclave à son émancipation	Mamadou Dahmed	2022	18-24
20	Le métissage, une notion positive...	Racine Oumar N'Diaye	2022	25-30
20	Contrainte et liberté en contexte de pandémie du covid 19 : une expérience d'abus de confinement d'un universitaire mauritanien.	Mamadou Kalidou Ba	2022	31-37
21	Grands traits de l'histoire du mouvement d'Al-Mourabidine 1035 – 1146	Abdellahi Fall	2023	1-33
21	Diversité culturelle et culture de l'unité	Mamadou Dahmed	2023	34-44
21	Clientélisme des notabilités traditionnelles maures et émancipation des dépendants	Mohameden Tleimidi	2023	45-61
21	Philosophie africaine : construction du monde et du rapport à l'absolu à travers les traditions orales peules rapportées par Amadou Hampâté BA.	Mamadou Kalidou Ba	2023	62-76
21	Un mythe, deux lectures. Kaya Maghan vu par Senghor et Moussa Diagana.	Mbouh Seta Diagana	2023	77-83
22	L'histoire et l'héritage culturel national	Abdellahi Fall	2024	2-18
22	La colonisation et le nouveau clientélisme des notables maures	Mohameden Tleimidi	2024	19-31
22	Cheikh Ma El Ainin et la présence française en Mauritanie (1902-1910)	Racine Oumar N'Diaye	2024	32-42
22	A la recherche de l'Eden perdu. L'Evocation de Kaédi dans <i>Crapauds et nénuphars</i> de Bal Mohamed el Moctar	Mbouh Seta Diagana	2024	43-49
22	De l'entreprise sociopolitique à la violence terroriste dans Igdi ou les voies du vent, le Fou d'Izzwane d'Idoumou Mohamed Lemine Abbass et les remparts de l'espérance de Mamadou Kalidou Ba	Mamadou Dahmed	2024	50-60
23	L'espace mauritanien et son rôle dans le commerce caravanier médiéval transsaharien	Abdellahi Fall	2025	2-9
23	Diversité culturelle et culture de l'unité	Mamadou Dahmed	2025	10-18
23	Les visages de l'extrémisme violent dans <i>Cœur du Sahel</i> de Djaïli Amadou Amal	Mamadou Kalidou Ba	2025	19-29
23	Petite archéologie de la littérature mauritanienne francophone	Mbouh Seta Diagana	2025	30-37
24	Nasr – ed – Dine, propagateur de l'Islam dans la basse vallée du Sénégal	Abdellahi Fall	2026	7
24	Eléments de psychanalyse pour le roman francophone	Mamadou Dahmed	2026	15
24	Naissance et développement de la littérature mauritanienne francophone : une archéologie culturelle »	Mbouh Seta Diagana	2026	11
24	De la servitude à la liberté ou la trajectoire historique du personnage haratine dans <i>L'appel du Ksar</i> de Mamadou Ould DAHMED	Mamadou Kalidou BA	2026	10
24	L'extrémisme religieux dans « <i>Je suis seul</i> » de Beyrouk et « <i>Les Remparts de l'espérance</i> » de Mamadou Kalidou Ba.	Ahmed Salem Chah	2026	11
24	Configuration territoriale et composition identitaire au service de	Oumar Hamady	2026	12

	l'engagement civique et citoyen dans <i>La Vierge du matin</i> de Bakari Mohamed Semega, <i>La Couleur du vent</i> d'Aïchetou Mint Ahmedou et <i>Les Vagues d'une vie</i> de Hamady Samba Sy			
24	L'idéologie coloniale en matière d'enseignement	Sidi Mohamed Abdy	2026	14
T	80			7

الإصلاح والتجديد من خلال أضواء البيان

د. عبد الله أحمد عبيد

باحث بالمعهد

ينطلق وضعنا لهذا العنوان من افتراض وجود معيار واضح المعالم يتميز به التفسير في العصر الراهن عنه في العصور السابقة.

تتبع كل المطهر والتجارب المعاصرة في النهضة والتجديد متعذري مقام مثل هذا المقام. لكن ما لا يدرك كله لا يترك جله، فلنعمد إلى مقارنة منهج الشنقيطي بأشهر التجارب وأوسعها انتشارا وتأثيرا في مجال الإصلاح الديني أعني مدرسة "المنار"

وقبل أن أدخل في تفاصيل البحث لا بد أن أشير إلى ملاحظتين أظن أنهما ضروريتان لرفع بعض اللبس: أولا هما أنني لم أعثر في "الأضواء" على ما يدل أنه استفاد من مدرسة المنار نظريا ولا تطبيقيا، رغم اشتراكه معها في أغلب جهات الاهتمام التربوية والفكرية والمنهجية، لم يحل إلى تفسير المنار مطلقا ولم ينو بمبدأ من مبادئها... والثانية: لا يدل هذا الإجراء - مقارنة منهج مدرسة المنار - بأي معنى من معاني الدلالة أننا نلزم الشنقيطي بأن يتطابق فكرا وممارسة مع مدرسة أو عالم معين، ونخطئه إذا صدر منه ذلك، بل إن الشنقيطي مصدر ومرجع في معارفه واهتماماته.

ولكن منهج مدرسة "المنار" انتشر وذاع صيته بحيث أصبح مظهرا من مظاهر، أو محورا، من محاوره الأساسية. ويمر حتما تلمس سمات الإصلاح والتجديد، في شقه الديني، في العصر الحاضر بتحديد العلاقة بالمنهج الذي رسمته وطبقته مدرسة: "المنار"، أشهر المدارس الفكرية في هذا العصر، وأوسعها انتشارا، وأعمقها تأثيرا. نبدأ إذا بتحديد أهم أسس هذه المدرسة، ثم نقوم بعرض منهج الأضواء عليها للخروج بنتيجة حول مدى انطباق تلك المعايير عليه كليا أو جزئيا.

I - مميزات منهج المنار

ولن تفضي المقارنة التي نشدها إلى غايتها إلا بعد أن نحدد ملامح المعيار ومرتكزاته الأساسية، الأمر الذي يتطلب القيام بعرض منهج الأضواء على النظرية الأكثر تأثيرا في التفسير بل وفي غيره من ضروب الثقافة الإسلامية المعاصرة. إنها نظرية مدرسة المنار الإصلاحية كما صورتها خطب جمال الدين الأفغاني وحدد معالمها وضوابطها الشيخ محمد عبده، وطبقها وترجمها في الواقع الأستاذ محمد رشيد رضا.

1-1: أسباب اختيار مدرسة المنار:

يرجع اختيارنا لهذه المدرسة معيارا للمقارنة لعدة أسباب:

○ أثر هذه المدرسة في الفكر المعاصر عموما

كان لهذه المدرسة تأثير كبير شمل أغلب أوجه النهضة مما يجعل الحديث عن عصر النهضة العربية الإسلامية في جميع مظاهرها الأدبية والفكرية والدينية يتطلب لا محالة الحديث عن هذه المدرسة لما لعبته من دور على مستوى النظرية والتطبيق.

○ أثرها في الإصلاح الديني:

يتجلى ذلك في دورها الريادي في النهضة الحديثة:

يقول محمد ابن الخوجة في تقديمه لكتاب التفسير ورجاله: "وفي آخر المطاف يقف شيخنا الفاضل - رحمه الله - على عتبة هذا العصر، عصر النهضة الإسلامية، فيستشرف ما فيه من جد وما ظهر فيه من جهود للإصلاح الديني

وخدمة الثقافة الإسلامية، ويقوده ذلك حتما إلى الحديث عن المصلحين الخطيرين والإمامين المتقدمين جمال الدين الأفغاني والإمام محمد عبده عمادي هذه النهضة وركني الإصلاح في المجتمع الإسلامي⁽¹⁾.

○ في الإصلاح الأدبي والفكري

"ذلك أن الشيخ محمد عبده قد ساهم أكثر من أي شخص آخر في خلق اتجاه أدبي جديد في إطار الروح الإسلامية"⁽²⁾ وتجسد هذا التأثير في ظهور بعض الأفكار النقدية لدى بعض المثقفين من أمثال:

- طه حسين في كتابه "في الشعر الجاهلي" ومستقبل الثقافة في مصر
- مصطفى السباعي في "اشتراكية الإسلام".
- عباس محمود العقاد "الديمقراطية في الإسلام".
- محمد أحمد خلف الله "الفن القصصي في القرآن".

ويعلق د. المحتسب بعد ذكره قائمة طويلة من المتأثرين بمحمد عبده ومدرسته بقوله: "فمحمد عبده في نظري هو الذي فتح هذا السبيل أمام طه حسين ومنهم على شاكلته، والرابطة التي تربط بين هؤلاء جرأة على دين الله ونزعة علمانية غالبة وتعظيم لمفكري الغرب، ومنهم المستشرقون، وتهجم على الأزهر ورجاله وتنقيب عن عيوبهم ورقة في الدين تصل إلى حد الكفر"⁽³⁾.

يمكن أن نعلق على كلام المحتسب وحكمه القاسي على محمد عبده ومدرسته بإيراد ما قاله جولد تسهير: "أما الحركة المصرية فقد أخذت على عكس ذلك شعارا دينيا، فهي تصدر ضمن مطالبها الإصلاحية عن التأملات الدينية مستقلة عن كل تأثير أجنبي، ويمكن أن نعد أول محرك لهذا الاتجاه السيد جمال الدين الأفغاني (1839 - 1897م)... وقد كان مكافحا عظيم النشاط في وجه النظام الديني السائد وممثليه وداعيا متمرسا بالبيان لحركة التجديد الإسلامي الديني من الرأس إلى القدم"⁽⁴⁾.

○ أثرها على التفسير والمفسرين

يتجلى أثر هذه المدرسة على عدة أصعدة:

على صعيد الموضوع: خلقت هذه المدرسة وعيا ساعد على إنزال التفسير من معالجة المواضيع اللاهوتية والاهتمام بالفصول التذمعية كالقصص وغيرها⁽⁵⁾ إلى الاهتمام بالمواضيع الإنسانية، فبرز نمط جديد من التفسير هو ما يعرف بالاتجاه الاجتماعي في التفسير "فما كتبه الأستاذ الإمام بنفسه ودروسه التي قيدها عنه تلاميذه تبن ذلك بيانا لا ريب فيه، والواقع أن كتاباته وآثاره جميعا تفيض بالمعاني الأخلاقية التي يريد أن تتسم بها نفوس المصريين كتنمية الشخصية، وتحرير الفكر، وبذل الجهد، والتسامح والاستقلال. إننا لنجد هذه الأفكار تمتد امتدادا طبعيا حتى تصل إلى الاعتبارات الاجتماعية العصرية عن العدالة والتعاون والإحسان.

وعندنا أن طرافة تفسير الإمام للقرآن تتلخص في أنه كان وسيلة فعالة لإصلاح المجتمع الإسلامي وكان مشبعا بروح أخلاقية خالصة وكان في الوقت نفسه ملائما لذوق العصر ومطالبا⁽⁶⁾.

نلخص أثر مدرسة المنار في اتجاهات التفسير في العصر الحديث في الاتجاهات التالية:

(1.) محمد الفاضل بن عاشور، التفسير ورجاله ص: 10.

(2) المحتسب، اتجاهات التفسير في العصر الراهن ص: 208

(3) المحتسب، س، ص 2019

(4) جولد، تسهير، المذاهب الإسلامية ص 349

(5) انظر محمد عزت دروزة، التفسير الحديث: جين قال: "أي ما أريد به تدعيم الرسالة القرآنية ومبادئها المحكمة مثل القصص ومشاهد الحياة الأخروية والجن والملائكة وبدء الخلق... حيث جاء جميع ذلك لتدعيم المبادئ المحكمة في القرآن، وهذه نقطة هامة غفل عنها أكثر المفسرين المطولين قديما وحديثا، فاهتموا بالمتشابهات أو الفصول الواسطية والتدعيمية أكثر من اهتمامهم بالمحکمات حتى انعكست الآية أو كادت وصارت هذه الفصول جوهرية فأدى ذلك إلى الإشكالات والمناقضات". مقدمة تفسيره.

(6) عثمان أمين، رائد الفكر المصري محمد عبده ص 187

أ- الاتجاه الاجتماعي في التفسير: يمكن اعتبار "تفسير القرآن العظيم" المعروف بالمنار أجلى نموذج لهذا الاتجاه: "...ولذلك فإن بؤادر التفكير والنظر في القرآن الكريم ظهرت هنا وهناك وتبلورت بوضوح في عقلية المفكر الإسلامي الثائر السيد جمال الدين الأفغاني، الذي يعتبر بحق مؤسس المنهج العقلي الاجتماعي الحديث لأنه تكلم في أسسه ومناهجه ودعا إلى النظر الجدي في ضوئها حتى تعود هدايته إلى القلوب والعقول فيتحرك الركب المسلم إلى بناء نفسه وإعادة دوره وإنقاذ بلاده⁽¹⁾.

ومن أشهر من فسروا القرآن في إطار هذا اللون الحديث من التفسير تلميذ الشيخ محمد عبده السيد محمد رشيد رضا، وتلميذه الشيخ أحمد مصطفى المراغي صاحب تفسير المراغي والشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير⁽²⁾.

ب - الاتجاه الأدبي: لا يعني هذا العنوان أن مدرسة المنار كانت تدعو نظريا إلى دراسة القرآن دراسة أدبية تؤدي إلى إقحام النظريات الأدبية الحديثة في دراسة القرآن، ولا أن ذلك كان بارزا في جهودها التطبيقية، وإنما يتجلى إسهامها في هذا المجال في أن اليقظة الفكرية التي قامت على يدها سمحت بأن "أطمأن أهل كل فن إلى ما بين أيدي أهل الفن الآخر من خبرة، فتمازجت تمازجا عضويا، وأصبح كل منها عنصرا مقوما لوحدة ذلك الكيف الفكري الجديد باجتماع خصائصه الروحية والعقلية والمادية، أعني الثقافة الإسلامية⁽³⁾.

ج - التفسير العلمي للقرآن: الاتجاه العلمي في تفسير القرآن:

رغم أن الاستفادة من العلم الحديث في تفسير القرآن أساس من الأسس التي تقوم عليها نظرية مدرسة المنار، فإن تتبع الآيات التي ترتبط بها بعض العلوم، والاستطراد في بيان تلك الآيات لم يكن مقصدا من مقاصد هذه المدرسة ولا هدفا من أهدافها، بل هو أقرب إلى محذور من المحاذير التي كانت تنبه هذه المدرسة إلى ضرورة الابتعاد عنها: وهو إقحام كل صاحب علم لعلمه في تفسير القرآن حيث "هاجم الأفغاني المناهج التفسيرية التي أقحمت علوما ومصطلحات غريبة عقلية ولغوية أو نقلية خرافية في تفسير القرآن، فحجبت حقائقه عن الناس وجعلت من آياته أحاجي معقدة...⁽⁴⁾.

غير أن مدرسة المنار في قيامها بمهمة الدفاع عن الإسلام ربما استعملت إعجاز القرآن العلمي وسيلة من وسائلها الدفاعية، كما أن إلحاحها على خلق تفكير علمي خال من الخرافة وبعيد عنها، مع ما للعلوم التقنية الحديثة من دور خطير في حياة الناس أفرادا وجماعات، كلها عوامل ساعدت على بروز التيار العلمي في تفسير القرآن، أو على بحث ما كان الغزالي قد احتفى به في كتابه "جواهر القرآن" ودعا إليه وطبق الرازي جانبا منه في التفسير.

1-2 خصائص منهج مدرسة المنار

○ عرض الخصائص:

أثر منهج جمال الدين الأفغاني في تلميذه الأول الشيخ محمد عبده تأثيرا كبيرا وأخرج منه مفسرا عميق الفكر يعود إليه الفضل في إرساء دعائم ذلك المنهج على أسس فكرية واضحة نستطيع أن نوجزها فيما يلي:

- عدم الإكثار من المصطلحات والعلوم حتى لا يكون الانشغال بها صارفا عن الوقوف على مكن هداية القرآن⁽⁵⁾.

- العودة إلى الكتاب والسنة وعدم إخضاع القرآن الكريم للمذاهب الفقهية⁽⁶⁾.

(1) د. محسن عبد الحميد، دراسات في أصول تفسير القرآن، ص 16.

(2) انظر المرجع السابق ص 17 - 18

(3) القولة مقتبسة من كلام الشيخ محمد الفاضل بن عاشور في كلامه عما آل إليه الصراع بين أهل الفقه وأهل الكلام في القرن الرابع الهجري، ص 95، التفسير ورجاله، واقتبسنا هنا لصلاحها للمرحلة التي نتكلم عنها

(4) د. محسن العابد م، س، ص 16

(5) د. محسن عبد المجيد، م، س، ص 17

(6) انظر مقدمة تفسير المنار، ص 7 وما بعدها

- بيان حكمة التشريع في العقائد والأحكام على الوجه الذي يجذب الأرواح ويسوقها إلى العمل والهداية، والتجديد الكامل لفقه الإسلام واستنباط الأحكام الأكثر انسجاماً مع روح العصر⁽¹⁾ وإثبات أن الإسلام دين عالمي صالح لجميع ملابسات الحضارة⁽²⁾.
 - الاستفادة من العلم الحديث في تفسير القرآن الكريم⁽³⁾.
 - إنكار الروايات الإسرائيلية وعدم الاعتماد على الأحاديث الموضوعية.
 - الوحدة الموضوعية للقرآن كله والوحدة الموضوعية بين الآيات داخل كل سورة.
- وسنزيد النقطتين الأخيرتين والنقطة الثانية تفصيلاً لعلاقتها الوثيقة بمنهج الشنقيطي في تفسيره.

1-3: تحليل بعض هذه الخصائص:

○ إنكار الروايات الإسرائيلية:

هذا المصطلح على حد تعبير د. محسن عبد الحميد وغيره ممن يحمدون للمدرسة الحديثة في التفسير، أو على الأقل لا يعتبرون هذا المبدأ مأخذاً عليها؛ في حين يعبر الاتجاه السلفي الأكثر محافظة عن هذا المبدأ بعينه بعبارة أخرى مثل: التقليل من شأن التفسير بالمأثور.

كما عبر فهد الرومي عن محاولات محمد عبده ومدرسته لفهم بعض النصوص الحديثة فهماً جديداً مخالفاً لما فهمها عليه بعض المحدثين القدماء وعلماء السلف، محاولة من مدرسة المنار لرفع ما يظهر من تعارض بين الفهم القديم لتلك النصوص وبين المعارف العلمية والعقلية الحديثة.

يقول د. المحتسب عاتبا على محمد عبده: "ها نحن أولاء نرى الاتجاه العقلي عند الشيخ محمد عبده وقد اتصلت به نزعات فجعلت من تفسيره تبريراً للمبدأ القائل "بأن الدين المملوء بالخرافات والعقل المستنير لا يجتمعان في دماغ واحد، إذا فلا يمكن أن يحتوي القرآن على ما يستحيل عند العقل الصحيح. ولكن لا يناقض الإسلام صريح العقل بل يلزم أن يكون هناك تأويلاً صحيحاً لا يراعي إلا الدليل العقلي أو الأحاديث الصحيحة لا الظنون الشخصية والميول الحزبية"⁽⁴⁾.

غير أن تعبير فهد الرومي هذا غير مناسب أو مجحف - في نظرنا - لأنه في الحقيقة ليس إلا تضخيماً واستنكاراً من الاتجاه السلفي لتجاوز محمد عبده ومن تأثر به وردهم لبعض روايات البخاري وغيره من أصحاب الحديث، أو تخريجهم لها تخريجاً جديداً، وهو ما يعبر عنه بوضوح كلام محمد حسين الذهبي في مناقشته لكلام محمد عبده في تأثير السحر على النبي صلى الله عليه وسلم.

يقول الذهبي: "إن الحديث رواه البخاري وغيره من أصحاب الصحيح، ولكن الأستاذ الإمام ومن على طريقته لا يفرقون بين رواية البخاري وغيره، فلا مانع عندهم من عدم صحة ما يرويه البخاري، كما أنه لو صح في نظرهم فهو لا يعدو أن يكون خبراً أحاداً لا يثبت به إلا الظن، وليس هذا الحديث وحده هو الذي يضعفه الشيخ أو يتخلص منه بأنه رواية آحاد، بل هناك كثرة من الأحاديث نالها هذا الحكم القاسي كحديث الشيخين "كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدت أمه إلا مريم وابنها" فإنه قال فيه: إذا صح الحديث فهو من باب التمثيل لا من باب الحقيقة. فهو لا يثق بصحة الحديث رغم رواية الشيخين له"⁽⁵⁾.

ولعل في إيراد بعض كلام محمد عبده على الحديث المذكور رفعاً للبس إذ يقول: "والذي يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به، وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم صلى الله عليه وسلم فهو الذي يجب الاعتقاد بما يثبت به وعدم الاعتقاد بما ينفيه، وقد جاء ينفي السحر عنه صلى الله عليه وسلم حين نسب القول بإثبات حصوله إلى المشركين وأعدائه ووبخهم على زعمهم، فإذا هو ليس بمسحور قطعاً، وأما الحديث - على فرض صحته - فهو آحاد،

(1) المنار 1/25

(2) المنار، 39/8 وانظر مذاهب التفسير الإسلامي ص 351

(3) د. محسن عبد المجيد، م. س: ص 17

(4) د. المحتسب، م. س: ص 142

(5) التفسير والمفسرين، 239/3 وما بعدها

والآحاد لا يؤخذ بها في باب العقائد، وعصمة النبي من تأثير السحر في عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ في نفيها إلا باليقين⁽¹⁾.

إن محمد عبده هنا لم يرد الحديث إلا بالقرائن التي فهمها من الآيات القرآنية التي فندت إدعاء المشركين أن النبي صلى الله عليه وسلم ساحرا أو مسحورا، ورد الحديث بمعارضة معناه لمعنى آية من القرآن قاعدة معتبرة من قواعد نقد المتن في علوم الحديث يشهد لها رد عائشة لحديث ابن عمر "إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه" بقوله تعالى: وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۖ ۝١٨/فاطر.

مهما يكن من أمر فإن مدرسة المنار تعتبر ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصلا معتبرا من أصول التفسير لا يمكن تجاوزه. لكن فهمه وتخريجه ليس حكرا على أحد. ومما يدل على ذلك قول رشيد رضا: "وأما الروايات المشهورة عن النبي وأصحابه وعلماء التابعين في التفسير، فمنها ما هو ضروري أيضا، لأن ما صح من المرفوع لا يقدم عليه شيء، ويليه ما صح عن علماء الصحابة مما يتعلق بالمعاني اللغوية أو عمل عصرهم، والصحيح من هذا وذلك قليل⁽²⁾."

وإذا كان من الملاحظ على مدرسة المنار أنها لا تهتم اهتماما كبيرا بجمع المفسر من المأثور بالمقارنة مع الاتجاه السلفي في التفسير، فإن ذلك يعود حسب الأستاذ رشيد رضا إلى كون هذه الناحية من التفسير قد بولغ فيها إلى أن أصبحت حاجبا وصارفا عن الحقائق الجوهرية للقرآن، فقال: "وغرضنا في هذا كله أن أكثر ما روي في التفسير المأثور أو كثيره أصبح حجابا للقرآن، وشاغلا لتأليه عن المقاصد العالية المزكية للأنفس المنورة للعقول، فالمفضلون للتفسير بالمأثور لهم شاغل عن مقاصد القرآن بكثرة الروايات التي لا قيمة لها سندا ولا موضوعا⁽³⁾."

وللفاضل ابن عاشور تعليل آخر لعدم اهتمام مدرسة المنار بالتفسير بالمأثور اهتماما يعادل اهتمام مفسري السلف به، عبر عنه بقوله: "قد رأينا أن التكوين الأصلي للشيخ رشيد كان نقليا أثريا على طريقة المتقدمين، مختلفا في ذلك عن التكوين الأصلي للسيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، إذ كان تكوينهما بحثيا نظريا على طريقة المتأخرين. فلم يكن الأستاذ يحفل بالناحية الأثرية ولا يولي اهتماما للأخبار وطرق تخريجها ولا يعتمد في تفسير الآيات على الأخبار المتصلة بها... لكن لما استقل الشيخ رشيد بمعاونة العمل من مبدئه، بدأ هواه الأول للعلوم النقلية الأثرية يعاوده⁽⁴⁾."

ولو بحثنا عن تعليل لنقطة الخلاف بين مدرسة المنار الإصلاحية والمدرسة السلفية المحافظة، غير تعليله باختلافهما حول معنى بعض الأحاديث، فقد يسوغ ربطه بمسألة خلاف قديمة بين تيارين من علماء الحديث: تيار يرى عدم إمكانية إعادة النظر فيما في الصحيحين لإجماع الأمة على تلقيهما بالقبول، ويمثل هذا التيار ابن الصلاح الشهرزوري (ت 643هـ)⁽⁵⁾. وتيار آخر يرى عدم صحة ما ذهب إليه الأول وأن ما في الصحيحين ليس مقطوعا بأنه من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ومن أنصار هذا التيار محيي الدين النووي⁽⁶⁾ وزين الدين العراقي⁽⁷⁾.

يقول ابن الصلاح: "... لكن اتفاق الأمة عليه لازم من ذلك (أي من اتفاق البخاري ومسلم) وحاصل معه، لاتفاق الأمة على تلقي ما اتفقا عليه بالقبول، وهذا القسم جمعيه مقطوع بصحته، والعلم اليقيني النظري واقع به... وهذه نكتة نفسية نافعة، ومن فوائد القول بأن ما انفرد به البخاري أو مسلم مندرج في قبيل ما يقطع بصحته لتلقي الأمة كل واحد من كتابيها بالقبول⁽⁸⁾."

(1) الإمام محمد عبده، تفسير جزء عم 180-181

(2) رشيد رضا، المنار 1/7

(3) رشيد رضا، المنار 1/10

(4) التفسير ورجاله 252-253 بتصرف

(5) هو أبو عمرو عثمان تقي الدين بن عبد الرحمن الشهرزوري الشافعي (577-643هـ)، محدث ومفسر وفقيه، أصولي عارف بالرجال، مشارك

في علوم عديدة، كحالة 257/6 والزركلي 369/4

(6) هو أبو زكريا يحيى محي الدين بن شرف الدمشقي الشافعي (631-677هـ) فقيه محدث حافظ لغوي، كحالة: 202/13

(7) أبو الفضل عبد الرحيم زين الدين بن الحسين المصري الشافعي، ويعرف العراقي (725-806هـ)

(8) مقدمة ابن الصلاح مع شرح العراقي لها، ص 28-29

ويعلق العراقي بقوله: "وقد عاب الشيخ عز الدين بن عبد السلام على ابن الصلاح هذا وذكر أن بعض المعتزلة يرون أن الأمة إذا عملت بحديث اقتضى ذلك القطع بصحته قال: وهو مذهب رديء".⁽¹⁾

وقال الشيخ محيي الدين النووي في "التقريب والتيسير" خالف ابن الصلاح المحققون والأكثررون. فقالوا يفيد الظن مالم يتواتر، وقال في شرح مسلم نحو ذلك بزيادة قال: ولا يلزم من إجماع الأمة على العمل بما فيهما إجماعهم على أنه مقطوع بأنه من كلام النبي صلى الله عليه وسلم⁽²⁾.

ومما حاجج به العراقي ابن الصلاح فيما ذهب إليه قوله: "الأمر الثاني أن ما استثناه من المواضيع اليسيرة قد أجاب عنها العلماء أجوبة، ومع ذلك فليست بيسيرة بل هي مواضيع كثيرة، جمعتها في تصنيف مع الجواب عنها وقد ادعى ابن حزم⁽³⁾ في أحاديث من الصحيحين أنها موضوعة، ورد ذلك عليه كما بينته في التصنيف المذكور⁽⁴⁾".

يمكن اعتبار موقف ابن حزم وطريقة رد العلماء عليه، موقفاً مشابهاً لموقف بعض أهل هذا العصر من فهم محمد عبده ومدرسته لبعض الأحاديث مثل حديث السحر وغيره.

كما يمكن أن نعتبر بعض اختيارات محمد الغزالي في كتابه "فقه السيرة" امتداداً لرأي محمد عبده، حين اعتمد في بعض تلك الاختيارات على أحاديث ضعيفة السند بدل أحاديث واردة في البخاري ومسلم، وعلل ذلك في مقدمته بكون مضمون الحديث "الضعيف" أكثر ملاءمة لروح الإسلام ومقاصده العليا.

○ الوحدة الموضوعية للقرآن

هي مسألة خلاف بين العلماء قديماً بين من يشبثها ومن ينفيها، وقد عدد السيوطي الآراء الواردة فيها⁽⁵⁾.

وقد أقرت مدرسة المنار مبدأ الوحدة الموضوعية للقرآن والتزمت به، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره فهد الرومي حين قال: "ويتضح مدى التزامهم بهذا الأساس حين نراهم يذمون رواية أسباب التنزيل الذين عمدوا إلى الآيات ذوات الأسباب ليفردوها عن بقية الآيات ويتناولونها بالتفسير والشرح من هذا الجانب، وهم بهذا كما يقول رشيد رضا يمزقون الطائفة الملتزمة من الكلام الإلهي، ويجعلون القرآن عضين متفرقة بما يفككون الآيات ويفصلون بعضها عن بعض، وبما يفصلون بين الجمل المؤتلفة في الآية الواحدة، فيجعلون لكل جملة سبباً مستقلاً، كما يجعلون لكل آية من الآيات الواردة في مسألة واحدة سبباً مستقلاً⁽⁶⁾".

وذهبت طائفة أخرى إلى القول بعدم الوحدة الموضوعية في القرآن وذلك لخصوصيته الأسلوبية والوظيفية، فقد عاب عز الدين بن عبد السلام على من ذهب إلى تقرير ذلك وإلزامه فقال: "المناسبة علم حسن لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصاب عن مثله حسن الحديث فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض⁽⁷⁾".

II - رأي الشنقيطي في بعض الخصائص السابقة

حتى لا يطول بنا الكلام في خصائص مدرسة المنار ذات التأثير الكبير والمتنوع على الثقافة العربية الإسلامية المعاصرة، فيصرفنا ذلك عن الموضوع الذي جرنّا إلى الحديث عنها وهو المقارنة بين منهجها ومنهج أضواء البيان، أو عرض منهج أضواء البيان على أسس هذه المدرسة وخصائصها حتى نعرف فيم الاتفاق وفيم الاختلاف بينه وبينها؟ ونحاول تعليل ذلك.

(1) نفس المصدر، ص 28-29

(2) أبو محمد علي بن أحمد سعيد بن حزم الظاهري (384-456هـ) عالم الأندلس في عصره، فقيه، حافظ، يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة، الزركلي 59/5

(3) مقدمة ابن الصلاح م، س، ص 29

(4) الإتيان 106/2 وما بعدها

(5) انظر فهد الرومي، م، س، 724/2 والمنار 11/2

(6) الاتقان م، س 108/2

ولنبداً من موقفه من القضيتين السابقتين قبل أن نبتعد عنهما فنضطر إلى إعادة بعض الكلام ثم نقارن بين رأيه ورأي "المنار" في مسألة الدعوة إلى العودة إلى القرآن والسنة.

2-1: موقفه من الوحدة الموضوعية في نظر الشنقيطي؛

إذا كان التماس أوجه الوحدة الموضوعية في القرآن هدفاً أو أساساً من أسس التفسير عند مدرسة المنار لغلغلق منفذ من منافذ النقد والشبه التي تثار حول القرآن، فإن الشنقيطي لم يشر إلى هذه المسألة نظرياً، وممارسته العلمية تدل على أنه كان ينطلق فقط من الوحدة الموضوعية للقرآن كله على مستوى الأهداف والمقاصد. لذا صح عنه أن يفسر بعضه بعضاً مهما تفرق في سور مختلفة متباعدة في ترتيب التلاوة والنزول ومهما كان السياق مختلفاً، وهذه النقطة يبدو أن الطاهرين عاشور لا يرضى عنها حين قال: "ذكر ابن هشام في معنى السبب في حرف (لا) عن أبي علي الفارسي أن القرآن كله كالسورة الواحدة يذكر الشيء في سورة وجوابه في أخرى... وهذا كلام لا يحسن إطلاقه، لأن القرآن قد يحمل بعض آياته على بعض وقد يستقل بعضها عن بعض إذ ليس يتعين أن يكون المعنى المقصود في بعض الآيات مقصوداً في جميع نظائرها، بله ما يقارب غرضها"⁽¹⁾.

2-1: موقف الشنقيطي من التعامل النقدي مع التفسير بالمأثور

رأيه فيها نظرياً: يشاطر الشنقيطي مدرسة لمانر الرأي في ضرورة المبالغة في التحفظ من الإسرائيليات وأن مفهومها عنده يتسع ليشمل الأخبار عن الأمم السابقة والأحداث الغيبية المستقبلية كمصير بعض الأمم وبعض القرى وكذا الأحداث الغيبية الأخروية، لكنه يشاطر المدرسة السلفية أيضاً في الوقوف عندما صححه علماء الحديث المشهورين وعدم تجاوزه لا بفهم جديد ولا بنقد يفضي إلى رده.

2-2: ممارسته التطبيقية

أما من الناحية التطبيقية فنجد أنه يكرس تفسيره لمناقشة الآراء التي يعيد أصحابها النظر في آراء السابقين الذين يمثلون في نظره السلف الصالح. ومما يتعلق بمسألتنا من ذلك ما أثبتته عند تفسيره لقوله تعالى: **وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفْ مَا صَنَعُوا ۚ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ۚ** 68/طه حين قال: مسائل تتعلق بهذه الآية الكريمة:

○ في تعريفه للسحر لغة: يقول:

المسألة الأولى: اعلم أن السحر يطلق في اللغة على كل شيء خفي سببه ولطف ودق، ولذلك تقول العرب في الشيء الشديد الخفاء: أخفى من السحر، ومنه قول مسلم بن الوليد الأنصاري: جعلت علامات المودة بيننا مصائد لحظ أخفى من السحر فأعرف منها الوصل في لين طرفها وأعرف منها الهجر بالنظر الشزر ○ في السحر اصطلاحاً يقول:

المسألة الثانية: اعلم أن السحر في الاصطلاح لا يمكن حده بحد جامع مانع لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته، ولا يتحقق قدر مشترك بينها يكون جامعاً لها مانعاً لغيرها، ومن هنا اختلفت عبارات العلماء في حده اختلافًا متبايناً. ثم يدخل في بيان أقسام السحر كما بينها الفخر الرازي في تفسيره، معلقاً على كل قسم بذكر حكمه. ○ في حكم تعلم السحر: يقول:

المسألة السابعة "وجزم الفخر الرازي في تفسيره في سورة البقرة بأنه جائز بل واجب قال ما نصه: (المسألة الخامسة) في أن العلم بالسحر غير قبيح ولا محظور، اتفق المحققون على ذلك لأن العلم لذاته شريف، وأيضاً لعموم قوله تعالى: "هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" ولأن السحر لو لم يكن يعلم لما أمكن الفرق (التفريق) بينه وبين المعجزة، والعلم بكون المعجزة واجب، لأن ما يتوقف الواجب عليه فهو واجب، فهذا يقتضي أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجباً، وما يكون واجباً كيف يكون حراماً قبيحاً".
ويعلق الشنقيطي على كلام الرازي بقوله: "ولا يخفى سقوط هذا الكلام وعدم صحته".

(1)، التحرير والتنوير: م، س 27/1

○ في مبلغ تأثير السحري قول:

المسألة التاسعة: اعلم أن العلماء اختلفوا في تحقيق القدر الذي يمكن أن يبلغه تأثير السحر في المسحور، واعلم أن لهذه المسألة واسطة وطرفين: طرف لا خلاف فيه أن تأثير السحر يبلغه كالتفريق بين الرجل وامرأته، وكالمرض الذي يصيب المسحور من السحر ونحو ذلك، ودليل ذلك القرآن والسنة الصحيحة أما القرآن فقوله تعالى: **فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ** 101/البقرة، وأما السنة فما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة رضي الله عنها بألفاظ متعددة متقاربة، "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يرى أن يأتي النساء ولا يأتيهن..."⁽¹⁾.

○ في تأثيره في النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

تنبيه⁽²⁾: اعلم أن ما وقع من تأثير السحر في رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستلزم نقصا ولا محالا شرعيا حتى ترد بذلك الروايات الصحيحة، لأنه من نوع الأعراض البشرية، كالأعراض المؤثرة في الأجسام، ولم يؤثر البتة في فيما يتعلق بالتبليغ. واستدلال من⁽³⁾ منع ذلك زاعما أنه محال في حقه صلى الله عليه وسلم بأية: "إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا" مردود كما سنوضحه إن شاء الله.

ثم ذكر كلاما مطولا في المسألة لابن حجر ثم قال: وعلى كل حال فهو صلى الله عليه وسلم معصوم بالإجماع من كل ما يؤثر خلا في التبليغ والتشريع، وأما بالنسبة إلى الأعراض البشرية كالأعراض والآلام ونحو ذلك، فالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يعتريهم من ذلك ما يعتري البشر، لأنهم بشر كما قال تعالى عنهم: **قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ** 14/إبراهيم، وأما قوله تعالى: **وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا** 8/الفرقان، فمعناه أنهم يزعمون أنه صلى الله عليه وسلم مسحورا أو مطبوبا⁽⁴⁾، قد خبله السحر فاختلط عقله فالتبس عليه أمره، يقولون ذلك لينفروا منه.... وإذا علمت أن أقوال العلماء في قوله تعالى "مسحورا" راجعة إلى دعوهم (المشركين) اختلال عقله بالسحر أو الخديعة، أو كونه بشرا، علمت أنه لا دليل في الآية على منع بعض التأثيرات العرضية التي لا تعلق لها بالتبليغ والتشريع كما ترى والعلم عند الله تعالى⁽⁵⁾.

يمكن أن يقارن بين مناقشة الشنقيطي لهذه المسألة وجهة اهتمامه فيها وبين موقف مدرسة المنار منها بأن نقول: إن فكرة مدرسة المنار تدور حول ماهية السحر وطبيعته وهل تقتصر آثاره على النواحي النفسية، مما يرجح كون تأثيره نفسيا وعقليا، والمرض النفسي العقلي أيا كان مصدره لا يجوز في حق المرسلين عليهم السلام لقوة العلاقة بين الإصابة النفسية العقلية (العصبية) وإمكان تأثير ذلك على الرسالة والتبليغ.

ومما يعضد هذا الرأي ما نقله ابن حجر عن ابن القيم "وأقوى ما يوجد من النشرة، أي مقاومة السحر الذي هو من تأثير الأرواح الخبيثة، بالأدوية الإلهية من الذكر والدعاء... فالقلب إذا كان ممتلئا من الله معمورا بذكره كان له ذلك من الأسباب المانعة من إصابة السحر له، وسلطان تأثير السحر هو على القلوب الضعيفة، ولهذا غالبا ما يؤثر في النساء والصبيان والجهال"⁽⁶⁾.

بينما نجد الشنقيطي يؤمن بفكرة السحر ويعترف بمجالات معينة يؤثر فيها كما ورد في كلامه السابق التفريق بين المرء وزوجه، وهو تأثير نفسي، والمرض، وهو لفظ عام لا نستطيع تحديد مدلوله عنده بالضبط، هل يقتصر على النواحي النفسية بالسوسة والتخييل⁽⁷⁾ فيكون متفقا مع الرؤية المستندة في إنكارها للسحر وتأثيره على

(1) انظر صحيح البخاري، كتاب الطب، باب السحر 177/7 وصحيح مسلم، كتاب السلام، باب السحر

(2) الأضواء، 4/468-470

(3) بما3) ومحمد عبده ممن استدلل بها

(4) وهو نص إحدى الروايات المختلفة للحديث

(5) "الأضواء"، 4/470

(6) انظر فتح الباري على صحيح البخاري 10/235 (6) كتاب الطب، 49 هل يستخرج السحر

(7) التخييل هو إبداء أمر لا حقيقة له، ومنه الخيال وهو الطيف الطارق في النوم، الأضواء، 4/434

تعريف المرض طبيا بتشخيصه تشخيصا ماديا يقوم على أساس عجز بعض الخلايا (أو الأنسجة أو الأعضاء أو الأجهزة) في الجسم عن القيام بوظائفها الفسيولوجية أو اضطراب في الأداء.

وعلى كل حال فإن الشنقيطي قد ذهب في مسألة تأثير السحر على النبي صلى الله عليه وسلم مذهب الاتجاه السلفي عموما، الذي يرفض رد الأحاديث الواردة فيه أو تأويلها حتى ولو كان بدافع تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم والسمو به عن أن يمرض أي مرض يمكن أن يؤثر من قريب أو بعيد على وظيفة النبوة والتبليغ.

وفي نظري أن السمو بالنبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن وبالدين عموما عن موطن الشبهات، مقصد يهون في سبيله عدم التمسك بحرفية اجتهاد مجتهد في تصحيح رواية من الروايات، أخرى إذا وجدنا بعض الآيات التي تصرح بأن السحر تخيل لا حقيقة له، ذكر منها الشنقيطي نفسه اثنتين حين قال: وقوله تعالى في هذه الآية: فَإِذَا جَاءَهُمْ وَيَعْتَمِدُونَ عَلَىٰ خِيَلِهِمْ إِنَّهُمْ لَسَحَرٌ ۚ 66/طه - يدل على أن السحر الذي جاء به سحرة فرعون⁽¹⁾ تخيل لا حقيقة له في نفس الأمر. وهذا الذي دلت عليه آية طه هذه دلت عليه آية الأعراف (في نفس القصة) فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَزْهَبَهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَزِيمٍ 116/ الأعراف، لأنه يدل على أنهم خيلوا لأعين الناظرين أمرا لا حقيقة له.

بهاتين الآيتين احتج المعتزلة ومن قال بقولهم على أن السحر خيال لا حقيقة له⁽²⁾.

2-3: الدعوة إلى دراسة القرآن والسنة وعدم الاكتفاء عنهما بالمذاهب الفقهية

ذكرنا في معرض حديثنا عن خصائص مدرسة المنار أن من بين تلك الخصائص: الدعوة إلى العودة إلى الكتاب والسنة وعدم إخضاع القرآن الكريم إلى المذاهب الفقهية أو العقديّة أو اللغوية، ونجد هذه الدعوة نفسها وبإلحاح كبير عند الشنقيطي بحيث يعتبرها أحد الدوافع إلى تأليف تفسيره.

نقتطف هذه الفقرة من كلام الشنقيطي لنضعها إلى جانب كلام رشيد رضا في نفس الموضوع.

يقول الشنقيطي: "اعلم يا أخي أن هذا الإعراض عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، واعتقاد الاستغناء عنهما بالمذاهب المدونة الذي عم جل من في المعمورة من المسلمين من أعظم المآسي والمصائب والدواهي التي دعت المسلمين من مدة قرون عديدة. ولا شك أن النتائج الوخيمة الناشئة عن الإعراض عن الكتاب والسنة من جملتها ما عليه المسلمون في واقعهم الآن من تحكم القوانين الوضعية المناهية لأصل الإسلام... ولو كان المسلمون يتعلمون كتاب الله وسنة رسوله ويعملون بما فيهما لكان ذلك حصنا منيعا لهم من تأثير الغزو الفكري في عقائدهم ودينهم"⁽³⁾.

يقول رشيد رضا: "وإننا نعتقد أن المسلمين ما ضعفوا وزال ما كان لهم من الملك الواسع إلا بإعراضهم عن هداية القرآن وإنه لا يعود لهم شيء مما فقدوا من العز والسيادة والكرامة إلا بالرجوع إلى هدايته والاعتصام بحبله"⁽⁴⁾.

نلاحظ بين الفقرتين تشابه كبير على مستوى المضمون وحتى على مستوى الألفاظ⁽⁵⁾.

تقرر الفقرتان على مستوى المضمون أن بالمجتمع المسلم فسادا ينبغي إصلاحه، ومحور هذا الإصلاح ينبغي أن يكون القرآن. ولا ندعي هنا أن حجم الفساد وأماكن الاعوجاج في المجتمع في رؤية الرجلين واحدة، ف رؤية الشنقيطي تكاد تنحصر في إصلاح العقيدة وإعادة تطبيق الشريعة بالصورة التي كانت تطبق عليها زمن الخلفاء الراشدين، دون أن يكون له - بحكم ثقافته التقليدية - اهتمام كبير بالمضامين الاجتماعية للقرآن الذي هو مركز اهتمام مدرسة المنار كما مر بنا، أما مدرسة المنار فلا نجد لها اهتماما كبيرا بالبنية التشريعية للمجتمع الإسلامي ربما لأن مهندس هذه المدرسة كان يرى أن ذلك من مشمولات الجيل اللاحق الذي ينبغي أن يكون اهتمام الجيل الأول هو العناية بتربيته وتنشئته تنشئة صحيحة.

(1) "لأنها لا تنفي أن السحر تخيل لقوة احتمال أن تكون وسيلة التفريق بينهما (الزوجين) بالوسوسة وزرع الشكوك.

لا يلزم تخصيصها بسحرة فرعون اعتبارا لآية البقرة "ويتعلمون منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه

(2) "الأضواء" 437/4

(3) "الأضواء"، 7/

(4) تفسير المنار، 31/1

(5) انظر استخدام لفظ الإعراض، الهداية، الاعتصام

صحيح أن الشيخ محمد عبده قد تولى الإفتاء لمدة في مصر واقترح عدة إصلاحات على النظام القضائي المصري، لكن الإصلاحات التي تضمنها تقريره تكاد تقتصر على النواحي التنظيمية⁽¹⁾.

2-4: حصيلة المقارنة

إن سبق تفسير المنار على تفسير الأضواء زمنيا والشهرة الكبيرة والأثر العميق لآراء مدرسة المنار، تسوق القارئ إلى اعتبار الشنقيطي متأثرا في هذه الفكرة بصاحب المنار وأنه اقتبسها منه، لكن عدم ورود اسم هذا التفسير على لسان صاحب الأضواء لا يسمح بذلك ومن غير المستبعد أن يكون قد تأثر بآراء هذه المدرسة بطريقة غير مباشرة، هذا إذا لم نوجه الاتفاق بينهما توجيهها آخر وهو تأثرهما معا بآراء ابن تيمية ونزعتهم ويؤيد هذا التوجيه الاشتراك بينهما في نقطة أخرى يعتبر ابن تيمية أصلها أي الحملة على التقليد والمقلدين : ولا يخفى ما لهذه النقطة من صلة بالنقطة التي قبلها.

إن هذه النقطة كانت مطلبا ثقافيا يتكون من شقين عند مدرسة المنار الشق الأول هو رد دعوى غلق باب الاجتهاد، والشق الثاني هو دوام هذا الغلق إلى مجيء المهدي المنتظر، كان هذان المطالبان محور دعوة مدرسة المنار لتجديد الدين أو تحديث الوعي الديني عند المسلمين كما كان محور الصراع بينهما وبين السلطة الدينية القائمة⁽²⁾. أما عن مركزية هذه الفكرة في عمل الشنقيطي فقد بينها ببيان وافيا في بحث خاص⁽³⁾ نكتفي منه هنا بأن رؤيته التربوية في إصلاح التعليم - في موريتانيا - تتلخص في ضرورة تعلم الدين من أليه الموحى بهما وتعلمه منهما تعليما صحيحا، وقد يمر تصحيح التعليم افقهي بتأصيل الفروع واعتماد ما قوي عن هذه الطريق على حساب من ضعف بها.

يتجلى تأثر مدرسة المنار بمنهج ابن تيمية فيما قاله:

- د. عبد المجيد المحتسب : "إذا كانت حملة المعتزلة على التقليد والمقلدين تنصب على العقائد، فإن الشيخ محمد عبده وسّع هذه الدائرة، فجعل حملته تنصب على التقليد والجمود على أقوال الأئمة المجتهدين الكبار أو ما يسمى علم الفروع"⁽⁴⁾.

وهذه الملاحظة بعينها تنطبق على منهج الشنقيطي أما عن كون هذه الفكرة مستقاة من منهج ابن تيمية فيمكن أن يرجع في ذلك إلى كتاب "ابن تيمية وجهوده في التفسير"⁽⁵⁾.

- ثم خذ ما قاله جولد تسهير: "غايات هذه المدرسة - الإصلاحية - وأهدافها ومراميها تتفق في العقيدة ومحاربة البدع مع الوهابيين"⁽⁶⁾.

- وعند تلخيصه للخلفية الفكرية لهذه المدرسة يقول : "وهكذا تخضع حركة التجديد الديني لتأثير عوامل ثلاثة :

- نزعة ابن تيمية المحافظة المتطرفة.

- فهم الغزالي للدين فهما خلقيا تهذيبيا.

- مقتضيات النمو المتطرد "التقدمي"⁽⁷⁾.

ويظهر خضوع منهج الشنقيطي في تفسيره إلى الخصائص العامة التي تميز التفسير في العصر الحديث عن التفسير ومناهجه القديمة كما حددها فهد الرومي في : كون التفاسير العصرية لا تلتزم مذهبا بعينه، فهي تفسر الآيات حسب المتبادر منها من غير توجيه لها أو صرف إلى مذهب معين.

إن التفاسير الحديثة لا تستطرد في الحديث عن فروع الفروع، بل تكتفي ببيان مهمات الآيات المدروسة ودلالاتها من غير توسع يحول التفسير إلى كتاب فقهي موسع بكل أبعاده وجوانبه.

(1) انظر مضمون التقرير، منهج المدرسة العقلية الحديثة 142/1 وتاريخ الإمام 615/1 - 616

(2) ينظر في ذلك جولد تسهير، مذاهب التفسير الإسلامي، ص 356 والمنار 7/41

(3) منشور تحت عنوان قضايا معاصرة في تفسير الأضواء، العدد 21 من مجلة الوسيط.

(4) اتجاهات التفسير في العصر الراهن، ص 142

(5) إبراهيم خليل بركة، ص 160 وما بعدها من الفصل الذي خصه لآثار ابن تيمية في التفسير

(6) مذاهب التفسير الإسلامي، ص 350 - 365 والمصدر السابق 369

(7) انظر في تقييد الشنقيطي بهذا المبدأ، أضواء البيان 71/6.

ويختلف التفسير في العصور القديمة عنه في العصور الحديثة في أن المؤلفين القدامى يكتبون بأسلوب علمي مركز تحتاج فيه بعض العبارات إلى شرح وبيان لأنهم كانوا يكتبون للعلماء لا للعامة. أما أهل التفسير في العصر الحديث - أو أكثرهم - فكانوا يكتبون بأسلوب يوفي العبارة حقها بل قد يزيد التوضيح إلى درجة الإطناب، لأنهم كانوا يوجهون كتاباتهم إلى عامة الناس لأهمية صنع رأي عام واع بمشاكله، ساع إلى تغيير أوضاعه⁽¹⁾.

مهما ظهر من تشابه شكلي بين منهج الشنقيطي في تفسيره وبين منهج مدرسة المنار، ومهما اتفق معها في بعض الآراء، فإن هناك اختلاف جذري بين الخلفيات الفكرية التي توجه عمل الشنقيطي في تفسيره والخلفيات والغايات التي استخدم الإصلاحيون التفسير طبقاً لها.

ذلك أن تفكير الشنقيطي تفكير سلفي صرف، ذلك التفكير الذي يطالب الإصلاحيون بإعادة بنائه: "يهدفون إلى التغلب على القصور الفكري والروحي للنظرة التقليدية للإسلام باستخدام التحليل العقلاني في التفسير، والتحرر من الطاعة العمياء للتفسير التقليدية"⁽²⁾.

كما أنه يفرق بينه وبينها كون "أسلوب المفكرين المصلحين (الإصلاحيين) هو محاولة التوفيق النظري بين الإسلام والفكر الحديث"⁽³⁾.

وقد مربنا ما يؤكد رفض المدرسة السلفية عموماً لهذا المبدأ ورفض الشنقيطي بصورة خاصة له، في مسألة تأثير السحر على النبي صلى الله عليه وسلم⁽⁴⁾.

(1) انظر في هذه الخصائص: فهد الرومي، م، س، 418/2 - 419

(2) سلسلة الدراسات الإسلامية (9): الملتقى الإسلامي المسيحي الثالث: حقوق الإنسان. مقال الدكتورة سهير لطيفي، ص 178 ط: تونس 1985

(3) نفس المصدر، ص 196

(4)

فقه النوازل الشنقيطي: النشأة والتحول

د. المصطفى بن خطري

باحث في مجال التراث والثقافة

الكلمات المفتاحية: فقه النوازل الشنقيطي، الثقافة العالمية، مدونات النوازل، المجامع الفقهية، النشأة والتحول.

الملخص

هذا الموضوع يدور حول نشأة الإفتاء وتطوره بالمجال الشنقيطي. وإننا نعتبر أن البداية الفعلية للإفتاء ببلاد شنقيط كانت مع نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر الهجريين، وبمدن وقرى وادان وتينكي وشنقيط وتيشيت وولاتة وتيزخت وتينبكتو. وأنه إن بدأ واستمر فترة كإجابات شفاهية مبسطة، فبعد سيادة المحاضر التراب الشنقيطي وتخريجها عدة أجيال من نخب الثقافة العالمية قادرين على توفير حاجيات المجال الشنقيطي من الإفتاء والأحكام الشرعية والإمامة والتدريس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر⁽¹⁾، أضحت الإفتاء والفتوى النوازلية صناعة فقهية تتحرى في تشخيص الوقائع وتكييفها، وفي البحث عن حكمها ودليله؛ فتستحضر النصوص والقواعد الأصولية والفقهية والمنطقية وتوظفها لاستنباط الأحكام العلمية العملية، فانتشر عندئذ الإفتاء النوازلي أو فقه النوازل كمادة تشريعية من وحي الواقع، أو قل تحول الإفتاء من إجابات مبسطة إلى بحوث معمقة في نوازل الواقع الشنقيطي وإشكالاته العvisية وانتشرت مدوناته ومجامعه.

المقدمة

إذا كان المفهوم اللغوي للفقه، في جل معاجم اللغة العربية قديما وحديثا، لا يخرج عن كونه صيغة مصدر تفيد فهم وإدراك واستيعاب الشخص حيثيات الموضوع المفقوه؛ أي العلم بها⁽²⁾. وكان من شواهد ذلك قوله تعالى في الآية الكريمة «فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين»⁽³⁾، فإن ما استقر عليه المفهوم الاصطلاحي لهذه المفردة عند الأصوليين لا يبتعد كثيرا عن ذلك؛ إذ هو عند الأمدي (ت. 631هـ/1234م) «العلم الحاصل بجملة من الأحكام الشرعية الفروعية بالنظر والاستدلال»⁽⁴⁾. وعند ابن الحاجب (ت. 646هـ/1248م) «العلم بالأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية بالاستدلال»⁽⁵⁾.

(1) - ذلك ما تسنده تراجم أعلام الثقافة العالمية في المؤلفات الشنقيطية؛ مثل كتاب: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور للبارتيلي ومنح الرب الغفور في ذكر ما أهمله صاحب فتح الشكور لأبي بكر بن أحمد المصطفى المحجوبي الولاتي، والوسيط في تراجم أدباء شنقيط لأحمد بن الأمين الشنقيطي، وبلاد شنقيط: المنارة والرباط للخليل النحوي، والمجموعة الكبرى ليحيى ولد البراء..بالإضافة إلى مجموعة من المقالات والرسائل الجامعية.

(2) - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1420هـ، ج 2، ص 326. و"لسان العرب" لابن منظور، دار صادر بيروت، ط 3، 1420هـ، ج 13، ص 522. و معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، 1429هـ، عند مادة فقه.

(3) - التوبة، الآية 122.

(4) - الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1401هـ/1981م، المجلد الأول، ص 5.

(5) - شمس الدين الأصفهاني، "بيان المختصر" (شرح مختصر ابن الحاجب)، تحقيق الدكتور محمد مظهر بقاء، دار المدني - جدة، ط 1، 1406هـ، ج 1، ص 18.

والناظر في هذين التعريفين يدرك إجماعهما على أن الفقه هو العلم بأحكام الشرع العملية المستمدة من أدلتها الشرعية، التي هي الكتاب والسنة والإجماع والقياس.

علما «أن الفقه الإسلامي يتضمن نوعين من الأحكام مختلفين في طبيعتهما، فالنوع الأول أحكام قررتها نصوص في الكتاب (القرآن) وفي السنة قطعية الثبوت والدلالة [...]». أما النوع الثاني فأحكام سكت عنها الكتاب والسنة وتركت للاجتهاد واستنتاج علماء الشريعة»⁽¹⁾. وهذا النوع الثاني، الذي ترك للاجتهاد واستنتاج علماء الشريعة، هو ما عنيناه "بفقه النوازل"، وخصصناه بحيزه المكاني "الشنقيطي"، مقتصرين منه على حيثيتين هما النشأة وكيفية التحول أو التطور. وتأتى أهمية دراسة هذا الموضوع من المنزلة التي يحتلها فقه النوازل في حياة الشناقطة تشريعا وتاريخا وثقافة...

وسنقتصر في معالجته على ما تثيره التساؤلات التالية: ما هي البدايات الفعلية لعمليات الإفتاء ببلاد شنقيط؟ وكيف تطور ذلك الإفتاء من حيث الكم ومن حيث المضامين والأساليب والصناعة والأهداف إلى أن تحصل عندنا هذا الكم الهائل من فقه النوازل؟ والذي باعتماد الفقهاء الشناقطة عليه حققوا اكتفاءهم من المعارف الفقهية؟ وهو ما سنعالجه ضمن مستويين وعنوانين، هما: الإفتاء من الإجابة المبسطة إلى الفتوى البحث، ومتون فقه النوازل.

المستوى الأول: الإفتاء من الإجابة المبسطة إلى الفتوى البحث

على أن الاستفتاء بدهاة هو استفسار جاهل حكم المسألة العلماء (المفتين) عن حكمها الشرعي، وأن الإفتاء والفتوى، في الاصطلاح الفقهي، هما الإخبار بالحكم الشرعي لا على سبيل الإلزام الخاص بأحكام القضاء، فإننا نعتبر أن البداية الفعلية للإفتاء ببلاد شنقيط كانت مع نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر الهجريين، وبمدن وقرى وادان وتينكي وشنقيط وتيشيت وولاتة وتيزخت وتينبكتو. ذلك أن أقدم نص نوازي معروف يعود إلى تلك الفترة وتلك المناطق، سواء كان نصا استفتائيا مثل "مطلب الجواب بفصل الخطاب"⁽²⁾ لكاتبه لمحمد بن محمد بن علي الممتوني التكروري الذي كان حيا سنة 898هـ، أو كان نصا إفتائيا مثل موهوب الجليل الذي شرح به محمد بن أبي بكر الواداني مختصر الشيخ خليل أو علق عليه⁽³⁾. وهو ما يؤكد أحد الباحثين في علم التاريخ حين قال: «ونجد أولى الفتاوى المحلية مع اند عبد الله بن سيدي أحمد (ت. 1530هـ) وجيله من علماء ولاتة وتينبكتو، وتيزخت، وتيشيت، التي كانت من أولى مراكز الإشعاع الثقافي في المنطقة»⁽⁴⁾. وقد أشار إليه أيضا باحث آخر بقوله: «لقد أعقبت العهد المرابطي فترة طويلة من الغموض لم تصلنا فيها معلومات عن فقهاء الصحراء، وشملت هذه الفترة كلا من القرن السابع والثامن والتاسع للهجرة، ثم أقبل فقهاء الصحراء على التأليف في الفتاوى في القرن العاشر للهجرة السادس عشر للميلاد، واستمر على ذلك بشكل محتشم في القرن الموالي»⁽⁵⁾.

- (1) - مصطفى أحمد الزرقا، الفقه الإسلامي ومدارسه، دار القلم بدمشق، ط1، 1416هـ، ص17.
- (2) - رزمة من الأسئلة تزيد على المائة وجهها محمد بن محمد بن علي الممتوني إلى عبد الرحمن السيوطي (ت. 911هـ) سنة 898هـ. وقد نشرها السيوطي في الجزء الأول من كتابه الحاوي للفتاوى (انظر طبعة دار الفكر، ج1، ص285، تحت عنوان "رسائل من بلاد التكرور").
- (3) - هو أول شرح لمختصر خليل أو تعليق عليه ببلاد شنقيط. وصاحبه كان حيا عام 933هـ.
- (4) - محمد المختار ولد السعد، الفتاوى والتاريخ، دار الغرب الإسلامي، 2000، ط1، ص42.
- (5) - حسن حافظي، أهمية النوازل في إنتاج المعرفة حول صحراء المغرب الأقصى، مقال بمجلة هيسبريس تمودا، العدد XLVII، 2018م، ص11.

وقد ظل الإفتاء في مراحل الأولى غير مقنن وغير محكوم بالصناعة الفقهية؛ لسيطرة الجهل ولانحصار هدف المفتي في اهتداء المستفتي إلى وجه الحكم الشرعي في المسألة دون إعطائه الدليل.

وعادة ما تكون تلك الإفتاءات موجزة وبلغة سهلة يفهمها الجميع إن لم تكن بلغة العامة. «فقد كان الفقهاء يخاطبون المجتمع بلغة عصره التي يفهم متجنبين وعورة المصطلحات الصعبة وخشونة الألفاظ الغريبة، متوخين السهولة والدقة. ولا شك أن إلهام مستويات العقول المتفاوتة ليس أمرا سهلا، وقد راعى الشناقطة ذلك في أساليبهم في الفتوى، فكانوا يستخدمون اللغة السهلة القريبة والمأنوسة قصد إلهام كافة المستويات»⁽¹⁾.

وهذه الفتاوى، وإن استفاد منها البعض وتم تناقلها، فإنها لم تجد حظا وافرا من التدوين، وإنما نجدها رواية شفاهية عند أهل هذه المحظرة أو ذلك الشيخ، وإن دونت فإن حجم الواحدة منها قد لا يغطي الوجه الواحد من الورقة.

وبعد اجتياح المحظرة كامل المجال الشنقيطي فقد أصبحت عملية الإفتاء تنطوي على هدف آخر تعليمي تطبيقي؛ يتمثل في: أن تتحصل عند طالب علم في محظرة ما جملة إشكالات، خلال دراسته لمتن فقهي معين كمختصر الشيخ خليل أو رسالة ابن أبي زيد القيرواني، فيجمع تلك الإشكالات ويمحصها ويطرحها على شيخه فيفتيه فيها بما لديه؛ إفتاء مباشرا ومبسطا أو إفتاء معمقا يعتمد البحث والتدقيق، فتتوصل عند ذلك الطالب وقتئذ معارف نظرية في نوازل ما؛ أسئلتها استفتاءاته هو وأجوبتها إفتاءات شيخه عنها.

ويعد هذا النوع من الفتاوى تنقيحا واستكمالا لدراسات متون البرامج والمقررات المحظرية. والعادة أن يدونه الطالب ويعطيه اسم أجوبة شيخه ويحتفظ به. وقد استمر هذا النوع إلى وقت متأخر، وأمثله كثيرة، منها: أجوبة⁽²⁾ النوازي محمد بن محمد بن متالي (ت. 1287هـ/ 1870م) لكل من أسئلة تلاميذه الثلاثة (كل على انفراد)؛ عبد الودود بن عبد الله الألفغي (ت. 1268هـ)، وأوفي بن أبي بكر الديماني (ت. 1300هـ)، وأحمد المختار الإيدغماجيكي التندغي (ت. 1324هـ)⁽³⁾.

وهذا النوع من الإفتاء، وإن وثق وتشكلت منه مدونات، فإنه عادة ما يكون خال من المقدمات وغير مرتب ترتيبا فقهيا وغير مؤرخ وغير مشحون بكبريات نوازل الشناقطة وهمومهم المجتمعية، إذ هو استشكلات لبعض طلاب المحاضر فقط، إلا أنه يظل مرجعا فقهيا هاما خاصة لدى مدونه الذي قد يعتمد في الإفتاء.

أما بعد سيادة المحاضر التراب الشنقيطي وتخريجها عدة أجيال من نخب الثقافة العالمية قادرين على توفير حاجيات المجال الشنقيطي من الإفتاء والأحكام الشرعية والإمامة والتدريس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر⁽⁴⁾. ومع وعي بعض تلك النخب بمتطلبات واقعهم البدوي السائب وهمومه التي ظلت تشغل اهتمامهم وتفرض عليهم أن يصوغوا منها مشروع مجتمعهم الساعي إلى أن يحكم مجتمع البداوة والتسيب بسيادة شرع الله؛ كل حسب أولويات منطقته وإمكانات ووسائل هيئته التي يمارس من خلالها نشاطه المعرفي⁽⁵⁾، فقد أضحت الإفتاء عندئذ، في الغالب الأعم، يتناول إشكالات نوازية عصية تطرحها خصوصية البيئة الشنقيطية وأحوالها الاستثنائية كظهورية ماء الغدير المتغيرة أوصافه بأرواث الحيوانات، وكحكم مداراة الظلمة ومعاملة مستغرق

(1) - الشيخ محمد المختار، دراسة منهجية الفتوى في بلاد شنقيط، بحث لنيل الإجازة في العلوم الشرعية والعربية، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، انواكشوط، السنة الجامعية 1997 - 1998م، ص76.

(2) - انظر لمرباط بن النح، تحقيق أجوبة ابن متالي التي جمعها تلميذه الطبيب أوفي، بحث لنيل شهادة الإجازة في العلوم الشرعية، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، انواكشوط، السنة الجامعية 1987 - 1988م، ص17.

(3) - المصطفى بن خطري، فقه الواقع عند النوازيين الشناقطة، بحث نال جائزة شنقيط، نشر خاص، انواكشوط، 2021م، ص15.

(4) - ذلك ما تسنده تراجم أعلام الثقافة العالمية في المؤلفات الشنقيطية، مثل كتاب: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور للبارتيلي ومنح الرب الغفور في ذكر ما أهمله صاحب فتح الشكور لأبي بكر بن أحمد المصطفى المحجوبي الولاتي، والوسيط في تراجم أدباء شنقيط لأحمد بن الأمين الشنقيطي، وبلاد شنقيط: المنارة والرباط للخليل النحوي، والمجموعة الكبرى ليحيى ولد البراء..بالإضافة إلى مجموعة من المقالات والرسائل الجامعية.

(5) - المصطفى بن خطري، ملامح الرؤية الإصلاحية عند محمد يحيى الولاتي، مقال منشور بأعمال الندوة الدولية العلمية المنظمة بانواكشوط تحت عنوان "محمد يحيى الولاتي عالم التجديد والتواصل، من 20 إلى 22 ديسمبر 2012م، منشورات مركز البحوث والدراسات الولاتية، ص229.

الذمة، وكحكم تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود في بلاد سائبة لا سلطان بها، وكحكم الدعوة لنصب الإمام، ثم الموقف من المحتل المخالف في الدين⁽¹⁾.

وهو ما جعل العمل الإفتائي أكثر واقعية وجدية ومهنية وأكثر ارتباطا بهموم المجتمع من ذي قبل؛ إذ أصبح فحصا وتشخيصا وتكييفا للوقائع الشنقيطية التي يطرح حكمها إشكالا، ويتطلب بحثا متأنيا في الكليات الشرعية لإيجاد الأحكام الشرعية الأنسب لأحداث الواقع الشنقيطي المخصوص.

وهو ما حفزهم المفتين - المهتمين بشؤون المجتمع والمستعدين للتضحية وتحمل المسؤولية - للتصبر والاجتهاد والعمل على تحصيل شروط فقه وفقيه الواقع؛ أي أن يكونوا نوازليين خبراء بالواقع وغائيات أهله، مدركين لتمييز واقعهم، عليمين بتاريخ الإفتاء والتشريع الإسلاميين، ضليعين بعلوم الشرع، ثاقفين عملية الاجتهاد ومستعدين لممارستها ولو أظهروا العكس خوفا من سيف التقليد.

عندئذ ظهرت "الفتوى البحث"، وهي كتابة في النازلة تستقصي جميع جوانبها وتستعرض ما قد قيل فيها وتبين حكمها، والغالب أن تكون في قالب مؤلف نشري صغير، وتتسمى بأسماء عديدة، أكثرها اضطرابا "الرسالة". يقول أحد الباحثين «وقد يطول [البحث في النازلة] تارة ويمتد وتورد فيه النقول والحجج نظرا لما يقتضيه المقام ولما يتسم به صاحبه من قوة في البحث وبسطة في العلم فيكون رسالة أو كتابا»⁽²⁾.

كما قد يضاف بإفتاء النازلة بين العلماء؛ لغرض التزكية والتأكيد أو لغرض النقض والإبطال، فتباين ردودهم حولها؛ ويدلون بآراء متباينة ومتعارضة توسع من مجال البحث وتطور من حجته، في محاورة علمية تنتج عنها "فتاوى بحث" أخريات. كما هي الحال في نوازل ونزاعات مكوس أهل تيشيت⁽³⁾، وأراضي المداح⁽⁴⁾، ونوازل الحبس التي دامت نقاشاتها أكثر من قرن من الزمن⁽⁵⁾.

وهو ما أشار صاحب "منهجية الفتوى" إلى بعضه، قائلا: «وقد يضاف بالفتوى على شخصيات علمية عديدة بغية تحريرها وتوثيقها فيطلعوا عليها ويبدوا مالهم من ملاحظات حولها؛ من تسليم أو اعتراض، قد تأخذ الفتوى من خلاله منعطفًا آخر تقع فيه المحاورة بين هذا العالم وذاك؛ إثر تباين في وجهات النظر»⁽⁶⁾.

ومن أمثلة هذه "الفتاوى البحوث" العديدة نذكر: فتوى الطالب محمد بن المختار بن الأعمش (ت. 1107هـ/1695م) العلوي في معاملة مستغربي الذمة⁽⁷⁾. ورسالة "الجيم" للنوازي محمد بن المختار بن محم بن سعيد اليدالي الديماني (ت. 1166هـ/1753م)⁽⁸⁾. ثم رسائل النوازي سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم (ت. 1233هـ/1817م)؛ كمطالع التنوير في آفاق التطهير؛ المتعلقة بطهورية ماء الغدير المتغرة

(1) - المصطفى بن خطري، فقه الواقع عند النوازليين الشناقطة، بحث نال جائزة شنقيط للعام 2021م، نشر خاص، ص 16.

(2) - الشيخ محمد المختار، دراسة منهجية الفتوى في بلاد شنقيط، مرجع سابق، ص 77.

(3) - نزاع بين مجموعة "ماسنه" من جهة ومجموعتي الشرفاء والزوايا من الجهة الأخرى، حول أراضي تيشيت وحريهما ومغرم ومدارة أهلها (انظر محمد بن سيدي محمد بن حمين، التاريخ القضائي وكبريات النزاعات القضائية في موريتانيا، الإفريقية للطباعة والنشر، انواكشوط 1996م، ص 159).

(4) - انظر يحيى ولد البراء، المجموعة الكبرى، ط 1، 2009م، ص 5148.

(5) - نقاش بين علماء من أجيال متباينة، منهم حرمة بن عبد الجليل (ت. 1243هـ) العلوي، ومحض باب بن اعبيد الديماني (ت. 1277هـ)، ومحمد الأمين بن أحمد زيدان الجكني (ت. 1335هـ/1917م).

(6) - الشيخ محمد المختار، دراسة منهجية الفتوى في بلاد شنقيط، مرجع سابق، ص 79.

(7) - مدونة نوازل ابن الأعمش، مخطوط بحوزة الباحث.

(8) - انظر ابو ولد محمد سهله، فتاوى الشيخ محمد اليدالي، بحث لنيل الإجازة في العلوم الشرعية، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، السنة الجامعية 2006-2007م، ص 59.

أوصافه، وكتحرير المقالة في تحريم "وئكالة"، وكمطية النجح لسامع النصح في تحريم التدخين⁽¹⁾. فضلا عن رسالة طعمية العلك (الصمغ العربي) للنوازي محنض باب بن اعييد الديماني(ت. 1277هـ/1860)⁽²⁾. بالإضافة إلى رسالة النوازي الشيخ سيديا(ت. 1284هـ/1868م) الانتشايي إلى مجموعة إجيبة؛ الميزان القويم والصراط المستقيم، في منع إقامة هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خوفا من الفتنة⁽³⁾. ورسائل النوازي محمد الأمين بن أحمد زيدان(ت. 1335هـ/1917م) في منع إقامة الحد في البلاد السائية، ومنع الحج لأهلها في عهد السيبة، وجواز بيع رقاب الحبس، وقسمها بتا⁽⁴⁾. فضلا عن رسائل النوازيين الشيخ باب بن الشيخ سيديا(ت. 1342هـ/1924م) الانتشايي، والشيخ سعد بوه(ت. 1335هـ/1917م) بن الشيخ محمد فاضل القللمي في الدعوة إلى مهادنة المستعمر الفرنسي ومساعدته على دخوله البلاد السائية⁽⁵⁾. ورسائل النوازيين الشيخ ماء العينين(ت. 1328/1910م) بن الشيخ محمد فاضل القللمي وسيدي محمد بن حبت(ت. 1371هـ/1952م) الغلاوي في الدعوة إلى الجهاد ضد المستعمر ورده.

فمع هذا النوع من المعالجات النوازية أضحت الفتوى النوازية صناعة فقهية تتحرى في تشخيص الوقائع وتكييفها، وفي البحث عن حكمها ودليله؛ فتستحضر النصوص والقواعد الأصولية والفقهية والمنطقية وتوظفها لاستنباط الأحكام العلمية العملية، فانتشر عندئذ الإفتاء النوازي أو فقه النوازل كمادة تشريعية من وحي الواقع، أو قل تحول الإفتاء من إجابات مبسطة إلى بحوث معمقة في نوازل الواقع الشنقيطي وإشكالاته العسية. فما ذا عن متون ذلك الفقه؟

المستوى الثاني: متون فقه النوازل

مع هذا التحول في الإفتاء من إجابات مبسطة كاسئلتها أصلا إلى الفتوى البحث، أو إلى فقه النوازل وإشكالاته العسية التي تتطلب من فقيه الواقع - صاحب المسؤولية والالتزام - خبرة في صناعة الفقه؛ قائمة على ثقاف الوقائع وتمحيصها وتكييفها والبحث في النصوص والكليات الشرعية عن الحلول الأنسب، وجد كم هائل من متون فقه النوازل المنتج محليا بمقاربات وأقلام نوازيين شناقطة، على شكل إفتاءات وأحكام فردية؛ نثرية ونظمية، يتجاوز حجمها عشرات الآلاف⁽⁶⁾، ولا يضاهيه من حيث الحجم والجدية، أي مكتوب للقوم في تراثهم المخطوط، بل ويشكل ربع الموجود عندهم من المخطوطات⁽⁷⁾.

من هنا أدرك العلماء النوازيون المهتمون بشؤون المجتمع درجة النضج والتطور التي وصل إليها فقه النوازل الشنقيطي وفاعليته وإمكانية اعتماده في تحصيل اكتفاء معرفي فقهي يوفر الحلول الأنسب لنوازلهم ويستجيب لحاجيات مجتمعهم إفتاء وقضاء وإقراء فبهوا يجمعون مادته المشتتة وينظمونها

(1) - محمد الأمين بن محمد بيبه، جمع وتحقيق فتاوى العلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم، ط 1، 2002م، صص 87، 271، 329.

(2) - نسخة من مخطوطها بحوزة الباحث.

(3) - المصطفى بن خطري، فقه الواقع عند النوازيين الشناقطة، مرجع سابق، ص 218.

(4) - انظر كلا من:

- يحيى بن محمد بن ابراهيم، معجم المؤلفين في ولايتي لعصابة وتكانت، بحث لنيل الإجازة في العلوم الشرعية، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، السنة الجامعية 2004 - 2005م، ص 58.

- لمرباط بن الطلبة، فتاوى العلامة محمد الأمين بن أحمد زيدان، بحث لنيل الإجازة في العلوم الشرعية والعربية، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، السنة الجامعية 1993 - 1994م، صص 29، 30، 63.

(5) - المصطفى بن خطري، فقه الواقع عند النوازيين الشناقطة، مرجع سابق، ص 305.

(6) - ذكر منها الباحث يحيى ولد البراء، المجموعة الكبرى، مرجع سابق، 6800 نص، ص الغلاف.

(7) - ذكر الباحث بالمعهد الموريتاني للبحث العلمي أحمد بن محمد يحيى أن مخزون البلاد من المخطوطات يصل إلى 40000 مخطوط، وثيقة

فعاليات الملتقى الدولي الأول حول التراث الثقافي الموريتاني، انواكشوط بدءا من 29 نوفمبر 1999، ص 84.

ليتم التيسير والتوفير لها، وليسهل حفظها على أفراد مجتمعهم البدوي المتنقل. فماذا إذاً عن تلك الثروة الهائلة من متون فقه النوازل؟

تلك الثروة الهائلة من فقه النوازل بل ذلك النشاط الذي يركز على جمعها ونظمها وتسهيلها هو ما نود التوقف عنده، لكن المقام يفرض علينا الاقتصار منه على نموذجين فقط هما جمع المدونة وجمع المجمع.

النموذج الأول - جمع المدونة: نعني به جمع فتاوى فقهية أنتجها فقيه نوازي معين؛ ليجيب بها عن مسائل قدمت إليه كاستفتاءات متفرقة، طرحت أحكامها الشرعية إشكالات نوازلية في بيئته، فبحث فيها وأجاب عنها، فُجِّمَتْ إفتاءاته تلك وأُخرجت في شكل مدونة نوازلية منسوبة إليه.

وهذا النوع من الجمع أمثله كثيرة⁽¹⁾؛ بل تكاد تكون بعدد المفتين. وسنقتصر منه على تقديم الأمثلة الثلاثة التالية:

1 - مدونة نوازل محمد المختار بن الأعمش (ت. 1107هـ/1695م) العلوي القاضي المقرئ المؤلف المفتي أبي النوازل الشنقيطية، الذي يذكره ابن الأمين في إطار حديثه عن البحث والتأليف النوازي عند الشناقطة قائلا: «فقد ألف منهم فطاحلة تأليف مفيدة، فمن أقدم من وقفت عليه منهم الطالب محمد بن الأعمش العلوي، فإنه أول من أجاد من أهل تلك البلاد في تصنيف النوازل، وكل من ألف فيها ينقل عنه»⁽²⁾. وقد بلغ تعداد مسائلها مائتين وستا وثمانين نازلة فقهية من صميم الحياة الشنقيطية البدوية، كقوله بضرورة معاملة مستغرقى الذمة تسهلا على الأمة.

2 - مدونة فتاوى الشيخ محمد اليدالي (ت. 1166هـ/1753م)؛ وهي عبارة عن المجموع من فتاواه وهو ست فتاوى تعرض فيها بالبحث والتحصيل للحكم الشرعي في نوازل شكلت ظواهر متميزة في مرحلة معينة من تاريخ مجتمعه الشنقيطي، تدور حول النشوز وإسقاطه الشرط، والضمان من عدمه في الخصام بين صاحب الحيوان وصاحب الحرث، وزكاة مال الخلطة وإن بلانية، وحكم السماع الغناء، والمستند الشرعي لعطلة التعليم المحظري، ففصاحة الجيم غير المنعقدة وحكم قراءة القرآن بها. وقد أبلى الشيخ في بحوث مدونته هذه من حيث اعتماد الأصول واستخدام المصطلحات وسعة النظر ومستوى التمكن الشرعي واللغوي.

وقد جمع هذه الفتاوى الستة وحققها أحد طلاب المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية⁽³⁾.

3 - مدونة نوازل الشريف حمى الله التيشيتي (ت. 1169هـ/1756م)؛ وهي عبارة عن فتاوى نثرية جمعت في حياة صاحبها، واشتهرت في جل الأقاليم الشنقيطية؛ عم النفع بها لصحتها وقبول صاحبها⁽⁴⁾، وقدمها نسبيا. ويتألف منها مما يقارب 275 مسألة في مباحث العقيدة والفقه.

وقد قام الباحث محمد المختار ولد السعد، برعاية من دائرة القضاء بإمارة أبوظبي، بتحقيقها تحقيقا جيدا، وصدرت طبعتها الأولى عن دار القلم والنشر، للعام 1431هـ/2010م.

النموذج الثاني - جمع المجمع: إن كان جمع المدونة هو عبارة عن جمع وترتيب أحد الفقهاء إفتاءات غيره، فإن جمع المجمع هو جمع للمدونات؛ أي أنه مصنف يقوم صاحبه بتأليفه؛ فيقدمه ويجمع به عدة مدونات وربما شتات مسائل أخرى سدا لفراغ معرفي ومساهمة منه في رفع تحدي الجهل؛

(1) - ذكر منها الباحث محمد المختار ولد السعد في الصفحة 42 من كتابه الفتاوى والتاريخ اثنتين وثمانين مدونة، علما أنه يساوي بين المدونة والمجمع.

(2) - أحمد بن الأمين، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مكتبة الخنجي، القاهرة، 1989م، ص 578.

(3) - هو البو بن محمد سهلة الذي جمعها وحققها تحت عنوان فتاوى الشيخ محمد اليدالي كبحث لنيل الإجازة (المتريز) في الدراسات الإسلامية، من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية بانواكشوط، السنة الجامعية 2006-2007م.

(4) - البارتي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء تكملة، مرجع سابق، ص 89.

فيوفر المؤلف بذلك العمل مرجعا فقهيا يعتمد عليه في الإفتاء والقضاء والإقراء (برامج ومقررات المحاظرا)، ذاكرا كل ذلك في مقدمته لمجمعه.

وسنقتصر في تقديمنا لتلك المجامع العديدة على ثلاثة أمثلة هي: مجمع النعم النوازل، مجموع النوازل، مجمع القصري.

1 - مجمع النعم النوازل: صاحب هذا المجمع هو العلامة عبد الله بن الحاج أحمد حمه الله الغلاوي (ت. 1209هـ/1794م). واختيار العنوان منا وإن كان من ملفوظات المؤلف الناظم كما سنرى لاحقا، وهو عبارة عن جمع وترتيب ثلاث مدونات نوازلية منشورة أصلا، جمعها المؤلف وعقدها بنظم وصل تعداده إلى ألفي (2000) بيت. وهو أقدم مجمع نوازلي في تاريخ النوازل الفقهية الشنقيطية. وقد استهله صاحبه بتقديم نفسه ومقصده قائلا:

يقول عبد الله وهو ابن حمه لا زال في ذمته وفي حمه
الحمد لله مجيب السائل ناظم نثر النعم النوازل

ثم حدد هدف وموضوع عمله في جمع ونظم ما أفتى به الشيوخ الثلاثة في نوازلهم المنشورة: ابن الأعمش العلوي، والشريف حمى الله التيشيتي، ومحمد بن محمد الورزازي (المغربي)، قائلا:

وبعد فالقصد بذا جمعي لما نظمت من فتوى شيوخ العما
الأعمشي والشريف الحموي وحبرو ورزاز وأعلى علوي

مذكرا بالمنهج الذي سلك في النظم وهو أنه يكتفي بالحاصل من السؤال وجوابه، دون ذكر كل منهما، وذلك من باب الاختصار والاقتصار على الأهم حيث يقول:

مكتفيا بالحاصل الصواب من السؤال أو من الجواب

وأنه اعتمد في تبويبه ترتيب مختصر الشيخ خليل، قائلا:

حذوت في ترتيبه المختصرا مبشرا ضيفي بتعجيل القرى

ليبين بعد ذلك مبرراته لنظم منشور هذه النوازل، وذلك بما يلحظ من سهولة حفظ النظم واشتياق النفس لتلقيه وتقبل العقول له عكس النثر، حيث يقول:

والنثر للنظام لا يوازي أما سمعت بيتي ابن غازي
وإنما رغبت في النظام لأنه أحظى لدى المرامي
فهو الذي تصغي له العقول وسيف من حصله مصقول
وطالب نثرا فلما دحرجه لم يدر هل أدخله أو أخرجه
والنظم يدخل بلا استئذان في القلب إن فتحت الأذنان

وهو في هذا التبرير ينهج نهج غيره من أصحاب الأنظمة الفقهية، وإن كانت ظروف مجتمعه البدوي خير مبرر له. وما يزال هذا المجمع غير محقق.

2 - مجموع النوازل: هذا المجمع للعلامة عبد الرحمن (انبوي) بن محمد بن الطالب عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الولي المحجوبي الولاتي (ت. 1221هـ/1806م)، وعنوانه من وضع المؤلف، وهو دال

دلالة دقيقة على مادته لأنها جمع لمدونات نوازلية، علماً أنه يعرف في أوساط المحاظر والفقهاء الشناقطة بمجموع انبويه.

ويضم هذا المجمع تسع مدونات فقهية لتسعة فقهاء نوازليين، اثنان منهم مغربيان، وسبعة شناقطة. وقد رمز المؤلف لكل واحد من هؤلاء بحرفين من اسمه، وهم كما رتبهم حسب الوفاة: إبراهيم بن هلال بن علي بن إسحاق الصنهاجي نسباً، السجلماسي وطناً، المالكي مذهباً (ت. 903هـ/1494م)⁽¹⁾. محمد بن أبي بكر بن الطالب الوافي بن الهاشم الغلاوي السيداوي الشنقيطي المولد والنشأة، الولاقي الموطن (ت. 1098هـ/1668م)⁽²⁾. محمد بن المختار بن الأعمش، صاحب المدونة الأولى. الحاج الحسن بن أغبدي الزيدي (ت. 1123هـ/1711م)⁽³⁾. أحمد بن الفاضل الشريف التيشيتي (ت. 1153هـ/1740م)⁽⁴⁾. سيدي حبيب الله بن المختار بن محمد بن سيدي أحمد بن المتغبر بن سيدي محمد الكنتي بن سيدي أحمد البكاي بن سيدي محمد الكنتي الواداني (ت. 1155هـ/1742م)⁽⁵⁾. الشريف سيدي محمد بن فاضل الشريف (ت. 1160هـ/1747م)⁽⁶⁾. محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن الدليمي أصلاً، الورزازي منشأً، الدرعي وسطاً وداراً (ت. 1166هـ/1753م)⁽⁷⁾. الشريف حمى الله التيشيتي (ت. 1169هـ/1756م) العالم العدل الحجة الجامع بين علوم المعقول والمنقول⁽⁸⁾. وقد جمع العلامة انبويه مدونات هؤلاء الأعلام في مجمع فقهي واحد حيث اختزلها فيما يزيد قليلاً عن 1200 نازلة أو فتوى تفي بالمضمون الكلي لمجموع تلك النوازل، ورتبها حسب الترتيب المعروف عند المدرسة الفقهية الخليلية⁽⁹⁾. وقد فرغ المؤلف من مجموعه هذا عام 1214هـ حسب ما ذهب إليه صاحب "نظرة تاريخية على مجموع النوازل"⁽¹⁰⁾.

ومنذ ذلك التاريخ ومجموع النوازل هذا يفرض حضوره على الساحة العلمية الشنقيطية، ولا غرابة فهو يمثل خلاصة آراء أشهر العلماء النوازليين الشناقطة في تلك الفترة الممتدة من منتصف القرن 11هـ إلى أواخر القرن 12هـ وإن كان هؤلاء محصورين في نواح محددة من المجال الشنقيطي هي مدن مسالك القوافل.

3 - مجمع القصري بن محمد: صاحب هذا المجمع هو أحد أبرز أئمة الفتوى في بلاد شنقيط القصري بن محمد بن المختار بن عثمان بن القصري الإيدلي، المشهور بالقصري (ت. 1235هـ/1820م). وصفه معاصره البرتلي بالمتبصر في الإفتاء والقضاء، ووصف نوازل وأحكامه بصفتي النفع والإفادة، قائلاً «انتفع الناس بعلمه، يقضي بين الناس ويفتي، له بصيرة بالحكم والفتوى، وله نوازل مفيدة نافعة»⁽¹¹⁾.

(1). انظر خير الدين الزركلي، معجم التراجم، ج 1، ص 778، ومحمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ص 269.

(2). انظر البرتلي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء تكور، مرجع سابق، ص 114-115.

(3). البرتلي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكور، مرجع سابق، ص 87-88.

(4). البرتلي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكور، مرجع سابق، ص 47-48.

(5). البرتلي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكور، مرجع سابق، ص 89.

(6). البرتلي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكور، مرجع سابق، ص 124-125.

(7). د. الحسن العبادي، فقه النوازل في سوس، جامعة القرويين، كلية الشريعة بأكادير، 1420هـ، ص 90.

(8). البرتلي، فتح الشكور، مرجع سابق، ص 89.

(9). الوجه الأول من الورقة الأولى من مخطوط مجموع النوازل.

(10). محمد الأمين بن انه، نظرة تاريخية على مجموع النوازل، بحث لنيل الإجازة في التاريخ، كلية للآداب والعلوم الإنسانية بجامعة انواكشوط، السنة الجامعية 1999م، ص 24.

(11). البرتلي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكور، مرجع سابق، ص 207.

أما عن المجمع نفسه «فيعتبر واحدا من أكبر المجامع الإفتائية في هذه البلاد وأكثرها»⁽¹⁾. فقد وصلت صفحات نسخة مخطوطه - المسجلة بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية - إلى ألف وستمئة وأربع صفحات من الورق المتوسط. كما علق أحد الباحثين على هذه الضخامة، معددا نوازلها، بقوله «تعد مجموعة القصري الإفتائية من أضخم ما دون في موضوع الفتوى بموريتانيا؛ حيث ناهزت مسائلها الثلاثة آلاف مسألة»⁽²⁾.

ويستفاد من تقديم القصري لمجمعه هذا إحساسه القوي بل وإدراكه أنه يؤلف كتابا مهما في صناعة الفقه، جمع فيه شتاته ومسائله خاصة المتعلقة منها بمجتمع البداوة الشنقيطي، وهذبه ورتبه في صياغة موحدة، طبقا لمنهاج وترتيب الشيخ خليل بن إسحاق في مختصره، مستخدما اصطلاحات خاصة في اختصار أسماء العلماء والفقهاء ومؤلفاتهم التي يحيل إليها بحرف أو حرفين، حيث يقول في ذلك التقديم «الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإيمان والإسلام (...)»، وبعد يقول القصري بن محمد بن المختار بن عثمان بن القصري الإيدلي نسباً، الولاتي منشأ ووطناً، (...)، لما [كان] جمع المسائل وترتيبها أنفع وأوصل للإفادة، أردت جمع مسائل وردت [إلي] وما أجبته به فيها، وقد زدت فيها ما لم يسألني عنه أحد للإفادة، ليحصل بها النفع إن شاء الله تعالى، واخترت أن يكون ذلك على طبق ترتيب مختصر الشيخ خليل لكون ذلك أسهل في تحصيل المراد وأيسر في الكشف عما يراد، وأقدم على ذلك مقدمة أجمع فيها أشياء ليست على منوال، راجيا من الله المأمول، طالبا منه بلوغ المأمول، إنه قريب مجيب، عليه توكلت وإليه أنيب. وأرمز شراح خليل للاختصار بما كيفيته، "طخ" للطخيخي، و"حم" للشيخ سيد أحمد...».

وعلاوة على هذين النموذجين وأمثلهما من اعتناء الفقهاء الشناقطة بجمع وترتيب فقه نوازلهم فقد اعتنوا بنظم الإفتاء تسهيلا للحفظ؛ إذ نظم العديد من هؤلاء الكثير من الفتاوى والمدونات والمجامع؛ ويكفي مثالا على ذلك أن المجمع الأول من هذه المجامع هو ومجمع الفردوس⁽³⁾ كانا أرجوزتين وصل مجموعهما إلى 14000 بيت، وأن نوازل ابن الحاج إبراهيم نظمها أكثر من واحد؛ إذ نظمها كل من الشيخ محمد العاقب بن مايابى، والعلامة الشيخ أحمدو ولد الشيخ محمد الحافظ، ونظم بعضها كل من العلامة اجدود بن اكتوشني العلوي والعلامة عثمان بن محمد يحيى بن سليمة اليونسي (ت. 1337هـ/1918م).

خاتمة

إذا كنا قد استطعنا أن نقرب للقارئ متى وأنى وكيف بدأت عمليات الإفتاء بالمجال الشنقيطي، وكيف تطورت من إفتات محدودة في الكم والأهداف، بسيطة في الأسلوب غير معنية بالدليل إلى بحوث في مقارعة نوازل البداوة والتسيب وإشكالاتها المستعصية، بحثا عن الأدلة النقلية والعقلية، وسعيا لتلبية الحاجات المجتمع، فإن الدارس لموضوع فقه النوازل بالمجال الشنقيطي أو لتاريخه أول ما يلفت انتباهه، في ذلك التطور، هو غزارة مادة هذا الفقه وتعدد أشكالها وقوالب تجلياتها استفتاء وإفتاء (رسائل، كتب، مدونات، ومجامع).

ويندهش عند ما يقارن هذا الوفور المكتوب في فقه النوازل بما كتبه القوم في المجالات الأخرى، ويندهش أكثر من ذلك عندما يطلع على أعداد النوازليين، ومستوى اهتمامهم بواقعهم المحكوم بإكراهات البداوة والتسيب، والذي لم

(1) - د. محمد الأمين ولد سيدي المختار، التركيبات الاجتماعية في الفضاء الشنقيطي، أطروحة الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة تونس، 2003، ص 128.

(2) - د. محمد الحسن بن عبيدي، النزعة الاجتهادية في الفتاوى الموريتانية، أطروحة الدكتوراه، المعهد الأعلى لأصول الدين بجامعة الزيتونة، السنة الجامعية 2003، ص 128.

(3) مجمع فقهي للعلامة إبراهيم بن أمانة الله (ت. 1380هـ) منظوم، بلغ تعداد أبياته 12000 بيت.

يترك لهم فرصة الاختيار بين الاجتهاد والتقليد، بل فرض عليهم التفكير الجاد والسعي لإيجاد الحلول الشرعية الأنسب لمشكلات الواقع، فاجتهد الكل رافعا راية التقليد، وسعى إلى أن يتم الاستغناء بهذا الفقه عن غيره، وأن تحكم الثقافة العالمية ونخبها هذا الصقع الذي لم تحكمه - في أغلب فتراته - سلطة مركزية سياسية تسهر على أمنه وتحفظ مصالح مجتمعاته.

ولئن كانت المحظرة الشنقيطية هي السبيل والأداة لأخذ مبادئ وتعاليم تلك الثقافة نظريا فإن فقه النوازل هو حقل تطبيقها وتقدير مستويات تنفيذ أحكامها حسب معطيات الواقع.

وإذا كنا في العرض قد ركزنا على الجانب التاريخي أكثر من المضمون الشرعي - لضيق المقام - فإن هؤلاء النوازليين قد أبلوا بلاء حسنا عندما احتكموا إلى الواقع في اجتهداتهم النوازلية فاعتبروا - مثلا - الماء المتغيرة أوصافه، عند انعدام الغير، طهورا مطلقا، وأسقطوا فريضة الحج عن أهل البلاد الشنقيطية السائبة، ومنعوا القصاص وكيفوا القتل العمد قتل خطأ، وقيدوا عمل المحتسب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) خشية الفتنة، وأوجبوا الالتزام للنظام القبلي، والدفاع عن النفس والمال بالمغرم والمدارة، وطلبوا البحث عن الأمن والسلم بالاحتكام إلى الأعراف والتقاليد، فشكّلوا بذلك إضافة جديدة في فروع مذهبهم المالكي إن لم نقل مالكية شنقيطية خاصة بضرورتهم وأحوالهم وظروفهم الاستثنائية، ووفروا الأمن والاستقرار لمجتمعهم، والاستمرار لديانتهم السماوية.

والحقيقة أن مراحل نشأة هذا الفقه وتطوره ومحاولات الاعتماد عليه والاكتفاء به عن غيره من الأقوال والكتب الفقهية ما هي إلا مراحل تاريخ بحث هؤلاء النوازليين عن صيانة هويتهم الإسلامية ومحاولة صياغة مشروع مجتمعهم الشنقيطي الساعي إلى أن يحكم هذا الصقع بشرع الله. فهل انتبه باحثوا البلاد السائبة إلى هذا الجانب من تاريخهم الثقافي وثقافتهم العالمية؟ وهل بالإمكان بناء مستقبل فكري وعلمي دون أن نعرف هؤلاء وأن نلم بما خلفوه لنا من تراث قيم؟ إنهم ما زالوا كالمجهولين.

قائمة المصادر والمراجع

مرتبة ألفبائيا وموزعة إلى مجموعتين هي الكتب المطبوعة والأعمال الأكاديمية

أولا - الكتب المطبوعة:

- 1 - الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1401هـ/1981م.
- 2 - ابن فارس معجم مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1420هـ.
- 3 - ابن منظور، "لسان العرب"، دار صادر بيروت، ط 3، 1420هـ.
- 4 - أحمد بن الأمين، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مكتبة الخنجي، القاهرة، 1989م.
- 5 - أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، 1429هـ.
- 6 - الأصفهاني، "بيان المختصر" (شرح مختصر ابن الحاجب)، تحقيق الدكتور محمد مظهر بقاء، دار المدني - جدة، ط 1، 1406هـ.
- 7 - البرتلي، فتح الشكور في معرفة أعيان التكور، دار الغرب الإسلامي، 1981م.
- 8 - خير الدين الزركلي، الأعلام (معجم التراجم)، دار العلم للملايين، 2002م.
- 9 - محمد الأمين بن محمد بيبه، تحقيق فتاوى العلامة سيدي عبد الله، ط 1، 2002م.
- 10 - محمد بن سيدي محمد بن حمين، التاريخ القضائي وكبريات النزاعات القضائية في موريتانيا، الإفريقية للطباعة والنشر، انواكشوط 1996م.
- 11 - محمد المختار ولد السعد، الفتاوى والتاريخ، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 2000م.
- 12 - محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، عدة طباعات.
- 13 - مصطفى أحمد الزرقا، الفقه الإسلامي ومدارسه، دار القلم بدمشق، ط 1، 1416هـ.

- 14 - مصطفى بن خطري، فقه الواقع عند النوازليين الشناقطة، بحث مقدم لنيل جائزة شنقيط، نشر خاص، انواكشوط، 2021م.
- 15 - يحيى ولد البراء، المجموعة الكبرى، انواكشوط، 2009م.

ثانيا - الأعمال الأكاديمية

- 16 - البو ولد محمد سهله، فتاوي الشيخ محمد اليدالي، بحث لنيل الإجازة في العلوم الشرعية، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، السنة الجامعية 2006 - 2007م.
- 17 - الشيخ محمد المختار، دراسة منهجية الفتوى في بلاد شنقيط، بحث لنيل الإجازة في العلوم الشرعية والعربية، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، انواكشوط، السنة الجامعية 1997.
- 18 - لمرباط بن الطلبة، فتاوى العلامة محمد الأمين بن أحمد زيدان، بحث لنيل الإجازة في العلوم الشرعية والعربية، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، السنة الجامعية 1993 - 1994م.
- 19 - لمرباط بن النح، تحقيق أجوبة ابن متالي التي جمعها تلميذه الطبيب أوفى، بحث لنيل شهادة الإجازة في العلوم الشرعية، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، انواكشوط، السنة الجامعية 1987.
- 20 - محمد الأمين ولد سيدي المختار، التركيبات الاجتماعية في الفضاء الشنقيطي، أطروحة الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة تونس، 2003.
- 21 - محمد الحسن بن اعبيدي، النزعة الاجتهادية في الفتاوى الموريتانية، المعهد الأعلى لأصول الدين بجامعة الزيتونة، السنة الجامعية 2003 - 2004.
- 22 - المصطفى بن خطري، ملامح الرؤية الاصلاحية عند محمد يحيى الولاتي، مقال منشور بأعمال الندوة الدولية العلمية المنظمة تحت عنوان "محمد يحيى الولاتي عالم التجديد والتواصل، من 20 إلى 22 ديسمبر 2012م، منشورات مركز البحوث والدراسات الولاتي.
- 23 - يحيى بن محمد بن احريمو، معجم المؤلفين في ولايتي لعصابة وتكانت، بحث لنيل الإجازة في العلوم الشرعية، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، السنة الجامعية 2004 - 2005م.

نوازل فقهية في أحكام الميت

محمد محمود ولد بلال

أستاذ بالجامعة الإسلامية بليون

الكلمات المفتاحية: النوازل - الفقه - الأحكام - الميت - أحكام الميت.

الحمد لله رب الأرض والسماء، خالق الإنسان من طين وماء، الجاعل مصادر أرزاق الخلائق منبعها من السماء، والصلاة والسلام على خير المرسلين وإمام الأنبياء، وسيد من نزل عليه الوحي من السماء، وعلى آله الأنقياء، وصحبه الأتقياء، ومن تبعهم من المؤمنين النجباء، وبعد:

فما أحوج إنسان العصر عموماً، والمسلم بوجه خاص، إلى معرفة الحلال فيتبعه، ومعرفة الحرام فيجتنبه، والحلال والحرام إنما هما بنظر الشرع؛ المنزل من خالق الكون والحياة، ومدبر أمر الإنسان، وهاديه إلى ما فيه صلاحه وخيره، وسعادته وأمنه، في الدنيا والآخرة.

وقد اقتضت حكمة الله سبحانه في خلق الإنسان أن جعله يمر بمراحل تبدأ بحياته الدنيوية التي هي محل الابتلاء، ولعمل الإنسان يرجع مآله ومستقره الأخروي، وقد جعله مسئولاً فيها عن تصرفاته كافة ومجزي عليها إن خيراً فخير وإن شراً فشر؛ من هنا كان حتماً على الإنسان واجب البحث عن الحكم التكليفي النازل به، وواجب على حملة الشرع المطهر مقتضى البيان، وهو ما قام به الأئمة في سالف الأزمنة، واستمر نهجهم في البيان مع تجدد النوازل عبر كل عصر من العصور، وفي عصرنا هذا حدثت أمور متشعبة وتجددت نوازل متعددة تحتاج البحث والتدقيق بغية الوصول إلى الحكم الشرعي، وهو ما سنعرض له إن شاء الله في بحث الفقهاء المعاصرين لمجموعة من النوازل وبيان الأقوال الواردة فيها، وقد خصص هذا البحث لجملة من النوازل المتعلقة بأحكام الميت، وذلك في مبحثين يحوي كل واحد منهما ثلاثة من المطالب.

تمهيد

الموت برزخ بين مرحلتين: مرحلة الدنيا الفانية، ومرحلة الآخرة الخالدة، والدنيا مزرعة للآخرة، فمن عمل صالحاً في دنياه، نجا من سوء الحساب والعذاب في الآخرة، وكان من الخالدين في جنات الله، ومن عمل سوءاً كان من المعذبين في نار جهنم إلا أن يعفو الله عنه.

والموت انتقال من عالم لآخر، وليس فناء، وإنما هو مفارقة الروح للبدن، والروح عند جمهور المتكلمين: جسم لطيف مشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الأخضر، وهو باق لا يفنى عند أهل السنة. وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾⁽¹⁾ تقديره عند موت أجسادها.

والمستحب لكل إنسان ذكر الموت والاستعداد له، لقوله صلى الله عليه وسلم: «أكثرُوا من ذكرها ذم الذات»⁽²⁾ يعني الموت، والهازم: القاطع. زاد البيهقي والنسائي: «فإنه ما ذكر في كثير إلا قلله، ولا قليل إلا كثره» أي كثير من الدنيا، وقليل من العمل. ولحديث ابن مسعود: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: استحيوا من الله حق الحياء، قالوا: نستحي يا نبي الله، والحمد لله، قال: ليس كذلك، ولكن من استحيا من الله حق الحياء، فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلوى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، ومن فعل ذلك، فقد استحيا من الله حق الحياء»⁽³⁾.

(1) - الزمر: 42/39

(2) -

(3) - أخرجه الترمذي برقم: 2458

والاستعداد للموت: بالخروج من المظالم، والتوبة من المعاصي، والإقبال على الطاعات، لقوله تعالى: {فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً} (1) ولما روى البراء بن عازب أن النبي صلى الله عليه وسلم أبصر جماعة يحفرون قبراً، فبكى حتى بلّ الثرى بدموعه، وقال: «إخواني لمثل هذا فأعدوا» (2) أي تأهبوا واتخذوا له عُدّة، وهي ما يعد للحوادث.

المبحث الأول: نوازل ما قبل الدفن:

المطلب الأول: حجز جثة الميت في الديون:

قد يعالج شخص مريض في مستشفى تجاري وبعد حصول الوفاة يبقى مطلوباً بشيء من الحقوق المالية فتقوم بعض المستشفيات بحجز الجثة ولا تقبل بتسليم الجثة لأقارب الميت إلا بعد أن يسدد ما عليه من المبالغ المالية. والذي يظهر في ذلك أن حجز جثة الميت عمل ممنوع والدليل على ذلك: أن الأصل هو الإسراع والمبادرة بتجهيز الميت وتغسيله وتكفينه ففي الحجز تعطيل لهذه السنة. ولهذا ورد في الطبراني في الكبير وحسنه الحافظ بن حجر حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "إذا مات أحدكم فلا تحبسوه وأسرعوا به إلى قبره" (3). وأيضاً حديث أبي هريرة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "أسرعوا بالجنزة فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه، وإن تكون سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم" (4). أما بالنسبة لديون المستشفى فلا تخلوا من ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يكون الميت دخل بضمان أي كفله شخص فليس هناك داع لحبس جثة الميت وإنما الضامن هو الذي يقوم بتسديد المبلغ الذي عليه ثم بعد ذلك يرجع على التركة. الحالة الثانية: أن يكون الميت معسراً ليس عنده شيء، فقد فسدت ذمته بالموت، فليس هناك مسوغ شرعي لحبس جثة الميت لأنه ليس عنده شيء وورثته لا يجب عليهم أن يسددوا الديون إلا من ماله إن كان موجوداً ولا يطالب الورثة بذلك لقوله تعالى: {وَلَا تَزِرْ وَزِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}. الحالة الثالثة: أن يكون موسراً له تركة، فإن حقه يتعلق بمال الميت في التركة ولا يتعلق ببدن ولا بجثة الميت، فصاحب المستشفى كسائر من له دين على هذا الميت يرجع على التركة ويأخذ حقه من تركته كما قال الله عز وجل: (من بعد وصية يوصي بها أو دين) ، فتقدم الديون والوصايا ثم بعد ذلك إن بقي شيء فيكون للورثة.

المطلب الثاني: تشريح جثة الميت:

علم التشريح: هو علم يبحث في كيفية أجزاء بدن الميت وتركيبها من العروق والأعصاب والغضاريف والعظام واللحم وغير ذلك من أحوال كل عضو. وقد تكلم عنه الفقهاء قديماً بل إن بعض علماء الإسلام ألفوا مؤلفات في علم التشريح وبنوا عليه مثلاً مسألة الاكتحال في رمضان: أنه مفطر لأن أهل التشريح يقولون بين العين وبين الحلق منفذ. وأيضاً بنوا عليه مسألة طهارة المني، والعلماء المعاصرون تحدثوا عن أسباب تشريح الجثة التي يمكن اعتبارها مسوغات له: أولاً: سبب التعليم: إذ يتدرب عليه طلاب كليات الطب البشري، فتشرح الجثة لكي يتعلم الطلبة عليها وينظرون إلى الأعضاء. ثانياً: التشريح الجنائي: وذلك لمعرفة سبب وفاة المريض هل سبب وفاته سبب طبيعي أو أن سبب وفاته سبب غير طبيعي ناتج عن اعتداء إما خنق وإما ضرب وإما سم أو غير ذلك.

(1) - الكهف: 110/18

(2) - أخرجه ابن ماجه برقم: 4185

(3) - أخرجه الطبراني، رقم: 13613

(4) - متفق عليه

ثالثاً: التشريح المرضي: وهو الكشف عن سبب الوفاة عموماً لماذا مات هذا الشخص، لكي يعرف من خلاله سبب وفاة شخص ما للكشف عن العلل والأسقام التي أدت لوفاة لكي يتخذ أسباب الوقاية منها بعد ذلك مستقبلاً. هذه أقسام التشريح، وقد اختلف فيها العلماء رحمهم الله:

القسم الأول: التشريح لأجل التعلم:

هذا موضع خلاف فالعلماء رحمهم الله لهم في ذلك ثلاثة آراء: الجواز مطلقاً، المنع مطلقاً، التفصيل في هذه المسألة. الرأي الأول: الجواز مطلقاً. هذا صدر به قرار مجمع الفقه الإسلامي بمكة في دورته العاشرة اختار قول من قال بالجواز وأنه لا بأس لطلاب الطب البشري أن يزاولوا مثل هذه المهن وتشرح لهم مثل هذه الجثث. واستدلوا على ذلك بعدة أدلة:

إذا تعارضت مصلحتان تقدم أعلى المصلحتين، والتعارض هنا بين المصلحة العامة والخاصة. كذلك أيضاً إذا تعارضت مفسدتان فإنه ترتكب أدنى المفسدتين، فتشريحه مفسدة والجهل بأحكام علم الطب مفسدة عامة فترتكب أدنى المفسدتين.

ويمكن تخريج ذلك على بعض الفروع الفقهية المعروفة قديماً، من ذلك:

قولهم: لا بأس أن يشق بطن الميت الحامل لكي يخرج الحمل إذا كان هذا الحمل ترجى حياته.

وقولهم أيضاً: إن الميت لو كان في بطنه مال مغصوب فإنه لا بأس أن يشق بطنه ليستخرج هذا المال المغصوب.

كذلك أيضاً قولهم: إنه يجوز في حالة الاضطرار أكل بدن الميت فكذلك أيضاً هذا التشريح فإنه يجوز⁽¹⁾.

الرأي الثاني: المنع مطلقاً وأنه لا يجوز، واستدلوا على ذلك بأدلة:

قول الله - عز وجل - {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً} (2).

حديث عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "كسر عظم الميت ككسره حياً" (3).

أن العلماء مجمعون على أن الخصاء محرم، وأن الشارع نهى عن المثلة والتهبة كما في حديث قتادة - رضي الله عنه

- أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى عن التهبة والمثلة (4).

والرأي الثالث: التفصيل في هذه المسألة أنه يجوز تشريح جثة الكافر لغرض التعلم وأما المسلم فلا يجوز تشريح جثته، وهذا القول هو الذي صدرت به قرار هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية رقم (47)، واستدلوا على ذلك بأدلة:

- أن الله - عز وجل - قال في حق الكافر: {وَمَن يَهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} (5)، فكرامة الكافر ليست ككرامة المسلم فهي أخف وحرمة ليست كحرمة المسلم، فقالوا بأن هذا يسوغ تشريح جثة الكافر دون المسلم للحاجة والضرورة.

- أن جثة الكافر يمكن الحصول عليها ويجوز شراء هذه الجثث بأرخص الأسعار للضرورة لأن الكفار لا يحترمون أبدانهم وجثثهم كما يحترم المسلمون جثة المسلم الذي امتثل أمر الله وأمر رسوله - صلى الله عليه وسلم - ولهذا في كثير بلدان أهل الكفر يحرقون جثث موتاهم ومنهم من يلقيها في البحر ليتخلص منها. وذكروا الجواز ذلك شروطاً:

- أن يكون التشريح بقدر الحاجة، فإذا احتجنا أن نشرح اليد فلا نشرح بقية الجسم القدم أو احتجنا أن نشرح الرأس فلا نشرح بقية الجسم فمثلاً الطلاب الذين يدرسون طب العيون بحاجة إلى تشريح العين وليسوا بحاجة إلى القدم أو الرجل فالتشريح يكون بقدر الحاجة أو الذين يدرسون في تخصص القلب يشرحون القلوب فقد يحتاجون إلى شيء آخر لكن إذا كانوا لا يحتاجون إلى شيء آخر فالضرورة تقدر بقدرها.

- أن تشريح جثث النساء يكون من قبل النساء وأما تشريح جثث الرجال فإنه يكون من قبل الرجال.

(1) - التاج الإكليل د: 3 ص: 76-77

(2) - سورة الإسراء

(3) - سنن أبي داود، رقم: 3207

(4) - صحيح البخاري، رقم: 5516

(5) -

- أن هذه الأجزاء تدفن بعد تشريحها.

القسم الثاني: التشريح الجنائي أو التشريح من أجل التحقيق الجنائي:

جمهور المعاصرين أن التشريح الجنائي جائز وقد يكون واجباً وقد أخذ به مجمع الفقه الإسلامي في مكة المكرمة وكذلك أيضاً هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية⁽¹⁾

وكذلك أيضاً دار الفتيا المصرية، لأن التشريح الجنائي يترتب عليه مصالح عظيمة والمصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة وترتكب أدنى المفسدتين لدفع أعلاهما، فمصلحة الميت تقتضي أن لا تشرح جثته لكن المصلحة العامة وهي مصلحة المجتمع تقتضي أن تشرح الجثة.

ومن المصالح التي تترتب على تشريح الجثة في التشريح الجنائي:

1 - صيانة حكم القاضي من الخطأ، لأن القاضي إذا لم تشرح هذه الجثة قد يخطئ في الحكم لعدم وجود الدليل على أن الموت كان طبيعياً أو وقوع الموت بسبب اعتداء على هذا الشخص ، فمع التشريح يهتدي القاضي إلى إصابة الحق.

2 - صيانة حق المتهم ، قد يكون هناك شخص يتهم بقتل صاحب الجثة فيحتاج إلى تشريح جثته هل موته كان طبيعياً أو كان غير طبيعي.

3 - صيانة حق المجتمع وذلك بتحقيق الأمن.

وهذا التشريح الجنائي اشترط العلماء رحمهم الله له شروطاً:

الشرط الأول: أن يكون هناك متهم يتهم بالاعتداء على شخص وقتله ، فإن لم يكن هناك متهم فلا حاجة إلى التشريح.

الشرط الثاني: قيام الضرورة للتشريح هذه الجثة وذلك لضعف الأدلة الجنائية ، لأن الأصل في التشريح أنه محرم ولا يجوز لما في ذلك من انتهاك هذه الحرمة ولما في ذلك من التمثيل .

الشرط الثالث: إذن القاضي الشرعي.

الشرط الرابع: أن يكون هناك طبيب ماهر يتمكن من معرفة ما يتبين حال الجناية.

الشرط الخامس: أن لا يسقط الورثة حقهم فلو أن الورثة أسقطوا حقهم من المطالبة بدم الجاني فإنه لا فائدة من التشريح حينئذ.

القسم الثالث: التشريح المرضي وذلك أن يشرح الميت لكي ينظر ما هي الأسباب والعلل التي أدت إلى موته، ويترتب على ذلك أنه تتخذ الأدوية والعلاجات والوقايات من هذا المرض.

هذا التشريح المرضي موضع خلاف بين أهل العلم رحمهم الله:

والصحيح في هذه المسألة أنه يجوز عند وجود الغرض الصحيح فلا بد أن يكون هناك سبب أو غرض صحيح يدفع إلى جواز التشريح، كأن يصاب هذا الشخص بمرض ، وهذا المرض يخشى تعديه على المجتمع لكونه مرضاً حاداً طارئاً لم تتخذ له العلاجات والوقايات.

والعلة في ذلك أن المصلحة العامة تقدم على المصلحة الخاصة فتقدم أعلى المصلحتين على أدناها وترتكب أدنى المفسدتين لدفع أعلاهما ، وذلك أن تحصين المجتمع من الأمراض ووقايته منها هذه مصلحة عامة وحرمة الميت مصلحة خاصة فتقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة.

والعلماء المعاصرون جوزوا التشريح الجنائي حتى بعد موت الميت ودفنه لما يترتب على ذلك من المصلحة العظيمة التي تقدم على مصلحة حرمة الميت وحرمة انتهاكه بعد دفنه لكن التشريح من أجل التعلم هذا لا يجوز بعد دفن الميت وكذلك أيضاً التشريح المرضي أيضاً لا يجوز.

وقد ذكر العلماء رحمهم الله أن نبش القبر يجوز في مواضع منها:

الموضع الأول: إذا دفن الميت بلا تغسيل فجمهور أهل العلم قالوا يجوز أن ينبش القبر ثم يغسل الميت ما لم يتغير الميت كما لو تغيرت حالته أو تفسخ ونحو ذلك فإنه لا ينبش في هذه الحالة.

الموضع الثاني: إذا دفن إلى غير القبلة فالشافعية والحنابلة قالوا بأنه لا بأس أن ينبش من قبره ويدفن إلى القبلة.

الموضع الثالث: لو دفن قبل الصلاة عليه، فالحنابلة والمالكية قالوا لا بأس أن ينبش وأن يصلى عليه.

قال الدردير: (وتدورك) ندبا (إن خولف بالحضرة) وهي عدم تسوية التراب، ومثل للمخالفة بقوله (كتنكيس رجلية) موضع رأسه أو غير مقبل أو على ظهر وشبهه في مطلق التدارك قوله (وكترك الغسل) أو الصلاة عليه (ودفن من أسلم بمقبرة الكفار) فيتدارك (إن لم يخف) عليه (التغير) تحقيقاً أو ظناً⁽¹⁾

المطلب الثالث: نقل الأعضاء:

وقع خلاف كبير بين العلماء في هذه المسألة بين المجيزين لها والممانعين منها، واستدل كل فريق بوجوه عديدة من الاستدلال، وسنكتفي من ذلك برأي مجمع الفقه الإسلامي في المسألة.

فقد أصدر مجلس مجمع الفقه الإسلامي في دورة مؤتمره الرابع بجدة لعام 1408 هـ قراراً جاء فيه: بعد حصر هذا الموضوع في النقاط التي يتحرر فيها محل البحث وتنضبط تقسيماته وصوره وحالاته التي يختلف الحكم تبعاً لها قرر ما يلي:

من حيث التعريف والتقسيم:

أولاً: يقصد هنا بالعضو أي جزء من الإنسان، من أنسجة وخلايا ودماء ونحوها كقرنية العين سواء أكان متصلاً به أم انفصل عنه.

ثانياً: الانتفاع الذي هو محل البحث هو استفادة دعت إليها ضرورة المستفيد لاستبقاء أصل الحياة أو المحافظة على وظيفة أساسية من وظائف الجسم كالبصر ونحوه. على أن يكون المستفيد يتمتع بحياة محترمة شرعاً.

ثالثاً: تنقسم صور الانتفاع هذه إلى الأقسام التالية:

1 - نقل العضو من حي.

2 - نقل العضو من ميت.

3 - النقل من الأجنة.

الصورة الأولى: وهي نقل العضو من حي، تشمل الحالات التالية:

أ- نقل العضو من مكان من الجسد إلى مكان آخر من الجسد نفسه كنقل الجلد والغضاريف والعظام والأوردة والدم ونحوها.

ب- نقل العضو من جسم إنسان حي إلى جسم إنسان آخر وينقسم العضو في هذه الحالة إلى ما تتوقف عليه الحياة وما لا تتوقف عليه.

أما ما تتوقف عليه الحياة فقد يكون فردياً وقد يكون غير فردي فالأول كالقلب والكبد والثاني كالكلية والرتتين. وأما ما تتوقف عليه الحياة فمنه ما يقوم بوظيفة أساسية في الجسم ومنه ما لا يقوم بها ومنه ما يتجدد تلقائياً كالدم ومنه ما لا يتجدد ومنه ما له تأثير على الأنساب والموروثات والشخصية العامة كالخصية والمبيض وخلايا الجهاز العصبي ومنه ما لا تأثير له على شيء من ذلك.

الصورة الثانية: وهي نقل العضو من ميت:

ويلاحظ أن الموت يشمل حالتين:

الحالة الأولى: موت الدماغ بتعطل جميع وظائفه تعطلاً نهائياً لا رجعة فيه طبياً.

الحالة الثانية: توقف القلب والتنفس توقفاً تاماً لا رجعة فيه طبياً.

فقد روعي في كلتا الحالتين قرار المجمع في دورته الثالثة.

الصورة الثالثة: وهي النقل من الأجنة وتتم الاستفادة منها في حالات:

حالة الأجنة التي تسقط تلقائياً.

حالة الأجنة التي تسقط لعامل طبي أو جنائي.

وتفصيل ذلك فيما يأتي :

أولاً: يجوز نقل العضو من مكان من جسم الإنسان إلى مكان آخر من جسمه، مع مراعاة التأكد من أن النفع المتوقع من هذه العملية أرجح من الضرر المترتب عليها، وبشرط أن يكون ذلك لإيجاد عضو مفقود أو لإعادة شكله أو وظيفته المعهودة له، أو لإصلاح عيب أو إزالة دامة تسبب للشخص أذى نفسياً أو عضوياً.

(1) - الشرح الكبير ج 1 ص 419

ثانياً: يجوز نقل العضو من جسم إنسان إلى جسم إنسان آخر، إن كان هذا العضو يتجدد تلقائياً، كالدم والجلد، ويراعى في ذلك اشتراط كون الباذل كامل الأهلية، وتحقق الشروط الشرعية المعتبرة.

ثالثاً: تجوز الاستفادة من جزء من العضو الذي استؤصل من الجسم لعلّة مرضية لشخص آخر، كأخذ قرينة العين لإنسان ما عند استئصال العين لعلّة مرضية.

رابعاً: يحرم نقل عضو تنوقف عليه الحياة كالقلب من إنسان حي إلى إنسان آخر.

خامساً: يحرم نقل عضو من إنسان حي يعطل زواله وظيفة أساسية في حياته وإن لم تنوقف سلامة أصل الحياة عليها كنقل قرنية العينين كليهما، أما إن كان النقل يعطل جزءاً من وظيفة أساسية فهو محل بحث ونظر كما يأتي في الفقرة الثامنة.

سادساً: يجوز نقل عضو من ميت إلى حي تنوقف حياته على ذلك العضو، أو تنوقف سلامة وظيفة أساسية فيه على ذلك. بشرط أن يأذن الميت أو ورثته بعد موته، أو بشرط موافقة ولي المسلمين إن كان المتوفى مجهول الهوية أو لا ورثة له.

سابعاً: وينبغي ملاحظة أن الاتفاق على جواز نقل العضو في الحالات التي تم بيانها، مشروط بأن لا يتم ذلك بوساطة بيع العضو. إذ لا يجوز إخضاع أعضاء الإنسان للبيع بحال ما.

أما بذل المال من المستفيد، ابتغاء الحصول على العضو المطلوب عند الضرورة أو مكافأة وتكريماً، فمحل اجتهاد ونظر.

ثامناً: كل ما عدا الحالات والصور المذكورة، مما يدخل في أصل الموضوع، فهو محل بحث ونظر، ويجب طرحه للدراسة والبحث، على ضوء المعطيات الطبية والأحكام الشرعية. وعموماً فلهذه الأعمال زراعة الأعضاء صورتان: الصورة الأولى: أن ينقل الشخص عضواً أو جزءاً منه من مكان من جسمه إلى مكان آخر منه، والنقل في هذه الصورة جائز بثلاثة قيود:

- 1- أن تكون هنالك حاجة ماسة إلى هذا وليس مجرد التزيين.
 - 2- أن يؤمن حدوث خطر على الحياة خلال نزع العضو أو تركيبه.
 - 3- أن يغلب على الظن نجاح زراعة الأعضاء هذه.
- الصورة الثانية: أن ينقل العضو من شخص إلى آخر، ولها حالتان:
- الحالة الأولى: أن يكون الشخص الذي أخذ منه العضو ميتاً، وجواز النقل هنا مقيد بما إذا كانت حياة الشخص المنقول إليه العضو في خطر داهم إن لم ينقل إليه، أو كانت هنالك حاسة مفقودة عنده كحاسة البصر، بالإضافة إلى غلبة الظن على نجاح العملية، وأن يوصي الميت بذلك أو يأذن الورثة في نقل العضو المراد زراعته.
- الحالة الثانية: أن يتبرع الإنسان الحي - بغير عوض - بعضو منه أو جزئه إلى مسلم مضطر إلى ذلك وهذا جائز، بشرط غلبة الظن بنجاح عملية الزرع وعدم حصول ضرر على الشخص المنقول منه العضو، لأنه في ذلك كله إنقاذ معصوم وإزالة ضرر واقع، وهذه من المقاصد الشرعية المرعية، وليس له أن يتبرع بعضو تنوقف عليه الحياة كالقلب، أو عضو يترتب على فقدانه زوال وظيفة أساسية في حياته كنقل قرنية العين، لأن الضرر لا يزال بمثله.

وهناك أمور عامة لا بد من مراعاتها في عملية نقل وزرع الأعضاء وهي:

أولاً: لا يجوز إخضاع أعضاء الإنسان للبيع بحال، وإذا بذل للمتبرع مكافأة أو هدية ولم تستشرف نفسه لذلك فلا حرج عليه في أخذها.

ثانياً: لا يجوز نقل الأعضاء التناسلية كالخصيتين أو المبيضين من إنسان إلى آخر، كما قرره أهل الاختصاص من أن ذلك يوجب انتقال الصفات الوراثية الموجودة في الشخص المتبرع إلى أبناء الشخص المنقولة إليه الخصية، كما يوجب انتقال الحيوانات المنوية المتبقية في خصية المتبرع إلى المتلقي.

ثالثاً: لا يجوز نقل الأعضاء أو التصرف في جسد من قبل إنه مات دماغياً، ما لم ينقطع نفسه، ويتوقف قلبه، وتظهر عليه علامات الوفاة الشرعية.

رابعاً: يشترط في المتبرع أن يكون أهلاً للتبرع، وذلك ببلوغه ورشده.

خامساً: تجوز الاستفادة من جزء من العضو الذي استؤصل لعلّة مرضية لشخص آخر، كأخذ قرنية العين لإنسان ما عند استئصال العين لعلّة مرضية⁽¹⁾.

السادس عشر: تحديد لحظة الوفاة (موت الدماغ):

اختلف العلماء المعاصرون في موت جذع الدماغ هل يعتبر نهاية للحياة الإنسانية وذلك في الحالات التي تدخل تحت جهاز الإنعاش وهي تقع في حالات ضيقة⁽²⁾ على قولين:

القول الأول: أن موت دماغ الشخص دون قلبه لا يعد موتاً بل لا بد من توقف القلب عن النبض حتى يحكم بموت الإنسان وهو ما قرره المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي⁽³⁾.

القول الثاني: يعتبر موت دماغ الشخص دون قلبه موتاً حقيقياً، ولا يشترط توقف القلب عن النبض حتى يحكم بموت الإنسان، وهذا ما قرره مجمع الفقه الإسلامي لمنظمة المؤتمر الإسلامي⁽⁴⁾.

أدلة القول الأول:

1- قوله تعالى: (أم حسبت أن أصحاب الكهف... إلى قوله: ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً)⁽⁵⁾ وجه الدلالة: أن قوله سبحانه (بعثناهم) أي أيقظناهم، وهذه الآيات فيها دليل واضح على أن مجرد فقد الإحساس والشعور وحده لا يعتبر دليلاً كافياً للحكم بكون الإنسان ميتاً كما دلت عليه الآية الكريمة⁽⁶⁾.

2- قاعدة (اليقين لا يزول بالشك).

وجه الاستدلال: أن اليقين في هذه الحالة المختلف فيها هو حياة المريض باعتبار الأصل ولأن قلبه ينبض، والشك في موته لأنه دماغه ميت فوجب علينا اعتبار اليقين الموجب للحكم بحياته حتى نجد يقيناً مثله يوجب علينا الحكم بموته⁽⁷⁾.

3- قاعدة (الأصل بقاء ما كان على ما كان).

وجه الاستدلال: أن الأصل أن المريض حي فنحن نبقي على هذا الأصل حتى نجزم بزواله⁽⁸⁾.

4- الاستصحاب:

ووجهه أن حالة المريض قبل موت الدماغ متفق على اعتباره حياً فيها فنحن نستصحب الحكم الموجود فيها إلى هذه الحالة التي اختلفنا فيها ونقول إنه حي لبقاء نبضه⁽⁹⁾.

5- النظر:

ووجهه: أن حفظ النفس يعتبر من مقاصد الشريعة الإسلامية التي بلغت مرتبة الضروريات التي تجب المحافظة عليها، ولا شك أن الحكم باعتبار المريض في هذه الحالة حياً فيه محافظة على النفس وذلك يتفق مع هذا المقصد العظيم من مقاصد الشريعة الإسلامية والعكس بالعكس⁽¹⁰⁾.

أدلة القول الثاني:

1- أن المولود إذا لم يصرخ لا يعتبر حياً ولو تنفس أو بال أو تحرك كذا قال الإمام مالك (رحمه الله). فما لم يكن الفعل إرادياً استجابة لتنظيم الدماغ لا يعتبر أمانة حياة⁽¹¹⁾ وهذا واقع فيمن مات دماغه فيأخذ حكم المولود الذي لم يصرخ.

(1) - مجمع الفقه الإسلامي، دورة مؤتمره الرابع جدة عام 1408 هـ.

(2) - فقه النوازل 228/1.

(3) - في دورته العاشرة المنعقدة في مكة المكرمة (1408 هـ).

(4) - مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع3/ج2/809.

(5) - سورة الكهف، الآية:

(6) - حقيقة الموت والحياة لتوفيق الواعي من بحوث ندوة الحياة الإنسانية ص473 وأحكام الجراحة الطبية 323-324.

(7) - فقه النوازل 231/1-232 / نهاية الحياة الإنسانية لبدر المتولي عبد الباسط في بحوث ندوة الحياة الإنسانية ص448.

(8) - فقه النوازل 232/1، حقيقة الموت والحياة من بحوث ندوة الحياة الإنسانية ص478، أحكام الجراحة الطبية ص325.

(9) - المصادر السابقة.

(10) - المصادر السابقة.

(11) - مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع2/ج1/483، 498.

2- أن الأطباء هم أهل الاختصاص والخبرة في هذا الفن وهم مؤتمنون في هذا المجال فينبغي علينا تصديقهم وقبول قولهم فيما يختص بوظيفتهم. وقد قال الأطباء: إذا رفض المخ قبول التغذية مات الإنسان⁽¹⁾. فالموت هو مفارقة الإنسان للحياة بعد التحقق من الموت الكامل لجذع الدماغ ويكفي للتأكد من الموت التحقق من موت جميع خلايا مخه ومن التوقف التلقائي للوظائف الأساسية للحياة في الجسم، ومن ثم أخذ الدماغ في التحلل.

وبهذا أوصت ندوة الحياة الإنسانية بدايتها ونهايتها المنعقدة في الكويت. فإذا توقف جذع المخ ففقد الجهاز العصبي خواصه الوظيفية الأساسية فإنه يعد ميتاً من الناحية الطبية والشرعية وهو ما أفتت به دور الإفتاء بمصر والمملكة العربية السعودية ومجمع الفقه الإسلامي في دورته الثالثة بعمان وهو ما قرره المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت⁽²⁾.

وقد رجح الشيخ بكر أبو زيد: أنه لا يحكم بموته إلا إذا تيقن من ذلك بتوقف القلب والتنفس، وإن كان توقف دماغ المريض من العلامات القوية على موته لكون الحكم بالموت يترتب عليه أمور شرعية كقسمة تركته ونكاح امرأته إذا رغبت وغيرها ولذلك فلا يجوز الحكم بموته إلا بيقين.

المبحث الثاني: نوازل ما بعد الدفن

المطلب الأول: التعزية :

- 1- التعزية : هي حمل آل الميت على الصبر بوعده الأجر، والدعاء للميت والمصاب؛ كأن يقول "عظم الله أجركم وأحسن عزاءكم وغفر لميتكم".
- 2- حكمها:

التعزية لصاحب المصيبة مندوبة، ووقتها من حين الموت إلى ثلاثة أيام، وتكره بعد ذلك، إلا إذا كان المعزّي أو المعزّي غائباً، فإنها لا تكره حينئذ بعد ثلاثة أيام؛ وليس للتعزية صيغة خاصة؛ بل يعزّي كل واحد بما يناسب حاله، والأولى أن تكون التعزية بعد الدفن، وإذا اشتد بهم الجزع فتكون قبل الدفن أولى عند الثلاثة خلافاً للمالكية.

ويستحب أن تعم التعزية جميع أقارب الميت نساءً ورجالاً، كباراً وصغاراً؛ إلا المرأة الشابة، فإنه لا يعزّيها إلا محارمها دفعاً للفتنة وكذا الصغير الذي لا يميز، فإنه لا يعزّي.

(1) - المصدر السابق ج2/1/484، 498، 506.

(2) - المراجع: 1 - بحث بمجلة البحوث الفقهية المعاصرة العدد (42) ص30. للدكتور بلحاج العربي بن أحمد بعنوان (الأحكام الشرعية والطبية للمتوفي في الفقه الإسلامي)، 2- موت الدماغ بين الطب والإسلام / لندى محمد نعيم الدقر. 3- مجلة المجمع الفقه الإسلامي لمنظمة المؤتمر الإسلامي العدد 3 الجزء 2 ص545. 4- فقه النوازل د/ بكر أبو زيد. 5- الأحكام الشرعية للأعمال الطبية د/ أحمد شرف الدين. 6- مجلة البحوث الإسلامية العدد (58) = 7 - الوفاة وعلاماتها بين الفقهاء والأطباء د/ عبدالله بن صالح الحديشي. 8- هل هناك طب نبوي د/ محمد علي البار. 9- موت القلب وموت الدماغ د/ محمد علي البار. 10 - الحياة الإنسانية بدايتها ونهايتها في المفهوم الإسلامي، طبع المنظمة الإسلامية للعلوم الطب

ويندب تهيئة طعام لأهل الميت لكونهم حلَّ بهم ما يشغلهم، لحديث عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: لما جاء نعي جعفر قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اصنعوا لأهل جعفر طعاماً فإنه قد جاءكم ما يشغلهم)⁽¹⁾، ويلح عليهم بالأكل لأن الحزن قد يمنعهم منه. وأما جمع الناس على طعام بيت الميت فبدعة مكروهة، وإن كان في الورثة قاصر حرم إعداد الطعام وتقديمه.

المطلب الثاني: زيارة القبور:

1- حكمها:

لا خلاف بين الفقهاء في أنه تندب للرجال زيارة القبور، لقوله صلى الله عليه وسلم: إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنها تذكركم بالآخرة،⁽²⁾ ولأنه صلى الله عليه وسلم كان يخرج إلى البقيع لزيارة الموتى ويقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غداً مؤجلون، وإن شاء الله بكم لاحقون. وزاد في رواية: أسأل الله لي ولكم العافية.⁽³⁾

أما النساء، فمذهب الجمهور أنه تكره زيارتهن للقبور، لقوله صلى الله عليه وسلم: لعن الله زوارات القبور⁽⁴⁾. ولأن النساء فيهن رقة قلب، وكثرة جزع، وقلة احتمال للمصائب، وهذا مظنة

2- الحكمة منها:

الاتعاظ والتذكير بالآخرة والدعاء للميت. لما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: (زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى ... وقال: فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت)⁽⁵⁾، وما رواه بريدة رضي الله عنه قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر. فكان قائلهم يقول: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين. وأنا إن شاء الله به لاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية). آدابها:

قال الحنفية: السنة زيارتها قائماً، والدعاء عندها قائماً، كما كان يفعله صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى البقيع، ويقول: السلام عليكم يا أهل القبور، يغفر الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالأثر. - أو يقول: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية ثم يدعو قائماً، طويلاً. وفي شرح المنية: يدعو قائماً مستقبل القبلة، وقيل: يستقبل وجه الميت.

وقال الشافعية: يندب أن يقول الزائر: سلام عليكم دار قوم مؤمنين وإن شاء الله بكم لاحقون، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتننا بعدهم، وأن يقرأ ما تيسر من القرآن ويدعو لهم، وأن يسلم على المزور من قبل وجهه، وأن يتوجه في الدعاء إلى القبلة، وعن الخراسانيين إلى وجهه، وعليه العمل.

وقال الحنابلة: سن وقوف زائر أمامه قريباً منه، وقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، أو أهل الديار من المؤمنين، وإن شاء الله بكم لاحقون، ويرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتننا بعدهم، واغفر لنا ولهم.

وفي القنية من كتب الحنفية: قال أبو الليث: لا تعرف وضع اليد على القبر سنة ولا مستحبا ولا نرى بأساً، وعن جار الله العلامة: إن مشايخ مكة ينكرون ذلك، ويقولون: إنه عادة أهل الكتاب، وفي إحياء علوم الدين: إنه من عادة النصارى.

قال شارح المنية: لا شك أنه بدعة، لا سنة فيه ولا أثر عن صحابي ولا عن إمام ممن يعتمد عليه فيكرهه، ولم يعهد الاستلام في السنة إلا للحجر الأسود، والركن اليماني خاصة.

(1) - أخرجه الترمذي برقم: 998

(2) - أخرجه مسلم 672/2 - ط الحلي وأحمد 3/355 - ط الحلي

(3) - أخرجه مسلم 669/2 - ط الحلي

(4) - أخرجه الترمذي 362/3 - ط الحلي من حديث أبي هريرة، وقال: حديث حسن صحيح

(5) - سبق تخريجه

وقال الحنابلة: لا بأس بلمس قبريبد لا سيما من ترجى بركته، وقال ابن تيمية: اتفق السلف على أنه لا يستلم ولا يقبل إلا الحجر الأسود، والركن اليماني يستلم ولا يقبل⁽¹⁾.

المطلب الثالث: النعي:

النعي: هو الإخبار بموت الميت.

والأصل في النعي ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة وغيره " أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وخرج بالصحابة وصلى عليه صلاة الغائب"⁽²⁾.

وكذلك أيضاً أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نعى أصحاب سرية مؤتة فقال: " أصيب زيد أصيب جعفر أصيب عبد الله " ناعهم للصحابة رضي الله تعالى عنهم بالمدينة⁽³⁾.

وكذلك أيضاً حديث حذيفة رضي الله عنه أنه قال: إذا مت فلا تؤذونا بي إني أخاف أن يكون نعياً فإني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " ينهى عن النعي"⁽⁴⁾.

والذي يظهر أن النعي إن وقع قبل تجهيز الميت وقبل تغسيله وقبل تكفينه وقبل الصلاة عليه لكي يتعاون الناس في تجهيزه ولكي يجتمعوا على الصلاة عليه يكون أمراً مطلوباً ومشروعاً لأن - صلى الله عليه وسلم - نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وكذلك أيضاً النبي - صلى الله عليه وسلم - نعى أصحاب سرية مؤتة هذا قبل تجهيزه وتكفينه والصلاة عليه ودفنه.

وقد نص المالكية على ذلك، قال الدردير: (و) كره (نداء به) أي بالميت بأن يقال بصوت مرتفع فلان مات فاسعوا لجنازته (بمسجد) لكرهه رفع الصوت فيه (أو بابه) لأنه ذريعة لدخوله ولأن النداء من فعل الجاهلية (لا) النداء (بكخلق) بكسر الحاء المهملة وفتح اللام جمع حلقة بفتح فسكون (بصوت خفي) فالمراد الإعلام بموته من غير نداء فلا يكره بل يندب لأنه وسيلة المطلوب⁽⁵⁾.

أما النعي بعد الصلاة عليه، فالأولى تركه إلا إذا ترتب على ذلك مصلحة كأن يكون لهذا الميت معاملات أو عليه ديون ويريد ورثته أن تسدد عنه الديون فهذه المصلحة تجعله سائفاً ولو حصل في وسائل الإعلام الالكترونية وغيرها.

أما إلقاء الخطب والمحاضرات بعد موت أحد من الناس ولو كان عالماً فهذا إن كان في أثناء المصيبة يكون نوعاً من النعي المنهي عنه وفيه تهيج للأحزان دون أن تترتب عليه فائدة، وأما إن كان ذلك بعد تباعد المصيبة فلا مانع أن تلقى محاضرة عن العالم الفلاني أداء لحقه وأيضاً حثاً الأمة أن تقتدي به وأن تقتبس من سيرته وتربية للناشئة على سيرته لأن هذا جزء من حقه، لكن ينبغي أن يقع ذلك بعد تباعد المصيبة، لأن العلماء ألفوا الكتب في سير الرجال وكتب الطبقات وذكروا مناقب الرجال والعلماء.

قائمة المصادر والمراجع:

- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير: محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي، دار الفكر
- صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة
- صحيح مسلم المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

(1) - انظر الموسوعة الفقهية الكويتية ج: 24 ص: 90

(2) - صحيح البخاري باب الرجل ينعي إلى أهل الميت بنفسه رقم: 1245

(3) - سنن النسائي، رقم: 8190

(4) - أخرجه الترمذي برقم: 986، وحسنه

(5) - الشرح الكبير ج 1 ص 424

- سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى، الترمذي، أبو عيسى تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج 1، 2) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج 4، 5)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م
- سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.
- الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، عدد الأجزاء: 45 جزءاً، الطبعة: (من 1404 - 1427 هـ)
 - الأجزاء 1 - 23: الطبعة الثانية، دار السلاسل - الكويت
 - الأجزاء 24 - 38: الطبعة الأولى، مطابع دارالصفوة - مصر
 - الأجزاء 39 - 45: الطبعة الثانية، طبع الوزارة.
- مجلة البحوث الفقهية المعاصرة العدد (42)، بحث للدكتور بلحاج العربي بن أحمد بعنوان (الأحكام الشرعية والطبية للمتوفى في الفقه الإسلامي).
- مجلة البحوث الإسلامية العدد (58) 7- الوفاة وعلاماتها بين الفقهاء والأطباء د/ عبد الله بن صالح الحديشي
- الحياة الإنسانية بدايتها ونهايتها في المفهوم الإسلامي، طبع المنظمة الإسلامية للعلوم الطب
- فقه النوازل بكر أبو زيد
- حقيقة الموت والحياة لتوفيق الواعي من بحوث ندوة الحياة الإنسانية
- التاج والإكليل لمختصر خليل، المؤلف: محمد بن يوسف الغرناطي، أبو عبد الله المواق المالكي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1994 م.

اعتصار الأم في الهبة لأولادها بعد اليتم بين الجواز والمنع دراسة خلافية في المذهب المالكي

د. مُحَمَّد عالي أحمد الفاروق
أستاذ الفقه وأصوله بكلية الشريعة
جامعة العلوم الإسلامية بلعيون
موريتانيا⁽¹⁾

الكلمات المفتاحية: الاعتصار - اليتم - الهبة - المذهب المالكي - الخلاف الفقهي

ملخص

تُعَالِجُ هذه الدراسة مسألة من أهم المسائل الخلافية في المذهب المالكي المتعلقة بالهبة، وتتعلّق هذه المسألة باعتصار الأم من أبنائها الصغار بعد موت أبيهم، وهي مسألة اشْتَدَّ فيها الخلاف بين السادة المالكية، وتباينت فيها آراؤهم، حيث ذهب بعضهم إلى أنّه يجوز للأُم أن تعتصر من أبنائها الصغار ما وهبته لهم في حياة أبيهم، بينما ذهب آخرون إلى أنه لا يجوز لها أن تعتصره منهم. وقد توصلت الدراسة إلى نتائج عديدة منها: أنّ الذي يظهر للباحث رجحانه في المسألة هو ما ذهب إليه الإمام اللخمي من أنّ الأم إذا وهبت شيئاً لأبنائها الصغار في حياة أبيهم، وطراً لهم اليتم بعد الهبة، فإنه يجوز لها أن تعتصره منهم، كما توصلت أيضاً إلى أنّ الصحيح في المذهب المالكي أنه لا يشترط في الاعتصار أن يكون بلفظه، بل يصحّ بكلّ لفظ يدلّ عليه عرفاً.

مقدمة:

الحمد لله الذي فقّه في الدين من أراد به خيراً، وأولاه مثوبة، وأجرأ، وأعظم له عنده محلاً، وقَدَّرا. ثمّ صلاة الله، وسلامه الأتمّان على الرسول العربيّ الأمين، محمد سيد الأولين، والآخرين، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله الأبرار، وصحبه المصطفىين الأخيار.

وبعد، فإنّ أفضل ما تقضى فيه نفائس الأحقاب، هو العلم، قال الله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا⁽²⁾﴾؛ وذلك لأنّه عمل القلب الذي هو أشرف الأعضاء، وسعْي العقل الذي هو أعزّ الأشياء، والمقصود بالعلم في المقام الأول العلم الشرعي الذي هو أشرف العلوم على الإطلاق، وأجلّها. ولا شك أنّ العلوم الشرعية كثيرة، ومتنوعة، وعلم الفقه منها بحوره زاهرة، ورياضه ناضرة، ونجومه زاهرة، وأصوله ثابتة مقررة، وفروعه ثابتة محررة، لا يفتنى بكثرة الإنفاق كنزه، ولا يبلَى على طول الزمان عزّه⁽³⁾، وإنّ من أهم تلك الفروع التي نالت الحظ الوافر من الاهتمام لدى الفقهاء عموماً، والمالكية خصوصاً مسألة اعتصار الهبة من الأبناء، فقد تناولوها في مختلف كتبهم، واتفقوا على بعض الفروع المتعلقة بها، بينما اختلفوا في البعض الآخر، خاصة ما يتعلق باعتصار الأم ما وهبته لأبنائها الصغار في حياة أبيهم، فذهب بعضهم إلى أنه يجوز لها أن تعتصره منهم، باعتبار أنهم يوم الهبة غير أيتام، بينما ذهب آخرون إلى أنه لا يجوز لها أن تعتصره منهم، باعتبار الحال، وهو أنهم أيتام في الحال الراهنة، ولا يُعتصر من يتيّم، مما جعل الباحث يرى أن هذه

(1) حاصل على شهادة الدكتوراه في الشريعة بميزة: "مشرّف جداً مع التّوصية بالنّشر" من جامعة سيدي محمد بن عبد الله - كلية الشريعة بنفاس - المملكة المغربية، وعضو عدّة لجان تحكيم لمجلات دولية مُحكّمة، وله عدّة بحوث، ومقالات منشورة في مجلات وطنية، ودولية.

(2) سورة البقرة، الآية: 268.

(3) انظر الأشباه والنظائر، المؤلف: الحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، 1983م، ص:

المسألة من أبرز الإشكاليات الفقهية العالقة في مجال الاعتصار، والتي لم تنل حظها من الدراسة بما فيه الكفاية.

ولذلك ارتأيت أن تكون لي دراسة علمية عن هذا الموضوع الجليل، وفي إطار بحثي له لا مناص من أن أقدم بين يدي الموضوع بذكر أمور من الضروري تضمينها عادة في مقدمة هذا النوع من الدراسات العلمية، وذلك من خلال النقاط التالية:

• أهمية موضوع البحث:

لا شك أن موضوع هذا البحث، وهو: "اعتصار الأم في الهبة لأولادها بعد اليتيم بين الجواز والمنع - دراسة خلافية في المذهب المالكي -" موضوع حري بالدراسة، والبحث؛ نظرا لما يُثيره من الخلاف بين السادة المالكية في مجال اعتصار الأم من أبنائها الصغار ما وهبته لهم في حياة أبيهم، باعتبار هذه المسألة من أهم المسائل المختلف فيها في باب الهبة، ولذلك رأى الباحث أنه من المناسب إفرادها بدراسة علمية، يقف من خلالها على آراء الفقهاء فيها، مع محاولة معرفة الرأي الراجح فيها.

• إشكالية البحث:

تدور الإشكالية الرئيسة لهذا البحث حول خلاف المالكية في جواز اعتصار الأم من أبنائها الصغار ما وهبته لهم في حياة أبيهم بعد طرؤ اليتيم⁽¹⁾ لهم، حيث اختلفوا في ذلك على رأيين، فمنهم من أجاز لها أن تعتصر منهم - والحالة هذه - بينما منعها من ذلك آخرون، وتتفرع عن هذه الإشكالية الأسئلة التالية:

- 1 - ما المراد بالاعتصار عند الفقهاء، وما الأدلة على مشروعيته؟
- 2 - من هم أصحاب الرأيين السالفين، وما هي أهم الحجج التي بنى عليها كل منهما رأيه الفقهي؟
- 3 - ما هو الرأي الراجح في اعتصار الأم من أبنائها الصغار ما وهبته لهم في حياة أبيهم بعد طرؤ اليتيم لهم من خلال تتبع أقوال أئمة المذهب، ونصوصهم المختلفة؟

• أهداف البحث:

يمكن إبراز أهم أهداف هذه الدراسة فيما يلي:

- 1 - جمع آراء الفقهاء في المسألة المختلف فيها: (موضوع الدراسة)، والاطلاع على أسباب اختلافهم فيها؛ ليتسنى لنا من ثم معرفة الرأي الراجح فيها.
- 2 - الاطلاع على أهم الأسس التي يتيم من خلالها التعامل مع مسائل الخلاف الفقهي.
- 3 - تنمية ملكة البحث، والدربة على دراسة المسائل الخلافية في المذهب المالكي.

• الدراسات السابقة:

بعد البحث لم يقف الباحث على دراسة أكاديمية سابقة مستقلة، تتناول موضوع هذه الدراسة، وهو: "اعتصار الأم في الهبة لأولادها بعد اليتيم بين الجواز والمنع - دراسة خلافية في المذهب المالكي -" على نحو أكاديمي، مما يجعل طرؤ هذا الموضوع على هذا النحو جديداً على ميدان البحث العلمي الأكاديمي، ومع ذلك فإن الكتب التي تعنى بالفقه الإسلامي عموماً، وبالمذهب المالكي خصوصاً، وبمختصر العلامة خليل بن إسحاق على وجه الخصوص، تُعتبر مصادر ثرية للاستفادة منها في إعداد هذه الدراسة.

• منهج البحث:

بما أن هذه الدراسة تتعلق بمسألة من أبرز المسائل الفقهية التي اشتد فيها الخلاف بين السادة المالكية في باب الهبة، فيمكن للباحث استخدام المنهجين التاليين:

(1) اليُتيم، بالضم: فُقدان الأب، ويُحرَك، وفي البهائم: فُقدان الأم، وقد يَتم، كضرب، وعليم، يُثمأ، ويُفتح، وهو يَتيم، ويُثمان: ما لم يُبلغ الخُلُم، جمعه: أيتام، ويَتامى، ويَتَمَّة، ومَيَّتَمَّة. القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426هـ - 2005م، عدد الأجزاء: 1، ص: 1172، مادة: (ي. ت. م).

- 1 — المنهج الاستقرائي: والذي يتمكن بواسطته الباحث من تتبع آراء الفقهاء في المسألة موضوع الدراسة، والوقوف على أسباب اختلافهم فيها، والإطلاع على أدلتهم، ومعرفة الرأي الراجح منها.
- 2 — المنهج التحليلي المقارن: والذي يتمكن بواسطته الباحث من تحليل آراء الفقهاء، ودراساتها، ومقارنتها.

• خطة الدراسة:

رسم الباحث لهذه الدراسة منهجاً يقوم على مقدمة ومطلبان وخاتمة، تناول المطلب الأول: تعريف الاعتصار، وآراء العلماء في مشروعيته والمطلب الثاني خلاف الفقهاء في اعتصار الأم بعد طُرُؤ اليُتم لأبنائها.

المطلب الأول: تعريف الاعتصار وآراء العلماء في مشروعيته:

• الفرع الأول: تعريف الاعتصار:

■ أولاً: التعريف اللغوي للاعتصار:

يأتي الاعتصار في اللغة لعدة معانٍ، تختلف باختلاف السياقات، والمساقات، وقد أشار إليها الفيروزآبادي بقوله: (والاعتصار: انتجاع العطية⁽¹⁾)، وأن يَغْصُ إنسانٌ بالطعام فيَغْتَصِرَ بالماءِ، أي: يَشْرَبُهُ قليلاً قليلاً؛ لِيَسْبِغَهُ، وأن تُخْرَجَ من إنسانٍ مالاَ بَغْزَمٍ، أو غيره، والبُخْلُ، والمنعُ، والالتجاءُ، كالتَّعَصُّرِ، وقد اغْتَصَرَ به، وتَعَصَّرَ، والأخذ⁽²⁾. فمن مجيئه بالمعنى الأول، وهو ارتجاع العطية: حَدِيثُ الشَّعْبِيِّ: "يَغْتَصِرُ الْوَالِدُ عَلَى وَلَدِهِ فِي مَالِهِ"، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: وَإِنَّمَا عَدَاهُ بَعْلَى لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى يَرْجِعُ عَلَيْهِ، وَيَعُودُ عَلَيْهِ⁽³⁾، ومن مجيئه بالمعنى الثاني، وهو أن يَغْصُ إنسانٌ بالطعام، فيَغْتَصِرَ بالماءِ، أي يَشْرَبُهُ قليلاً قليلاً؛ لِيَسْبِغَهُ، قولُ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ:

لَوْ بَغِيَ الْمَاءُ حَلْقِي شَرِقٌ ... كُنْتُ كَالْغَصَانِ بِالْمَاءِ اعْتَصَارِي

ومن مجيئه بالمعنى الثالث، وهو أن تُخْرَجَ من الإنسان مالاَ بَغْزَمٍ، أو بغيره من الوجوه، قول بعضهم:

فَمَنْ وَاشْتَبَقَى وَلَمْ يَغْتَصِرْ ... مِنْ فَرْعِهِ، مَالاً وَلَا الْمَكْسِرِ⁽⁴⁾

ومن مجيئه بالمعنى الرابع، وهو البخل قولهم: اغْتَصَرَ عَلَيْهِ: بَخَلَ عَلَيْهِ بِمَا عِنْدَهُ، ومن مجيئه بالمعنى الخامس، وهو المنع حَدِيثُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَنَّهُ قَضَى أَنَّ الْوَالِدَ يَغْتَصِرُ وَلَدَهُ فِيمَا أَعْطَاهُ، وَلَيْسَ لِلْوَلَدِ أَنْ يَغْتَصِرَ مِنْ وَالِدِهِ"، لِفَضْلِ الْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ: أَي: لَهُ أَنْ يَحْبِسَهُ عَنِ الْإِعْطَاءِ، وَيَمْتَنِعَهُ إِتَاءَهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ مَنَعْتُهُ، وَحَبَسْتُهُ، فَقَدْ اغْتَصَرْتَهُ، وَقِيلَ: يَغْتَصِرُ: يَرْتَجِعُ، وَاعْتَصَرَ الْعَطِيَّةَ إِذَا ارْتَجَعَهَا، وَالْمَعْنَى أَنَّ الْوَالِدَ إِذَا أَعْطَى وَلَدَهُ شَيْئاً، فَلَهُ أَنْ يَأْخُذَهُ مِنْهُ⁽⁵⁾، ومن مجيئه بالمعنى السادس، وهو الالتجاء قولهم: اغْتَصَرَ بِهِ، وَغَصَرَ، وَتَعَصَّرَ، إِذَا لَجَأَ إِلَيْهِ، وَلَاذَ بِهِ، وَمِنْ مَجِيئِهِ بِالْمَعْنَى السَّابِقِ، وَهُوَ الْأَخْذُ قَوْلَهُمْ: اغْتَصَرَ مِنَ الشَّيْءِ بِمَعْنَى أَخَذَ، قَالَ ابْنُ أَحْمَرَ:

وَإِنَّمَا الْعَيْشُ بَرُّ تَانِهِ ... وَأَنْتَ مِنْ أَفْتَانِهِ مُعْتَصِرُ

أي: أَخِذْ⁽⁶⁾.

(1) قال مرتضى الزبيدي: (والصواب: ارتجاع العطية، ففي اللسان: الاعتصار على وجهين، يُقال: اغْتَصَرْتُ مِنْ فُلَانٍ شَيْئاً، إِذَا أَصَبْتَهُ مِنْهُ، وَالْأَخْرَ أَنْ تَقُولَ: أَعْطَيْتُ فُلَاناً عَطِيَّةً، فَاعْتَصَرْتُهَا، أَي: رَجَعْتُ فِيهَا). تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: 1205 هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، ج: 13 ص: 66.

(2) القاموس المحيط، ص: 441، مادة: (ع. ص. را).

(3) النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606 هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، 1399 - 1979 م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: 5، ج: 3 ص: 247.

(4) الفَرْعُ: الْمَالُ الطَّائِلُ الْمَعْدُ؛ وَقَدْ سَكَّنَهُ الشَّاعِرُ هُنَا لِلضَّرُورَةِ، وَالْمَكْسَرُ: مَا تَكْسَرُ مِنْ أَصْلٍ مَالِهِ، وَقِيلَ: إِنَّمَا الْفَرْعُ هَاهُنَا الْغُصْنُ فَكُنِيَ بِالْفَرْعِ عَنْ حَدِيثِ مَالِهِ، وَبِالْمَكْسَرِ عَنْ قَدِيمِهِ، وَهُوَ الصَّحِيحُ. انظر لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711 هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ، عدد الأجزاء: 15، ج: 8 ص: 249.

(5) النهاية في غريب الحديث والأثر، ج: 3 ص: 247.

(6) انظر لسان العرب، ج: 4 ص: 579، وتاج العروس من جواهر القاموس، ج: 13 ص: 67.

ويأتي الاعتصار أيضاً بمعنى الاستخراج، قال الفيومي في المصباح المنير: (وَالْعَصَارَةُ بِالضَّمِّ مَا سَالَ عَنْ الْعَصْرِ، وَمِنْهُ قِيلَ: اغْتَصَرْتُ مَالَ فُلَانٍ إِذَا اسْتَحْرَجْتُهُ مِنْهُ، وَغَصَرْتُ الثُّوبَ غَصْرًا أَيُّضًا: إِذَا اسْتَحْرَجْتَ مَاءَهُ بِأَيْهِ⁽¹⁾).

■ ثانياً: التعريف الاصطلاحي للاعتصار:

الاعتصار في الاصطلاح الفقهي عرفه الإمام ابن عرفة بقوله: (والاعتصار ارتجاع المُعْطِي عَطِيَّتَهُ، دُونَ عَوَضٍ، لَا بَطْوَعِ الْمُعْطَى، وَصِيغَتُهُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ لَفْظًا⁽²⁾)، فقوله: "دون عوض" أخرج به شراء الهبة، وقوله: "بلا طوع المعطى" أخرج به هبة المعطى - بالفتح - للمعطى - بالكسر - وقوله: "وصيغته ما دل عليه لفظاً" أي: سواء كان بمادة الاعتصار، أو الرجوع، أو الرد، أو غير ذلك، وأطلق الشيخ ابن عرفة في الدلالة، مطابقة كانت، أو التزاماً، وقد اختلف في الدلالة الالتزامية: هل تنفع في الاعتصار، أم لا، فعليه إذا وهب شيئاً لابنه الصغير، ثم باعه باسم نفسه، ومات، فإن الثمن لابنه حتى يُصْرَحَ بالاعتصار، وقيل: بصحته بذلك البيع المستلزم له⁽³⁾، ويصح الاعتصار في الهبة، والعمري، والنحلة، والحبس إذا كان بمعنى الهبة، ككونه سكنى، أو غمري إلى عام، أو أعوام، ثم مرجعه إليه، فإن لم يكن بمعنى الهبة، بأن كان باقياً على أصل معناه، فلا يعتصر⁽⁴⁾. وعرفه أيضاً الإمام الرجراجي بقوله: (ومعنى الاعتصار: الرجوع فيما وهب⁽⁵⁾)، وهذا التعريف في غاية الاختصار، وأجود منه تعريف الإمام ابن عرفة من وجهة نظر الباحث؛ لأنه ذكر فيه ما يخرج به المحترزات، كما هي عادته رحمه الله في تعاريفه الجامعة المانعة.

● الفرع الثاني: آراء العلماء في مشروعية الاعتصار:

ذهب الإمام مالك، وجمهور علماء المدينة إلى أن للأب أن يعتصر ما وهبه لابنه، ما لم يتزوج الابن، أو لم يستحدث ديناً، أو بالجملة ما لم يترتب عليه حق للغير، وأن للأم أيضاً أن تعتصر ما وهبت لابنها، وقد روي عن مالك أيضاً أنها لا تعتصر⁽⁶⁾، وما ذهب إليه الإمام مالك، وجمهور علماء المدينة من أن للأب أن يعتصر ما وهبه لابنه، ذهب أيضاً إليه الإمام الشافعي⁽⁷⁾، وقال الإمام أحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه⁽⁸⁾، وأهل الظاهر: لا

- (1) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي، ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو: 770هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: 2 (في مجلد واحد، وترقيم مسلسل واحد)، ج: 2، ص: 413، مادة: [ع. ص. ر.].
- (2) المختصر الفقهي لابن عرفة، المؤلف: محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (المتوفى: 803هـ)، المحقق: د. حافظ عبد الرحمن محمد خير، الناشر: مؤسسة خلف أحمد الخبتور للأعمال الخيرية، الطبعة: الأولى، 1435هـ - 2014م، عدد الأجزاء: 10، ج: 9، ص: 24.
- (3) الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، (شرح حدود ابن عرفة للرصاص)، المؤلف: محمد بن قاسم الأنصاري، أبو عبد الله، الرصاص التونسي المالكي (المتوفى: 894هـ)، الناشر: المكتبة العلمية، الطبعة: الأولى، 1350هـ، عدد الأجزاء: 1، ص: 428.
- (4) انظر توضيح الأحكام شرح تحفة الحُكَّام، المؤلف: عثمان بن المكي التوزري الزبيدي، الناشر: المطبعة التونسية، الطبعة: الأولى، 1339هـ، عدد الأجزاء: 4، ج: 4، ص: 32.
- (5) مناهج التَّحْصِيلِ ونتائج لطائف التَّأْوِيلِ في شَرْحِ المَدَوَّنَةِ وحَلِّ مُشْكَلَاتِهَا، المؤلف: أبو الحسن علي بن سعيد الرجراجي (المتوفى: بعد 633هـ)، اعتنى به أبو الفضل الدِّمِيَّاطِي - أحمد بن علي، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، 1428هـ - 2007م، عدد الأجزاء: 10، ج: 9، ص: 389.
- (6) انظر بداية المجتهد ونهاية المقتصد، المؤلف: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد، (المتوفى: 595هـ)، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة: الرابعة، 1395/1975م، ج: 4، ص: 117.
- (7) انظر المذهب في فقه الإمام الشافعي، المؤلف: أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (المتوفى: 476هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، عدد الأجزاء: 3، ج: 2، ص: 335.
- (8) انظر المغني لابن قدامة، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، عدد الأجزاء: 10، تاريخ النشر: 1388هـ - 1968م، ج: 6، ص: 55.

يجوز لأحد أن يعتصر ما وهبه، وقال أبو حنيفة: يجوز لكل أحد أن يعتصر ما وهبه إلا ما وهبه لذي رحم محرم⁽¹⁾، وأجمعوا على أن الهبة التي يراد بها الصدقة، أي: وجه الله لا يجوز لأحد الرجوع فيها⁽²⁾. وسبب الخلاف في مشروعية اعتصار الهبة بين العلماء تعارض الآثار المروية في ذلك⁽³⁾. فمن لم ير الاعتصار أصلاً، كالإمام أحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه، وأهل الظاهر: احتج بعموم الحديث الثابت، وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه»⁽⁴⁾، ومن استثنى الأبوين، كمالك، وأهل المدينة، والإمام الشافعي احتج بحديث طاووس أنه عليه الصلاة والسلام قال: «لا يحل لوأهب أن يرجع في هبته إلا الوالد من ولده»⁽⁵⁾، وقاس الأمام على الوالد. وأما من أجاز الاعتصار إلا لذوي رحم محرم، كالإمام أبي حنيفة، فاحتج بما رواه مالك عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «من وهب هبة لصلة رحم، أو على جهة صدقة، فإنه لا يرجع فيها، ومن وهب هبة يرى أنه إنما أراد الثواب بها، فهو على هبته يرجع فيها إذا لم يرض منها»⁽⁶⁾، قالوا: وأيضا فإن الأصل أن من وهب شيئاً عن غير عوض أنه لا يقضي عليه به كما لو وعد، إلا ما اتفقوا عليه من الهبة على وجه الصدقة. وبما أن المذهب المالكي من المذاهب التي ترى جواز اعتصار الأبوين من أبنائهما نجد كلا من المشرع الجزائري، والمشرع الموريتاني ينص على جوازه، أما المشرع الجزائري، فقد تناوله في المادتين: (211) و (212)⁽⁷⁾، حيث جاء في المادة: (211) ما يلي:

للأبوين حق الرجوع في الهبة لولدهما مهما كانت سنه إلا في الحالات التالية:

- 1 — إذا كانت الهبة من أجل زواج الموهوب له.
- 2 — إذا كانت الهبة لضمان قرض، أو قضاء دين.
- 3 — إذا تصرف الموهوب له في الشيء الموهوب ببيع، أو تبرع منه، أو أدخل عليه ما غير طبيعته.

وجاء في المادة: (212) ما يلي:

الهبة بقصد المنفعة العامة لا رجوع فيها.

أما المشرع الموريتاني، فقد تناوله في المادة: (815) من قانون الالتزامات والعقود⁽⁸⁾، حيث جاء الحديث عنه ضمن الحديث عن الهبة في هذه المادة، وذلك فيما يلي:

(1) قال الإمام السرخسي في المبسوط: (ومن وهب هبة مقسومة لذي رحم محرم، وسلمها إليه؛ فليس له أن يرجع فيها، وإن وهبها لأجنبي، أو لذي رحم ليس بمحرم، فله أن يرجع فيها، وهما فصلان). المبسوط، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: 483هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1414هـ - 1993م، عدد الأجزاء: 30، ج: 12، ص: 52 - 53.

(2) انظر بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج: 4، ص: 117.

(3) انظر المرجع السابق، ج: 4، ص: 117.

(4) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ، عدد الأجزاء: 9، ج: 3، ص: 158، رقم الحديث: 2589.

(5) السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخشزروري الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، 1424هـ - 2003م، ج: 6، ص: 297، رقم الحديث: 12015.

(6) موطأ الإمام مالك، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ)، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، عام النشر: 1406هـ - 1985م، عدد الأجزاء: 1، ص: 754، الحديث رقم: 42.

(7) القانون رقم: 84 - 11 المؤرخ في 9 رمضان، عام: 1404هـ، الموافق: 9 يونيو سنة: 1984م، المتضمن قانون الأسرة، المعدل، والمتمم، الأمانة العامة للحكومة، ص: 23.

(8) الأمر القانوني رقم: 89 - 126 الصادر بتاريخ: 14 سبتمبر 1989 المتضمن قانون الالتزامات والعقود، المعدل بالقانون رقم: 2001 - 31 الصادر بتاريخ: 7 فبراير 2001.

تصح الهبة ممن له أهلية التبرع، ويشترط في كمالها القبول، والحوز، فإذا مات الواهب، أو أفلس، قبل الحوز، بطلت الهبة ما لم يكن الموهوب له جاداً في طلب الحوز من قبل، ولا يمكن الرجوع فيها إلا في حالة اعتصار الوالد ما وهبه لولده بالشروط التالية:

- 1 - أن يكون الموهوب لم يفت فواتا حسياً، أو حكماً.
- 2 - أن يكون الموهوب له لم يحدث به تغييراً.
- 3 - ألا يكون أحدهما مريضاً.
- 4 - أن لا يحدث الموهوب له التزاماً من أجل الشيء الموهوب.

المطلب الثاني: خلاف الفقهاء في اعتصار الأم بعد ظروا اليتيم لأبنائها؛

• الفرع الأول: آراء السادة المالكية في اعتصار الأم بعد ظروا اليتيم لأبنائها؛

من المقرر عند السادة المالكية أن الأم - كالأب - تعتصراً⁽¹⁾، فإذا وهبت شيئاً لولدها الصغير في حياة أبيه، فلها أن تعتصره منه، وأما الجد، والجدة، ونحوهما، فإنه لا اعتصار لهم على المشهور في المذهب المالكي⁽²⁾، فقد جاء في المدونة في باب اعتصار ذوي القرابة: (قلت: هل يجوز لأحد من الناس أن يعتصر - في قول مالك - هبة جد، أو جدة، أو خال، أو خالة، أو عم، أو عمة، أو غيرهم، أيجوز لهم أن يعتصروا، قال: لا أعرف الاعتصاري جواز في قول مالك لأحد من الناس إلا والد، أو والدة، ولا أرى ذلك لأحد غيرهما، ابن وهب عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال: كان رجال من أهل العلم يقولون: ليس للولد أن يعتصر من والده شيئاً لأجل فضيلة حق والده على فضيلة حقه، قال يونس: وقال ربيعة: لا يعتصر الولد من الوالد⁽³⁾، وهذا ما أشار إليه الشيخ خليل بن إسحاق في المختصر بقوله: (وللأب اعتصارها من ولده، كأُم فقط⁽⁴⁾، وهبت ذا أب، وإن مجنوناً⁽⁵⁾، فأخرج بقوله: "فقط" الجدة، فيجوز للأم أن تعتصر ما وهبته لابنها الصغير، بشرط أن يكون ذا أب، وسواء كان الابن، والأب موسرين، أو معسرين، أو أحدهما، هذا إذا كان الأب عاقلاً، بل وإن كان مجنوناً جنونا مطبقاً، وقت الهبة، فلا يمنع جنونه الاعتصار⁽⁶⁾، وهذا بخلاف ما إذا كان الصغير حين الهبة لا أب له، فليس لها أن تعتصر منه؛ لأنه يتيم، واليتيم لا

(1) قال الإمام اللخمي: (والاعتصار يصح من الأب، واختلف في الأم، والجد، والجدة، فقال مالك، وابن القاسم: للأم أن تعتصر، وقال ابن الماجشون في كتاب ابن حبيب: إن حازها الأب لم تعتصر؛ لأنها لا تعتصر ما ولايته إلى غيرها، وكذلك إن لم يكن له أب، ولم يكن في ولايتها، وإنما يرى ذلك لها إذا لم تخرج العطية عن يدها، والولد في ولايتها، والأول أحسن؛ لأن الأب يعتصر ما وهب لولده الكبير بعد قبضه منه). التبصرة، المؤلف: علي بن محمد الربيعي، أبو الحسن، المعروف باللخمي (المتوفى: 478هـ)، دراسة وتحقيق الدكتور: أحمد عبد الكريم نجيب، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، 1432هـ - 2011م، عدد الأجزاء: 14 في ترقيم مسلسل واحد (13 جزءاً ومجلد فهراس)، ج: 8 ص: 3524 - 3525.

(2) وبه قال ابن القاسم، وابن وهب، وروى أشهب عن مالك، ومثله في الموازية: أن الجد، والجدة يعتصران كالأبوين، وقاله ابن عبد الحكم. انظر تحبير المختصر وهو الشرح الوسيط على مختصر خليل في الفقه المالكي، المؤلف: تاج الدين بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز الدميري (المتوفى: 803هـ)، المحقق: د. أحمد بن عبد الكريم نجيب - د. حافظ بن عبد الرحمن خير، الناشر: مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، الطبعة: الأولى، 1434هـ - 2013م، عدد الأجزاء: 5، ج: 5 ص: 20 - 21.

(3) المدونة، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1415هـ - 1994م، عدد الأجزاء: 4، ج: 4 ص: 411 - 412.

(4) قول المصنف: (فقط) راجع لجميع ما قبله أي: للأب فقط، دون الجد، من ولده فقط، دون غيره، الهبة فقط، أي: المدلول عليها بالضمير، دون الصدقة، والحبس، كأُم فقط، دون الجد، والخالة، والأخت. انظر الشرح الكبير لمختصر خليل للدردير، ومعه حاشية محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي، ج: 4 ص: 110.

(5) مختصر العلامة خليل، ص: 215.

(6) انظر شرح الزرقاني على مختصر خليل، ومعه: الفتح الرباني فيما ذهل عنه الزرقاني، المؤلف: عبد الباقي بن يوسف بن أحمد الزرقاني المصري (المتوفى: 1099هـ)، ضبطه وصححه وخرج آياته: عبد السلام محمد أمين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2002م، عدد الأجزاء: 8، ج: 7 ص: 190 - 192، وشرح مختصر خليل للخرشي، المؤلف: محمد بن عبد الله الخرشى المالكي أبو عبد الله (المتوفى: 1101هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة - بيروت، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، = عدد الأجزاء: 8، ج: 7 ص: 114، والمغني: [مغني قراء المختصر عن التعب في تصحيح الطرر]، وهو شرح على مختصر العلامة = خليل بن إسحق في الفقه المالكي، المؤلف: العلامة: أحمد بن محمد عيني بن أحمد الهادي اللمتوني الشنقيطي الموريتاني (المتوفى: 1321هـ)، جمع، وإعداد، وإخراج، وتحقيق، وتخريج الأستاذ: عبد الله ولد إبراهيم ولد عيدات، راجعه، وعلق عليه، وقام بمقابلته على أصح النسخ المتوفرة الأستاذ: القطب ولد محمد محفوظ، الناشر: مكتبة الإصلاح بموريتانيا بتاريخ: 1439هـ - 2018م، ج: 4 ص: 125.

يُعتَصِرُ منه؛ لأن الهبة للأيتام يراد بها وجه الله عز وجل، كالصدقة، وهي لا تعتصر، وإذا وهبت الأم شيئاً لولدها الكبير، فلها أن تعتصره منه، سواء كان ذا أب، أم لا، أمّا إذا وهبت لأولادها الصغار شيئاً، وطراً لهم اليتيم بعد هبتها لهم في حياة أبيهم، فقد اختلف السادة المالكية هل يجوز لها في هذه الحالة أن تعتصره منهم، أم لا على رأيين⁽¹⁾؛

الرأي الأول: أنه يجوز للأم الاعتصار من أبنائها، ولو طراً لهم اليتيم بعد هبتها لهم في حياة أبيهم، ولو بعد بلوغهم؛ لأن الهبة إذ ذاك لم تكن بمعنى الصدقة، حيث كان للموهوب له أب حين الهبة، وهذا الرأي هو اختيار الإمام اللخمي⁽²⁾، وقد درج عليه الشيخ خليل بن إسحاق في المختصر، حيث قال، مبالغاً في جواز اعتصار الأم من ولدها الصغير الذي وهبته شيئاً في حياة أبيه: (ولو تيمّم على المختار⁽³⁾)، فإذا وهبت الأم لولدها الصغير، وله أب، ثم طراً له اليتيم بعد الهبة، فإنه يجوز لها على هذا الرأي أن تعتصر منه، ولو بعد بلوغه؛ لأن الهبة لم تكن حينئذ بمعنى الصدقة، حيث كان له أب حين الهبة، وأما إن كان حين الهبة لا أب له، فليس لها أن تعتصرها منه؛ لأنه يتيم، ويعدّ ذلك كالصدقة، وهي لا يجوز اعتصارها، وأما لو وهبت لولدها الكبير، فلها الاعتصار منه مطلقاً، سواء كان له، أب، أم لا⁽⁴⁾.

الرأي الثاني: أنه ليس للأم الاعتصار من أبنائها بعد طرّو اليتيم لهم، فإذا وهبت لولدها الصغير في حياة أبيه، ثم مات الأب قبل بلوغ الولد، لم يكن لها أن تعتصر منه؛ لأنه بموت الأب قبل البلوغ، انقطع الاعتصار، فلا يعود بعد ذلك⁽⁵⁾، وبهذا الرأي قال محمد بن المواز⁽⁶⁾، ومحمد بن أبي زيد القيرواني في النوادر⁽⁷⁾.

ويبدو للباحث أن الشيخ عبد الباقي الزرقاني يميل إلى هذا الرأي؛ لأنه تعقّب - تبعاً لشيخه علي الأجهوري - ما درج عليه الشيخ خليل في المختصر من أنه يجوز للأم الاعتصار من أبنائها، ولو طراً لهم اليتيم بعد هبتها لهم في حياة أبيهم، ولو بعد البلوغ⁽⁸⁾، وكذلك مال إليه الشيخ العدوي في حاشيته على الخرشي⁽⁹⁾، والشيخ

(1) انظر تحبير المختصر، ج: 5 ص: 21، وشرح الزرقاني على مختصر خليل، ومعه: الفتح الرباني فيما ذهل عنه الزرقاني، المؤلف: عبد الباقي بن يوسف بن أحمد الزرقاني المصري (المتوفى: 1099هـ)، ج: 7 ص: 192، وحاشية الإمام الرهوني على شرح الزرقاني لمختصر العلامة خليل، المؤلف: سيدي محمد بن أحمد الحاج الرهوني، المطبعة الأميرية ببولاق مصر، ط: 1، بتاريخ: 1306هـ، ج: 7 ص: 231 - 232، والشرح الكبير لمختصر خليل للدردير، ومعه حاشية محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (المتوفى: 1230هـ)، ج: 4 ص: 111، ومنح الجليل شرح مختصر خليل، المؤلف: محمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو عبد الله المالكي (المتوفى: 1299هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1409هـ/1989م، عدد الأجزاء: 9، ج: 8 ص: 206 - 207، والمغني: [مغني قراء المختصر عن التعبد في تصحيح الطرّاء]، ج: 4 ص: 125.

(2) التبصرة، للإمام اللخمي، ج: 8 ص: 3533.

(3) كان الأولى للمصنف أن يعبر بصيغة الفعل؛ لأنه اختيار من عند نفسه، مقابل به ما قاله ابن المواز وابن أبي زيد، وظاهر المدونة أنه ليس لها اعتصار، وإذا علمت ذلك، فكيف يصح منه العدول عن ذلك إلى ما اختاره اللخمي من نفسه، فالمناسب تبعيتهم. انظر حاشية العدوي على شرح مختصر خليل للخرشي، ج: 7 ص: 114.

(4) انظر شرح مختصر خليل للخرشي، ج: 7 ص: 114.

(5) انظر تحبير المختصر، ج: 5 ص: 21.

(6) انظر شرح الزرقاني على مختصر خليل، ومعه: الفتح الرباني فيما ذهل عنه الزرقاني، ج: 7 ص: 192.

(7) حيث قال: (ولو وهبت لابنها الصغير، فبلغ الحلم، ثم مات أبوه، فلها أن تعتصر، فأما إن مات الأب في صغره، ثم كبر، فلا تعتصر؛ لأنه إذا انقطع الاعتصار، فلا يعود). النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن (أبي زيد) عبد الرحمن النفزي، القيرواني، المالكي (المتوفى: 386هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1999م، عدد الأجزاء: 15 (14 جزء، ومجلد فهارس)، ج: 12 ص: 191.

(8) كلام الشيخ عبد الباقي الزرقاني يُفيد التعقّب على المصنف من وجهين:

أحدهما: أن المطابق لاصطلاحه التعبير بصيغة الفعل، لأن اختيار اللخمي هنا إنما هو من عنده، لا من الخلاف، وقد قال في خطبة الكتاب: "وبالاختيار لللخمي، لكن إن كان بصيغة الفعل، فذلك لاختياره هو في نفسه، وبالاسم، فذلك لاختياره من الخلاف"، فكان من حقّه التعبير بالفعل.

ثانيهما: أن قول ابن المواز وابن أبي زيد هو ظاهر المدونة، فاعتمد المصنف قول اللخمي، وترك المنصوص.

ولكن لم يسلم له محشيه الشيخ البناني هذين الاعتراضين على المصنف، حيث قال بعد أن ذكرهما: (قلّ: كون اختيار اللخمي ليس بمنصوص هو ظاهر النقل في أبي الحسن، والتوضيح، وغيرهما، ولكن ذكر أبو الحسن أن لفظ المدونة محتمل لكل من القولين، ويؤخذ منه أن ما لللخمي هو ظاهرها، ولعلّ المصنف لهذا اقتصر عليه، وعبر بالاسم، لأنه ظاهر المدونة، ونصها: (ولأم أن تعتصر ما وهبت، أو نحت لولدها الصغير في حياة أبيه، أو لولدها الكبير... إلخ)، أبو الحسن: انظر قولها: "في حياة أبيه" ما العامل فيه، هل قوله:

الدردير في الشرح الكبير، حيث قال بعد تقرير كلام المصنف ما نصه: (ثمَّ إنَّ اللخمي اختار ما ذكر من نفسه، مخالفاً فيه للأئمة، ولظاهر المدونة، فلا يعوَّل عليه، فلو قال المصنف: "كأُم فقط، وهبت كبيراً، أو صغيراً، ذا أب، وإن مجنوناً، إلا أن ييتم"، لكان جارياً على المذهب، مع الإيضاح⁽¹⁾).

• الفرع الثاني: أدلة الطرفين مع الترجيح:

قبل ذكر أدلة الطرفين أنبّه إلى أن هذه المسألة من المسائل الخلافية الفرعية التي لم يعثر الباحث على نص من نصوص الوحي يتطرق إليها بشكل خاص، وبالتالي يبقى الاستدلال فيها مبني على كلام الفقهاء وأرائهم، ونقولهم، فهو في الغالب الأعم استدلال مذهبي.

■ أولاً: أدلة الطرف الأول:

استدل أصحاب القول الأول القائلين إنه يجوز للأم الاعتصار من ابنها، ولو طراً له اليتيم بعد هبتها له في حياة أبيه، ولو بعد بلوغه بعدة أمور، منها ما يلي⁽²⁾:

— أن قول الشيخ عبد الباقي الزرقاني إنَّ الرأي الثاني: "هو أيضاً ظاهر المدونة" فيه نظراً، بل ظاهر المدونة موافق لاختيار اللخمي، بل كاد أن يكون صريحاً فيه؛ لأنه قال فيها بعد كلامها الذي في حاشية البناني⁽³⁾ ما نصه: (فإن لم يكن للصغير أب حين وهبته، أو نحلته، فليس لها أن تعتصر؛ لأنه يتيماً، ولا يُعتصر من يتيماً⁽⁴⁾). فمفهوم قوله: "فإن لم يكن للصغير أب حين وهبته، أو نحلته، فليس لها أن تعتصر" أنه إن كان للصغير أب حين وهبته، أو نحلته أن لها أن تعتصر منه حينئذٍ.

— أن نقل ابن أبي زمنين في منتخبه، ومقرّبه لكلام المدونة يُعَيِّنُ القول الأول، ونص المنتخب: (قال سحنون: قلت لابن القاسم: فما وهبت الأم لولدها، أيجوز لها أن تعتصر منه شيئاً؟ فقال: قال مالك: ما وهبت الأم لولدها، أو نحلته، وله أب، فإنَّ الأم تعتصر ذلك، ما لم يستحدثوا ديناً، أو ينكحوا⁽⁵⁾، ومثله في المقرب. ووجه ذلك أن كلامه مطلق في أنه يجوز لها الاعتصار فيما وهبته لولدها، أو نحلته، إذا كان له أب، فلم يُقَيَّد ذلك إلا بقوله: "ما لم يستحدثوا ديناً، أو ينكحوا").

— أن كلام أبي الحسن يفيد أن ما قاله المصنف هو الصواب، لما ذكره عن المدونة.

— أن كلام الإمام اللخمي يشهد له، حيث قال: (وإن كان له أب يوم العطية، فلم تعتصر الأم حتى مات الأب، كان لها أن تعتصر، لأنها لم تكن على وجه الصدقة، وفي كتاب محمد أنها لا تعتصر، والأول أحسن، لأنَّ المُراعَى

"تعتصر، أو قوله: "وهبت. فإن كان العامل فيه "تعتصر"، فيكون كقول محمد، وإن كان العامل فيه "وهبت"، فمثل ما رجَّح اللخمي، فيتخرَّج القولان منه، ولا شك - يقول الشيخ البناني - أن ظاهرهما هو التعلُّق بأقرب الفعلين، وهو الثاني. انظر شرح الزرقاني على مختصر خليل، ومعه الفتح الرباني فيما ذهل عنه الزرقاني، ج: 7، ص: 192.

(9) حيث قال، معترضاً كلام المصنف: (الأولى للمصنف أن يعبر بصيغة الفعل؛ لأنه اختيار من عند نفسه، مقابل به ما قاله ابن المواز، وابن أبي زيد، وظاهر المدونة أنه ليس لها اعتصار، وإذا علمت ذلك فكيف يصح منه العدول عن ذلك إلى ما اختاره اللخمي من نفسه، فالمناسب تبعيَّتُهم). انظر حاشية العدوي على شرح مختصر خليل للخرشي، ج: 7، ص: 114.

(1) انظر الشرح الكبير لمختصر خليل للدردير، ومعه حاشية محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي، ج: 4، ص: 111.

(2) ساق بعض هذه الأدلة الشيخ الرهوني، معتبراً أن ترجيح المصنف لكلام الإمام اللخمي، وتعبيره عنه بالاسم هو الصواب، وأنَّ تعقُّب الشيخ علي الأجهوري، ومن تبعه عليه ساقطان معاً بلا ارتباط. انظر حاشية الإمام الرهوني على شرح الزرقاني لمختصر العلامة خليل، المؤلف: سيدي محمد بن أحمد الحاج الرهوني، المطبعة الأميرية ببولاق مصر، ط: 1، بتاريخ: 1306هـ، ج: 7، ص: 131 - 132.

(3) يعني بها قولها: (ولأم أن تعتصر ما وهبت، أو نحلته لولدها الصغير في حياة أبيه، أو لولدها الكبير... إلخ). انظر حاشية البناني على شرح الزرقاني، ج: 7، ص: 192.

(4) قال ابن ناجي في شرحها: (واختلف إذا وهبته في حياة الأب، ثم مات الأب، فقبل تعتصر، واختاره اللخمي، وقيل لا. وقاله في كتاب محمد، قال أبو إبراهيم: والأول ظاهر الكتاب، لأن قوله: "في حياة أبيه" متعلِّق بقوله: "ما وهبت"، ويحتمل أن العامل فيه الاعتصار، فيكون كالقول الثاني، وقوله: "فإن لم يكن للصغير أب حين وهبته، أو نحلته، فليس لها أن تعتصر" يُقَوِّي الأول، ونحوه لأبي الحسن. انظر حاشية الإمام الرهوني على شرح الزرقاني لمختصر العلامة خليل، المؤلف: سيدي محمد بن أحمد الحاج الرهوني، ج: 7، ص: 231.

(5) هكذا نسبة الإمام الرهوني في حاشيته للمنتخب، ولحد الآن لم أجده فيه انظر حاشية الإمام الرهوني على شرح الزرقاني لمختصر العلامة خليل، ج: 7، ص: 231.

وقت العطية هل كانت هبة، أو صدقة⁽¹⁾، فأنت - يقول الشيخ الرهوني - تراه أتى بالأول غير معزّو، كأنه المذهب، وهو موافق في ذلك لما تقدم عن المنتخب، والمقرب، وغيرهما، ثم عزا مقابله لكتاب محمد، ثم قال: والأول أحسن، فلهذا درج عليه الشيخ خليل في مختصره الذي التزم في خطبته أن يبيّن ما به الفتوى⁽²⁾. - أنه لكون الأول هو المذهب اقتصر عليه ابن سلمون، وكذا المتيطي، وكذا ابن فتوح في وثائقه المجموعة، قال ابن سلمون: (وكذلك إن كان الأب ميتاً حين الهبة، فلا اعتصار للأُم فيما وهب له⁽³⁾)، ووجه ذلك أنه يدلّ بمفهوم المخالفة أنه يجوز لها الاعتصار بعد موت الأب لما وهبته لابنها، إذا كان الأب حياً حين الهبة. وقال المتيطي: (واختُلِف في الأُم: فقال مالك، وابنُ القاسم: للأُم أن تعتصر، إلّا أن يكون ولدها حين الهبة يتيماً صغيراً، أو سفيهاً في ولاية، فلا تعتصر، قال ابن الماجشون في الواضحة: إذا حاز له الأب، أو الوصيُّ الهبة، أو هو بنفسه، إن كان يلي أمره، لم تعتصرها، وإنما لها ذلك ما لم تخرج العطية من يدها⁽⁴⁾)، ووجه ذلك أن قوله: "فقال مالك، وابنُ القاسم: للأُم أن تعتصر، إلّا أن يكون ولدها حين الهبة يتيماً صغيراً، أو سفيهاً في ولاية، فلا تعتصر" صريحٌ بمفهوم المخالفة أنه إن كان ولدها حين الهبة غير يتيماً صغيراً، أو سفيهاً في ولاية، أنّه يجوز لها أن تعتصر منه ما وهبته.

وقال ابن فتوح: (ثم توفي أبوهم بعد الهبة، فإنَّ لها أن تعتصرها⁽⁵⁾)، وهو صريحٌ في أن وفاة أبيهم بعد الهبة لا يمنع لها أن تعتصر منهم ما وهبته لهم في حياة أبيهم، فلهذا حمل ابن عاتٍ في طرده كلام ابن فتوح على إطلاقه، حيث قال: (وهم قد بلغوا باتفاق، وإن كانوا لم يبلغوا باختلاف، فانظر في أبواب الاعتصار من المدونة⁽⁶⁾)، فيتضح لك أنه حمّله على الإطلاق، وجعل ما ذهب عليه فيما إذا لم يبلغوا مذهب المدونة، وعلى هذا حمل ابن الناظم⁽⁷⁾ قول والده أبي بكر محمد بن عاصم⁽⁸⁾:

والأُم ما حيَّ أبٌ تَغْتَصِر... وحيث جاز الاعتصار يُدْكَر⁽⁹⁾

(1) التبصرة، للإمام اللخمي، ج: 8، ص: 353.

(2) حيث قال في خطبته: (وبعد، فقد سألتني جماعة، أبان الله لي، ولهم معالم التحقيق، وسلك بنا، وبهم أنفع طريق مختصراً على مذهب الإمام

مالك بن أنس، رحمه الله تعالى، مبينا لما به الفتوى، فأجبت سؤالهم بعد الاستخارة). مختصر العلامة خليل، ص: 11.

(3) نصه بتمامه: (هبة الاعتصار جائزة للأب وحده باتفاق، وللأُم على الأشهر، وسواء كان الابن صغيراً، أو كبيراً، فإن كان الابن فقيراً، فلا اعتصار

لأحد منهما، وكذلك إن كان الأب ميتاً حين الهبة، فلا اعتصار للأُم فيما وهب له)، العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من الأحكام،

تأليف الإمام الفقيه أبي محمد عبد الله بن عبد الله ابن سلمون الكنائي، المتوفى: (741هـ)، عناية وتعليق: أ. محمد عبد الرحمن الشاغول،

الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، بتاريخ: 1432هـ - 2011م، ج: 1، ص: 481.

(4) انظر حاشية الإمام الرهوني على شرح الزرقاني لمختصر العلامة خليل، ج: 7، ص: 232.

(5) انظر المرجع السابق، ج: 7، ص: 232.

(6) انظر المرجع السابق، ج: 7، ص: 232.

(7) هو قاضي الجماعة أبو يحيى محمد بن أبي بكر محمد بن عاصم: الأستاذ المحقق العالم الحافظ النظار، فريد العصر، والأوان، فصيح

القلم، واللسان، أخذ عن جماعة منهم والده، وعنه، له تأليف مفيدة، منها شرح تحفة والده، والروض الأريض في تراجم ذوي السيوف

والأقلام والقريض، وله تأليف في فنون شتى من العلم، نقل عنه الونشريسي في مواضع من معياره، كان بالحياة سنة: 857هـ، وتوفي على

ما قيل ذبيحاً من جهة السلطان. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المؤلف: محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف

(المتوفى: 1360هـ)، علق عليه: عبد المجيد خيالي، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2003م، عدد الأجزاء: 2، ج:

1، ص: 358.

(8) هو قاضي الجماعة أبو بكر محمد بن محمد بن عاصم الغرناطي: الفقيه الأصولي المحدث العالم المحقق المطلع، المتفنن في علوم شتى،

المرجوع إليه في المشكلات، والفتوى، أخذ عن أعلام منهم أبو إسحاق الشاطبي، وأبو عبد الله الشريف التلمساني، وأبو إسحاق ابن الحاج،

وابن لب، وغيرهم، وأخذ عنه ولده القاضي أبو يحيى، وغيره، له تأليف نافعة، منها التحفة، وقع عليها القبول، واعتمدها العلماء، وشرحها

جماعة، وله أرجوزة في الأصول، واختصار الموافقات، وأرجوزة في النحو، وأخرى في الفرائض، وأخرى في القراءات، وغير ذلك، مولده

سنة: 760هـ، وتوفي سنة: 829هـ [1425م]. المرجع السابق، ج: 1، ص: 356.

(9) تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام، المؤلف: محمد بن محمد بن محمد، أبو بكر ابن عاصم القيسي الغرناطي (المتوفى: 829هـ)،

المحقق: محمد عبد السلام محمد، الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1432هـ - 2011م، عدد الأجزاء: 1، ص: 88، البيت

رقم: 1209.

حيث قال: (وتلحق الأم بالأب في جواز اعتصارها ما تهب لبنيتها، ولكن بشرط وقوع الهبة في حياة الأب، وليس لها أن تعتصر ما وهبته بعد موت أبيه⁽¹⁾)، فصرح بأن الأم يجوز لها أن تعتصر ما وهبته لبنيتها في حياة أبيهم، بخلاف ما وهبته لهم بعد موت أبيهم، فليس لها أن تعتصره منهم.

— أن الشيخ ميارة صرح في شرح التحفة بأن ما اقتصر عليه هؤلاء هو المشهور، ونصه: (فإن مات الأب، وكانت قد وهبته في حياته، فقولان، المشهور تعتصر، فإن وهبته بعد موت أبيه، وهو صغير، فلا اعتصار لها؛ لأنه يتيم⁽²⁾)، وسلمه أبو علي في حاشيته، وكذا رجّحه هنا في الشرح⁽³⁾.

— أن كلام الإمام اللخمي نقله، وسلمه أيضا المصنف في توضيحه⁽⁴⁾، والشيخ بهرام في كتبه⁽⁵⁾، وابن شأس⁽⁶⁾، والقلشاني على الرسالة، وابن ناجي أيضا عليها، وابن الفاكهاني⁽⁷⁾.

وبذلك كله - يقول الشيخ الرهوني - تعلم أن ترجيح المصنف لكلام اللخمي، وتعبيره عنه بالاسم هو الصواب، وأن تعقب علي الأجهوري، ومن تبعه عليه ساقطان معاً بلا ارباب، فشد يدك على كلام المصنف؛ لأنه هو التحقيق⁽⁸⁾.

■ ثانياً: أدلة الطرف الثاني:

استدل أصحاب الرأي الثاني القائلين إنه ليس للأم الاعتصار من ابنها بعد طرؤ اليتم له بعدة أمور، منها ما يلي:

— أن الإمام ابن يونس اقتصر عليه، وساقه كأنه المذهب، حيث قال في جامعه في معرض حديثه عن اعتصار الأم: (قال محمد: فإن وهبت لولدها الصغير، فبلغ قبل أن يموت الأب، ثم مات أبوه، كان للأم أن تعتصر ما وهبته، فأما إن مات الأب قبل بلوغ الولد، ثم كبر الولد، فليس للأم أن تعتصر؛ لأن بموت الأب قبل البلوغ انقطع الاعتصار فلا يعود بعد ذلك⁽⁹⁾).

- (1) انظر حاشية الإمام الرهوني على شرح الزرقاني لمختصر العلامة خليل، ج: 7 ص: 232.
- (2) الإتيان والإحكام في شرح تحفة الحكام المعروف بشرح ميارة، المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن محمد الفاسي، ميارة (المتوفى: 1072 هـ)، الناشر: دار المعرفة، عدد الأجزاء: 2، ج: 2 ص: 157.
- (3) انظر حاشية الإمام الرهوني على شرح الزرقاني لمختصر العلامة خليل، ج: 7 ص: 232.
- (4) التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب، المؤلف: خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي المالكي المصري (المتوفى: 776 هـ)، المحقق: د. أحمد بن عبد الكريم نجيب، الناشر: مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م، عدد الأجزاء: 8، ج: 7 ص: 350.
- (5) قال في الشامل: (والهبة ثلاثة أضرب: مقيّد بنفي الثواب، ومطلق، ومقيّد به، الأوّل لمودّة، ومحبة، أو لوجه الله تعالى، كصلة رحم، فلا رجوع فيها لمودة، ومحبة، إلا لأب من ولد عني، وكذا فقير، ومنعه سحتون، إلا ممّن في حجره ممن بان عنه، وله مال، وكذا الأم إن وهبت ذا أب، ولو مجنوناً، وقيل: ما لم يجزه المولى عليه، أو هو إن ولي نفسه، وإن كانت مولاة عليه، فلها ذلك، اللخمي: ويختلف إذا كان الأب، والولد فقيرين، ولا تعتصر من يتيم، محمد: إن وهبته صغيراً، فبلغ، ثم مات أبوه، فلها ذلك، لا إن مات قبل بلوغه، ثم كبر هو). الشامل في فقه الإمام مالك، المؤلف: بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر بن عوض، أبو البقاء، تاج الدين السلمي الدّميريّ الدّفيّاطي المالكي (المتوفى: 805 هـ)، ضبطه، وصححه: أحمد بن عبد الكريم نجيب، الناشر: مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م، عدد الأجزاء: 2 (في ترقيم مسلسل واحد)، ج: 2 ص: 825.
- (6) عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، المؤلف: أبو محمد جلال الدين عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار الجذامي السعدي المالكي (المتوفى: 616 هـ)، دراسة وتحقيق: أ. د. حميد بن محمد لحمر، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م، عدد الأجزاء: 3 (في ترقيم مسلسل واحد)، ج: 3 ص: 985.
- (7) انظر حاشية الإمام الرهوني على شرح الزرقاني لمختصر العلامة خليل، ج: 7 ص: 232.
- (8) انظر المرجع السابق، ج: 7 ص: 232.
- (9) الجامع لمسائل المدونة، المؤلف: أبو بكر محمد بن عبد الله بن يونس التميمي الصقلي (المتوفى: 451 هـ)، المحقق: مجموعة باحثين في رسائل دكتوراه، الناشر: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي - جامعة أم القرى (سلسلة الرسائل الجامعية الموصى بطبعتها)، توزيع: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1434 هـ - 2013 م، عدد الأجزاء: 24، ج: 19 ص: 619.

— أنه هو ظاهر عبارة ابن أبي زيد القيرواني في الرسالة، حيث قال: (والأُمُّ تعتصر ما دام الأب حيا، فإذا مات لم تعتصر، ولا يعتصر من يتيم، واليُتَمُّ من قَبِلَ الأب⁽¹⁾)، قال في الفواكه الدواني، معلقا عليه: (وظاهر كلام المصنف سواء وقعت الهبة قبل يتمه، أو في حال حياته، خلافا للخي في قوله: إنها تعتصر من ذوي الأب، ولو تيمَّم بعد ذلك، ومفهوم كلامه أنها لو وهبت لكبير بعد موت أبيه لها أن تعتصر منه، والحاصل أن الذي وهبته أمه إن كان بالغا حين الهبة، فلها الاعتصار منه، ولو لم يكن له أب؛ لأنه لا يسمَّى يتيما، وأما إن كان صغيرا حين الهبة، فإن كان له أب، فلها الاعتصار منه ما دام أبوه حيا، وأما إن كان صغيرا حين الهبة، ولا أب له، فلا اعتصار لها، ولو بلغ قبل الاعتصار، وأما لو وهبت الصغير ذا الأب، ثم مات أبوه، والصبي صغير، ففيه قولان، أحدهما: لها الاعتصار، وهو ظاهر المصنف، والمدونة، ومقابله للخي، ومشى عليه خليل⁽²⁾).

— أن الشيخ أحمد الصاوي صرح بأنه المعتمد، حيث قال في حاشيته على الشرح الصغير للدردير: (حاصل فقه المسألة أن الأم إذا وهبت لولدها، فإن كان وقت الهبة كبيرا، كان لها الاعتصار، كان للولد أب أم لا، وإن كان صغيرا، كان لها الاعتصار إن كان له أب، عاقلاً كان الأب، أو مجنوناً، موسراً، أو معسراً، فإن تيمم الصغير بعد الهبة، فهل لها الاعتصار، نظراً إلى حالة وقت الهبة؛ أو ليس لها الاعتصار؛ نظراً للحالة الراهنة قولان: المعتمد الثاني، وإن كان الولد الصغير حين الهبة يتيما، فليس لها الاعتصار قولاً واحداً، ولو بعد بلوغه⁽³⁾).

— أن الأمير صرح بأنه المذهب، وضعف مقابله، حيث قال، ممزوجاً بشرحه: ("ولأب نزغ الهبة"، ولا يشترط لفظ الاعتصار على التحقيق، حاز الولد، ولا ذكراً، أو أنثى غنيا، أو فقيراً، صغيراً أو كبيراً، "كالأم من ذي الأب"، ولو فقيراً، أو مجنوناً، "لا إن طرأ يتمه على المذهب"، واختياراً للخي في الأصل ضعيف، ومعلوم أنه لا يتم إلا قبل البلوغ⁽⁴⁾).

■ ثالثاً: الترجيح من وجهة نظر الباحث:

يرى الباحث أنه وإن كان كل من الرأيين قد رجَّحه بعضُ الفقهاء، وبالنظر إلى أدلة كل من الفريقين أن الرأي الأول القائل بأنه يجوز للأم أن تعتصر من أبنائها الصغار، ولو طرأ لهم اليتيم بعد هبتها لهم في حياة أبيهم، ولو بعد بلوغهم هو الرأي الأرجح؛ وذلك نظراً لما يلي:

— أن الإمام القرافي صدَّره، كأنه المذهب، وحكى مقابله بقليل: (وإن لم تعتصر الأم في الصغير حتى مات الأب، لها الاعتصار؛ نظراً إلى حالة العقد، وقيل: لا تعتصر⁽⁵⁾).

— أن ابن شأس صدَّره بهذا القول، معللاً له، حيث قال: (ولو كان الأب موجوداً يوم العطية، فلم تعتصر الأم حتى مات الأب، كان لها أن تعتصر، لأنها لم تكن على وجه الصدقة، وفي كتاب محمد: لا تعتصر إذا مات الأب قبل بلوغ الولد، قال أبو الحسن اللخمي: "والأول أحسن؛ لأن المراعى وقت العطية، هل كانت هبة أو صدقة"⁽⁶⁾).

— أن الشيخ خليل (أ) صرَّح في التوضيح بأنه الأحسن، حيث قال: (وإن لم تعتصر الأم حتى مات الأب، كان لها أن تعتصر؛ لأنه لم تكن على وجه الصدقة، وفي الموازية: لا تعتصر، والأول أحسن؛ لأن المراعى يوم العطية⁽⁷⁾).

(1) متن الرسالة، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن (أبي زيد) عبد الرحمن النفزي، القيرواني، المالكي (المتوفى: 386هـ)، الناشر: دار الفكر، عدد الأجزاء: 1 ص: 40.

(2) الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، المؤلف: أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهرى المالكي (المتوفى: 1126هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1415هـ - 1995م، عدد الأجزاء: 2، ج: 2 ص: 156.

(3) بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير (الشرح الصغير هو شرح الشيخ الدردير لكتابه المسمى أقرب المسالك لمذهب الإمام مالك)، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي المالكي، ج: 2 ص: 317.

(4) ضوء الشموع شرح المجموع في الفقه المالكي، المؤلف: محمد الأمير المالكي، بحاشية: حجازي العدوي المالكي، المحقق: محمد محمود ولد محمد الأمين المسومي، الناشر: داريوسف بن تاشفين - مكتبة الإمام مالك [موريتانيا - نواكشوط]، الطبعة: الأولى، 1426هـ - 2005م، عدد الأجزاء: 4، ج: 4 ص: 61.

(5) الذخيرة، المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: 684هـ)، المحقق: محمد حجي، وآخرون، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1994م، عدد الأجزاء: 14 (13 ومجلد للفهارس)، ج: 6 ص: 270.

(6) عقد الجواهر الشينة في مذهب عالم المدينة، ج: 3 ص: 985.

(7) التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب، ج: 7 ص: 350.

— أن الشيخ عlish (١) سلم ما ذكره الإمام للخلي من أن القول بصحة الاعتصار، والحالة هذه هو الأحسن، حيث قال بعد تقرير كلام المصنف: (وأشار بـ "ولو" لقول ابن المواز لا تعتصر منه، فيها للإمام مالك رضي الله تعالى عنه ما وهبت الأم، أو نحت لولدها الصغار، ولا أب لهم، فليس لها اعتصاره؛ لأنه يتيم، ولا يعتصر من يتيم، ويعد ذلك كالصدقة عليه، ابن القاسم: إن وهبتهم، والأب مجنون جنونا مطبقا، فهو كالصحيح في وجوب الاعتصار لها، للخلي: إن كان له أب يوم العطية، ولم تعتصر حتى مات أبوه، فإن لها اعتصارها؛ لأنها لم تكن على وجه الصدقة، وفي كتاب محمد: لا تعتصر، والأول أحسن؛ لأن المراعى وقت العطية، هل كانت هبة، أو صدقة، والذي قاله محمد حسيما نقل ابن يونس إن وهبت لولدها الصغير، فبلغ قبل موت أبيه، ثم مات أبوه، فلأمه اعتصار ما وهبت، وإن مات الأب قبل بلوغ الولد، ثم بلغ، فليس لها الاعتصار؛ لانقطاعه بموت أبيه قبل بلوغه^(١).

— أن ابن بزيمة صدّره، حيث قال: (ولو كان الأب يوم العطية، فلم تعتصر الأم حتى مات الأب، كان لها أن تعتصر؛ لأنها لم تكن على وجه الصدقة، وفي كتاب محمد: لا تعتصر؛ بناء على مراعاة يوم الاعتصار، لا يوم الهبة^(٢)).

— أن الشيخ المواق صدّره، حيث قال، معلقا على قول المصنف: "ولو يتيما على المختار": ("للخلي: إن كان له أب يوم العطية، فلم تعتصر حتى مات الأب، كان لها أن تعتصر؛ لأنها لم تكن على وجه الصدقة"، والذي لابن يونس قال محمد: إن وهبت لولدها الصغير، فبلغ قبل أن يموت الأب، ثم مات أبوه، كان للأم أن تعتصر ما وهبت، فأما إن مات قبل بلوغ الولد، فليس للأم أن تعتصر ما وهبت؛ لأن بموت الأب قبل البلوغ انقطع الاعتصار، فلا يعود^(٣)).

— أن الشيخ البناني ذهب إليه، حيث لم يُسلم الاعتراض الذي ذكره الشيخ عبد الباقي الزرقاني في شرحه على المختصر — تبعاً لشيخه علي الأجهوري — على كلام المصنف^(٤).

— أن الشيخ عثمان بن المكي التوزري الزبيدي صرح بأنه هو الأرجح، حيث قال، معلقا على قول صاحب التحفة:

والأم ما حيّ أب تعتصر... وحيث جاز الاعتصاري ذكر^(٥)

("وقوله: والأم ما حيّ أب تعتصر" ظاهرة أن الأب إذا مات قبل بلوغ الولد، فلا اعتصار لها، وهو كذلك على أحد قولين، لكن الراجح خلافه^(٦)).

(1) منح الجليل شرح مختصر خليل، المؤلف: محمد بن أحمد بن محمد عlish، أبو عبد الله المالكي (المتوفى: 1299هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1409هـ/1989م، عدد الأجزاء: 9، ج: 8، ص: 206.

(2) روضة المستبين في شرح كتاب التلقين، المؤلف: أبو محمد، وأبو فارس، عبد العزيز بن إبراهيم بن أحمد القرشي التميمي التونسي المعروف بابن بزيمة (المتوفى: 673هـ)، المحقق: عبد اللطيف زكاغ، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، 1431هـ - 2010م، عدد الأجزاء: 2 (في ترقيم واحد متسلسل)، ج: 2، ص: 1418.

(3) التاج والإكليل لمختصر خليل، المؤلف: محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي، أبو عبد الله المواق المالكي (المتوفى: 897هـ)، الناشر: دار الفكر، سنة النشر: 1398، مكان النشر: بيروت لبنان، عدد الأجزاء: 6، ج: 2، ص: 157، وشرح الزرقاني على مختصر خليل، المؤلف: عبد الباقي بن يوسف بن أحمد الزرقاني المصري (المتوفى: 1099هـ)، 8 ص: 26.

(4) حيث قال بعد أن ذكر الاعتراضين الذين اعترض بهما الشيخ عبد الباقي الزرقاني على كلام المصنف: (قلت: كون اختيار للخلي ليس بمنصوص هو ظاهر النقل في أبي الحسن، والتوضيح، وغيرهما، ولكن ذكر أبو الحسن أن لفظ المدونة محتمل لكل من القولين، ويؤخذ منه أن ما للخلي هو ظاهرها، ولعل المصنف لهذا اقتصر عليه، وعبر بالاسم؛ لأنه ظاهر المدونة، ونصها: (ولأم أن تعتصر ما وهبت، أو نحت لولدها الصغير في حياة أبيه، أو لولدها الكبير... إلخ)، أبو الحسن: انظر قولها: "في حياة أبيه" ما العامل فيه، هل قوله: "تعتصر"، أو قوله: "وهبت"، فإن كان العامل فيه "تعتصر"، فيكون كقول محمد، وإن كان العامل فيه "وهبت"، فمثل ما رجّح للخلي، فيتخرج القولان منه. ولا شك - يقول الشيخ البناني - أن ظاهرها هو التعلق بأقرب الفعلين، وهو الثاني. انظر حاشية البناني على شرح الزرقاني ج: 7، ص: 192.

(5) تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام، ص: 88، البيت رقم: 1208.

(6) انظر توضيح الأحكام شرح تحفة الحكام، المؤلف: عثمان بن المكي التوزري الزبيدي، الناشر: المطبعة التونسية، الطبعة: الأولى، 1339هـ، عدد الأجزاء: 4، ج: 3، ص: 33.

— أن الشيخ التسولي اعتمده، وساق نص الشيخ خليل في المختصر، الذي تبع فيه الإمام اللخمي، حيث قال عند قول صاحب التحفة: "والأم ما حي أب تعتصر" ما نصه: (أي: تعتصم ما وهبته لولدها الصغير مدة حياة الأب ما لم تفت الهبة، فإن فأت الهبة بزید، أو نقص، ونحوهما، فلا اعتصار لها، وظاهر أنه إذا مات الأب لا اعتصار لها أيضاً، وليس كذلك، خليل: "كأم فقط وهبث ذا أب، ولو تيمم على المختار"، وهذا في الصغير، وأما الكبير فتعصر منه ما وهبته مطلقاً⁽¹⁾.

— أن الشيخ محمداً في اللوامع صرح بأنه هو المشهور، حيث قال، معلقاً على قول المصنف: "ولو تيمم على المختار": (يعني أنها إذا وهبت لولدها الصغير، وهو ذو أب، فإنها تعصر منه، وإن مات أبوه بعد الهبة، إن طرأ له اليتيم بعد هبتها له في حياة أبيه، هذا هو المشهور، كما قاله غير واحد، ومقابل المختار لابن المواز، وأبي محمد، فإنه قال: والأم تعصر ما دام الأب حياً⁽²⁾).

خاتمة:

في نهاية هذه الدراسة، ووقفاً عند الخطة التي رسمتها في البداية لا يسعني في نهاية هذا العمل المبارك إلا أن أشير إلى أبرز النتائج المستخلصة، وأهم التوصيات، وذلك على النحو الآتي:

• أولاً: النتائج:

- 1 — أن الاعتصار في اصطلاح الفقهاء هو: "ارتجاع المغطي عطيته، دون عوض، لا بطوع المغطي، وصيغته ما دل عليه لفظاً".
- 2 — أن الأم إذا وهبت لولدها، فإن كان وقت الهبة كبيراً، جاز لها الاعتصار، سواء كان للولد أب، أم لا، وإن كان صغيراً، كان لها الاعتصار إن كان له أب، عاقلاً كان الأب، أو مجنوناً، موسراً كان، أو معسراً، فإن تيمم الصغير بعد الهبة، فقد اختلف الفقهاء هل يجوز لها الاعتصار؛ نظراً إلى حاله وقت الهبة؛ أو ليس لها ذلك؛ نظراً للحالة الراهنة، أمّا إذا كان الولد الصغير حين الهبة يتيماً، فليس لها الاعتصار قولاً واحداً، ولو بعد بلوغه.
- 3 — أن الذي يبذو للباحث رجحانه من خلال الرجوع إلى كثير من المصادر الفقهية، والمراجع العلمية هو ما ذهب إليه الإمام اللخمي من أن الأم إذا وهبت شيئاً لأبنائها الصغار في حياة أبيهم، وتيمموا بعد الهبة، فإنه يجوز لها أن تعصره منهم؛ نظراً إلى حالهم وقت الهبة.

• ثانياً: التوصيات:

من خلال الدراسة يتقدم الباحث بالتوصيات التالية:

- 1 — يوصي الباحث بضرورة الاعتناء بالمسائل الفقهية الخلافية في المذهب المالكي في مختلف الأبواب الفقهية، خاصة في أبواب المعاملات، باعتبارها ميداناً رحباً للدراسة، والبحث.
- 2 — يوصي الباحث أيضاً بضرورة البحث في الأقوال التي شهّرها الإمام خليل في المختصر، واعتمدها، مقتصرًا عليها، باعتباره من أهم الكتب التي عليها التعويل اليوم في المذهب المالكي في مجال الفتوى، والترجيح، وإجراء دراسات متعددة، تتناول منهجه في التعامل مع مسائل الخلاف.

(1) البهجة في شرح التحفة ((شرح تحفة الحكام))، المؤلف: علي بن عبد السلام بن علي، أبو الحسن التُّسُولي (المتوفى: 1258هـ)، المحقق: ضبطه وصححه: محمد عبد القادر شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1998م، ج: 2، ص: 405.

(2) لوامع الدرر في هتك أستاذ المختصر، شرح مختصر خليل، للشيخ خليل بن إسحاق الجندي المالكي (ت: 776هـ)، المؤلف: محمد بن محمد سالم المجلسي الشنيطي (1206 - 1302هـ)، تصحيح وتحقيق: دار الرضوان، راجع تصحيح الحديث، وتخرجه: البدالي بن الحاج أحمد، المقدمة بقلم حفيد المؤلف: الشيخ: أحمد بن النيني، الناشر: دار الرضوان، نواكشوط - موريتانيا، الطبعة: الأولى، 1436هـ - 2015م، عدد الأجزاء: 15، ج: 11، ص: 516.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- الأشباه والنظائر، الحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، 1983م.
- الإتيقان والإحكام في شرح تحفة الحكام المعروف بشرح ميارة، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن محمد الفاسي، ميارة (المتوفى: 1072هـ)، دار المعرفة، عدد الأجزاء: 2.
- الأمر القانوني رقم: 89 - 126 الصادر بتاريخ: 14 سبتمبر 1989، المتضمن قانون الالتزامات والعقود، المعدل بالقانون رقم: 2001 - 31 الصادر بتاريخ: 7 فبراير 2001م.
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد، (المتوفى: 595هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة: الرابعة، 1395هـ/1975م.
- بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير (الشرح الصغير هو شرح الشيخ الدردير لكتابه المسمى أقرب المسالك لِمَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ)، أبو العباس أحمد بن محمد الخلوئي، الشهير بالصاوي المالكي.
- البهجة في شرح التحفة ((شرح تحفة الحكام))، علي بن عبد السلام بن علي، أبو الحسن التُّسُولِي (المتوفى: 1258هـ)، المحقق: ضبطه وصححه: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1998م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: 1205هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- توضيح الأحكام شرح تحفة الحُكَّام، عثمان بن المكي التوزري الزبيدي، الناشر: المطبعة التونسية، الطبعة: الأولى، 1339هـ، عدد الأجزاء: 4.
- تحفة الحُكَّام في نكت العقود والأحكام، محمد بن محمد بن محمد، أبو بكر ابن عاصم القيسي الغرناطي (المتوفى: 829هـ)، المحقق: محمد عبد السلام محمد، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1432هـ - 2011م، عدد الأجزاء: 1.
- تحبير المختصر وهو الشرح الوسيط على مختصر خليل في الفقه المالكي، تاج الدين بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز الدميري (المتوفى: 803هـ)، المحقق: د. أحمد بن عبد الكريم نجيب - د. حافظ بن عبد الرحمن خير، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، الطبعة: الأولى، 1434هـ - 2013م.
- التبصرة، علي بن محمد الربيعي، أبو الحسن، المعروف باللخمي (المتوفى: 478هـ)، دراسة وتحقيق الدكتور: أحمد عبد الكريم نجيب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، 1432هـ - 2011م، عدد الأجزاء: 14 في ترقيم مسلسل واحد (13 جزءاً ومجلد فهرس).
- التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب، خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي المالكي المصري (المتوفى: 776هـ)، المحقق: د. أحمد بن عبد الكريم نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، الطبعة: الأولى، 1429هـ - 2008م، عدد الأجزاء: 8.
- التاج والإكليل لمختصر خليل، محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري الغرناطي، أبو عبد الله المواق المالكي (المتوفى: 897هـ)، دار الفكر، سنة النشر: 1398، مكان النشر: بيروت لبنان، عدد الأجزاء: 6.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ، عدد الأجزاء: 9.
- الجامع لمسائل المدونة، أبو بكر محمد بن عبد الله بن يونس التميمي الصقلي (المتوفى: 451هـ)، المحقق: مجموعة باحثين في رسائل دكتوراه، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي - جامعة

- أم القرى (سلسلة الرسائل الجامعية الموصى بطبعتها)، توزيع: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1434هـ - 2013م، عدد الأجزاء: 24.
- حاشية الإمام الرهوني على شرح الزرقاني لمختصر العلامة خليل، سيدي محمد بن أحمد الحاج الرهوني، المطبعة الأميرية ببولاق مصر، ط: 1، بتاريخ: 1306هـ.
 - الذخيرة، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: 684هـ)، المحقق: محمد حجي، وآخرون، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1994م، عدد الأجزاء: 14 (13 ومجلد للفهارس).
 - السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جُردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، 1424هـ - 2003م.
 - شرح الزُّرقاني على مختصر خليل، ومعه: الفتح الرباني فيما ذهل عنه الزرقاني، عبد الباقي بن يوسف بن أحمد الزرقاني المصري (المتوفى: 1099هـ)، ضبطه وصححه وخرج آياته: عبد السلام محمد أمين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2002م، عدد الأجزاء: 8.
 - شرح مختصر خليل للخرشي، محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله (المتوفى: 1101هـ)، دار الفكر للطباعة - بيروت، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، عدد الأجزاء: 8.
 - شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (المتوفى: 1360هـ)، علق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2003م، عدد الأجزاء: 2.
 - الشامل في فقه الإمام مالك، بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر بن عوض، أبو البقاء، تاج الدين السلمي الدِّمِيرِيّ الدِّمِيَّاطِيّ المالكي (المتوفى: 805هـ)، ضبطه، وصححه: أحمد بن عبد الكريم نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، الطبعة: الأولى، 1429هـ - 2008م، عدد الأجزاء: 2 (في ترقيم مسلسل واحد).
 - عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، أبو محمد جلال الدين عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار الجذامي السعدي المالكي (المتوفى: 616هـ)، دراسة وتحقيق: أ. د. حميد بن محمد لحمر، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1423هـ - 2003م، عدد الأجزاء: 3 (في ترقيم مسلسل واحد).
 - العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من الأحكام، أبو محمد عبد الله بن عبد الله ابن سلمون الكنان، المتوفى: (741هـ)، عناية وتعليق: أ. محمد عبد الرحمن الشاغول، دار الأفاق العربية، القاهرة، الطبعة: الأولى، بتاريخ: 1432هـ - 2011م.
 - الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي (المتوفى: 1126هـ)، دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1415هـ - 1995م، عدد الأجزاء: 2.
 - القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426هـ - 2005م، عدد الأجزاء: 1.
 - القانون رقم: 84 - 11 المؤرخ في: 9 رمضان، عام: 1404هـ، الموافق: 9 يونيو سنة: 1984م، المتضمن قانون الأسرة، المعدل، والمتمم، الأمانة العامة للحكومة.
 - لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414هـ، عدد الأجزاء: 15.
 - لوامع الدرر في هتك أستاذ المختصر، شرح مختصر خليل، للشيخ خليل بن إسحاق الجندي المالكي (ت: 776هـ)، محمد بن محمد سالم المجلسي الشنقيطي (1206 - 1302هـ)، تصحيح وتحقيق: دار الرضوان، دار الرضوان، نواكشوط - موريتانيا، الطبعة: الأولى، 1436هـ - 2015م، عدد الأجزاء: 15.

- مناهج التَّحْصِيل ونتائج لطائف التأويل في شرح المدونة وحلّ مُشكلاتها، أبو الحسن علي بن سعيد الجرجاني (المتوفى: بعد 633هـ)، اعتنى به أبو الفضل الدِّمِيَّاطِي - أحمد بن علي، دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، 1428هـ - 2007م، عدد الأجزاء: 10.
- موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ)، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، عام النشر: 1406هـ - 1985م.
- منح الجليل شرح مختصر خليل، محمد بن أحمد بن محمد عlish، أبو عبد الله المالكي (المتوفى: 1299هـ)، دار الفكر، بيروت، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1409هـ/1989م، عدد الأجزاء: 9.
- متن الرسالة، أبو محمد عبد الله بن (أبي زيد) عبد الرحمن النفزي، القيرواني، المالكي (المتوفى: 386هـ)، دار الفكر، عدد الأجزاء: 1.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو: 770هـ)، المكتبة العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: 2 (في مجلد واحد، وترقيم مسلسل واحد).
- المختصر الفقهي، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (المتوفى: 803هـ)، المحقق: د. حافظ عبد الرحمن محمد خير، مؤسسة خلف أحمد الخبتور للأعمال الخيرية، الطبعة: الأولى، 1435هـ - 2014م، عدد الأجزاء: 10.
- المدونة، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1415هـ - 1994م.
- المغني لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ)، مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، عدد الأجزاء: 10، تاريخ النشر: 1388هـ - 1968م.
- المبسوط، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: 483هـ)، دار المعرفة - بيروت، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: 1414هـ - 1993م، عدد الأجزاء: 30.
- المذهب في فقه الإمام الشافعي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (المتوفى: 476هـ)، دار الكتب العلمية، عدد الأجزاء: 3.
- المغني: [مغني قراء المختصر عن التعب في تصحيح الطرر]، وهو شرح على مختصر العلامة خليل بن إسحاق في الفقه المالكي، أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد الهادي اللمتوني الشنقيطي الموريتاني (المتوفى: 1321هـ)، جمع، وإعداد، وإخراج، وتحقيق، وتخريج الأستاذ: عبد الله ولد إبراهيم ولد عبدات، مكتبة الإصلاح بموريتانيا بتاريخ: 1439هـ - 2018م.
- النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، أبو محمد عبد الله بن (أبي زيد) عبد الرحمن النفزي، القيرواني، المالكي (المتوفى: 386هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1999م، عدد الأجزاء: 15 (14 جزء، ومجلد فهارس).
- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ)، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: 5.
- الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية: (شرح حدود ابن عرفة للرصاع)، محمد بن قاسم الأنصاري، أبو عبد الله، الرصاع التونسي المالكي (المتوفى: 894هـ)، المكتبة العلمية، الطبعة: الأولى، 1350هـ، عدد الأجزاء: 1.

قراءة أولية في ديوان السعادة في مدح صاحب السيادة لإنبوي بن الإمام

د. محمد ولد الداه ولد أيد
باحث في مجال التراث

الكلمات المفتاح: ولاتة - ديوان السعادة - المدح - المناائح الصمدية - المدائح الأحمدية - الأبيات/القصاصد.

ملخص البحث

يسعى هذا البحث لتقديم جانب من مدوتنا الشعرية الغائبة بفعل عوامل متعددة منها الذاتي ومنها الخارجي، ذلك أن ولاتة التي كانت منطلق الشعر في المنطقة - ما وصلنا منه حتى الآن - وعرفت بأنها المدينة المادحة، كادت أن توصف يوما من قبل بعض الباحثين أنها خلو من الشعر أو أن الشعر فيها من المحرمات، وذلك لخلو المدونة الرئيسية للشعر الموريتاني القديم (الوسيط في تراجم أدباء شنقيط لابن الأمين رحمه الله من التعريج عليها أو ذكر أي شيء يخص الحياة العلمية والثقافية بها)، من جهة ولصعوبة الوصول إلى كنوزها المعرفية من قبل الباحثين المحدثين بفعل بعدها عن المركز في الدولة الحديثة، فبعد أن كانت كما قال المؤرخ السعدي: إليها يفد الرفاق من كل حذب وصوب، وهو وصف ترجمه شعراؤها في قصائدهم بالقول:

هذي ولاتة أضحى اليوم ساكنها *** بنسبة أمس منها نسبة العشر
من بعد ما شد رجال القاصدين لها *** من كل قطرو من بدو ومن حضر
كأنها مصر أو فاس وقرطبة *** وجلق الشام في علم ومتجر

وقولهم:

هذي ولاتة قد أبدت معالمها **** تذري الشمال عليها البرد أحيانا
نعم الديار التي قد كان يقصدها *** لدرس علم وآداب وقرآنا
من كل فج بنو سبل فتجمعهم *** في ظل بيت اغاربا وإخوانا
إلى غير ذلك من النصوص التي لا تعد ولا تحصى في وصف ولاتة وحياتها الثقافية والعلمية، والتي يعد هذا الديوان الذي نقدمه اليوم نموذجا من نماذجها في العطاء والإنتاج.
تقوم بنية التقديم على تمهيد أولي ثم عرض لحياة صاحب الديوان، ومضان ذكر الديوان ونسخه المتوفرة، ثم عرض للديوان وبنائه الفتي ونماذج من نصوصه الشعرية.

تمهيد

لقد عرفت مدينة ولاتة التاريخية في شرق موريتانيا بأنها كانت موطن ما تواترت الروايات على أنه مبدأ الشعر الموريتاني، فقد حفظت خزائنها ومدونات علمائها أوائل تلك النصوص التي توصلنا بها حتى الآن، وكانت نصوص المديح النبوي من أبرز ما احتفظت به تلك الخزائن وتناقله الرواة امتداحا واعتمادا وفق تقاليد ثقافية عريقة عرفت بها حواضر ما يعرف بالفضاء الصحراوي (ولاتة وشنقيط وتيشيت ووادان) في موريتانيا، (وتمبكتو وجنى وسنكري) في مالي، وكان من أبرزها المجالس العلمية التي كانت تعقد لقراءة تفسير القرآن الكريم وسرد الحديث النبوي الشريف وقراءة السيرة النبوية المطهرة وانشاد المدائح النبوية في إطار زمني مبرمج بانتظام على مدار السنة⁽¹⁾.

(1) - أغلب هذه التقاليد الثقافية لا زال معمولاً بها في ولاتة

ونذكر هنا في البداية أن شعر الولايتين اشتهر أكثر ما اشتهر بشعر المديح النبوي ، وحتى أن من لا نعرف له شعرا من العلماء ولم نسمع عن شعره توصلنا بأثره في شعر المديح ⁽¹⁾ ، غير أن بعضا من البيوتات الولاتية تميزت في المجال حتى أصبح من الممكن أن نسميها : بيوتات الشعر ، وذلك لما كان لأهلها بالتسلسل من أثر في إنتاج الشعر وما خلفوه من منتج شعري في دواوين عامة ودواوين خاصة في مجال المديح النبوي مما استلزم التركيز عليهم ، ولعل من أغزر هؤلاء إنتاجا في المجال العلامة انبوي بن الإمام فله ديوانان في مجال المديح هما : ديوان السعادة في مدح صاحب السيادة (موضوعنا اليوم) وقد شرحه ، وديوان : اللوائح الصمدية في المدائح الأحمديّة ، كما أن له شرحا نموذجيا لقصيدة من هذا الديوان سماها : نزهة الجلاس وشرحها بشرح سماه روضة الاستئناس على نزهة الجلاس ⁽²⁾.

أولا : التعريف بصاحب الديوان

يقول الطالب بيبكر رحمه الله في ذكر أحداث العام الموفق ستين بعد المائتين والألف : وفي آخر هذا العام في ذي القعدة ليلة الجمعة لست ليال بقين منه توفيّ الفقيه النحوي اللغوي الأصولي العروضي المتفّن في كل فن، العابد الزاهد الورع أثبويه بن الإمام محمد عبد الله بن الإمام عمر ممة بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرنا الله بن أند عبد الله بن سيد أحمد المحجوبي.

كان رحمه الله صدراً من صدور العلماء، مفخراً من مفاخر الأولياء النجباء وأحد الفقهاء الأتقياء، نحويّاً ولغويّاً، بيانياً أصولياً منطقياً عروضيّاً شاعراً ناثراً بليغاً حسن الشعر مُجيداً مصيباً حسن الفهم ثاقب الذهن. وكان أعجوبة وقته ونادرة زمانه، ماهراً في كلّ ما يحاوله، آية في الفهم والحفظ والذكاء ، اشتغل في صغره وأوّل شبابه بالعلم حتى مهر فيه وبصر وميز واشتهر، وبرع في في الفنون كلها كلاماً وفقهاً ونحواً وحديثاً وتفسيراً، جمع بين العلم العزيز والدين المتين. وكان ذا فضل ودين وصلاح ولزوم طهارة وكثرة عبادة وصوم وورع ، وكان ملازماً لتلاوة القرآن، يصلي كل ليلة بسبع القرآن، ويقرأه في النهار في المصحف. وكان عكوفاً على الطاعة في حركاته وسكناته، وملازماً للمسجد يصلي الصلوات الخمس فيه، معمراً الأوقات في النهار بالتفسير والمطالعة والنسخ والتأليف وفصل الخصام، وبالليل بالآذكار والأوراد والمذاكرة. لم يزل هذا دأبه ودينه حتى توفي رحمه الله تعالى موافقاً في الأقوال والأفعال مدة عمره. وأهل بلده يحبونه كلهم، متفقون على فضله، وكان حسن الخلق والخلق، كثير التبسم، طليق الوجه لكل من لقيه، سخيا جدا. وكان غرة زمانه وفارس ميدانه، شهد له بذلك المبادئ والحاسد. حفظ القرآن وهو ابن ثماني سنين، وعرف الحروف الهجائية في يومين أو ثلاثة. وكان سريع الانقياد إلى الحق لين الجنب.

له توالييف عديدة مفيدة انتفع الناس بها، منها شرحه لألفية ابن مالك ، سماه : عمدة السالك على ألفية ابن مالك تداولته الطلاب حتى لا ترى قرائاً للألفية في ولاته إلا به ، وقد جمع به من كلام الأشموني والهبه ما يشفي الغليل ، مع وجازة واختصار، ومنها شرحه للفريدة ، سماه : الغنيمة العتيدة في حل ألفاظ الفريدة ، لكنه لم يكمله ، ومنها شرحه لقصيدة البوصيري التي يمدح بها أبي الحسن الشاذلي والمرسي سماه : البرد القشيب على قصيدة كتب المشيب ، ومنها نظمه للباب الأول من مغنى اللبيب ، سماه : جمانة الإعراب وشرحه. ومنها في البيان سماه النخبة المليحة في صنعة البلاغة الصبيحة ، وشرحه شرحا سماه الشهادة الصريحة على النخبة المليحة ومنها نظمه نزهة الألباب في علم الحساب وشرحه ، ومنها : ديوان السعادة في مدح صاحب السيادة، وفيه قصيدة ما سمحت قريحة بمثلها ، ولم ينسج ناسج على منوالها ، سماها : نزهة الجلاس في مدح خير الناس، وشرحها شرحا سماه ب : روضة الاستئناس على قصيدة نزهة الجلاس؛ ومنها تأليفه المحاكي لابن مهيب في مدح المصطفى سماه : المنائح الصمدية على المدائح الأحمديّة ، وشرحه شرحا سماه : اللوائح السعدية على المنائح الصمدية، لكنه لم يكمله ، ومنها نظمه في النحو سماه : العقيلة البهية ، وشرحه شرحا لم يكمل. ومنها نظمه في التوحيد سماه : المنهج المساعد، وقد أنشأه وهو صغير ابن اثنين وعشرين سنة حيث قال في آخره :

(1) - بحوزتي من ذلك نماذج كثيرة سأعرضها إن شاء الله في وقت لاحق تحت عنوان : المقلون من الشعراء

(2) - ستكون القصيدة بعون الله موضوع دراسة في الجزء الثاني من هذه القراءة الأولية

وأبتغي من عارفي ذا الفنِّ معذرةً جميلةً لأتني
قصيرباع جامدُ القريحه ولسْتُ ذا درايةٍ فسيحه

وشرحه شرحاً سماه : أساس القواعد ، منها قصيدته التي جمع فيها أسماء الله الحسنى ، مطلعها :
شرفاً لآدم إذ غدا أباطه ***

وله من المؤلفات مما لم يذكره صاحب المنح :
إتمام قصد الحاوي على منظومة السخاوي في علوم القرآن⁽¹⁾ ، وشرح السلم في المنطق⁽²⁾
ومنها قصيدته دعوة الفتح المستجابه مطلعها :
ياربُّ بابك للداعين مفتوحُ كما نوالك للعافين ممنوحُ

والتي مطلعها :
ياليِّتني أدري متى أتغيَّبُ في قعرٍ لحدٍ مفرداً أترقَّبُ
لأعدَّ زاداً للمنون يُعيرني رشداً به من خالقي أتقرَّبُ

والتي يزورها عُمر الولي :
ضاق الخناقُ بنا وليس يُسارعُ لإغاثة المهوف إلا بارعُ

والتي يمدح بها الشيخ سيدي المختار، إلى غير ذلك.
ومن شعره كذلك قصيدته المشهورة بين العامة والخاصة : لطف اللطيف ، التي يقول في مطلعها :
لطف اللطيف ورحمة الرحمن *** يتسابقان الدهر للإنسان
أطاف مولانا اللطيف خفية *** تخفى على الأبصار والأذهان
تأتي مع الأزمات غير بعيدة *** ما انفك عنها حادث الأزمان
كم أزمة لم يرج منها مخلص *** لما أتت مسدودة الأركان
قد حلها لطف خفي جاءها *** من دائم المعروف والإحسان
وقصيدته الموسومة بجالبة الفرج والتي كان اهل ولاته ينشدونها زمن الوفاء
يا رب بالهاشمي السيد السند *** كف الوبا وانفه عن أهل ذا البلد
واشف المراض جميعاً منهم كرماً *** من السقام شفاء مذهب الكمد
وامنن بعافية يا رب صافية *** على أصحابهم تبقى مدى الأبدى
والطف بنا ربنا فيما جرى قدر *** به علينا وسلمنا من النكدي
واجعل لنا مخرجاً يفضي إلى فرج *** من كل غم وهم فادح صعدي
واكشف بفضلك ذي الحمى وسورتها *** ونق بلدتنا منها على أبدي

وأما فتاويه وأجوبته في الفقه فقد كادت تعم جميع أبوابه ، ولو جمعت ورتبت لكانت تأليفاً مستقلاً .
ولما توفي رثاه عبد المالك بن التَّغَاع بقوله :

لقد أفلت شمس الهدى بولاه وضائق على أهل الهدى والمكارم

وضائق على من يطلب العلم جملةً ويطلب ديناً سالماً مآثم

(1) - تتوفر منه نسخة بمكتبة الطالب بيكر بولاتة - قسم القرآن وعلومه

(2) - تتوفر منه نسخة مصورة على مركز إفريقيا برغر الألماني من مكتبة اهل الرئيس بالنعيم

ولم يخش في الرحمن لومة لائم	لغقد ولي عارف متواضع
كرهاً وألبس ثوب الظلمة البلدا	ورثاه ابنه محمد عبدالله رحمه الله تعالى بقوله :
أجورا [كذا] عظاما تذهب الكمدا	خَطْبُ أَلَمِّ بِنَا فَأَسْتَأْصِلُ الْجَلْدَا
نفسُ الخيرِ به والمفتي الرشدَا	خطبُ أصبنا به والله يُؤجرنا
بانبويه الإمام الحافظ السددا	خطبُ تيتَم منه العلمُ إذ قُبضت
وقرب سيدنا الواقي الوري الودا	عمر الملقب عند الناس قاطبةً
وآله ما قرأ مُصلَّ أو سجدا	أولاه خالقه الرحمنُ رحمته
بأفجع رزء وأفظع غم	صلى عليه مع التسليم موجدًا
الهمام الخصم	ورثاه سيد أحمد بن محمد بن أحمد أبي كفه بقوله :
وهو الشيخ عبد الله	لحا الله دهرًا علينا أَلَم
	ينوح ويكي بفقد الإمام
	وهو السيد البرنجم الهدى
	إلخ. رحمه الله تعالى ونفعنا به، آمين ⁽¹⁾ .

ثانياً: ذكر الديوان : ورد ذكر ديوان السعادة ضمن ما ذكره الطالب بيكر بن أحمد المصطفى المحجوبي في كتابه : منح الرب الغفور في ذكر ما أهمله صاحب فتح الشكور من مؤلفات للعلامة انبوي⁽²⁾ ، ويبدو أن معلومات الطالب بيكر قد استقاها من ابن المؤلف الفقيه الشاعر الأديب أحمد بن انبوي بن الإمام ، فبمكتبة الطالب بيكر وثيقة بخط أحمد بن انبوي بن الإمام فيها سرد متسلسل للمعلومات التي ذكرها الطالب بيكر في مؤلفه عن انبوي وعليها إضافات بسيطة من خط الطالب بيكر نفسه .

كما ورد ذكره في : حياة موريتانيا الثقافية للمختار بن حامدن ضمن الناظمين في السيرة⁽³⁾ .
وقد نص المؤلف على التسمية في مقدمته للديوان بقوله : وسميته بديوان السعادة في مدح صاحب السيادة⁽⁴⁾

ثالثاً: نسخ الديوان

كانت أول نسخة من الديوان وقعت بيدي نهاية الثمانينات وبداية التسعينات أثناء فهرستي وتصنيفي لمكتبة الطالب بيكر ضمن مكتبة مخطوطات ولاتة ، وهي تحوي عدة نصوص لبضعة حروف فقط من الديوان ، ومكتوبة بخط رافع وعلى ورق صقيل وقوي وحديث نسبياً وقد يكون خط ابن المؤلف الفقيه الأديب اللغوي الشاعر محمد عبد الله بن انبوي ت 1284 هـ ، بالإضافة إلى بعض النصوص المتناثرة بخط المؤلف والتي صنفت حينها على أنها قصائد منفصلة قبل أن يتبين لنا بعد ذلك أنها نصوص من الديوان⁽⁵⁾.

(1) - منح الرب الغفور في ذكر ما أهمله صاحب فتح الشكور / الطالب بيكر بن أحمد المصطفى المحجوبي / باب ذكر وقائع العام ستين ومائتين

وألّف / تحقيق د. محمد الأمين بن حمادي / مكتبة القرنين 15-21 / أنواكشوط / موريتانيا / ص 130

(2) - منح الرب الغفور في ذكر ما أهمله صاحب فتح الشكور / الطالب بيكر بن أحمد المصطفى المحجوبي / باب ذكر وقائع العام ستين ومائتين

وألّف / ص 130

(3) - موسوعة حياة موريتانيا : الحياة الثقافية / المختار بن حامد / الدار العربية للكتاب / ص 52

(4) - مقدمة الديوان / ص 1 من المخطوطة

(5) - مكتبة مخطوطات ولاتة / مكتبة الطالب بيكر / قسم الشعر

وفي مطلع 2016 طالت يدي نسخة من مكتبة أهل فاضل الشريف بتيشيت ، وهي نسخة تحوي أغلب الديوان مع مقدمته ، غير أنها ناقصة لحرف العين بشكل شبه كامل حيث لا يتوفر من القصيدة غير خمسة أبيات من أصل 49 بيتا هي مطلع القصيدة ، وغابت مقابلها الأبيات الخمسة الأولى من مطلع حرف الغين ليقبى منه 22 بيتا من أصل سبعة وعشرين بيتا ، ولم يكتمل نص القصيدة التي على حرف الواو حيث ضاع منه 14 بيتا من نهاية النص ولم يتوفر منه غير 23 بيتا من أصل سبعة وثلاثين ، وغابت قصيدة حرف الياء من الديوان تماما . وعلى الرغم من أن هذه النسخة شكلت البداية الفعلية لمرحلة البحث للاستكمال إلا أنها كانت تشوبها بعض الشوائب ، منها أنها صورت في الأصل بشكل غير مرتب تقديميا وتأخيرا وفصلا بين مكونات النص ، وكاتبها متوسط في الكتابة والنسخ فكتابه تعاني من عدم الوضوح أحيانا وبعض الأخطاء ، ونسخها متعثرتعدد خروج العديد من الأبيات في بعض النصوص وإن كان أحيانا يشير لذلك ويسجل بعض ما خرج من الأبيات وأحيانا يفوته ذلك ، مما جعل النص لا يتطابق في معدود مكوناته مع النسخة الثالثة أحيانا . وكانت هذه النسخة مشكولة ، ونصوصها مبنية الوزن أحيانا ، ومرفقة ببعض الشروح للعديد من المفردات مما يبدو أنه روعي في الأصل كما سنرى في النسخة الثالثة⁽¹⁾ .

كما توصلت بنسخة ثالثة من مكتبة حمى الله بتيشيت تحوي ثلاث حروف متناثرة هي الخاء والعين والواو ، لكنها تتميز بوضوح الخط وجودته والشرح المرفق مع النصوص بالإضافة إلى مميزات أخرى سنذكرها بعون الله في المقال القادم⁽²⁾ .

أما النسخة الرابعة فهي نسخة المكتبة الوطنية الفرنسية وهي بخط ابن المؤلف العالم الفقيه الشاعر المبدع أحمد بن انبوي بن الإمام ت 1299 هـ ، كتبها لابن عمه وأخيه كما بين ذلك : باب أحمد بن انبوي بن باب أحمد المحجوبي ، وقد كتبت بخط رائع بديع وتنسيق جميل مرفقة بالشرح لعديد الكلمات كما في سابقتها وبيان البحور الشعرية للعديد من نصوصها ، وهي نسخة مكتملة تمكن من الوصف المادي لهذا الديوان⁽³⁾ .

رابعا : الوصف المادي للديوان

ديوان السعادة بدأه المؤلف بمقدمة بين فيها مكانة المديح (باعتباره من أزكى الأعمال وأنفعها عند استيفاء الآجال وأقربها وسيلة إلى ذي الجلال) ، ومقصده من وضع الديوان (تأقت نفسي قديما إلى أن أضع ديوانا بسيطا ، ليكون بمشاهير معجزاته محيطا) وبين نظامه في ترتيب ديوانه : (فصنعت في مدحه عليه السلام بمعونة القدوس ديوانا مرتبا على الحروف بترتيب القاموس)⁽⁴⁾ ، وقد بلغ إجمالي عدد الأبيات في الديوان أربعة وعشرون وتسعمائة بيت موزعة في ثمانية وعشرين نصا ، أطولها النص الذي على حرف الهمزة حيث بلغت أبياته ثلاثة وستون بيتا ، وأقصرها النص الذي على حرف الذال حيث لم تتجاوز أبياته تسعة عشر بيتا ، ويعتبر متوسط أبيات النصوص في الديوان ثلاثة وثلاثون بيتا تقريبا .

وبيين الجدول التالي توزيع النصوص بحسب الحروف وعدد أبياتها ومطالعها :

الحرف	الأبيات	المطلع
الهمزة	63	كفى الشعر أن تشني به الشعراء على من درى تقديمه النبء
الباء	36	طفقت لدى وقع الهموم النواصب أنادي نداء ظافرا غير خائب
التاء	48	أنشأت أثني على كهف المزيات وفي مدائح أنفقت غاياتي

(1) - مكتبات تيشيت / مكتبة أهل فاضل الشريف

(2) - مكتبات تيشيت / مكتبة حمى الله

(3) - المكتبة الوطنية الفرنسية / مجموع 5683 عدي

(4) - مقدمة المؤلف من نسختي أهل فاضل الشريف والمكتبة الفرنسية ، وهو الترتيب المعتمد في المشرق ويخالف ترتيبنا المعهود في المغرب بدءا من حرف الزاي حيث يتبعونه بالسين أما نحن فتنبهه بالطاء

الثاء	30	قلبي بمدح رسول الله مكترث	والنفس مني إليه الدهر تنبعث
الجيـم	40	خير القريض وإن وشاء مبهرج	ما كان في أمداح أحمد ينسج
الحاء	42	ما صيغ قدما من جميل مدائح	لا ينبغي لسوى النبي الفاتح
الخاء	28	بمدحي المصطفى روعي يموخ	وسمعي للمرن به مصيخ
الـدال	36	مديح المصطفى غنم عتيد	وكنز سعادة ما إن يبيد
الذال	19	إن مدح الهاشمي المحتذى	خير ما كان امرؤ متخذا
الراء	26	ضاع بالجملة شعر الشعرا	في سوى مدح أمير الأما
الزاي	25	ما فرصة في الوجود تنتهز	كمـدح من مدحه لنا تهز
السين	39	تعالى لك الخيرات أيتها النفس	إلى مدح من دانت له الجن والإنس
الشين	28	ألا فليكيف الهم وليسكن الجأش	فقد تمت الآمال واتصل البش
الصاد	34	لعمرك ما لمأسور المعاصي	إذا طلب الوسيلة للخلاص
الضاد	31	ما لمثلي ذريعة لتقاضي	دين أوطاره الطوال العراض
الطاء	24	بأي قيل على الاسهاب تنضب	آيات من هو ذخر الناس والفرط
الظاء	24	طوبى لكل موحد متلفظ	بمديح خير مؤين ومقرظ
العين	49	بشرى لنا قوم من قامش به الشرع	أزمان ملته الدنيا هما شرع
الغين	27	على صاغة الشعر أن يفرغوا	لأمداح من جوده أربغ
الفاء	35	أكل مشوق للهيام حليف	رهين لأسباب الولوع اسيف
القاف	26	أهلا به من هلال لاح يأتلق	كأن طلعتة من حسنهن الفلق
الكاف	33	من ضاق ذرعا وأمسى وهو مرتبك	في حيرة ليس يدري أين ينسلك
اللام	29	أيا جدث المختار حل بك الفضل	وحل بنا خطب أصيب به الكل
الميم	30	بطيبة أنوار لخير الورى تنمى	مشاهدها قد أحرز السعد والغنما
النون	37	هو الدهر يعلو صرفه ويدون	ويعنف أحيانا وحيناً يلين
الهاء	25	هل لكم يا معشر الفره	في مدح هذا السيد الأنبه
الواو	37	نفسى الفداء لثاوي	بطاب للفضل حاوي
الياء	23	عليك بمدح من مدح العلي	فحق له على البشر العلي

توزعت نصوص الديوان بين البحور الشعرية كما نوه بذلك المؤلف بقوله (ونوعت عروضه تنشيطاً لمنشديه وترويحاً لمتحفظيه)⁽¹⁾، فكان الطويل أوفرها حظاً حيث بنيت عليه ثمانية نصوص وهو ما يشكل قرابة ثلث الديوان بنسبة بلغت 28.57%، يليه البسيط بست نصوص وبنسبة بلغت 21.42%، فالوافر بأربع نصوص وبنسبة بلغت 14.28%، فالكامل بثلاث نصوص وبنسبة بلغت 10.71%، فالرمل بنصين وبنسبة بلغت 7.14%، ليتقاسم المنسرح والخفيف والمتقارب والسريع والمجتث ما تبقى من النصوص بنص واحد لكل بحر. وتعطي النظرة الأولية الانطباع بأن المؤلف عمد في اختيار أوزانه إلى ما كان مألوفاً في الشعر العربي في عصور ازدهاره حيث كانت بحور: الطويل والبسيط والوافر والكامل تحتل المرتبة الأولى، وقد أخذت ثلاثة أرباع الديوان 28/21 أي ما نسبته 75% من الديوان.

أما بقية النصوص فقد تقاسمتها البحور ذات الحضور العادي في الشعر العربي وهي في الديوان: المنسرح والسريع والخفيف والمتقارب والمجتث بواقع نص لكل بحر من تلك البحور. وبما أن الديوان مبني في الأصل على الحروف ولا بد لكل حرف من أن يأخذ دوره في البناء الهرمي للديوان فإن النفس الشعري في النصوص من حيث طولها وقصرها يشكل جانباً لقياس اعتماد الشاعر على ما يسميه العروضيون القوافي الدُّلُّ، وهي التي تعتمد حروفاً تجيء رويًا بكثرة، حيث شكلت أبيات تلك الحروف سواء كانت كثيرة الشيوخ كاللام والراء والنون والباء إلخ... أو متوسطة كالهزجة والتاء والسين والحاء... إلخ ما مجموعه خمسة وسبعون وستمئة بيت وهو ما يمثل نسبة 73% من متن الديوان، في حين حازت ما تعرف بالقوافي الثُفُر، والتي تعتمد الحروف قليلة الشيوخ أو نادرته كالذال والثاء والحاء والظاء والزاي... إلخ ما مجموعه تسعة وأربعون ومائتا بيت، أي ما يمثل نسبة 27% من متن الديوان وهذا النفس الشعري إنما تأتي من امتلاك الشاعر ناصية اللغة والقدرة على تطويعها ليرفع نسبة تلك القوافي إلى هذا الحد.

ويبين الجدول التالي البناء الفني للديوان :

ت	البحر	ع. النصوص	ع. الأبيات	الحروف المبني عليها البحر
1	الطويل	8	297	الهمزة الباء السين الشين الفاء اللام الميم النون
2	البسيط	6	210	التاء الثاء الطاء العين القاف الكاف
3	الوافر	4	121	الحاء الدال الصاد الياء
4	الكامل	3	106	الجيم الحاء الظاء
5	الرمل	2	45	الذال الراء
6	المنسرح	1	25	الزاي
7	الخفيف	1	31	الضاد
8	المتقارب	1	27	الغين
9	السريع	1	25	الهاء
10	المجتث	1	37	الواو

(1) - مقدمة المؤلف من نسختي أهل فاضل الشريف والمكتبة الفرنسية

سادسا : نماذج من الديوان⁽¹⁾ :**فمن حرف الهمزة :**

كفى الشعر أن تشني به الشعراء ***	على من درى تقديمه النبءاء
نبي أتى بالحق والناس خائضوا ***	بحور أباطيل بها رهناء
فأنقذهم منها ولولاه لم يكن ***	لهم أبدا يتاح جلاء
وجللى جناديس الجهالة والعمى ***	بنور هدى لا يعترية خفاء
أضاءت به الأقطار من كل وجهة ***	فلم يك فيها للظلام بقاء
وعم هداه العالمين بأسرهم ***	سوى من به ألوى عمى وشقاء
ونور وجه الأرض من بعد ما دجى ***	بغيبه شرك أهه جهلاء
عيونهم عي وغلف قلوبهم ***	وءاذانهم صم وهم سفهاء
تمادوا على الطغيان قدما وءاثروا ***	على ديننا ما ليس فيه جداء
وصدوا عن المختار لما أتاهم ***	بما فيه إرشاد لهم وعلاء
دعاهم لتوحيد الإله بإذنه ***	فلباه اقوام هم السعداء
وقاموا له بالنصر جهد نفوسهم ***	فما رئي منهم بعد ذاك جفاء
أولئك هم خير البرية كلها ***	لهم في بحابيح الجنان ثواء

ومن حرف الباء :

طفقت لدى وقع الهموم النواصب ***	أنادي نداء ظافرا غير خائب
ألا يا رسول الله أنت وسيلتي ***	إلى الله فيما أبتغي من مآرب
وأنت ملاذي يوم نشري ومفزعي ***	وغوثي إذا ضاقت علي مذاهبي
وأنت مجني دون كل كريهة ***	ومعتمدي عند اعتراء الشدائب
مدحتك أرجو منك نيل شفاعة ***	يحط بها وزري وتعلو مراتبي
فخذ بيدي فضلا وكن لي شافعا ***	لعلي أنجو من ضروب المعاطب
فإنك محمي الحمى ومنيعه ***	ومنهمل الجدوى على كل طالب
وجارك مرضي من الذلاء امن ***	مهيب غذا يحتل في أي دانب
ونهجك محمود ونورك باهر ***	ومجدك باق رسمه غير ذاهب
وخلقك ميمون وخلقك كامل ***	وأنت بريء من جميع المعائب

(1) - قمت بمقابلة النصوص مع بعضها في كل النسخ المتوفرة ولم ألاحظ فرقا غير ما بينته من أخطاء املائية يتفاوت فيها الناسخون

وغيرك ماثق به في المصاعب	***	وضيرك ماثق ونفعك مرتجى
وسيبك مع غمورك كل راغب	***	وفضلك مشهور ودينك قيم
ومن حرف التاء :		
إلى المهيمن فراج المهمات	***	ساروا إلى الأنبياء مستشفعين بهم
إلا الرسول الكريم الطيب الذات	***	فلم يروا أحدا منهم يجيرهم
وعدا من الله ذا صدق وإثبات	***	يقوم ثم مقام الحمد ملتصبا
تعط الذي شئت من حاج وطيات	***	هناك يوحى له قم يا محمد سل
ما رمته للورى من نيل جنات	***	واشفع تشفع وقل تسمع مقالك في
بلى وعزة علام الخفيات	***	أليس في ذاك إظهار لأثرته
ومنها قوله :		
تقضي له بارتفاع القدر والصات	***	أم ليس في الغار آيات مبينة
قد ماحلوه بأقوال ونيات	***	إذ صين به في حفظ الله من نفر
بكر الذي حاز قدما كل خيرات	***	جاءوا إلى الغار وفيه المصطفى وأبو
وعلمه في عصور الجاهليات	***	أم ليس تأديبه في اليتيم معجزة
إذ جاءه يتشكى ظلم مفتات	***	أم ليس معجزة نطق البعير له
ومنطق الذيب للراعي بمومات	***	أم ليس نطق ذراع الشاة معجزة
وما روينا له عن ربة الشاة	***	أم ليس معجزة له رد النهار له
فلم يجد غير شاة ذات علات	***	إذ جاءها مستضيفا وهي محلة
جهد الهزال وإناء المشقات	***	عجفاء قاحلة الأوصال خلفها
فدر حتى حكى ضرع المضرات	***	دعا بها فأمس الضرع راحت
ومن حرف الشاء :		
والنفس مني إليه الدهر تنبعث	***	قلبي بمدح رسول الله مكترث
أوفي مديح سواء المصطفى عبث	***	لعلمها أن صوغ الشعر في غزل
وليس في نشره هجر ولا رفث	***	وأن مدح رسول الله مفترض
فحبذا أجزأ أقوام به نفثوا	***	بل فيه رضوان رب العرش منحتهم
ويشفع المصطفى فيهم إذا بعثوا	***	سيظفرون بما تهوى نفوسهم

أما مفاجأة الديوان وخاصيته الكبرى فهي القصيدة التي سماها المؤلف في موطن آخر غير الديوان نزهة الجلاس وشرحها بشرح سماه روضة الاستئناس على نزهة الجلاس ، التي قيل عنها : ما سمحت قريحة بمثلها، ولم ينسج ناسج على منوالها، وسنخصص لها حلقة خاصة في العرض القادم بحول الله .

ونختم هذه الإطلالة بالقراءة الأولية بما ختم به المؤلف في حرف الباء بقوله :
 فيارب هب لي كل ما قد رجوته *** واسمح لي بجزل الرغائب
 وصل وسلم ما تألق بارق *** وما جيب قفر بالعتاق النجائب
 على خير مبعوث بخير شريعة *** محمد المختار من آل غالب
 عليه صلاة الله بدءا وعودة *** وتسليمه ما جد سير براكب
 وعترته السادات في كل موطن *** وصحبته ذرى القنى والقواضب

المصادر والمراجع

- منح الرب الغفور في ذكر ما أهمل صاحب فتح الشكور/ أبو بكر بن أحمد المصطفى المحجوبي الولاتي / تحقيق د. محمد الأمين بن حمادي / مكتبة القرنين 15 - 21 / انواكشوط / موريتانيا
- بلاد شنقيط المنارة والرباط / الخليل النحوي / المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم / تونس 1987.
- تاريخ السودان / الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي (تاريخ السعدي) مكتبة أمريكا والشرق / باريس / 1981 (طبعة هوداس)
- تاريخ بن طوير الجنة / الطالب أحمد بن طوير الجنة الحاجي الواداني / تحقيق سيد أحمد بن أحمد سالم منشورات معهد الدراسات الإفريقية / نصوص ووثائق 4 / جامعة محمد الخامس / مطبعة المعارف الجديدة الرباط 1995.
- الشعر الشنقيطي في القرن الثالث عشر الهجري (مساهمة في وصف الأساليب) / د. أحمد ولد الحسن / منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية / طرابلس / ليبيا / ط 1 / 1995.
- الشعر العربي الفصيح في بلاد شنقيط (مبحث في النشأة والاصول) / عبد الله ولد بن احميده منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية / بنغازي / ليبيا / ط 1 / 2009.
- الشعر والشعراء في موريتانيا / د. محمد المختار بن إياه / دار الأمان / الرباط / المغرب / ط 2 / 2003.
- المجتمع الأهلي الموريتاني (مدن القوافل) / د. حماد الله ولد السالم / مركز دراسات الوحدة العربية (سلسلة أطروحات الدكتوراه - 69) / ط 1 / 2008 / بيروت / لبنان
- المجموعة الكبرى الشاملة لفتاوي ونوازل وأحكام أهل غرب وجنوب غرب الصحراء / د. يحيى ولد البراء / ط 1 / موريتانيا / 2009
- موسوعة حياة موريتانيا : الحياة الثقافية / المختار بن حامد / الدار العربية للكتاب
- الوسيط في تراجم ادباء شنقيط / أحمد بن الأمين الشنقيطي / طبعة الخانجي / 1329 هـ
- ولادة من الحاضر إلى الماضي / الأستاذ سيداتي بن بابيه / مطبعة اسبيرك / انواكشوط / موريتانيا ط 2005/1
- النحو العربي ببلاد شنقيط / د. يحفظ عمرو ولد إنجييه محمد عبد الله / أطروحة دكتوراه في النحو العربي / جامعة القاضي عياض / المملكة المغربية / 2015.
- ألفية ابن مالك وتأثيرها في الثقافة الموريتانية / د. يحيى بن البراء / مذكرة تخرج / المدرسة العليا للتعليم / 1982

مجالس السمر والسهر في الشعر الشنقيطي

د. مريم بنت الشيخ ولد أحمد مسكة
أستاذة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة نواكشوط

الكلمات المفتاحية: السمر- السهر- فتية- مجافاة النوم- الشعر- الشنقيطي- الإمتاع- المؤانسة- الشاي- الحكايات الشعبية.
ملخص البحث

يدور الموضوع كما هو واضح من العنوان حول مجالس السمر والسهر في الشعر الشنقيطي وقد تبين من خلال البحث أن ظاهرة السمر الشعري ظاهرة اجتماعية ثقافية قديمة في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي وأن الشعراء الشناقطة ساروا على منوال أسلافهم فأحيوا لياهم السمرية بإنشاد أشعار جميلة مفتخرين باستعدادهم الفطري وبقدرة الفنية ومواهبهم العلمية الراسخة ومعارفهم الواسعة وملكاتهم الشعرية كما أن ظاهرة السمر تجاوزت الإنشاد الشعرية إلى تأليف الكتب كالإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي والف ليلة وليلة لابن منقفع وديوان بيت الساهرين للسني عبداه.

تحديد العنوان:

قال في اللسان: سَمَرَ يَسْمُرُ سَمْرًا وَسَمُورًا لَمْ يَنْمِ وَهُوَ سَامِرٌ وَهُمْ السَّمَارُ وَالسَّامِرَةُ وَالسَّامِرُ اسْمٌ لِلْجَمْعِ وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: "مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ" قال أبو إسحاق سامرا يعني سمارا. والسمر المسامرة وهو الحديث بالليل والسمر والسامر الجماعة الذين يتحدثون بالليل والسامر والسمر من المسامرة وهي الحديث في الليل بعد العشاء⁽¹⁾.

وأما السهر فهو الأرق أو مجافاة النوم والبقاء مستيقظا لأي سبب، فقد سهر يسهر سهرا فهو ساهر لم ينام ليلا وعليه يكون السهر أعم من السمر لأن السمر نوع خاص من السهر يرتبط بالجلوس ويشترط بالحديث ليلا وعادة يكون لتبادل الأحاديث والقصص مع الآخرين للتسلي والإمتاع والمؤانسة⁽²⁾
تأصيل الموضوع في الشعر العربي:

كان العرب قديما يسمرون في ضوء القمر ويقولون فلان سمر مع أصحابه وبذلك فهو أسلوب اجتماعي ثقافي يعيشه الشعراء والأدباء ورواة القصص في فضاء مفتوح قد يعبر عنه بالخيمة عند الشناقطة وقد ذكره الشعراء في أشعارهم من ذلك قول الحطيئة⁽³⁾:

فإن تك ذا شاء كثير فإنهم
ذوو جمل لا يهدأ الليل سامره

وقول ابن مقبل⁽⁴⁾

كأن السرى أهدت لنا بعدما ونى
من الليل سمار الدجاج فنوما

وقول عروة بن أذينة⁽⁵⁾:

(1) لسان العرب للإمام العلامة أبي فضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري. دار صادر بيروت لبنان. سمر.

(2) نفس المرجع مادة سهر.

(3) ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت دراسة وتبويب د مفيد محمد قميجة. دار الكتب العلمية بيروت لبنان. ص: 101.

(4) ديوان ابن مقبل عني بتحقيقه د عزة حسن دارالشرق العربي بيروت لبنان، ص: 204.

(5) ديوان عروة بن أذينة دار صادر بيروت. ص 45.

يقصر بها ليل سمارها

يعلل الحي نفسا غير باقية

وقول المعري⁽¹⁾:

يعلل الحي نفسا غير باقية

حتى يقصر عنه الليل بالسمر

وقول ابن القيسراني⁽²⁾:

يا صاحبي أطويا ليلي مسامرة

بمثل ما بي فللعشاق أسمار

وقول ابن الرومي⁽³⁾:

منحتكها غراء يقطع وخذها

نهار أخي لهو وليل سمير

وقول الفرزدق⁽⁴⁾:

سرى لك طيف من سكينة بعدما

ساهر السمار ليلا فأعتما

السمري في الشعر الشنقيطي:

لقد عاش الموريتانيون " الشناقطة " في صحرائهم حياة مماثلة لحياة العرب القدامى جسدها التشابه الكبير بين البيئتين ونمط العيش والحياة الاجتماعية بصفة عامة "السكن الخيام والاعتماد على الإبل شيم البرق والبحث عن الماء والكلا"

ويفضل هذه البيئة الصحراوية إذن والتعليم " المحظري" الذي يعتمد على حفظ دواوين الشعر القديم جاء الشاعر الموريتاني ليحي أوأصر القربى للقصيدة العربية القديمة متمثلة في بنائها الفني ومعجمها وروحها بصفة عامة من ذلك جاء حديث السمر في الشعر الموريتاني، يقول الشيخ سيد محمد بن الشيخ سيدي⁽⁵⁾:

(1) أبو العلاء المعري ديوان لزوم مالا يلزم المجلد الأول. المكتبة الشاملة.

(2) ابن القيسراني الديوان. ص 122.

(3) ديوان ابن الرومي دار صادر بيروت لبنان

(4) ديوان الفرزدق دار صادر بيروت لبنان ص: 352.

(5) ديوان الشيخ سيد محمد بن الشيخ سيدي جمع وتحقيق الأستاذ عبد الله بن محمد بن سيدي مراجعة الأستاذ إبراهيم بن يوسف بن الشيخ سيدي والدكتور محمد بن تتنا. الناشر دار الرضوان لصاحبها أحمد سالك بن محمد الأمين بن ابوه، نواكشوط، موريتانيا، ص: 194.

وكم سامرت سمارا فتوا
حووا أدبا على حسب فدا سوا
أذاكر جمعهم ويذاكرونني
كخلف الليث والنعمان طورا
وأوراد الجنيدى وفرقتيه
وأقوال الخليل وسيبويه
نوضح حيث تلتبس المعاني
وأطوارا نميل لذكر دارا
ونحو الستة الشعراء ننحو
وشعر الأعميين إذا أردنا
ونذهب تارة لأبي نواس

إلى المجد انتموا من محتدين
أديم الفرقدين بأخصيين
بكل تخالف في مذهبيين
وخلف الأشعري مع الجويني
إذا وردوا شراب المشربين
وأهلي كوفة والأخفشيين
دقيق الفرقين بين المعنيين
وكسرى الفارسي وذو رعين
ونحو مهلهل ومرقشيين
وإن شئت فشر الأعمشيين
ونذهب تارة لابن الحسين

بدأ الشيخ سيدي محمد بقوله "وكم سامرت سمارا فتوا" وتأتي عبارة "كم" هنا للدلالة على كثرة مجالسة أهل العلم والأدب وطول ليالي السمر في المذاكرة والمناظرة العلمية واستخلاص الفوائد فكم هنا دالة على التكثير كما تدل الوحدات الدلالية الموالية على شرف الصحبة لاصطفاء مجالس السمار الذين يمثلون النخبة فكلمة: - "فتوا" فهي جمع فتى الشاب الحدث مع حمولات دلالية كثيرة توحى بالكمال والرفعة والكرم والعلم والشجاعة قال القتيبي ليس الفتى بمعنى الحدث وإنما هو بمعنى الكامل الجزل من الرجال يدل ذلك على قول الشاعر: (1)
إن الفتى حمال كل ملمة
ليس الفتى بمنعم الشبان

فالفتى هو الشاب في أول شبابه وتطلق على من اتصف بالرجولة والشجاعة والكرم (2) أما كلمة - "إلى المجد انتموا" والمجد في اللغة هو المروءة والسخاء والكرم والشرف والنبيل والمكانة العالية وقال ابن السكيت المجد هو كرم الآباء والمجد الاصيل (3). وأما - المحتد: فتعني في اللغة: الأصل والطبع والنسب والمنشأ منبة الشخص الأصيل (4)
فالشيخ سيد محمد ميز جلساءه وأخبر أنهم ليسوا ككل الأصحاب فهم أناس مميزون مختارون من أصول مختارة كما ينم الحديث عن معارفه الموسوعية وشموليتها بكل وضوح ومن مختلف العصور ففي مجال الشعر حيث تضم الشعر في أجود أعلامه وأرقى عصوره من العصر الجاهلي "الشعراء الستة - مهلهل - ومرقشيين - الأعميين - الأعشيين والعصر العباسي - أبي نواس - ابن الحسين المتنبي" وفي مجال اللغة والفقه والتصوف وعلم الكلام والبيان فهي موسوعية توضح سعة ثقافة أهل القرن الثالث عشر الهجري في بلاد شنقيط وثقافة الشيخ سيد محمد بصفة خاصة
وقول محمذن بن السالم (5).

(1) ابن منظور. مرجع سابق.

(2) محمد بن منظور، اللسان/ فتى.

(3) المرجع السابق/مجد.

(4) نفس المرجع.

شم الأنوف لهم كتب وألواح

وقد يسامرني في مجلس عطر

وإذا كان سمارين السالم في هذا البيت أعزة من علية القوم " شم الأنوف " فأصل الشمم ارتفاع في قصبة الأنف وجبل أشم طويل قال زهير
شم العرائين أبطال لبوسهم
جمع أشم : والعرائين الأنوف وهو كناية عن الرفعة والعلو وشرف الأنفس مما يمدح به⁽¹⁾
من الطبقة العاملة "لهم كتب وألواح" فإنهم يسمرون بالشعر الجيد ذي اللغة الجزلة الذي لا يفهمه إلا المتخصصون بالشعر واللغة دون سواهم يقول⁽²⁾:

فبتنا حولهم نملي القوافي كنظم الدر في عنق الهدي
تمر على مسامع كل قدم كما مر الأتي على الصفي

يخبرنا الشاعر أنهم جلسوا طوال الليل ينشدون القصائد والمدائح الشعرية الجميلة التي تتدفق كنظم الدر في عنق الهدي يشبه الشاعر أبياته في حسنها وتناسقها على ألسنة الشعراء المبدعين القائلين بتزيين أعناق الإبل المهداة إلى البيت الحرام بالقلائد والزينات. فدلالة التشبيه على فصاحة الشعر وجمال كلماته. فعنق الهدي يبرز الصورة الجمالية من خلال ربط الشعر الجميل بأجمل القلائد التي تزين بها الإبل المهداة تقرباً لله .
ويفخر بشاعريته وبراعته في نظم الشعر والقائه ومدى تأثيره على المستمعين منها على التباين بين متذوقي الشعر وغيرهم حيث تمر هذه الأشعار على أذان الجاهلين وضعاف الفهم والمعرفة فلا يفهمونها إذ لا يفهمها إلا العلماء المختصون.

ويقول بن الطلبة⁽³⁾

وصحاب مثل المصاييح في الدج ية نازعتهم سهاد الليالي
بنشيد ومزهر وعويص من علوم الهدي عزيز المنال

حيث يصف الشاعر أصحابه ويمدحهم بالعلم وسعة المعرفة فيشبههم بنجوم الهدي التي تضيء ظلام الجهل كناية عن علمهم. ويفتخر بقوله " نازعتهم " غالبتهم وساهرتهم الليالي الطوال والسهاد هو الأرق وعدم القدرة على النوم دلالة على السمر في مجالس العلم.
ويقول ولد ابن ولد احميدة⁽⁴⁾ :
وكم فتية سامرهم بقصائد محلاة بألفاظ بدرمعان

(5) إرساء المعالم لشرح ديوان بن السالم ص: 197.

(1) اللسان /شمم.

(2) إرساء المعالم لشرح ديوان بن السالم ص: 197.

(3) ديوان محمد بن الطلبة اليعقوبي الشنقيطي الموريتاني شرح وتحقيق الأستاذ محمد عبد الله بن الشبيه بن ابوة مراجعة فضيلة الشيخ محمد سالم بن محمد عالي بن عبد الودود تقديم الدكتور محمد بياه بن محمد ناصر الناشر أحمد سالك بن محمد الأمين بن ابوه ص: 368.

(4) ديوان الشاعر ص: الموريتاني محمد ولد ابنو ولد احميدة جمع وتحقيق ودراسة رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير إعداد الدكتور أحمد ولد حبيب الله جامعة القاهرة 1988 ص: 857.

نداماي ممزوجا لهم ببيان

وكم من بديع بت أسقي عقاره

هذه العبارة صورة بلاغية تجمع بين جمال الكلمة وحسن المعنى فالعبارات صريحة بذلك فـ "سامرتهـم" قضيت معهم الليل في السمر والانس. بقصائد. مزينة بألفاظ جميلة وبمعان بديعة تنم عن براعة الشاعر وقدرته على انتقاء الالفاظ.

ويتكرر المشهد عند ابن احميدة في نصوص عديدة حيث المسامرات والإنشاد الشعري ديدنه فيقول: ⁽¹⁾

وكاسات كلون دم الغزال

وكم سهروا بإنشاد القوافي

بأشعار كمنثور الألي

وكم أحيوا وكم قتلوا نفوسا

أتتهم فانثنت شمس زوال

فكم عوصاء قد جلت وأعيت

وكم بالدرس قد سهروا الليالي

فكم سهروا الليالي بالغواني

ويقول:

يقوم الليالي مدمن الفكر في الذكر

وكم قد حووا من أزوع أزوع سن

وعاثت جنود النوم بالجاهل الغمر

بييت إذا الظلماء أرخت سدولها

يجود بدمع لا بكثروا نزر

يرتل آيات الكتاب مدبرا

ويقول:

وكم بات ينهى فتية عن حمى الذكر

فكم بات بالمعروف يأمر فتية

فيها مهلا بتحميد وتقديس

فكم ليال همى مصطان عبرته

حيث يسمررون بإنشاد الأشعار وعبادة الخالق فهم جمعوا بين إجادة الشعر والاستغراق في عبادة الخالق من قيام الليل والذكر والتفكير الذي ينير بصائرهم.

السمر في مجالس الشاي:

جلسات الشاي عند الموريتانيين عبارة عن فضاء ثقافي واجتماعي يصور أخلاق القوم وقيمهم وأدبياتهم في تلك الجلسات يقول باب بن الشيخ سيدي ⁽²⁾:

وأضواء مصباح الزجاجاة تزهـر

يقيم لنا مولاي والليل مقمر

نسيفا بأذيال الدجى يتعشر

وقد نسمت ربح الشمال على الرى

يطيب بها ليل التمام ويقصر

كووسا من الشاه الشهى شهية

وخير لها من تلج وهران سكر

تخير من تجار طنجة شاهها

(1) ديوان الشاعر الموريتاني محمد ولد ابن ولد احميدة جمع وتحقيق ودراسة رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير إعداد الدكتور أحمد ولد حبيب الله جامعة القاهرة 1988. ص: 744-غ45.

(2) شعر العلامة الشيخ سيدي باب بن الشيخ سيدي، تأليف عبد الله اسماعيل أبو مدين. سحب مطبعة المزاي انواكشوط موريتانيا السنة 2022، ص: 124.

قواريرها والشاه فيها يزينها
تعين على الخيرات من بات قائما
ولا غرو إن طابت صنائع ماجد
يصف الشاعر جلسة شاي في ليل مقمر هادئ وما يرافق ذلك من حسن استقبال الضيف وكرم المضيف وصفاء الجو وجمال الطبيعة.

ويميز محمد ولد أبي مدين جلساءه لشرب الشاي فيختار من يتمتع بالأناقة واللباقة وحسن المنظر وكرم الأخلاق والوقار وسعة المعرفة فيقول⁽¹⁾:

ألا فاسقني كاسات شاي ولا تذر
فوقت شراب الشاي وقت مسرة
تخير حسان السميت عند شرابه
وخلل شراب الشاي بالذكر واستعن
ونادم خيار الصالحين فمجلس
وغيب سوى من ذكرت وإن غدى
وما قيل في مدح الملوك وفخرهم

ويقول الشيخ أحمد بن امود⁽²⁾

تجمل بشعر كالجمان النضير
فما الإنس إلا في اجتماع ذكرته
به عابد الرحمان صاغ برقة
سقانا به شاي شها محمد
وذكرنا بأيرش وربوعه

ويقول محمد و ولد محمدي⁽³⁾:

يا ليلة راح فيها عازب الوطر
طابت مجالسنا وخامرنا

ويقول ولد أحمد يورة⁽⁴⁾:

(1) السني عبداوة مرجع سابق ص: 65.
(2) السني عبداوة ديوان بيت السامرين إصدارات جمعية شمس الدين للبحوث والتراث والنشر والإعلام الطبعة الأولى 2024 ص: 70.
(3) أحمد بن الأمين الشنقيطي الوسيط في تراجم أدباء شنقيط تأليف أحمد بن الأمين الشنقيطي بعناية فؤاد السيد مكتبة الخانجي القاهرة مؤسسة منير موريتانيا 1989/1409 م مطبعة المدني ص: 55.
(4) ديوان امحمد ولد أحمد يورة مخطوط نسخة بحوزتي.

قد طاب سكره والماء والورق
واللهو مجتمع والهم مفترق

أتينا منه فم المرء يحترق
بات المبارك يسقينا على مهل

وقد تطور مفهوم السمر في السياق الثقافي الأدبي من الإنشاد الشعري ليلا إلى تأليف الكتب في جلسات السمر من ذلك:

. كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي: وهو من أهم مراجع الأدب والثقافة والفكر القديمة وهو عبارة عن مناظرات أدبية وفلسفية جميلة تقع في ثلاثة أجزاء وتروي قصة سبع وثلاثين ليلة من السمر والمناظرة جمعت بين أبي حيان التوحيدي ووزير الدولة البويهية أبي عبد الله العارض بطلب من صديقهما المشترك أبي الوفاء المهندس.

والتوحيدي لم يخصص كتابه الإمتاع والمؤانسة لشرح الشعر وإنما يجعل منه عنصرا للإمتاع تارة وتارة للمفاضلة مثل الليلة الخامس والعشرين التي خصصها للمفاضلة بين الشعر والنثر وقدم رأيا ينتصر للبلاغة والفصاحة بغض النظر عن قائلها. قائلا "وقال أدام الله دولته أحب أن أسمع كلاما في مراتب النظم والنثر وإلى أي حد ينتهيان وعلى أي شكل يتفقان وأيهما أجمع للفائدة وأرجع للعائدة وأدخل في الصناعة وأولى للبراعة؟ فكان الجواب "إن الكلام على الكلام صعب قال ولم قلت إن الكلام على الأمور المعتمد فيها على صور الأمور وشكلها التي تنقسم بين المعقول وبين ما يكون بالحس ممكن وفضاء هذا متسع والمجال فيه مختلف فأما الكلام على الكلام لأنه يدور حول نفسه....".

. وكتاب ألف ليلة وليلة لابن المقفع:

من كتب التراث والأدب وتدور قصته الرئيسية حول الملك شهريار الذي صدم بخيانة زوجته فقرّر الزواج كل ليلة بامرأة وقتلها في الصباح انتقاما من تلك المرأة وقد أنقذته شهرزاد بالزواج منه وسرد حكايات شيقة وتقطعها عند الفجر لتبقى معلقة حتى الليلة التالية فتستمر القصة ألف ليلة فتعلق الملك بها وعدل عن قراره بالقتل.

أما في موريتانيا فإننا نجد :

. ديوان بيت الساهرين وهو في الأصل برنامج إذاعي بثته إذاعة موريتانيا مدة ثلاثين سنة يقدمه الأستاذ السني عبداوة من سنة م 1989 إلى سنة 2016م وقد ضم ديوان الساهرين تسع مائة وتسعة وثمانين بيتا موزعة على مائتين وستة وسبعين نصا تتفاوت أعداد أبياتها من بيت واحد إلى تسعة عشر بيتا موزعة على العناوين التالية:

العنوان الأول المقدمة:

تضم خمسة عشر نصا شملت ثلاثة وسبعين بيتا تكلم خلالها عن مدارس الشعر الموريتاني وذكر أمثلة على كل مدرسة وكل شاعر من هؤلاء الشعراء يأتي له بمثال كشاهد على مدرسته أو اتجاهه تمشيا مع حقبة الأدب الموريتاني المعروفة فيبدأ بسيدي عبد الله ولد رازكة فيقول⁽¹⁾:

ونيم للغواني أي نيم
غضى طيانة الكشح الهضم
وطولا ليل عاشقها السليم
لينقذه من الحجل الفصيم

نأوا بخريدة غيداء راد
طوت كشحي على جمر تلظى
أثيثة وحفها الحاكي اسودادا
يصول إلى مخلصها هويا

(1) السني عبداوة: ديوان بيت الساهرين ص:5.

وتصلى قلبه نار الجحيم

ترى عين الفتى جنات عدن

ومحمد اليدالي والذئب الكبير ويوفمين المجلسي... ويذكر أنصار الشعر الجاهلي ويأخذ مثالا من ولد الطلبة وابن
احمدام يقول بن الطلبة

من القوم ميناف إذاهم صمما

ظعائن يهدين في كل نجعة⁽¹⁾

مخيلا بها ألقى البعاع وديما

تحملن أن قد شمن من جال تيرس

بما سرهم أن جاد فيها فأفعما

فخبرهم روادهم بعد سبعة

من الشك حوكا سندسيا وأنعما

وجر على أنجادها ووهادها

العنوان الثاني الحكايات الشعرية:

الحكايات الشعرية وتضم خمس مائة وستة وتسعين بيتا موزعة على مائة وثلاثة وعشرين نصا لأربعة وأربعين
شاعرا تليها أدب الشاي ويضم ثمانين نصا موزعا على اثني عشر ومائتي بيت بعدها أدب التبع ويشمل عشرين
نصا موزعا على اثني عشر ومائتي بيت وتأتي الأمثال الشعبية التي جاءت في تسعة عشر نصا تشمل تسعة
وثلاثين بيتا
يقول ولد ابنو⁽²⁾ :

وقل لها إنها أغرت بي الولها

بلغ سلامي إذا جئت البتول لها

لم أسأل لم أله إذ غيري سلا ولها

وإنني مذ ما ذتني مغرم دنف

لأن بنية نفسي أن تنولها

إنني لآمل منها أن تنولني

وصرمت من حبال الوصل أحبلها

يا ليت شعري هل لي بعد ما بعدت

حتى أعلل نفسي أن أعللها

إلمامة بنواحيها وجيرتها

ما حلها من قبلها محل منزلها

إن البتول لها في القلب منزلة

وصرمت وأطاعت فيك عدلها

قال العذول البتول اليوم منك نأت

قد حمل النفس قسرا أن تذللها

هلا تسليت عنها إذ سقتك هوى

إن جبت بيذا أرنتي البيد مجهلها

فقلت إن النوى تدني النوى وأنا

بالعدل فيها ولم أسأم تدللها

إن تنأ عني فإني غير مكترث

ويقول أحمد بن امود⁽³⁾:

وحل به من شئت في الخدور

تجمل بشر كالجمال نضير

(1) ديوان محمد ولد الطلبة نفس المرجع

(2) السني عبادة ديوان بيت الساهرين إصدارات جمعية شمس الدين للبحوث والتراث والنشر والإعلام الطبعة الأولى 2024، ص 20،

(3) نفس المرجع، ص: 70.

فما الإنسان إلا في اجتماع ذكرته
فه عابد الرحمان صاغ برقة
سقانا به شايأ شهيا محمد
وذكرنا بأرش وربوعه
بجنب العقيق لن يرى في الدهور
يدور قريضا كابتسام الثغور
سربه السمارأي سرور
وشدو الحمام بالمسا والبكور

ويقول آخر:

يا ليلة راح فيها حازب الوطر
إذ بات أحمد يسقينا على مهل
بات الصفاء فيها ينطوي على الكدر
أشهى من فرح في أبهى من الدرر

ويقول عبد السلام بن حرمة بن عبد الجيل:

يا ليلة فيها الشمال بليـل
يدير على الكاسات وهي مديرة
كأس صقيل في كؤوس صقيلة
صفت وصفا جلاسها وشرابها
وطاب الهوى والبدر كاد يميل
بإبريقها والشاربون قليـل
حتى الإبريق وسط الكؤوس صقيل
وما كدر الكأس الهنيء ثقيـل

ويختتم العنوان بذكر فوائده عند القوم يقول محمد محمود بن احمديه⁽¹⁾:

أتاي يذهب ما في القلب من كدر
وقد يطيب به شعر وتدريس

يعين عل قيام الليل⁽²⁾ :

عذولي عن الأتاي دعني فإني
به أحيي الليالي وأحي روعي
أصم الأذن عن العذول
وأكرم مثوى ذي كرم نزيل

ويقول آخر⁽³⁾ :

فما عيش يطيب بغير علم
فلولا الكأس ما شرحت صدور
وكأس في العظام لها ديب
ولولا العلم ما عرفها اللبيب

أدب التبغ "امينج"

فيصور الاختلاف والسجال الذائر حولها.

أدب الأمثال الشعبية:

(1) نفس المرجع ص: 66.

(2) المرجع السابق، ص: 11.

(3) المرجع السابق ص: 74.

أدب الأمثال:

" إن الأمثال الحسانية تشكل جزءا وازنا من القيم التي تقنن وتنظم مختلف جوانب النظرة الحياتية للفرد والمجتمع. قال امحمد ولد أحمد يوره⁽¹⁾

من العار أن يبقى لعينيك مدمع
وقد لاح من بين المنارين مدمع
وخبرت أن الحقف أقوت ربوعه
وأن أضاة الثوربيداء بلقع
ولم تصغر الأذان إلا لسمعها
لما لم تكن من قبل ذلك تسمع

وقد نال البرنامج إعجاب السامعين وصوره في أشعارهم من ذلك ما يقول سفير موريتانيا في المغرب محمذن ولد امبيريك⁽²⁾

لولا الذي يحويه البيت من سقف
قطعا وما حول تلك السقف من مدر
والمرسلات من الموجات أونة
من الإذاعة بالإعلان والخبر
بشرى لنا موعدا منها تؤكده
ليل الخميس بجمع الشمل والسمر
لم تابنا أن بيت الساهرين له
بيت من الشعر أو بيت من الشعر

قال أحمد بولمساك⁽³⁾

ادخل بريك بيت الساهرين ففي
أحضانه قد تلاقى العلم والأدب
هذا يقدم ألبازا تخيرها
وذلك يشرحها نظما فينتدب
والبعض يسمعها عبر الأثير فما
يزال في نفسه من وقعه طرب
ويجتبي ثم عادات معظمة
من الثوابت قد ضاعت بها الحقب
فيلتقي الكل في بيت دعائه
علم وشعر من الأداب مكتسب

وقد أنشئت برنامج سمرية إذاعية وتلفزيونية أخرى في موريتانيا منها برنامج "معكم يحلو السم" وهو برنامج تلفزيوني تبثه قناة شنقيط يقول الأديب الأستاذ احمد ولد بنو تحية لقناة شنقيط وقد سماه أبيات من وحي القاعة⁽⁴⁾:

يا قناة جمعت بين أذواق البشر
جذبتهم نحوها بجماليات الفكر
بهرت عالما في زحام فانبهر
تلك شنقيط لها تاريخها الزاهي الأغر
أطربت منزلنا وجلت عنا الكدر
يا لبابة الزهر غني رجعي وقت السحر

(1) ديوان ولد أحمد يوره مخطوط نسخة بحوزتي

(2) نفس المرجع

(3) المرجع السابق . ص 11.

(4) قناة شنقيط برنامج معكم يحلو السم

قد سمرنا معكم معكم يحلو السمر

خاتمة

- ظاهرة السمر وإنشاد الشعر ظاهرة عرّفها العرب في جاهليتهم وقد امتدت عبر العصور.
- وقد شمل إنشاد الشعر وتأليف الكتب مثل كتاب الإمتاع والمؤانسة وكتاب ألف ليلة وديوان بيت الساهرين

- يشترك شعراء المدونة في اختيار المسامرين والتأكيد على تميزهم فهم عند الشيخ سيدي محمد فتیان أمجاد علماء لهم رأيهم حيث يقول:

وكم سامرت سمارا فتوا
أذاكر جمعهم ويذاكروني
إلى المجد انتموا من محتدين
بكل تخالف في مذهبيــــن

- وعند ولد الطلبة :

وصحاب مثل المصاييح في الدج
بنشيد ومزهر وعويــــص
ية نازعتهم سهاد الليالي
من علوم الهدى عزيز المنال

وعند ولد السالم:

وقد سامرني في مجلس عطر
التأكيد على مفهوم الفتوة يقول ولد ابن ولد احميدة:
وكم فتية سامرهم بقصائد
شم الأنوف لهم كتب ولأواح
محلاة بالفاظ بدر معان

- وقوله:

وكم بات بالمعروف يأمر فتية
وكم بات ينهي فتية عن حمى الذر

المصادر والمراجع

- ابن الرومي: ديوان ابن الرومي دار صادر بيروت لبنان.
- ابن مقبل: ديوان ابن مقبل عني بتحقيقه الدكتور عزة حسن دارالشرق العربي بيروت لبنان.
- أحمد بن الأمين الشنقيطي: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط تأليف أحمد بن الأمين الشنقيطي بعناية فؤاد السيد مكتبة الخانجي القاهرة مؤسسة مونير موريتانيا. 1409 هـ 1989 م. مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر.
- الحطيئة: ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت، دراسة وتبويب د منيف محمد قميجة دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- السني عبداوة ديوان بيت الساهرين تأليف السني عبداوة إصدارات جمعية شمس الدين للبحوث والتراث والنشر والإعلام الطبعة الأولى، 2024.
- الشيخ سيدي بابة شعر العلامة الشيخ سيدي بابه تأليف عبد الله بن اسماعيل بن مدين، سحب مطبعة الماريا.
- الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي: ديوان الشيخ سيد محمد بن الشيخ سيدي تحقيق عبد الله بن سيديا مراجعة براهيم ولد يوسف والدكتور محمد ولد تتنا الناشر دار الرضوان لصاحبها أحمد سالك بن محمد الأمين ابن ابوه

- الفرزدق: ديوان الفرزدق دار صادر بيروت لبنان
- المعري: ديوان لزوم مالا يلزم المكتبة الشاملة
- عروة بن أذينة: ديوان عروة بن أذينة دار صادر بيروت لبنان.
- محمد ولد الطلبة: ديوان محمد ولد الطلبة شرح وتقديم الأستاذ محمد عبد الله بن اشبيه ولد ابوه ومراجعة العلامة محمد سالم ولد عبد الودود ورعاة الدكتور محمد بيها محمد ناصر الناشر أحمد سالك ولد ابوه
- محمد ولد السالم: إرساء المعالم في شرح ديون ابن السالم.
- محمد ولد أحمد يورة ديوان محمد ولد أحمد يورة مخطوط بحوزتي.
- محمد بن منظور: لسان العرب للإمام العلامة أبي فضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الاقرقي المصري دار صادر بيروت لبنان
- محمد ولد ابنو ديوان محمد ولد ابنو ولد احميدة جمع وتحقيق ودراسة بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير إعداد الدكتور أحمد حبيب الله جامعة القاهرة 1988

شرح لامية العرب للمختار بن بوزالحاجي دراسة وتحقيق

أ. د. محمد بن أحمد بن المحبوبي
منسق ماستر النحو والصرف بالمعهد
العالي للدراسات والبحوث الإسلامية
نواكشوط - موريتانيا

مقدمة:

يسعى هذا الجهد إلى أن يعرض لشرح من أوائل الشروح اللغوية الشنقيطية التي اعتنت بلامية العرب، ومن المعلوم أن هذه القصيدة حظيت باهتمام بالغ من قبل العلماء قديما وحديثا، فحازت بذلك شهرة واسعة في مختلف الأوساط العلمية، لما تشتمل عليه من مادة لغوية وفيرة وصور شعرية متميزة، زد على ذلك أنها تعد صورة حية للحياة الجاهلية بكل أبعادها وتجلياتها.

وهو ما جعل العلماء يتسابقون إلى تداولها وتناولها من خلال شروح تتراوح بين الطول والقصر، وقد كان للشناقطة من ذلك نصيب معتبر نكتفي منه في هذا المقام بالتلبث يسيرا مع شرح المختار أسري بن أحمد بن حمى الله بن بوزالحاجي التيشيتي (ت: 1226 هـ).

ويمكن أن نقسم هذا الجهد إلى محورين: أولهما يعني بترجمة المؤلف ودراسة النص، وثانيهما يعول على تحقيقه.

المحور الأول: ترجمة المؤلف ودراسة النص

وخلال هذا المحور نود لو نقدم ترجمة وافية لهذا الرجل معززين لها بدراسة تبرز أهم ملامح هذا النص وخصائصه.

أ- الترجمة والتعريف

تجدد الإشارة إلى أن المعلومات المتعلقة بترجمة صاحب هذا النص شحيحة، ومع ذلك سنبدل الوسع في تجميع ما تناثر منها في مختلف المصادر والمراجع، فهو الشيخ المختار أسري بن أحمد بن حمى الله بن بوزالحاجي التيشيتي، نشأ في حاضرة تيشيت العلمية، الأمر الذي أهله لأن ينهل من المعارف على يد عدد من الشيوخ من أبرزهم المرابط سيدي محمود، فأصبح مشاركا في العلوم فدرس وألف، ومن أشهر تلامذته محمد بن محمد الصغير بن ابوجه⁽¹⁾ (ت: 1275 هـ)، ومن أبرز مؤلفاته هذا الشرح الذي بين أيدينا.

وقد كان خطأ كثيرا الاستنساخ للكتب، فذكر أحد الباحثين أنه استنسخ نسخة من وسيلة السعادة للمختار بن بونه الجكني، وكتاب النورين في إصلاح الدارين للجيشي اليمني، وغيرها.

وتذكر المصادر أنه كان شاعرا، فقد رثى بنت العلامة أحمد بن فاضل حيث يقول⁽²⁾:

أَلَا مَا لَنَا مِنْ حَادِثٍ الدَّهْرِ مَهْرَبٌ وَلَا الدَّهْرِ فِيمَا قَدَّرَ اللَّهُ مُعْتَبٌ

كما رثى شيخه ووالده الولي الصالح المرابط سيدي محمود (ت: 1200 هـ) بقصيدة يقول فيها⁽³⁾:

(1) - المجموعة الكبرى لابن البراء في ترجمته له (رقم 798).

(2) - مخطوط بوراقة إسماعيل.

(3) - مدينة تيشيت رسائل وأشعار لحماه الله بن ما يابى ص 248.

هو الله في أحكامه ليس يغلب
رضينا بما يقضي علينا فما لنا
على أننا ضاقت بنا الأرض أرتجت
وحلت بنا داهية جل خطبها
وحق لنا أن تستهل عيوننا
على سيدي محمود بدر زماننا
ومفتاحنا في معضل الدين والدنا

وما لا مرئ عما قضى الله مهرب
سوى الصبر والتسليم، والصبر أوجب
علينا وكدنا لا نرى أين نذهب
فأحشاؤنا من حرها تتلهب
دماء تجاري ما من الدمع نسكب
وملجئنا فيما نخاف ونرهب
ومرشدنا للحق إن زاغ مذهب

وقد رثاه تلميذه ابن امبوجه مرثية مطولة تعترف له بالفضل والمشیخة، فهو يعد من أبرز شيوخه في الفقه، والقارئ لهذه النص يدرك أنه يكشف عن مكانته العلمية وتميزه المعرفي، حيث يقول⁽¹⁾:

ما للمكارم أصبحت كالغور
ما للمكارم أصبحت مهمومة
والله لست لما عراها جاهلا
فلقد علمت يقينا أن مصابها

مئز المآقي عرضة للمور؟
صعداؤها موصولة بزفير؟
أمن التجاهل أم من التقرير؟
بسميرها المختار غي ريسير

ب - دراسة الشرح:

وقبل الحديث عن هذا الشرح ودرسته نشير إلى أنه قد نسب للعلامة عبد الله بن أحمد بن الحاج حمى الله القلاوي (ت: 1209 هـ) وهما وسهوا، ولعل ذلك راجع إلى وجود تشابه في الأسماء، فكل من الرجلين ينتسب إلى حمى الله، غير أن التحريات تثبت أن هذا الشرح للشيخ المختار بن أحمد بن حمى الله بن بوزالحاجي التيشيتي، فقد ختم شرحه بما نصه: "وهذا آخر ما سمح به خاطر وبلغه الجهد أي الطاقة والفهم القاصر من تقرير القصيدة وتعيينها وتهذيب معانيها وتبيينها طالبا ممن حسن خيمه وسلم من داء الحسد أديمه أن ينظر بعين الرضا والقبول، ويدعو بالحسنى ونيل المأمول، على يد جامع له نفسه ولإخوان متطفلا على موافد المنان فقير مولاه وأسير هواه المختار بن أحمد بن حمى الله، ختم الله لنا ولكم بالحسنى، وبوأنا وإياكم بمحض فضله في دار كرامته المقر الأسنى، بجاء أشرف الخلق سيدنا محمد سيد السادات، عليه أفضل الصلوات وأزكى التحيات، وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما".

ويحسن بنا أن نعرض لهذا الشرح من عدة زوايا نسوقها تباعا فيما يأتي:

1 - العرض والتقديم

يبلغ عدد أبيات القصيدة الشنفرية ثمانية وستون بيتا أوردها المؤلف في شرحه للامية العرب، وهو الشائع في الكتب المطبوعة والمخطوطة عالميا؛ يتألف هذا التعليق من تسع ورقات مخطوطة بحبر أسود اعتمد فيه المؤلف منهج القدماء، حيث يكتب البيت في الأعلى ثم يكتب الشرح أسفل ذلك، وقد تتبّع في شرحه - للقصيدة - معظم ألفاظ

(1) - ضالة الأديب لابن امبوجه، تحقيق جمال بن الحسن منشورات الإيسيسكو 1417 هـ، ص 162.

النص، إضافة إلى المعنى الإجمالي لمعظم الآيات. ويتكون هذا الشرح من ثلاثة أجزاء هي: المقدمة، والعرض الذي هو عبارة عن شرح شامل للقصيدة، ثم الخاتمة.

وقد استقى الرجل جل شرحه لأبيات القصيدة من القاموس المحيط الذي كان يصرح به أحيانا، وذلك مثل قوله: "قال في القاموس"، كما اعتمد الكتب الآتية: - لكنه لم يصرح بذلك، ولكن من خلال البحث اتضح لي ذلك: الصحاح للجوهري، تاج العروس للزبيدي، واللسان لابن منظور..؛ كما استشهد ببعض الآيات الشعرية والآيات القرآنية، بالإضافة إلى بعض الأمثال العربية..؛ كما تتطرق لإعراب بعض الكلمات وذكر بعض الصيغ الصرفية الواردة في النص.

مصادر الكتاب

"القاموس المحيط والقبوس الوسيط، الجامع لما ذهب من كلام العرب شماطيظ"

لسان العرب لابن منظور

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري

تاج العروس من جواهر القاموس لمرتضى الزبيدي

نسبة الكتاب إلى مؤلفه:

نسبه المؤلف لنفسه إذ يقول: "على يد جامعه لنفسه وللإخوان متطفلا على موائد المنان، فقير مولاه وأسير هواه المختار بن أحمد بن حمى الله بن بوز".

وصف النسخ

يعتمد المحقق في تحقيقه على أمرين: الأول يقوم على حصر النسخ التي وجدت من النص المراد تحقيقه ومقارنتها فيما بينها، والثاني يقوم على ضبط النص وإخراجه في أقرب صورة لتلك التي تركه عليها المؤلف.

بالنسبة للمسألة الأولى المتعلقة بجمع النسخ والمقارنة بينها لم تكن مطروحة لي نتيجة عدم وجود نسخة أخرى سوى هذه النسخة التي بحوزتي؛ أما الأمر الثاني فقد عملت على إخراجه على الوجه المطلوب.

النسخة الأولى: (أ):

نسخة محمد عبد الله بن عباد يبلغ عدد صفحاتها تسع صفحات، وتقع في ورق من نوع B3، ويبلغ حجم الصفحة الأولى منها 35.3 سم عرضا و50 سم طولا، عدد الأسطر فيها ثلاث وعشرون سطرا وهي مكتوبة بحبر أسود بخط مغربي جميل غاية في الدقة والوضوح سوى كلمات متفرقة في صفحات من هذا المخطوط؛ لم تكن هذه النسخة مرقمة، ولم نجد تاريخا محددا للنسخ.

الناسخ: محمد عبد الله بن عباد.

الصفحة الأولى من النسخة (أ)



البداية: " (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، الحمد لله المحيط بجميع اللغات الذي يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات، والصلاة والسلام على أفضل من نطق بالضاد، وأفضل شافع وأول في المعاد، صلى الله على سيدنا وعلى آله صلاة لا انقطاع لها ولا نفاذ؛ وبعد فاستعين الله تعالى وهو المستعان وإليه المرجع وعليه التكلان، على تعليق لطيف على القصيدة المنسوبة للشنفرى الأزدى...".

الصفحة الأخيرة من النسخة (أ)



النهاية: " وهذا آخر ما سمح به خاطر وبلغه الجهد أي الطاقة والفهم القاصر من تقرير القصيدة وتعيينها وتهذيب معانيها وتبيينها، طالبا ممن حسن خيمه، وسلم من داء الحسد أديمه، أن ينظر بعين الرضى والقبول، ويدعو بالحسن ونيل المأمول، على يد جامعه لنفسه وللإخوان متطفلا على موائد المنان، فقير مولاه وأسير هواه المختار بن أحمد بن حمى الله بن بوز ختم الله لنا ولكم بالحسن...".

النص محققا:

مقدمة المؤلف:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم.
الحمد لله المحيط بجميع اللغات، الذي يقبل التوبة من عباده ويغفو عن السيئات، والصلاة والسلام على أفضل من نطق بالضاد، وأفضل شافع وأول في المعاد، صلى الله عليه وعلى آله صلاة لا انقطاع لها ولا نفاذ.
وبعد، فأستعين الله وهو المستعان، وإليه المرجع وعليه التكلان، على تعليق لطيف على القصيدة المنسوبة للشغري الأزدي، المعروفة بلامية العرب، وذكر أنها أنشدت عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فأمر بحفظها وقال: «تعلموها وعلموها لأولادكم، فإن فيها الشجاعة ومكارم الأخلاق».
وها هي:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل
فقد حُمّت الحاجات والليل مُقْمَرٌ وشُدّت لطيّات مطايا وأزحُلُ
وفي الأرض منأي للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى متحوّل

(أقيموا) فعل أمر من أقام الشيء، إذا أزال عوجَه، (بني أمي) منادى بحذف حرف النداء، (صدور) جمع صدر، أعلى كل شيء، وأوله، (مطيكم) جمع مطيّة، وتجمع أيضا على مطايا، وهي: الدابة تمطو في سيرها أي تُجد وتسرع، (فإني إلى قوم) القوم الجماعة من الرجال والنساء، أو الرجال خاصة، جمعه: أقوام، (سواكم لأميل) أي: مائل إلى أهل سواكم، أي: غيركم، كان أهله فيما ذكر خذلوه وتركوا نصره، [فهم وعدوان].
(حمت) بضم الحاء: قدرت وحضرت أو قضيت، وافتتح الحاء من قولك حم الأمر فلانا، أي: أهمه كأحمه، (الحاجات) جمع حاجة، وتجمع أيضا على حوائج، (والليل مقمر)، أي: ذو قمر، يريد تبين الأمر وظهوره، (شدت) من الاشتداد، (لطيّات) بكسر الطاء وفتحها، جمع طية بالكسر: الحاجة المنوية، قال في القاموس الطية بالكسر: النية، (مطايا) جمع مطية، (وأرحل) جمع رحل، وهو دون القتب، والقتب: الإكاف الصغير على قدر سنم البعير.
(منأي) اسم مكان من نأى، بمعنى بُعد، أي: في الأرض مكان يبعد فيه الكريم ضد اللئيم عن (الأذى) مصدر أذى به، وتأذى، والاسم: الأذية والأذاة، وهي: المكروه اليسير، (وفيها)، أي: الأرض، (المن خاف القلى)، بفتح القاف: البغض، مصدر قلاه كرماء، وقليه كرضيه قلى وقلاء: أبغضه، وكرهه غاية الكراهة فتركه (متحول) بفتح الواو، أي: مكان تحول، أي: انتقل.

لَعَمْرُكَ مَا بِالْأَرْضِ ضِيقٌ عَلَى امْرِئٍ سَرَى رَاغِباً أَوْ رَاهِباً وَهُوَ يَفْقُلُ
وَلِي دُونُكُمْ أَهْلُونَ سَيِّدُ عَمَلَسٍ وَأَزَقُظْ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءٌ جِيَالُ
هُمُ الرَهْطُ لَا مُسْتَوْدَعُ السَّرْدَائِعِ لَدَيْهِمْ وَلَا الْجَانِي بِمَا جَرَّيْخُذَلُ

(العمر) بالفتح وبالضم وبضميتين: الحياة، وبالفتح الدّين، قيل: ومنه لعمرى، وهو مبتدأ خبره محذوف وجوبا، أي: قسمي، (ما) نافية، (بالأرض) الباء: بمعنى في، (ضيق) مصدر ضاق ضيقا بالكسر، وضيقا بالفتح: ضد اتسع اتساعا (على امرئ) شخص، وفيه ثلاث لغات، فتح الراء دائما، وضما دائما، وإعرابها دائما، تقول: هذا امرؤ، بضم الراء، ورأيت امرؤا، بفتح الراء، ومررت بامرئ، بكسر الراء، (السرى) بالضم: سير عامة الليل، (راغبا) اسم فاعل من رغب

فيه كسمع رَغْبًا ورَهَبًا بالضم وبالفتح وبالتحريك، ورُهْبَانًا بالضم، ويحرك، بمعنى: خائف، (وهو يعقل)، أي: ذو عقل، والعقل: العلم بصفات الأشياء، من حسنها وقبيحها، وكمالها ونقصانها، والعلم بخير الخيرين، وشر الشرين، وهو: نور روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية، ومحله الدماغ والقلب. (دون) ظرف، نقيض فوق، (أَهْلُونَ) جمع أهل، (سيّد) بكسر السين الذئب، أو الأسد، (عَمَلَسَ) بفتح العين والميم واللام المشددة: القوي على السير السريع، والذئب الخبيث.

(وَأَرْقَطَ) النمر، والرقطة: بالضم سواد تشوبه نقط بيض، أو عكسه، و(رَهْلُولٌ) بضم الزاي المعجمة الأملس، جمعه: زهاليل، (وعرفاء) الضيع لكثرة شعر رقبته، (جِيَالٌ) بالهمز وجِيْلٌ بلا همز الضيع، يقال: جَيْلٌ كَفَرَحْ جَالَانَا مُحَرَّكَ عَرَجٍ، المعنى: إن هذه السباع أهل له دون الإنس، لأنه متأنس بالفلوات، فصيرها كأهل له، من مجانسته إياهم، (الرهط) قوم الرجل وقبيلته، والرهط: من ثلاثة إلى عشرة، وهو بالسكون ويحرك، (لَا مُسْتَوْدَعٌ) اسم مفعول من استودعته وديعة، استحفظته إياها، (السر) ما يكتُم، (ذائع) من ذاع، إذا شاع، أي: انتشر خبره، و(الجانبي) اسم فاعل من قولك: جنى عليه الذئب، يجنيه جناية، جره بها، (جَرَّ) متعلق بقوله: (يخذل) بضم الياء بالبناء للمفعول، يقال: خذل عنه إذا ترك نصحه ونصره وإعانتة.

وَكُلُّ أَبِي بَاسِلٍ غَيْرَ أُنِّي إِذَا عَرَضَتْ أُولَى الطَّرَائِدِ أَبْسَلُ
وَأِنْ مُدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ بِأَعْجَلِهِمْ إِذَا أَجْشَعَ الْقَوْمُ أَعْجَلُ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا بَسْطَةٌ عَنْ تَفْضُلٍ عَلَيْهِمْ وَكَانَ الْأَفْضَلُ الْمُتَفَضِّلُ

(أَبْيُّ) الحمي كغنى، من لا يحتمل الضيم، أو الذي يأبى أن يغلبه أحد، (باسل)، أي: شجاع، والباسل: الأسد، كالمتبسل، يقال: بَسَلَ وَتَبَسَّلَ عَبَسَ غَضِبًا أو شجاع، يعني أن كل من لا يقبل الضيم شجاع، (غير أنني إذا عرضت)، أي: بدت، (أولى) مؤنث أول، ضد الآخر، والآخر والأخرى، (الطرائد) الإبل تطرد، أي: تساق إذا غلب صاحبها، جمع طريدة، وفي نسخة: (أولوا)، أي: أصحاب، (أبسَل) أشجع، (الأيدي) جمع يد، وهي: الكف، أو من أطراف الأصابع إلى الكف، ويأتي بمعنى: الجلة أو القوة والنعمة، (إلى الزاد) ما يتزود به، ومزودٌ كَمُنْبَرٌ وعاء، و(الباء) في (بأعجلهم) زائدة، (إِذْ) تعليلة، (أجشع القوم) أشدهم حرصاً، الجشع حركة أشد الحرص وأسوؤه، وان تأخذ نصيبك، وتطمع في نصيب غيرك، (أعجل) هو أعجلهم ومما ينسب لحاتم⁽¹⁾:

أَكْفَ يَدِي مَنْ أَنْ تَنَالَ أَكْفَهُمْ إِذَا نَحْنُ أَهْوَيْنَا وَحَاجَاتُنَا مَعَا

أي: وما عدم العجلة إلا (بسطة)، أي: سعة (عن تفضل)، أي: توسع عليهم بالفضل، يقال: رجل ذو بسطة، إذا كان له الفضل على الناس، و(عن) بمعنى: في، قال تعالى: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾، (وكان الأفضل) خبر مقدم، (المتفضل) إليهم، أي: الذي يتكلف الفضل.

وَإِنِّي كَفَانِي فَقَدْ مَنْ لَيْسَ جَازِيَاً بِنِعْمَةٍ وَلَا فِي قُرْبٍ مَتَعْلُ
ثَلَاثَةُ أَصْحَابٍ فَوَادُ مُشَيِّعٍ وَأَبْيَضُ إِصْلِيثٍ وَصَفْرَاءُ عَيْطُلُ
هَتُوفٍ مِنَ الْمُلْسِ الْمُتُونِ يَزِينُهَا رَصَائِعُ قَدْ نِيَطَتْ إِلَيْهَا وَمِخْمَلُ

(1) - ديوان حاتم الطائي ص 68.

أي: كفاني أن أفقد من لا نفع فيه، قوله: (جازيا)، أي: مكافيا، قوله: (بحسن)، أي: بإحسان، (ولا في قريه متعلل) اسم مفعول، بمعنى: تعلل [ما] يقال: تعلل تعللا تشاغل، أي: من ليس في قريه تشاغل ولا تلاحم، وقيل: متعلل أنس، وقيل: الشيئ اليسير الذي يكتفى به، (ثلاثة) فاعل كفاني في البيت السابق (أصحاب) مضاف، (فؤاد) بدل تفضيل من ثلاثة، (مشيع) أي قلب مشيع، المشيع: المجتمع، كأنه في شيعته، وشيعة الرجل بالكسر أنصاره وأتباعه والفرقة على ضده، ويقع على الواحد والاثنيين والجمع والمذكر والمؤنث والجمع: أشيع وشيع، (وأبيض) نعت لمحذوف، أي: سيفٌ أبيض، (إصليث)، أي: مجرد من غمده، والصلت الجبين الواضح والبارز المستوي، والسيف الصقيل الماضي، كالمنصلت، (وصغراء) الصيقل، أي: قوس نبع النبع: شجر القسيي والسَّهام، تنبت في قنى الجبال، والنابت منه في السفح الشريان، وفي الحضيض الشوَّخظ، (عيطل) الطويلة، وهي التي لا وتر عليها، والعيطل من النساء الطويلة العنق وكذا من الخيل والنوق.

(هتوف) بفتح الهاء ذات صوت، يقال: قوس هتوف وهتافة وهتفى كحمرى، هتف أي: صاح، (من الملس) جمع أملس، (المتون) جمع مثن، وهو الظهر، أي: أنها من عود أملس لم تكسر أغصانه، (رصائع) حلية السيف المستديرة، وكل حلقة مستديرة في سيف أو سرج، وسيف مرصع: محلى، رصع كفرح لَزَق، (قد نيظت) علقت، ناطله نوطا، ومنوطا به: معلقا به، وهو مني مناط الثريا، أي: في البعد، (ومخمل) كمنبر: علاقة السيف

إِذَا زَلَّ عَنْهَا السَّهْمُ زَلَّتْ كَأَنَّهَا مُرَزَّةٌ تُكَلَّى تُرْنٌ وَتُغُولُ
وَلَسْتُ بِمُهَيِّفٍ يُعَشِّى سَوَامَهُ مُجْدَعَةٌ سُقْبَانُهَا وَهِيَ بَهْلٌ

(زل) خرج، يقال: زل فلانا زليلا، وزل الأمر سريعا، وقوس زلاء: يزل السهم عنها بسرعة خروجه عنها أي: القوس، (السهم)، أي: النبل، ويأتي بمعنى الحظ، والقدر يقارع به، واسم قبيلة، (حنت) صوّتت، وحينها: صوت وترها، يقال: للقوس أو المصوتة: الحانته، (كأنها مُرَزَّةٌ)، أي: مصابة بالرزايا، أي: المصائب، جمع رزء، يقال: رزأه ماله كجَل وعلم رُزءًا: أصاب منه شيئا، والمرزئة المصيبة، كالمرزاة، (ثكلى)، أي: التي مات ولدها، الثكل بالضم: الموت، وفقدان الحبيب، والولد، فقد ثكله فهو ثاكل، وهي ثكلى وثكول، وثكلتك أمك: فقدتك، وفي نسخة: (عجلى)، أي: سريعة، لأنها والهة، أي: ذاهبة العقل كالولهي، (وترن) فعل مضارع من أرْن، أي: صاح، ومن رنَّ يرنُّ رنيئا، أي: صاحًا أيضا، وإليه أصغى، (وتعول) مضارع أعول، أي: رفع صوته بالبكاء والصياح. (مهيف) شديد العطش، الهيف شدة العطش، أو ريح حارة نكباء، تُيَسُّ النبات، وتُعَطِّش الحَيَّوان، وتُنَشِّف المياه، وفي المثل: "ذهبت هَيْفٌ لأديانها" أي: لعاداتها، لأنها تجفف كل شيء، يُضرب عند تفرق كل إنسان لشأنه، ولمن لزم عاداته، (سوامه) الإبل الراعية كالسائمة، سامت الإبل رعتن أسامها: أرهاها، (مجدعة)، بالذال المهملة، أي: مقطوعة الأذنين، الجدع: قطع الأذن والشفة والأنف واليد (سُقْبَانُهَا) بضم السين، جمع سقب: ولد الناقة، خاص بالذكور، (وهي بَهْلٌ) لا صرار عليها، بَهْل كَفَرَح: حلَّ صرارها، وترك ولدها يرضعها، والمعنى: لست كهذا اللئيم الذي يعشي سقبان إبله بألبانها وهو عطشان.

وَلَا جُبَّاءُ أَكْهَى مُرَبِّ بِعَرْسِهِ يُطَالِغُهَا فِي شَأْنِهِ كَيْفَ يَفْعُلُ

وَلَا خَرِقَ هَيْقٍ كَأَنَّ فُؤَادَهُ يَظْلُ بِهَ الْمُكَّاءُ يَغْلُو وَيَسْفُلُ

(جُبَّاءُ) كسُكَّر: الجبان، جبأ بفتح الباء وكسرهما: ارتدع وكره، (الأكهى) الأبخر الكدر الوجه والجبان الضعيف، كهى كَرَضِي، كهى كهْدَى، (مُرَبِّ) اسم فاعل، أي ملازم من أرب، أي: لزم كرب، (بِعَرْسِهِ) بكسر العين امرأة الرجل، أعرس اتخذ عروسا، وبأهله: بنى، والعروس: الرجل والمرأة ما داما في أعراسهما، وقولهم: "لا عطر بعد عروس"، رجل تزوج امرأة، فهديت إليه، فوجدها تَفلة، أي: رائحته متغيرة، تَفَل كَفَرَح: تغيرت رائحته، وهي تَفلة، ويأتي بمعنى بَصق، فقال لها: أين عطرِكَ؟ فقالت: خبأته، فقال: لا مخبأ لعطر بعد عروس.

(يُطالِعُهَا فِي شَأْنِهِ) يُؤَامِرُهَا فِي كُلِّ أَمْرٍ يَرِيدُ أَنْ يَفْعَلَهُ، يُقَالُ: أَطْلَعَهُ عَلَى سِرِّهِ: أَظْهَرَهُ، وَاسْتَطْلَعْتَ رَأْيَ فُلَانٍ: نَظَرْتَ مَا عِنْدَهُ، وَمَا الَّذِي يَبْرُزُ مِنْ أَمْرِهِ، وَالْمَطْلَعُ: الْمُصْعَدُ، يَرِيدُ أَنْ لَيْسَ بِجَبَانٍ أَبْخَرُ مَلَاظِمَ لِبَيْتِهِ، لَا يَفَارِقُ عَرْسَهُ، يُؤَامِرُهَا فِي كُلِّ مَا يَرِيدُ أَنْ يَفْعَلَهُ، (وَلَا خَرْقٍ) بِالْجَرِّ عَطْفٌ عَلَى بِمَهْيَافٍ، وَالْخَرْقُ: الْأَحْمَقُ، كَمَا الْأَخْرَقُ، وَالْخَرْقُ بِالضَّمِّ وَبِالتَّحْرِيكِ ضِدُّ الرِّفْقِ، وَالْحَمَقُ: هُوَ أَنْ لَا يَحْسُنَ الْعَمَلَ وَالتَّصَرُّفَ فِي الْأُمُورِ، وَيَأْتِي خَرْقٌ بِمَعْنَى: مَرْقَهُ وَجَابَهُ، وَالشُّوبُ شَقُّهُ، وَالْخَرْقُ: الْقَفَرُ وَالْأَرْضُ الْوَاسِعَةُ، تَتَخَرَّقُ فِيهَا الرِّيحُ، كَمَا يَأْتِي فِي قَوْلِهِ: "وَحَرْقٌ كَظْهَرِ الثُّرْسِ"، (الْهَيْقُ) بِالْقَافِ الطَّوِيلُ، وَفِي نَسْخَةِ الْكَافِ: الْأَحْمَقُ، أَرَادَ: هَيْكًا، فَخَفَفَهُ، كَمَا يُقَالُ: مَيِّتٌ، وَالْهَوَكُ: الْحَمَقُ، وَالتَّهْوُكُ فِي الْأُمُورِ، أَيِ: التَّهْوُورِ، وَيُقَالُ: تَهْوَرُ الرَّجُلُ، إِذَا وَقَعَ فِي الْأَمْرِ مِنْ غَيْرِ مَبَالَاةٍ، (الْمُكَّاءُ) بِالْمَدِّ وَالتَّشْدِيدِ: طَائِرٌ أَكْبَرُ مِنَ الْعَصْفُورِ، وَيُخَفَّفُ، قَالَ تَعَالَى: (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً)، (يَعْلُو) يُطْلَعُ، (وَيَسْفُلُ) يَنْزِلُ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلٍ، كَكَرُمٌ وَعَلِمٌ: نَزَلَ مِنَ الْأَعْلَى إِلَى الْأَسْفَلِ، يَرِيدُ كَأَنْ قَلْبَهُ طَائِرُ جَبَانٍ.

وَلَا خَالَفَ دَارِيَّةً مُتَغَفِّلَةً يَرْوُحُ وَيَغْدُو دَاهِنًا يَتَكَلَّمُ
وَلَسْتُ بِعَلٍّ شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ أَلْفٌ إِذَا مَا رُعْتَهُ اهْتَاجَ أَعْزَلُ

(الْخَالَفُ) الَّذِي يَقْعُدُ بَعْدَكَ مَعَ الْمُخْلَفِينَ، وَالْخَوَالِفُ: النِّسَاءُ، قَالَ تَعَالَى: (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ)، وَرَجُلٌ خَالَفَ أَهْلَهُ، وَخَالَفْتُهُمْ: لَا خَيْرَ فِيهِ، (دَارِيَّةٌ) الْمَلَاظِمُ بَيْتَهُ، كَالدَّارِيِّ، بَلَاءٌ، (مُتَغَفِّلٌ) الَّذِي يَغَاظِلُ النِّسَاءَ، وَمُغَاظَلَتُهُنَّ: مُحَادَثَتُهُنَّ، (يَرْوُحُ)، الرُّوْحُ: الْعَشِي، أَوْ مِنَ الزَّوَالِ إِلَى اللَّيْلِ، يُقَالُ: رَحْنَا زَوَاحًا: سَبَرْنَا فِيهِ، (وَيَغْدُو) غَدَا كَاغْتَدَى: بَكَّرَ، (دَاهِنًا) اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ دَهَنَ رَأْسَهُ، أَيِ: بَلَّهَ بِالذَّهْنِ، (يَتَكَلَّمُ)، أَيِ: يَجْعَلُ الْكَلْمَ فِي عَيْنِهِ، وَيَأْخُذُ الْمَرْأَةَ وَيَنْظُرُ نَفْسَهُ فِيهَا.

(الْعَلُّ) التَّيْسُ الضَّخْمُ، وَوَصَفَهُ بِقَوْلِهِ: "شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ"، أَيِ: شَرُّهُ لَا خَيْرَ، (أَلْفٌ)، أَيِ: ثَقِيلٌ بِطِيءٌ، وَيُقَالُ: رَجُلٌ يَبِينُ أَلْفٌ غَيِّبٌ بِطِيءٍ الْكَلَامِ، إِذَا تَكَلَّمَ مَلَأَ لِسَانَهُ فَمَهُ، وَاللَّفَفُ: أَنْ يَلْتَوِي عِرْقٌ فِي سَاعِدِهِ، فَيُعْطِلُهُ عَنِ الْعَمَلِ، (إِذَا مَا رُعْتَهُ) أَفْزَعْتَهُ، الرُّوْعُ: الْفَرْعُ، رَاعَ فَرْعًا، لَازِمٌ وَمُتَعَدٍّ، (اهْتَاجَ) ثَارَ، يُقَالُ: هَاجَ يَهِيحُ هَيْجًا وَهَيْجَانًا، كَاهْتَاجَ، (أَعْزَلُ) فَاعِلٌ اهْتَاجَ، وَفِيهِ حَذْفُ حَرْفِ التَّجْرِيدِ وَمَجْرُورُهَا، أَيِ: تَحَرَّكَ مِنْهُ أَعْزَلُ، وَالْأَعْزَلُ الَّذِي لَا سِلَاحَ مَعَهُ.

وَلَسْتُ بِمُخَيَّارِ الظَّلَامِ إِذَا انْتَحَثَ هُدَى الْهُوَجَلِ الْعَسِيفِ يَهْمَاءُ هُوَجَلُ
إِذَا الْأَمْعَزُ الصَّوَّانُ لَا قَى مَنَاسِمِي تَطَايَرُ مِنْهُ قَادِحٌ وَمُفْلَلُ
أَدِيمُ مَطَالِ الْجُوعِ حَتَّى أَمِيئَهُ وَأَضْرِبُ عَنْهُ الذُّكْرُ صَفْحًا فَأَذْهَلُ

(الْمُخَيَّارُ) الَّذِي لَا يَهْدِي، حَارِيحَارٌ خَيْرَةٌ وَخَيْرَانَا، وَتَحَيَّرَ وَاسْتَحَارَ: نَظَرَ إِلَى الشَّيْءِ فَغُشِيَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَهْتَدِ سَبِيلَهُ، الْمَعْنَى: أَنَّهُ لَا يَتَحَيَّرُ فِي الظَّلَامِ بَلْ يَهْتَدِي بِالنُّجُومِ، (إِذَا انْتَحَثَ) إِذَا عَرَضَتْ (هُدَى)، أَيِ: طَرِيقَةٌ، مَنْصُوبَةٌ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ، (الْهُوَجَلُ) الدَّلِيلُ، (الْعَسِيفُ)، أَيِ: الَّذِي يَرْكَبُ الْمَفَازَةَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ، عَسَفَ عَنِ الطَّرِيقِ خَبَطَ عَلَى غَيْرِ هِدَايَةٍ، كَاعْتَسَفَ، وَتَعَسَّفَ، (يَهْمَاءُ) بِتَقْدِيمِ الْيَاءِ: الْفَلَاةُ الَّتِي لَا يَهْتَدِي فِيهَا، أَوْ هِيْمَاءُ بِتَقْدِيمِ الْهَاءِ: الْمَفَازَةُ بَلَاءُ مَاءٍ، وَهُوَ فَاعِلٌ انْتَحَثَ.

(هُوَجَلُ) الْمَفَازَةُ، عَطْفٌ بَيَانٌ عَلَى يَهْمَاءٍ، وَالْمَعْنَى: وَلَسْتُ أَتَحَيَّرُ فِي الظَّلَامِ إِذَا عَرَضَتْ الْمَفَازَةُ يَهْمَاءُ فِي طَرِيقِ الدَّلِيلِ الَّذِي تَعَسَّفَ الطَّرِيقَ مِنْ غَيْرِ هِدَايَةٍ، (الْأَمْعَزُ) الْمَعَزُ مُحَرَّكَةُ الصَّلَاةِ، يُقَالُ: مَكَانٌ أَمْعَزُ، وَأَرْضٌ مَعَزَاءُ، الْحَرَّةُ الْغَلِيظَةُ ذَاتُ الْحَجَارَةِ الْكَثِيرَةِ، (الصَّوَّانُ) الصَّلْبُ، أَوْ ضَرْبٌ مِنَ الْحَجَارَةِ شَدِيدٍ، (لَا قَى مَنَاسِمِي) جَمْعُ مَنَسِمٍ كَمَجْلِسٍ: خَفَ الْبَعِيرُ، وَأَطْلَقَهُ عَلَى الرَّجُلِ، (تَطَايَرُ مِنْهُ)، أَيِ: مِنَ الْأَمْعَزِ، (قَادِحٌ)، أَيِ: النَّارُ قَدَحَ بِالزَّنْدِ، أَيِ: رَامَ الْإِيرَاءَ بِهِ، وَالْإِيرَةُ: النَّارُ نَفْسُهَا، أَوْ مَوْضِعُهَا، أَوْ اسْتِعَارُهَا وَشَدَّتْهَا، (وَمُفْلَلُ)، أَيِ: مَكْسَرٌ، (أَدِيمُ) مُضَارِعُ آدَامَ الشَّيْءِ، أَيِ: تَأْنَى

فيه، (مطال) بكسر الميم: التسويف، كالمماطلة والامتطال، (الجوع) ضد الشبع، (حَتَّى أُمِيتَهُ)، أي: حتى لا أحس به، (وَأُضْرِبُ)، أي: أُغْرِضُ، (عنه الذكر صفحا) مصدر معنوي من قولك صفح كمنع، بمعنى: أعرض وترك، أن أتركه ذكرا صفحا إعراضا عنه، (فأذهل)، أي: أنسى، مضارع من ذَهَلَه وعنه، كَمَنَعَ، نسيه أو تركه على عهده.

وَأَسْتَفْتُ تُزْبِ الْأَرْضَ كَيْلَا يَرَى لَهُ عَلَيَّ مِنَ الطَّوْلِ امْرُؤٌ مُتَطَوَّلٌ
وَلَوْلَا اجْتِنَابُ الدَّامِ لَمْ يُلَفْ مَشْرَبٌ يُعَاشُ بِهِ إِلَّا لَدَيَّ وَمَا كُلُّ
وَلَكِنْ نَفْسِي حُرَّةٌ لَا تُقِيمُ بِي عَلَى الضَّيْمِ إِلَّا رَيْثُمَا أَتَحَوَّلُ
وَأُظْوِي عَلَى الْخُمُصِ الْحَوَايَا كَمَا انْطَوَتْ خُيُوطُهُ مَارِيَّ تَغَارُ وَتُفْتَلُ

(أَسْتَفْتُ) مضارع استفتت الدواء كسفته قمحته بكسر الميم، أي: أجرعته ملتوتا، (ترب الأرض) من إضافة البعض للكل، (كَيْلَا يَرَى) بالبناء للفاعل، (له) الضمير عائد على امرئ الآتي، (علي من الطول)، أي: الفضل، (امْرُؤٌ) فاعل يرى، (مُتَطَوَّلٌ) متفضل، المعنى: أنه يكتفي بالقليل من القوت، كي لا يرى له امرؤ متطول له، عليه طولا، أي: فضلا، أي: كي لا يتفضل عليه أحد.
أي: ولولا اجتناب ما أذم به، وأُعْتِرِبَ، (لَمْ يُلَفْ)، أي: لم يوجد (مشرب) ولا (ماكل إلا لذي)، أي: لا يمتنع على شيء من ذلك.

(نفسى) بالإضافة إلى ياء المتكلم، (حُرَّةٌ) بضم الحاء: كريمة آبية الضيم، (لا تقيم بي) مضارع أقام بالمكان إقامة وقامة: دام، (على الضيم) الظلم، (إِلَّا رَيْثُمَا أَتَحَوَّلُ)، أي: إلا قدر بقاء التحول، والريث: الإبطاء استراث: أبطأ، المعنى: ولكن نفسي آبية حرة لا ترضى بالإقام على ما أذم عليه، ولا تقوم إلا قدر ما تتوحد عنه، أي: الضيم.
(الْخُمُصُ) الخمصة، وهو خلاء البطن من الطعام، يقال: خمص البطن مثلثة الميم، أي: خلا، (الحوايا) جمع حواية: الأمعاء والمصارين جمع مُضْرَان، (كما انطوت خيوطه)، جمع خيط: السلك، ويجمع أيضا على أخياط وخیوط، (مَارِيَّ) حائك، من قولك: مُزْتُ الصُّوفَ، أي: نتفته، وحائك: اسم فاعل من حاك الثوب، أي: نسجه، فهو حائك، (تَغَارُ) بالبناء للمفعول، من أغار: شدَّ الفتل، (وَتُفْتَلُ) مضارع فتله، أي: لواه، أي: تنطوي حواياه من الجوع، كما تنطوي خيوطه ناسج الثياب.

وَأَعْدُو عَلَى الْقُوتِ الزَّهْيِدِ كَمَا غَدَا أَزَلُّ تَهَادَاهُ التَّنَائِفُ أَطَحَّ لُ
غَدَا طَاوِيَا يُعَارِضُ الرِّيحَ هَافِيَا يَخُوتُ بِأَذْنَابِ الشُّعَابِ وَيَغْسِلُ
فَلَمَّا لَوَاهُ الْقُوتُ مِنْ حَيْثُ أَمَّهُ دَعَا فَاجَابَتْهُ نَظَائِرُ نَحْلُ

(أَعْدُوا) أبكر، (على القوت) ما يمسك الرَّمَق، (الزهيد) القليل، (كَمَا غَدَا) بَكَرَ، (أَزَلُّ) نعت لمحذوف، وذيب أزل: خفيف الوركين، يقال: امرأة زلاء، (تَهَادَاهُ) تعاطته، أي: تمايلته، قال في القاموس: تهادت المرأة في مشيها: تمايلت، وكل من فعل ذلك بأحد فهو يهاديه، (التَّنَائِفُ) جمع تَنَوُّفَةٍ: المفازة، والفلاة التي لا ماء فيها، والأرض البعيدة الواسعة الأطراف المحل، (الطَّلْحَةُ) بالضم: لون بين الغبرة والصفرة والسود.

(غَدَا) بَكَرَ، (طاويا) جائعا، (يُعَارِضُ الرِّيحَ) يواجها، (خافيا) اسم فاعل من خَفِيَ كَرَضِي خَفَاءً، فهو خافٍ، لم يظهر، ويروى: (هافيا)، أي: مسرعا، من هفا هَفَوًا وَهَفَوَةً وَهَفَوَانَا: أسرع، (يخوت) بالتاء: يسرع، يقال: عقاب

خاتمة: إذا سمع حفيفها، أي: صوت جناحها، والخَوَات: دوي، أي: صوت جناح العقاب، (بأذئاب) جمع ذَنَب: أسفل كل شيء، (الشُعَاب) جمع شُعَب: مسيل الوادي، (ويَعْسِل) مضارع عَسَلَ الذئب: اضطرب في عدوه، وهَزَّرَ رأسه. (لَوَاهُ القَوْتُ)، أي: مطله، أي: لم يصب ما يأكل مِنْ حَيْثُ أُمَّهُ، (حَيْثُ) كلمة دالة على المكان كحين في الزمان، (أُمَّهُ) قَصَدَهُ، (دعا) نادى، استدعى الذئب (فَأَجَابَتْهُ نَظَائِرُ) أشباه في الجوع والخلقة، (نُحِّل) بالنون جمع نحيل، يقال: نحل جسمه، كَعَلِمَ وَمَنَعَ وَنَصَرَ وَكَزَّمَ نحولاً: ذهب من مَرَضٍ وَسَفَرٍ، وفي بعض النسخ: (فُحِّل) بالقاف من قَحْلٍ فُحُولاً: يَبِسَ جلده على عظمه.

مُهَلَّلَةٌ شَيْبُ الوجوه كأنهـا قَدَاخٌ بِكَفِّي يَاسِرٍ تَتَقَلَّقُلْ
أو الخَشْرَمُ المبعوثُ حُحْثٌ دَبْرُهُ مَحَايِضُ أَرْسَاهُنَّ سَامٍ مُعَسِّلُ
مُهَرَّتَةٌ فَوهُ كَانُ شُدُوقِهَا شُقُوقُ عِصِي كَالِحَاتٍ وَبُسْلُ

(مُهَلَّلَةٌ) كأنها أهلة من ضمرها وهزالها، (شَيْبُ الوجوه) جمع أشيب، أي: متغيرة ألوانها كالشيب، (كأنها قَدَاخ) جمع قَذَح بكسر القاف: السهم قبل أن يُرَاش وَيُصَل، (يَاسِر) الذي يلي قسمة جزور الميسر، (تَتَقَلَّقُلْ)، أي: تجيء وتذهب، (الخَشْرَمُ) بالخاء المعجمة: جماعة النحل، واحدها بهاء، (المبعوث) اسم مفعول من بعثه، أي: أرسله، (حُحْثٌ)، أي: أسرع، (دَبْرُهُ) بفتح الدال: جماعة النحل.

(مَحَايِضُ) جمع مَحْبِض كُمْبُر: عود يطرد به الدبر أو يشتار، أي: يستخرج به العسل من الوُقبَة: الثُقرة في الصخرة يجتمع فيها الماء، كالوُقب، (أَرْسَاهُنَّ)، أي: أثبتهن، (سَامٍ)، أي: مُرْتَقٍ، (مُعَسِّل) مشتار العسل من موضعه، (مُهَرَّتَةٌ): واسعة الأشداق، الاسم الهَرْتُ، والهَرِثُ الواسع، (فَوهُ) جمع أفواه، والفَوهُ محرّكة: سعة الفم، وأن تخرج الأسنان من الشفتين، وهو أفوه، (كَأَنَّ شُدُوقَهَا) جمع شُدُق بالكسرويفتح: طُفْطُفَة الفم من باطن الخدين، (شُقُوق) جمع شِق الموضع المشقوق، (العِصِي) جمع عصا: العود، (كالحات) بالرفع، أي: هن كالحات، جمع كالحه، اسم فاعل من كَلَح، كَمَعَ كُلُوحًا وَكُلَا حَا، بضمهما، تَكْشُرُ فِي غُبُوسٍ، (وَبُسْلُ) جمع باسل، وهو: كرية المنظر.

فَضَجَّ وَضَجَّتْ بِالْبَرَاكِ كَأَنَّهَا وَإِيَاهُ نُوحٌ فَوْقَ عَلِيَاءٍ تُكْغُلُ
وَأَعْصَى وَأَعْصَتْ وَابْتَسَى وَابْتَسَتْ بِهِ مَرَامِيْلُ عَزَاهَا وَعَزَّتْهُ مُزْمِلُ

شَكَا وَشَكَتْ ثُمَّ ارْزَعَوَى بَعْدُ وَارْزَعَوَتْ وَلِلصَّبْرِ إِنْ لَمْ يَنْفَعِ الشُّكُوكُ أَجْمَلُ

(فَضَجَّ)، المعنى: لما استعوى هذه الذئب، ولم يجد طمعا، ضَجَّ، أي: صاح، (وَضَجَّتْ) الذئب، أي: صاحت، (بِالْبَرَاكِ) يفتح الباء: المتسع من الأرض، لا زرع فيها، ولا شجر، (كأنها)، أي: كأن هذه الذئب، (وإياه نُوح) جمع نائح، يقال: نساء نُوح وأنواح ونائحات، من قولك: ناحت المرأة زوجها، وعليه، والاسم: النَّيَّاح، (فوق علياء) مرتفع، (تُكْغُلُ) جمع ثكلى، وهي: المرأة التي فُجِعَتْ بولدها وبأقاربها.

(أَعْصَى) أَطْبَقَ جفنه، (وَأَعْصَتْ) مثله، (وابتسى) بالباء، بَسَا بِهِ كَجَعَلَ وَفَرَحَ، أي: أَنَسَ، (وابتست به) أي: أَنَسَتْ، وفي نسخة: (وائتسى)، أي: جعلها أسوة، (وائتست به) كذلك، ويروى: (وائتسى) من الأسى، أي: الحزن، (مَرَامِيْلُ) فاعل ابتست، جمع مُرْمِل، وهو الذي نَفَدَ زاده، يقال: أرمل القوم، أي: نَفَدَ زَادُهُم، ورجل أرمل، وإمرأة أرملة: محتاجة أو مسكينة، (عَزَاهَا) صَبَرَهَا، العزاء: الصبر أو حُسْنُهُ، عَزَى كَرَضِي عَزَاءً، أي: صَبَرَ، (وَعَزَّتْهُ) صَبَّرَتْهُ (مُرْمِلُ) فاعل عَزَاهَا، وفاعل عَزَّتْ ضمير يعود على مراميل.

أي: (شكا) إلى الذئاب التي استعواها، (وشكت) إليه، (ثم ارعوى)، أي: كَفَّ، (بُعْذُ)، أي: بعد الشكوى، (وارعوت) كَفْتُ، الارعواء والرعو والرعو، ويشلثان، والرعو، ويضم، والرعياء بالضم: النزوع عن الجهل، وحسن النزاع عنه، (الصبر) مبتدأ خبره (أجمل)، أي: أحسن حين لم ينفع، (الشكوى) الشكاية، وأحرى إن نفع.

وَفَاءٌ وَفَاءٌ بِإِدْرَاتٍ وَكُلَّهَا عَلَى نَكْظٍ مِمَّا يَكَاتِمُ مُجْمِلٌ
وَتَشْرِبُ أَسَارِي الْقَطَا الْكَذْرُبَعْدَمَا سَرَتْ قَرَبًا أَخْنَاوَهَا تَتَصَلَّصُلُ
هَمَمْتُ وَهَمْتُ فَابْتَدَرْنَا وَأَسْدَلْتُ وَشَمَرْتُ مَنِي فَارْطُ مَتَمَّهُ لُ

(فَاء) رجع، (وفاءت) رجعت، (بادرات) عاجلات، من بَدَر عليه: عَجَلَ، (وكلها على نكظ) بالطاء المعجمة، أي: كلها على عَجَلَةٍ، النُّكْظُ: الجَهْدُ والعَجَلَةُ، كَالنُّكْظِ والنُّكْظَةِ، والمُنْكَظَةُ، والجَوْعُ الشديدُ والإِعْجَالُ، (مما يكاتم)، أي: من مكاتمة الجوع والجهد، متعلق بقوله: (مُجْمِل)، أي: محسن، اسم فاعل من قولك: أجمل في الطلب اتأد فيه واعتدل، فلم يفرط.

(أسار) جمع سُور بالضم: الفضلة، وأساره: أبقاه، وسَارَ كَمَنَعَ، (القطا) جمع قطاة: طائر، (الكذرا) في ألوانها: الكُدْرَةُ، وهي في اللون، والكُدورة في الماء، والكُدري كثركي: ضرب من القطا، غُبِرَ الألوان، رُقُشَ الظُّهُورُ، صُفِرَ الحُلُوقُ، (بَعْدَمَا سَرَتْ قَرَبًا) القَرَبُ الليلة التي ترد فيها الماء، إذا تم ظمؤها، (أخناؤها) أضلاعها، جمع جنو، بالكسر والفتح: كلما فيه اعوجاج من البدن، (تَتَصَلَّصُلُ)، أي: تصوت، صل صليلا، أي: صَوَّتَ، كَصَلَّصَلَ صَلَّصَلَةً، المعنى: أنه يرد الماء القليل، قبل ورود القطا، وهو أسرع الطير ورودا.

(هَمَمْتُ) بالورود، (وَهَمْتُ فَابْتَدَرْنَا)، أي: استبقنا إليه، (وَأَسْدَلْتُ)، أي: أرخت أجنحتها، يقال: سَدَلَ الشَّعْرَ وَأَسْدَلَهُ: أرخاه وأرسله، (وَشَمَرْتُ)، يقال: شَمَرْتُ فِي الْأَمْرِ: خَفَ فِيهِ، وَتَشَمَّرْتُهَيَّا، (مَنِي فَارْطُ)، أي: جرى سابق قبل الورد، (مَتَمَّهُ لُ) كان على مهل ورفق، يقال: تمهل اتأد.

فَوَلَّيْتُ عَنْهَا وَهِيَ تَكْبُو لِعُقْرِهِ يُبَاشِرُهُ مِنْهَا ذُقُونٌ وَخَوْصَلُ
كَأَنَّ وَغَاهَا حَجَرَتِيهِ وَخَوْصَلُهُ أَضَامِيمٌ مِنْ سَفْلَى الْقَبَائِلِ نُزِّلُ
تَوَافِينَ مِنْ شَتَّى إِلَيْهِ فَصَمَّهَا كَمَا ضَمَّ أَذْوَادَ الْأَصَارِيمِ مَتَمَّهُ لُ

يقول: وردنا وسبقت، أي: أدبرت عنها، أي: القطا، والحال هي (تكبو) مضارع كبا أي انكب على وجهه، (لِعُقْرِهِ) بالضم ويفتح: مؤخر الحوض، أو مقام الشارب منه، أي: وهي منكبة على وجهها في الماء تباشره، أي: الماء، (منها)، أي: من القطا، (ذُقُون) جمع ذَقَنَ بالتحريك: مجمع اللحيين من أسفلهما، (وحوصل) الحوصل من الطير كالمعدة للإنسان.

(الْوَعَى) كالفتى والرَّمْي: الصوت، و(حَجَرَتِيهِ) تثنية حجرة الناحية، (وحوله)، أي: حول الماء الذي ورده هو والقطا، (أضاميم) جماعات أي صوتها، واحدها إضمامة، وأنشد:

قَدْ جَمَعَ الْغَيْثُ إِلَيْهَا وَهَجَمَ حَيَا حَلُولًا وَأَضَامِيمَ نَعَم

(من سفلى)^(١) مؤنث الأسفل: ضد الأعلى، (القبائل نُزِّلُ) نعت الأضاميم، جمع نازل، يقال: نزلهم وبهم وعليهم إذا حَلَّ.

(1) - في النسخ المحققة والمصححة: سَفَرٌ بَدَلُ سَفْلَى، وَالسُّفْرُ: جَمَاعَةُ الْمَسَافِرِينَ، وَلَعَلَّ مَا وَرَدَ هُنَا تَصْحِيفٌ.

(تَوَافَيْنَ) تَأَمَّنَ، (مِنْ شَيْءٍ)، أي: من كل جملة، يقال: قوم شتى، أي: فرقا، وجاؤا أشتاتا: متفرقين، (إليه)، أي: الماء، (فَضَمَّهَا)، فاعله ضمير الماء، (كما ضَمَّ)، أي: كما جمع، (أذواد) جمع ذود: ما بين الثلاث إلى العشر من الإبل، (الأَصَارِيم) جمع صَرَم: القطع من البيوت والناس، أو صرمة: القطعة من الإبل بين العشرين إلى الثلاثين، (منهل) المشرب، أي: بلد الشرب، النَّهْل محرّكة: أول الشرب، والمنهل أيضا: المنزل يكون بالمغازة.

فَعَبْتُ غِشَاشًا ثُمَّ مَرَرْتُ كَأَنَّهَُا مَعَ الصُّبْحِ رَكْبٌ مِنْ أَحَاطَةٍ مُجْفَلٍ
وَأَلَفْتُ وَجْهَهُ الْأَرْضِ عِنْدَ افْتِرَاشِهَا بِأَهْدَأْ تُنْبِئُهُ سَنَاسِنٌ قَحْلٌ
وَأَعْدَلُ مَنْحُوضًا كَأَنَّ فُصُوصَهُ كِعَابٌ دَحَاهَا لِأَعْبٍ فَهْيَ مُثْلُ

(الْعَبُّ) شرب الماء، أو الجرع، أو تتابعه، (غِشَاشًا)، أي: قليلا، قال في القاموس: الغش: إقلال العطاء، أو إعطاء القليل، ولزوم الطائر عشه، وبالضم: موضع الطائر، (ثُمَّ مَرَرْتُ)، أي: ذهبت، يقال: مرّ مرورا: جاز وذهب كاستمرّ، (كَأَنَّهَُا)، أي: كأن القطا مع الصبح، متعلق بمَرَرْتُ، (رَكْبٌ) ركبان الإبل، اسم جمع، أو جمع وهم العشرة فصاعدا، وقد تكون للخيل، (مِنْ أَحَاطَةٍ) اسم موضع، أو قبيلة، (مُجْفَلٍ)، أي: مسرع، يقال: أجفلت الغنم إجمالا: هربت أو أسرع، أو ذهبت في الأرض، يقول: ألف وجه الأرض عند نومي، ولا أنام على وطاء بمنكب، (أهدأ)، الأهدأ: المنكب درم أعلاه، واسترخى حقله، درم كفرح: استوى، أو العظم واره اللحم حتى لا يبقى له حجم، (تُنْبِئُهُ) ترفعه عن الأرض، (سَنَاسِنٌ) جمع سنسن، أو سنسنة: فقار الظهر، وهو: مغارز الأضلاع في الظهر، (قَحْلٌ) يابسات، يقال: قَحْلٌ قَحُولًا: يَبِسَ جلده على عظمه.

(أَعْدَلُ) بضم الهمزة، مضارع أَعْدَلَ، بمعنى سَوَّى⁽¹⁾، (منحوضا) نعت لمحذوف، أي: أسوي ذراعا منحوضا، أي: ذاهب اللحم، قال في القاموس: النحض: اللحم، أو المكتنز منه، والمَنْحُوضُ والنَّحِيضُ: الذاهبا اللحم، وكثيرا، من الأضداد، إذ المعنى أنه يفترش ذراعه، (كَأَنَّ فُصُوصَهُ) جمع فَصَصَ: ملتقى كل عظمين، (كِعَابٌ) جمع كعب: ما يلعب به، (دَحَاهَا) بسطها، (لأعب) صاحب لعب، ضد الجِدِّ، (فَهْيَ مُثْلُ)، أي: منتصبة قائمة.

فَإِنْ تَبَتَّعَ شَيْئًا بِالشُّنْفَرِ أَمْ قَسَطَ لِي فَمَا اغْتَبَطْتُ بِالشُّنْفَرِ قَبْلُ أَظُولُ
طَرِيدُ جَنَائِيَاتٍ تِيَّاسُ زَنْ لَحْمَهُ عَقِيرُ تُهْ لِأَيُّهَا خُـمُّ أَوَّلُ
تَنَامُ إِذَا مَا نَامَ يَقْظَى غَيُونُهَا حِثَّائًا إِلَى مَكْرُوهِهِ تَتَغَلَّزُّ
وَأَلْفُ هُمُومٍ لَا تَزَالُ تَعُودُهُ عِيَادَا كَحَمَى الرُّنْعِ بَلْ هِيَ أَثْقَلُ

(فَإِنْ تَبَتَّعَ شَيْئًا) تحزن، قال تعالى: ﴿فَلَا تَبْتَغِشْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، (بِالشُّنْفَرِ)، أي: بسببه، اسم صاحب القصيدة، (أَمْ قَسَطَ) كنية الموت، ويقال للحرب: لأن فيها القسط، أي: الغبار المستطيل في السماء، (فَمَا اغْتَبَطْتُ بِالشُّنْفَرِ قَبْلُ)، أي: فعله في الحرب الذي اغتبطت به المنية، أي: بَحِجَّتْ به، والبَحَجُ: الفرح، والاعتباط: التبجح الحال الحسنة، (أطول)، أي: أكثر امتدادا، أي: هو (طريد) بمعنى: مطرود، أي: مُبْعَد، يقال: طردته: ألقيته وأبعدته، (جَنَائِيَاتٍ) جمع: جنائية، يقال: جنى الذنب عليه جنائية، أي: جرّه إليه، المعنى: أنه مطرود بسبب جنائيات جرّها إلى نفسه، (تِيَّاسُ زَنْ)، أي: تقاسمن، الياسر: الذي يلي قسمة الجزور، (عَقِيرُ تُهْ) الناقة المنحورة، قال في القاموس:

(1) - قال ابن يداده في نيل الأرب في شرح لامية العرب ص 104: (وأَعْدَلُ)، مضارع عَدَلَهُ كَصَرَبَ، إذا أَقَامَهُ أو عَطَفَهُ أو ثَنَاهُ". ولعل هذا هو الأقرب إلى معنى البيت.

العقيرة: ما عُقر من صيد، أو غيره، وصوت المغني والباكي والقارئ، والشريف يُقتل، (لأَيُّهَا)، أي: لأَيِّ الجنايات، (حُمَّ أَوَّلُ) مبني على الضم محله النصب على الحال، المعنى: أنه مطرود بسبب جنائيات جرّها إلى نفسه، ومستحق تلك الجنايات كلهم يريد عقره في جنايته، أي: تبيت أصحاب الجنايات إذا ما نام هو، أي: الجاني (يَقْطُي) مؤنث يقظان، (عُيُونُهَا) فاعل يقظي، (جثاأ)، أي: سراعاً، (إِلَى مَكْرُوهِهِ) إلى ما تفعل به من مكروه، أي: مما يُكره، (تَتَغَلَّغَلُ) تتحرك، (وَالْفُ هُمُومٌ)، أي: صاحبها، جمع هَمٌّ: الحزن، وما هَمٌّ به في نفسه، وهمه الأمر أحزنه، كَأَهْمَهُ، (لَا تَزَالُ تَعُودُهُ)، تتردد إليه، (عِيَاداً) مصدر لفظي العياد، والعود: الرجوع، وزيارة المريض، (كَحُمَى الرَّئِيعِ) في ثقلها، أي: كما تعتاد حمى الربع صاحبها، أي: لا تغب عن وقتها، (بل) تأتیه كل وقت، (وهي)، أي: الهموم، (أثقل) من الحمى ومن وعكها، أي: أذيتها.

إِذَا وَرَدَتْ أَضْدَرْتُهَا ثُمَّ إِنَّهَا تَوُوبُ فَتَأْتِي مِنْ تَحِيْتُ وَمِنْ عُلْ
فَإِمَّا تَرِينِي كَابْنَةِ الرَّمْلِ صَاحِبِياً عَلَى رِقَّةٍ أَحْفَى وَلَا أَسْزَلُ
فَإِنِّي لَمَوْلَى الصَّبْرِ أَجْتَابُ بَزْهُ عَلَى مِثْلِ قَلْبِ السَّمْعِ وَالْحَزْمِ أَنْعَلُ
وَأَعْدِمُ أَحْيَاناً وَأَعْنَى وَإِنَّمَا يَنَالُ الْغَنَى ذُو الْبُعْدَةِ الْمُتَبَذِّلُ

يقول: إذا (وردت) على الهموم دفعتها عني، ثم إنها (تووب) بالهمز، و(تشوب) بالشاء، أي: تزجج إلي، فتأتي من (تحييت) تصغير تحت، مبني على الضم لانقطاعه عن الإضافة، نقيض فوق، (ومن عُلْ) نقيض تحت، مبني على الضم أيضاً.

(كابنة الرمل) الطيبة، (صاحبياً) بارزاً للشمس، ومنه قوله تعالى: (وَأَنْتَ لَا تَظْلِمُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى)، (على رِقَّةٍ)، أي: رقة الحال وسوئه، (أحفى) أمشى بغير حُفٍّ، (وَلَا أَسْزَلُ) ولا ألبس السربال - بكسر السين - القميص والدرع، أو كل ما لبس.

(الفاء) جواب الشرط، أي: فإن تريني كذلك، (فإني لمولى) صاحب (الصبر) ووليه (أجتاب بزه) بفتح الباء: الثوب، يقال: اجتاب القميص، أي: لبس، (على مثل قلب السمع) بكسر السين: ولد الذئب من الضبع، يزعمون أنه لا يموت حتف أنفه، كالحية، وفي عدوه أسرع من الطير، ووثبته تزيد على ثلاثين ذراعاً، (والحزم) مفعول مقدم، (أنعل) مضارع نعل كفرح، وتنعل وانتعل: لبس النعل، وهو ما أوقى به القدم من الأرض، يعني: أنه ينتعل الحزم في أموره كلها، وإن كان رقيق الحال، أي: ضعيفه.

(أعديم) بضم الهمزة مضارع أعدم إعداما وعُدماً بالضم، أي: افتقر، (أحياناً) جمع حين، (وأعنى) مضارع غني كرضي، أي: استغني تارة، وافتقر تارة، (وإنما ينال الغنى ذو البعده)، أي: ذو الرأس والحزم، البعيد الهمة، (المتبذل) الذي يبذل نفسه للأسفار والمكاره حتى ينال الغنى، والابتذال: الصيانة، والمتبذل: من يعمل عمل نفسه كالمُتَبَذِّل.

فَلَا جَزْعُ مِنْ خَلَّةٍ مُتَكَشِّفٌ وَلَا مَرَحٌ تَخْتُ الْغَنَى أَتْخِيْلُ
وَلَا تَزْدَهِي الْأَجْهَالُ حِلْمِي وَلَا أَرَى سَوْوُلًا بِأَعْقَابِ الْأَقَاوِيلِ أَنْمُلُ
وَلَيْلَةَ نَحْسٍ يَصْطَلِي الْقَوْسَ رَهْماً وَأَقْطَعُهُ اللَّاتِي بِهِ يَتَبَبَّلُ

(فَلَا جَزَعُ) بكسر الزاي، إسم فاعل من جَزَعَ كَفَرَحَ جَزَعًا، فهو جازع، والجَزَعُ: نقيض الصبر، (خُلَّة) بضم الخاء: الحاجة والفقر والخصاصة، وفي المثل: "الخُلَّة تدعو إلى السَّلَّة"، أي: السرقة الخفيفة، والسَّلَّة: انتزاع الشيء برفق، المعنى: أنه لا يجزع لأجل فقر وخصاصة، (مُتَكَشِّفٌ)، أي: مُظْهِر لما نزل به من ذلك، (وَلَا مَرَحَ) بكسر الراء من مَرَحَ كَفَرَحَ: أَشْرَ وَبَطَرَ واختال، وَنَشِطَ، البَطَرُ: محرّكة النشاط، وَقَلَّةُ احتمال النعمة، والدَّهْشُ، والطُّغْيَانُ بالنُّعْمَةِ، وَيَظُرُ الحَقُّ: أن يتكبر عنه، فلا يقبله، (تحت الغنى أَتَخَيَّلُ)، أي: أَتَكَبَّرُ الخيلاء، المعنى: أنه لا يجزع إذا افتقر، ولا يكشف حاله يشتكي لأحد فاقته، ولا يمرح إذا استغنى.

أي: لا تستخف (الأجهال)، أي: الجاهلون، جمع جاهل، على غير قياس، (حلمي) صبري، (وَلَا أَرَى) بضم الهمزة، (سؤولا) مبالغة من سأل، أي: طلب (بأعقاب) جمع عَقَبَ: مؤخر الشيء، (أُنْمِلُ)، أي أنم، من قولك نَمَلُ نَمِيلَةٍ، أي: أنم، والنميمة: رفع الحدث إشاعة له وإفساد.

قوله: (بأعقاب الأقاويل) (بسؤول)، المعنى: أنه لا يرى يسأل الناس ويتضرع إليهم بقول ما لا يليق بمنصبه، ويحتمل على تعلقه (بأنمل)، أي: لا ينم بعقب الأقاويل، والله تعالى أجل وأعز وأعلم.

أي: وَرَبُّ (ليلة نحس)، أي: برد، قال في القاموس: الريح الباردة، والأمر المظلم، والغبار في السماء، وضد السعد، (يصطلي القوس)، أي: يلقها في النار يستدفئ بها، يقال: صلى اللّحم، أي: ألقاه في النار وشواه، صلي كَرَضِي: قاسى حرها، واصطلى استدفاً، (ريها) أي مالِكها، (وأَقْطَعُه) جمع قطع: القضيبي الذي تبرى منه السهام، (اللّاتِي بها يَتَنَبَّلُ) حامل النبل، وهو: السهم.

دَعَسْتُ عَلَى غَطَشٍ وَبَغَشٍ وَصُحْبَتِي سُعَارًا وَازِيْرًا زَوْجًا وَفُكْلًا

فَأَيِّمْتُ نِسْوَانًا وَأَيِّمْتُ إِلدَةً وَعُودْتُ كَمَا أَبْدَأْتُ وَاللَّيْلُ أَلَيْلُ

وَأَصْبَحَ عَنِّي بِالْغَمِيصَاءِ جَالِسًا فَرِيقَانِ مَسْؤُولٌ وَآخِرُيْسَالُ

(الدعس): شدة الوطء، وهو هنا: الإغارة والإقدام على الهول، يقال: رجل دَعَسَ، أي: مقدم، (على غَطَشٍ) الظلام، غَطَشَ الليل يَغْطِشُ، أي: أظلم كَأَغْطَشَ، (وبَغَشٍ) مطر خفيف، بَغَشَتِ السماء، كَمَعَ، البَغْشَةُ: المطرة الضعيفة، والحال: (صُحْبَتِي سُعَارًا) بضم السين: الجوع، (وازيْرًا) البرد، قال في القاموس: الأريز: اليوم البارد، (وَوَجْرًا)، أي: خوف، وجريو جر، أي: خاف، (وأَفُكْلًا) بفتح الهمزة: الرعدة، المعنى: أنه في هذه التي وصفها، بأن صاحب القوس من شدة بردها، يجعل قوسه في النار يستدفئ بها، دَعَسَ ووطئ وغار مع شدة الظلمة والمطر، ولا مصاحب له غير هذا الذي ذكر من السعار وما عطف عليه.

(فَأَيِّمْتُ نِسْوَانًا)، أي: قتلت أزواجهن، فتركتهن أيامي، يقال: أمت المرأة تَتِيم، والأَيِّم ككَيْسٍ من لا زوج لها، (نِسْوَانًا) جمع امرأة، من غير لفظها، كالتسوة بالكسر، والنساء، (وَأَيِّمْتُ إِلدَةً) قتلت آبائهم، اليُثم: فقدان الأب، إلدة: بكسر الهمزة، أو ولدة بالواو: جمع وَلَدَ، (وعُودْتُ) رجعت، (كما أَبْدَأْتُ) (في بقية من سواد الليل، (وَاللَّيْلُ أَلَيْلُ)، أي: شديد الظلمة.

(الْغَمِيصَاءِ) موضع، (فريقان) تشية فريق، (مسؤول) بالرفع بدل تفضيل من (فريقان)، المعنى: أنه أصبح فريقان بالغميصاء يسألون عنه، أي: عما فعل.

فَقَالُوا لَقَدْ هَرَّتْ بَلِيلٌ كِلَابُنَا فَقُلْنَا أَذْئَبٌ عَسَّ أَمْ عَسَّ فُرْعُلُ

فَلَمْ يَكْ إِلَّا نَبْأَةٌ ثُمَّ هَوَمَتْ فَقُلْنَا قِطَاةٌ رِيْعٌ أَمْ رِيْعٌ أَجْدَلُ؟

فَإِنْ يَكْ مِنْ جَنْ لَأُبْرِحَ طَارِقًا وَإِنْ يَكْ إِنْسَاءً مَا كَهَا الْإِنْسُ تَقْعَلُ

وَيَوْمٍ مِّنَ الشَّغَرَى يَذُوبُ لَوَائِهِ أَفَاعِيهِ فِي رَمَضٍ تَتَمَلَّمُ لُ

أي: قالوا أجنّ أغار عليهم، وفعل ما فعل، (لقد هرت) نبحت (كلابنا)، فتوهموا ذيبا (عس)، أي: طاف بالليل، كاعتس (أم عس فزعل) بالغين المعجمة: ولد الضبع، يعني أنه من سرعة إغارته، قالوا: ألم يك من كلاب إلا (نبأة)،: صوت خفي، قال في القاموس: التهويم هز الرأس من النعاس، (فقلنا قطاة) طائر، (ريع) أفزع، ولم يقل ريعت لأن الذكر والأنثى من القطا قطاة، (أم ريع) أفزع، (أجدل) الصقر، إسم طائر وجدله أحكم فتله، والجديل: الزمام المقتول، أي: يك من فعل هذا من الجن، (الأبرح)، أي: أتى بأمر بزع، أي: شديد عظيم، وأمر بريح، أي: عظيم فظيع، (طارقا)، أي: طروقه، وهو المجيء ليلا، (وإن يك إنسا ما كها) فجرهاء الضمير بالكاف، وهو نادر، (الإنس تفعل)، أي: ما تفعل الإنس كهذه: مثل هذه الفعلة.

(وا أي: رب (يوم) من أيام (الشغرى) والشغرى اسم نجم، أي: من أيام طلوع الشغرى والعبور والشغرى الغميصاء نجمان أختا سهيل، (يذوب لوائه) من شدة الحر، واللواب: لعاب الشمس، شيء ينحدر من السماء، إذا قام قائم الظهيرة، كالإبريسم الأبيض، والإبريسم بكسر السين وضمها: الحرير، (أفاعيه) مبتدأ، خبره: (تتململ)، جمع أفعى: حية خبيثة، يكون وصفا واسما (في رمضائه)، أي: في حره، يقال: رمض اليوم، كفرح اشتد حره، (تتململ)، أي: تتحرك وتتقلب من شدة الحر.

نَصَبْتُ لَهُ وَجْهِي وَلَا كُنْ دُونَهُ وَلَا سِثْرًا إِلَّا الْأَتْحَمِي الْمُرْعَبِي لُ

وَصَافِي إِذَا هَبَّتْ لَهُ الرِّيحُ طَيَّرَتْ لِبَائِدَ عَنْ أَعْطَافِهِ مَا تُرَجَّلُ

بَعِيدٌ بِمَسِّ الدُّهْنِ وَالْفُلْيِ عَهْدُهُ لَهُ عَبَسَ عَافٍ مِنَ الْغُسْلِ مُحْوِلُ

(نَصَبْتُ)، أي: أقمت، (لَهُ وَجْهِي) واجهته، (وَلَا كُنْ دُونَهُ وَلَا سِثْرًا)، الكِنّ والستر بمعنى، (إِلَّا الْأَتْحَمِي) بُرد منسوب إلى اليمن، (الْمُرْعَبِي) اسم مفعول، من قولك: رَعَبَل الثوب: مَزَقَهُ، واللَّحْمَ قَطَعَهُ، والشعر (ضَافِي)، أي: طويل، الضفوف: الشُّبُوغُ، يقال سَبَغَ شُبُوغًا، أي طال: إلى الأرض، (إِذَا هَبَّتْ) تحركت (له الرِّيحُ طَيَّرَتْ) من الطَّيْرَانِ (لِبَائِدَ) مفعول به جمع ليدة، ماتلبد من الشعر، أي: تداخل ولزق بعضه ببعض، (عَنْ أَعْطَافِهِ) جمع عَظَف بالكسر، وعَظَفَا كل شيء: جانباه، (ما) نافية، (تُرَجَّلُ) بالبناء للمفعول، أي: تسرح، والترجيل تسريح الشعر. (الدُّهْنُ) بضم الدال ما يدهن به، يقال: دَهَنَ رَأْسَهُ، أي: بَلَّه، (وَالْفُلْيِ) مصدر فلى رأسه يفلية فليا، بحشه، أي: فتشه عن القمل، (عَهْدُهُ)، أي زمن ادّهان رأسه وفلّيه بعيد، (له).

أي: لرأسه، (عَبَسَ) وَسَخ، والعَبَس بالتحريك: ماتعلق بأذنان الإبل من أبوالها، وبعدها يجف عليها، وعَبَسَ الْوَسَخُ كَفَرَحَ: يَبَسَ، (عَافٍ) اسم فاعل، من عفا الشعر كثرو طال، (مِنَ الْغُسْلِ مُحْوِلُ) أتى عليه حَوْل ولم يُغْسَل، أحول الصَّبِي فهو مُحْوِل، أي: أتى عليه حَوْل، السنة: وحال الحَوْل: تَمَّ، وحال عليه: أتى عليه، ويحتمل أن يكون (عَافٍ) من العفا وهو الدروس.

وَحَرَقِي كَظْهِرِ الثُّرَيْسِ قَفْرِ قَطْعَتُهُ بِعَامِلَتَيْنِ ظَهَرُهُ لَيْسَ يُعْمَلُ

فَالْحَقْتُ أَخْرَاهُ بِأَوَلَاهُ مُوفِيَاً عَلَى قُنَّةٍ أَقْعِي مَرَاراً وَأَمْثَلُ

تَرُوذُ الْأَرَاوِي الصُّحْمُ دُونِي كَأَنَّهَا عَذَارَى عَلَيْهِنَّ الْمُلَاءُ الْمُذَيَّلُ

أي: وُزِبَ (خرق)، الخرق: القفر والأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح، (كظهر الترس)، أي: في الإستواء، (رحب)، أي: متسع، رَحْبٌ كَكْرُمٍ وسميع، فهو: رَحْبٌ، أي: متسع، (قطعتة)، أي: أجزته (بعاملتين)، يعني: رجله، قال في القاموس: العوامل: الأرجل، (بطنه)، أي: ذلك الخرق ليس يعمل، أي: لا يستعمل ولا يسلكه أحد، يعني: أجزته وقطعته بسرعة كأنما جمع له أولاه وأخراه، حال كونه (موفيا)، أي: مشرفا، اسم فاعل من أوفى بمعنى: أشرف، (على قُتَّةٍ) بضم القاف: الجبل السهل، جمعه: قُتَن، (أُقْعِي) بالقاف مضارع أفعى في جلوسه تساند إلى ما وراءه، والكلب جلس على استه، (مِرَاراً) جمع مرة: الفِغْلَة الواحدة، (وَأُمَثَلُ) أنتصب قائما، المعنى: أنه قطع الخرق، وأوفى على جبل مرتقبا للأشباح ليرى مجتازا وما لا يُستفاد ويقضى عليه، يقعى مرة على استه، ويمثل مرة قائما. (تَرَوُّدًا)، أي: تذهب وتجيئ، ومصدره: الرود، كالارتياح والرياء، (الأَرَاوِي) جمع: أَرَوَى بالضم والكسر، أنشئ الوعول، جمع وعُل: تيس الجبل، وتجمع أيضا على وعال، (الصُّخْمُ) جمع أصحم، والصحمة بالضم: السواد إلى صفرة، أو غُبْرَة إلى سواد قليل، أو حمرة في بياض، (دونى) لأنه فوق القنة، وهي دونه (كَأَنَّهَا عَذَارَى) بفتح الراء وكسرها، جمع عذراء: البُكَر، والعُدْرَة: البُكَارَة، (عَلَيْهِنَّ الْمُلَاءُ) جمع ملاءة بالضم الربطة، وهو كل ثوب لين رقيق، (الْمُدَّيْلُ) المزين في طرفها، وشبههن بالعذارى لأنهن قد أنسن به، فإذا عارضهن في مذهب، صددن، أي: أعرضن عنه، غير نوافر، كما تصد عنه العذارى حياءً.

وَيَزْكُذْنَ بِالْأَصَالِ حَوْلِي كَأَنِّي مِنْ الْعُصْمِ أَذْفَى يَنْتَحِي الْكِيحَ أَغْقَلْ

(الركود) السكون والثبات، (بالأَصَالِ) جمع أصيل: العشية، (حَوْلِي) مستأنسة به، (كَأَنِّي مِنْ الْعُصْمِ) جمع أعصم، الأعصم من الظباء والوعول ما في ذراعيه، أو أحدهما بياض، وسائره أسود، أو أحمر، (أذْفَى) خبر كان، والأذْفَى: الظبي الذي طال قرناه، حتى بلغا استه، (يَنْتَحِي)، أي: يقصد، (الْكِيحَ) بكسر الكاف غُرْضُ الجبل، (أَغْقَلْ)، أي: معصم بالجبل، قال في القاموس هو الحصن والملجأ.

خاتمة

وهذا آخر ما سمح به خاطر وبلغه الجهد أي الطاقة والفهم القاصر من تقرير القصيدة وتعيينها وتهذيب معانيها وتبيينها، طالبا ممن حسن خيمه، وسلم من داء الحسد أديمه، أن ينظر بعين الرضا والقبول ويدعو بالحسن ونيل المأمول، على يد جامع له نفسه وللإخوان، متطفلا على موائد المنان، فقير مولاه وأسير هواه، المختار بن أحمد حمى الله، ختم الله لنا ولكم بالحسن، وبوأنا وإياكم بمحض فضله في دار كرامته المقر الأسنى، بجاه أشرف الخلق سيدنا محمد سيد السادات، عليه أفضل الصلوات وأزكى التحيات، وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، وتمت القصيدة الشنفرية على يد متمها لنفسه ولمن شاء الله تعالى بعده، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين ولمن دعوا له ولوالديه بخير محمد عبد الله بن عبداو وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- تاج العروس للزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية. دون تاريخ.
- ديوان حاتم الطائي ط دار صادر 1401 هـ.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4 دار العلم للملايين - بيروت 1407 هـ - 1987 م.
- ضالة الأديب لابن أموجه، تحقيق جمال ولد الحسن منشورات الإيسيسكو 1417 هـ.

- فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور للبرتلي.
- القاموس المحيط للفيروز آبادي تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط8 مؤسسة الرسالة، 1426 هـ - 2005 م.
- لسان العرب لابن منظور. ط3 دار صادر - بيروت، 1414 هـ.
- المجموعة الكبرى لابن البراء (زاد الرواة من أخبار المؤلفين والمفتين والقضاة)، مرقون.
- مدينة تيشيت رسائل وأشعار لحماة الله بن ما يابى.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، بدون تاريخ.
- نيل الأرب في شرح لامية العرب لابن يداده رسالة ماستر من المعهد العالي، إعداد الطالبة: أم كلثوم محمد محمود 2023-2024.

السرديات والتنظير للأنواع السردية: ظهور النص وسردية الخطاب

أ.د. محمد الأمين ولد مولاي إبراهيم
أستاذ النقد وتحليل الخطاب.
بكلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة نواكشوط

الكلمات المفتاحية للبحث: النظرية النقدية، الشعرية، الشعرية التاريخية، السرديات، سرديات الخطاب، سرديات النص، السرديات الكلاسيكية، السرديات ما بعد الكلاسيكية.

ملخص البحث

وعلى الرغم من أن أطروحة لوسيان كولدمان في التنظير للرواية ما زالت حية تدرس، وتلقي استحسانا نظريا ومنهجيا في العديد من البيئات العلمية العربية، فإنه من الملاحظ أن الفكر الأدبي في بعض هذه البيئات، قد عرف بروز وعي نقدي ناقض لنظرية سوسيولوجيا الأدب، مسائل لمرتكزاتها النظرية ولأدواتها المنهجية المحققة لشروط قبولها. وقد بدأ أصحابه يأخذون مواقع تأثيرهم في المحافل العلمية لهذه البيئات، ويحظى الطلاب الباحثين الحاملين لفكره، بالاهتمام العلمي داخل المجالس العلمية لوحداث التكوين العليا، وفي اللجان العلمية للأطروحات والنشر العلمي بالجامعة، نتيجة لما عرفه النقد في البيئات العلمية العربية في السنوات الأخيرة من القرن العشرين من تطور ملحوظ على مستوى النظرية والمنهج والتفكير يُبين عن مستوى من الوعي بالنظرية النقدية يبرز لا في التمكن من مناهجها النقدية بأطروحاتها المتعددة فحسب، وإنما أيضا على مستوى تعامل النقاد الباحثين مع الموضوع؛ واكتسابهم ذهنية نقدية أكثر تحررا من سلطة التنظير النقدي الغربي المدرسي وأقدر على تطبيقات المناهج التي يختارونها؛ وفقا لرؤيتهم النقدية الخاصة في أفق النقدي والعلمي يشير هذا البحث قضايا نقدية تتصل بموقف السرديات من التنظير للرواية وسردية خطابها ناقضة لأطروحة لوسيان جولدمان ويواجه أسئلة نقدية مرتبط بتحسين الأدوات لمكونات الخطاب الروائي والمبصرة لطرائق اشتغال مكوناته المحققة لسردية الرواية.

0.0. حظيت الشعرية وتطبيقاتها في الفكر الأدبي العربي في تسعينيات القرن الماضي باهتمام كبير، وأخذت دوائر من التداول النقدي النشط في أغلب البيئات العلمية العربية. وقد ارتبط بروز هذا الوعي النقدي الجديد في تطور النظرية النقدية في التجربة العربية بالتراكمات النظرية والمنهجية التي أنتجها ما عرف في تطور النظرية النقدية في التجربة العربية بحلقات البنيوية والأسلوبية في البيئات العلمية العربية، فقد كان لرواد مدرسي النظرية النقدية ومناهجها في أقسام الدراسات الأدبية في الجامعات العربية منذ سبعينيات القرن الماضي دورهم البارز في خلق وعي نقدي بالبنيوية وتطبيقاتها النصية والأسلوبية وتطبيقاتها النصية وهو الوعي الذي سيهيئ الفكر الأدبي العربي الاستقبال الشعرية والسيميولوجيا في التجربة العربية.

1.0. لقد مكنت جهود المدرسين الأول للنظرية والنقدية ومناهجها من تخرج دفعات متتالية من خريجي حلقات الدرس البيوي والأسلوبي في هذه الأقسام، ومن إشاعة وعي نقدي بأدبية الأدب والأدوات المنهجية الواصفة لها، مناهض لنظرية سوسيولوجيا الأدب ومناهج الدراسات الأدبية السائدة حينها. فمن الحواضن النقدية لهذا الوعي النقدي وتطبيقاته المنهجية برزت أسماء مؤسسة للشعرية وتطبيقاتها المنهجية في التجربة العربية في بعض البيئات العلمية العربية؛ كان لها الدور الرائد في تكوين جيل من الأساتذة الباحثين الشباب حينها في أغلب الجامعات العربية نهاية التسعينيات من المشتغلين بالشعرية وتطبيقاتها والمتبنين لأطروحتها خيارا للمقاربة والتنظير، ولئن ظلت دوائر اختصاص الشعرية متفاوتة في نشاطها النقدي والبحثي، فإن دائرة اختصاص السرديات ستشهد نشاطا بحثيا وعلميا متزايدا؛ حيث حظي السرد وأنواع كتابيه بالدراسة والتنظير. "فأنجزت في هذا الاختصاص أطاريح جامعية مؤسسية، وأعدت دراسات مهمة رائدة، وألفت كتب نقدية عمدة، ونظمت ندوات متخصصة جامعة، ونشرت بحوث علمية رصينة. هذه الجهود كلها كانت الحاضنة المعرفية والمنهجية؛ التي أدت إلى ظهور السرديات العربية وتطبيقاتها المنهجية في التجربة العربية"⁽¹⁾. وقد صاحب هذا الظهور فكر أدبي ووعي نقدي عربي بدأت ملامحه تتشكل في البيئات العلمية العربية وحواضنها الثقافية من ذو العقد الأخير من القرن العشرين؛ - يتبنى السرديات منهجا لمقاربة النص السرد والتأريخ لأنواع السردية وأشكالها، إسهاما منه في تعميق الوعي المعرفي والعلمي بالسرديات في البيئات العلمية العربية من جهة، وتقديم سرديات عربية متفاعلة مع ما تشهده السرديات في المحافل العلمية الدولية من تطور حيوي وسريع، تتطلب مواكبته والمساهمة فيه، متابعة علمية دقيقة لحواراته العلمية وتطبيقاته المنهجية.

السرديات التاريخية وظهور الأنواع السردية

1.1. وفي إطار ترسيخ التصورات السردية المؤسسة التي اضطلع بها في السرديات العربية الجيل المؤسس⁽²⁾، ظهرت في بعض البيئات العلمية العربية تصورات نقدية مؤكدة على المنحى التأسيسي العام الذي سنه السرديون الأول، تحمل هذه التصورات رؤية وطرح الجيل الثاني⁽³⁾ من السرديين العرب من مدرسي السرديات في الجامعات العربية، ممن تتلمذوا على الجيل المؤسس وانخرطوا في مشروعه العلمي وأسسوا لذواتهم خيارات منهجية، ومسارات علمية اختلفت من تخصص لآخر، وتنوعت من مشغل لآخر، وهي تصورات تمايزت في آرائها النقدية وأطروحاتها العلمية من حاضنة علمية لأخرى. وقد أسهم هذا الجيل في العقدين الأولين من هذا القرن في توسيع قاعدة المشتغلين بالسرديات في البيئات العلمية العربية، بتخريجه لجيل ثالث من الباحثين السرديين الشباب المتخذين من السرديات التطبيقية مشغلا لبحوثهم وأطروحاتهم في مدارس الدكتوراه ومراكز البحث بالجامعات العربية.

(1) - محمد الأمين ولد مولاي إبراهيم : "السرديات الكلاسيكية في التجربة العربية" كتاب الاعمال العلمية للمؤتمر العلمي الدولي "سرديات نواكشوط 2021 منشورات وحدة بحث "السرديات وتحليل الخطاب" كلية الآداب والعلوم الإنسانية. - جامعة نواكشوط ، دار الأمان ، الرباط 2023 ص 33 /

- من جيل السرديين العرب المؤسسين يمكن أن نذكر: د. عبد الله إبراهيم، د. سيزا قاسم ود. محمد الخيو ود. محمد القاضي ود. محمد نجيب العامي، ممن عرفوا إسهاماتهم العلمية البارزة في تأسيس سرديات عربية، فأصبحوا اليوم في البيئات العلمية العربية (سلطا

ومراجع علمية معروفة. (2)

- من الجيل الثاني من السرديين العرب، الذين تتلمذوا على الجيل المؤسس، مدرسو السرديات اليوم في أغلب الجامعات العربية، ممن أنجزوا أطروحات وأصدروا أعمالا وأشرفوا على بحوث وأطروحات جذرت السرديات التطبيقية في التجربة العربية، ونوعت من خياراتها (المنهجية

وأطروحاتها النظرية. (3)

1.1.1. - وقد اضطلع الجيل الثاني من السرديين العرب - إلى جانب أساتذته - بمهام علمية وتكوينية أساسية في البيئات العلمية التي ينتمون إليها، ساهمت في تجذير السرديات العربية، بتعميقهم للقضايا التي أثارها المؤسسون، ومواجهة الأسئلة التي طرحوا، فتعددت معهم الاختصاصات والمشاكل السردية، وتمايزت المرتكزات النظرية، وتنوعت المداخل النظرية التي يصدر عنها، والخيارات المنهجية التي يختبرون، فظهرت في السرديات العربية: سرديات شعرية وسرديات سميولوجية تفرع عن الشعرية فرع حصري وآخر توسيعي، وعن السميولوجية نموذج عاملي وآخر النصي. وقد كان للجدل المعرفي الذي عرفته صفحات الكتاب النقدي والجامعي، والنقاشات العلمية التي دارت في ساحات الدرس وداخل قاعات النقاش بالجامعة، أثرها الكبير في بروز تصورات نقدية متعددة ومتنوعة، هي اليوم في البيئات العلمية العربية، مدار لحوار معرفي وعلمي بين المنشغلين بالسرديات وأصحاب هذه التصورات، ومحل للنقاش وللمساءلة في بحوث وأطروحات الجيل الثالث من الباحثين السرديين الشباب. ولئن أفرزت هذا الحوارات والنقاشات العديد من الآراء والتصورات النقدية والأطروحات، هي في عمومها اليوم المحتوي العلمي لأهم القضايا والأسئلة التي تطرحها السرديات العربية، فأنا سنكتفي هنا بعرض تصور من هذه التصورات المراجعة لنظرية الرواية عند لوسيان كولدمان. وهو طرح يناهض المرتكز السوسيولوجي الذي اعتمد عليه في تفسير ظهور الرواية والأشكال السردية، ويسائل الخلفيات النظرية المؤسسة لأطروحاته في بنائها للمعرفة، ويختبر الأدوات المنهجية المنتجة لها.

ظهور الرواية تحول في طبقات القول وتمايز لنثرياتها

2.1.1 - يتأسس الطرح الذي نسعى لبسطه هنا، على مرتكز نقدي نصي، يستند في مداخله النظرية وأدواته المنهجية إلى الشعرية Poétique في انطلاقتها من le littéraire "الأدبي" مجالا للبحث وانشغالها بالأدبية موضوعا للدراسة، بكشفها لما به يكون النص الأدبي نصا أدبيا من جهة، واشتغالها بالخطاب في وصفها لسردية الخطاب السردية، واكتشافها لمآتي الحسن ومستويات الإمتاع والمؤنسة فيه من جهة ثانية. وهو تصور يفسر نشأة السرد وظهور أشكاله انطلاقا من أطروحة "السرديات التاريخية"، التخصص النقدي الدقيق من اختصاص السرديات، الذي يتخذ من تاريخ الخطاب السردية في ثقافة من الثقافات، ومجتمع من المجتمعات موضوعا للبحث والدراسة، ومن ظهور الأشكال السردية فيه، مشغلا علميا يتم فيه البحث عن نشأة خطاب السرد في الحواضن اللغوية والمحافل الثقافية للمجتمعات في تعبيرها عن "الاجتماعي" و"الثقافي" و"الحضاري".

1.5.2. وهو مشغل يؤسس للقول إن ظهور الأشكال السردية عامة (رواية أو قصة أو أشكال سردية تراثية) وليدة تراكمات نثرية مولدة لخطاب السرد حاضرة له ومحقة لسردية خطابه. فالبحث عن ظهور هذه الأشكال في ثقافة من الثقافات ومجتمع من المجتمعات - من هذا المنظور - هو بحث في طبقات لغة حية قادرة في تطويعها للنشر المرسل على إنتاج نثرية أدبية، محقة لجماليات سردية ممتعة ومؤنسة. ومن ثمة فالبحث عن العوامل المؤدية لظهور شكل من الأشكال السردية، ينبغي أن يبحث عنه في طبقات القول المولدة لنثرية الكلام المرسل، في محافلها التواصلية وحواضنها اللغوية المطوعة للغة والمعبرة عن "الاجتماعي" و"الثقافي" في مجتمع من المجتمعات، ووصف التراكمات النثرية لهذه الطبقات في مستوياتها التواصلية والبلاغية والأدبية المولدة لأدبية الخطاب السردية.

السرديات ورواية الصحراء: توسيع السردية الخطاب

1.2. - لملد كان للروائيين العرب في مناطق متعددة من الصحراء العربية، دور مهم في ظهور رواية الصحراء في تجربة الكتابة العربية، وهو جهد أصل الرواية العربية في سرود الصحراء وتراثها الميثولوجي الخاص، بمنطوقاته المتعددة ومخيكياته المتنوعة، أطلع به روائيو الصحراء العرب، بتسريدهم لحياة البادية ومجهول الصحراء، واكتشافهم

لعالمها الذي ظل إلي حين عند مدرسي النقد المدرسي مرتبطا بالشعر، خاصا به، نتيجة التسليم بالقول بان الصحراء لا تنتج رواية، فهي بنت المدينة وسليمة طبقاتها الاجتماعية، ووليدة رؤية عالم كتابها. وهي "الفرضية التي ضللت المنظرين الأول للرواية من أصحاب الفكر الأدبي النقدي العربي، وأضلت مدرسي وطلاب الدرس النقدي المدرسي في بعض الجامعات العربية، قبل أن يفضح الإبداع طرح هؤلاء، وينقضه الجيل الثاني من منظري الرواية العربية ودراسي الخطاب السردي نهاية تسعينيات القرن الماضي"⁽¹⁾، ويتأكد بتتالي صدور روايات صحراء لكتاب وروائيين ينتمون لفضاء الصحراء الممتد من موريتانيا إلي جنوب الجزائر وليبيا وصحراء مصر واليمن وبلدان الخليج من جهة، وبصدور أعمال وبحوث تنظر لرواية الصحراء وتصف سرديتها خطابها وتكشف عن خصوصية خطابها الروائي وهوية شكلها السردي من جهة ثانية.

السرديات وسردية رواية الصحراء: تسريد حياة البادية وتكثيف مجهول الصحراء.

2.2. ولئن ساهم تباین تحديد السردية في إثراء اختصاصي السرديات وسيمولوجيا السرد، وعمق الوعي النقدي والمنهجي بهما، وعمل على إغناء التنظير لأشكال السرد- فإن الاشتغال بتنوع السردية في الرواية يسهم في نظرنا في ظهور مشغل سردي يهتم بوصف ملامح تنوع السردية في الخانة الروائية، ويعمل على توزيعها إلى خانات فرعية تبرز اختلاف الأطر الثقافية والمعرفية الحضارية المنتجة لها، وتباين الأنساق السردية واللسانية المتحققة في أفقها (تصنيف النصوص إلى قوائم: الرواية الاجتماعية، رواية تيار الوعي، الرواية التراثية...)، ويميز الخطاب النقدي في وعيه بهذا التنوع بين الرواية العربية والرواية الغربية والرواية اللاتينية والرواية الإفريقية وغيرها من الروايات المنتمية لفضاءات اجتماعية وسياسية متباينة، غير أن تفرع الخانة الروائية إلى هذه الخانات الفرعية لم يمنع في نظرنا من وجود تفرعات أخرى، لها خصوصيتها السردية، التي لم تثل حظها بعد من الاهتمام النقدي، أشهرها خانة "رواية الصحراء"، حيث الصحراء فضاء جغرافي واجتماعي يأخذ مساحة من إفريقيا وآسيا وأمريكا، وله تكويناته الاجتماعية المخالفة لتكوينات مجتمع المدينة، وثقافة وتقاليد سرد مباينة لثقافة الشمال وتقاليد السرد فيه، مما يعني وجود خانة روائية فرعية ذات خصوصية سردية متجذرة في ثقافة الجنوب، وتقاليد السرد فيها.

سردية رواية الصحراء: الملامح السردية وخصوصية القول.

3.2. وفي أفق الاهتمام بوصف شعرية رواية الصحراء، والانشغال بملامح سرديتها للإسهام في تعميق مدارك الوعي النقدي بها - نقف هنا عند بعض ملامح سردية هذا الشكل المميزة له، والمحددة لصيغ تشكلها، باعتبارها ملامح تدخل النصوص المجلية لها، تحت قوائم خانة رواية الصحراء، المؤصلة للرواية في سرد الصحراء، بتسريد روايتها لحياة البادية ومجهول الصحراء. فرواية الصحراء تقدم ملامح سردية محددة لشعرية شكلها السردي، ومنوعة لسردية رواية الجنوب، يمكن أن نعرض هنا لبعض منها، سبق أن وقفنا عليها في كتاب "شعرية رواية الصحراء: شعرية الشكل وخصوصية النص"⁽²⁾ بشيء من التفصيل، وهي ملامح تبرز جانباً من هوية رواية الجنوب، وتؤصل منابت سرديتها في عالم الصحراء، ونثرات تكويناتها الاجتماعية والثقافية، فمن هذه الملامح يمكن أن نذكر:

1.3.2. رتباط هذا الشكل الروائي بتأصيلات اجتماعية ذات تكوينات ثقافية واجتماعية صحراوية مباينة لمجتمع المدينة، فالصوت السردي فيه محكوم برؤية سردية مختلفة عن المنظور الروائي لرواية المدينة، والشخصية في نصوص هذه الرواية، تصدر في أفعالها عن تصور للعالم خاص تحكمه تأصيلات فكرية ودينية وإيديولوجية

- محمد الأمين مولاي إبراهيم : شعرية رواية الصحراء : : شعرية الشكل وخصوصية النص (الكتب الفائزة بجائزة شقيط 2004) تقديم (د، سعيد

يقطين منشورات جامعة نواكشوط 2012 ، ص/151)

(- محمد الأمين ولد مولاي إبراهيم : شعرية رواية الصحراء المرجع السابق . ص/72)

متجذرة في تاريخ الصحراء، وهو ما يتجلى في طرائق استحضار الشخصيات لعالم الصحراء وتصرفها فيه، وفقا لأطر الثقافية والاجتماعية المكونة للشخصية وانتمائها لعالم الجنوب.

2.3.2. ارتباط متخيل هذه الرواية بعوالم حكاية خاصة يغذيها عالم الصحراء بتكويناته الثقافية المتصلة بالأسطوري والعجائبي والمرويات الشعبية، ولذلك كان متخيل هذه الرواية متخيلا مخالفا لمتخيل رواية المدينة، لتوظيف الروائي فيه لعالم مرويات الصحراء، وما يكشفه من حكايات وأساطير وسرود تقليدية.

3.3.2. ارتباط موصوفات فضاء الرواية بأمكنة وفضاءات مفتوحة مباحنة لفضاء المدينة المغلق، فالروائي يوظف -في هذا الشكل الروائي -جماليات الصحراء بتركيزه على عنصر الوصف لإبراز جوانب مهمة من شعرية الفضاء، يعطي للأشياء في علاقاتها بعالم الصحراء، قيمتها الفنية في الرواية، لذلك كان الفضاء من أهم المكونات السردية المجلية، لشعرية هذا الشكل والمعبرة عن مواطن خصوصيته السردية.

4.3.2. ارتباط الصيغة السردية لهذه الرواية بفضاءات اجتماعية وثقافية ذات خصوصية صحراوية محلية، حيث تتعالق الصيغة السردية لرواية الصحراء مع هيئة المجلس وطرائق إنتاج الكلام فيه، باعتباره مقاما سرديا مؤثرا في الصيغة السردية للنص الروائي المنتج فيه، فالصيغة السردية تتأسس على التخاطب بالسرد، فالحكاية تسرد في المجلس وفقا لصيغة من السرد، يتبادل فيها الجالسون أدوار الحديث، بان يسرد كل واحد منهم جزء من القصة وباكتمال دورة الحديث في المجلس الواحد او المجلس المتعددة تكتمل فصول الرواية، لذلك تعدد الحكايات الرديفة في رواية الصحراء، وهيمنة صيغة تبادل الكلام المحقق للتخاطب بالسرد.

5.3.2. انفتاح مستويات اللغة في هذا الشكل على الأنساق اللسانية لمجتمع الصحراء بتكويناته الاجتماعية المتعددة وتشرب النص للهجاته من جهة، واشتغال الروائي باللغة مصدرا لتكثيف عالم الصحراء بما فيه من عجائبي وأسطوري من جهة أخرى، وبذلك تمثل اللغة إحدى أهم المقومات الفنية المحددة لشعرية رواية الصحراء ولسردية خطابها.

سردية رواية الصحراء: في وصف مكونات الخطاب

1.3. من مظاهر خصوصية السرد في فضاءات الجنوب التي بلورتها رواية الصحراء، وعمقتها كتابتها، إبرازها لسردية مرتبطة بحياة أهل الصحراء وعالم مروياتها ومبصراتها، واتكاء روايتها في تحقيقهم لهذه السردية على أدوات من الكتابة، تجذر الرواية في سرود البادية ومتخيلاتها السردية. لذلك عمد رواة الصحراء العرب إلي الاشتغال بأدوات من الكتابة تحقق سردية نصوصهم في ارتباطها بالقصة والخطاب. ولئن تعددت المداخل السردية الكاشفة عن مآتى الحسن في هذه السردية ومصادر الإمتاع والمؤانسة فيها، وتنوعت أسئلتها المنهجية، وطرح السؤال معها: أهى إلي مكونات الخطاب عائدة أم إلي عناصر القصة؟ أتعبيرية هى متصلة بالخطاب وطرائق اشتغال مكوناته، أم دلالية مرتبطة بالقصة ودلائليات عناصرها؟، لئن شغلت هذه الأسئلة وغيرها مشاغل السرديين الواصفين لسردية رواية الصحراء - فإن الواصف لمآتى الحسن والإمتاع في هذه السردية، يلاحظ أنها تأتي من آفاق من المتخيلات ومرايى الأحلام وعوالم الموصوفات، ومجالس المرويات ومحافل المسموعات، أكثر مما تأتي من صيغة تتابع الأحداث وانتظام خبر الوقائع، والتصرف في زمن القصة، وطرق تنظيم الخطابات المسرودة والمعروضة؛ لذلك هيمن دور المتخيل ومستويات اللغة في صياغة سردية رواية الصحراء، على دور بقية عناصر القصة والخطاب. وهى الخاصية السردية، التى جعلت الوصف فى السرديات الحصرية (الزمن، الصيغة، التبئير) لا يضىء سردية الخطاب فى رواية الصحراء، بما فيه الكفاية، لبقاء مناطق من السردية غير مضاءة. وقد أدت السرديات الوصفية، فى المدونة التى اشتغلنا عليها^(١)، إلي الوقوف على معالم لسردية روائية تجذر خطابها فى

(. محمد الأمين مولاي إبراهيم : شعرية رواية الصحراء :، المرجع السابق ، ص/151)

جماليات للسرد، مغايرة لجماليات سرد المدينة، تجد منابت قولها في مستويات اللغة في ارتباطها بمقامات قول البداية : ومنطوقات خطابها ومرويات مجالسها ومقامات قولها ومحافل سردها المتعددة والمتنوعة. وتأخذ معالم متخيلها الروائي من عالم الصحراء: بطرائق تكثيف متخيلاته وصيغ مسروداته وطرق تنظيم خبر مروياته، ووصف مشاهد ومبصراته وموصوفاته الغريبة والعجيبة. وهي سردية الهيمنة فيها لطرائق تكثيف المتخيل ومستويات اللغة، فمأتي الإمتاع في السرد وأنسه في نصوص رواية الصحراء، ترتبطان بهذين المكونين.

السرديات ورواية الصحراء: توسيع السردية ومكونات خطابها:

1.1.3. لقد أدّى الاشتغال بالسرديات الوصفية أداة لوصف سردية نصوص رواية الصحراء إلى الوقوف على مكونتين سرديتين، تأتي منهما سردية للنصوص ممتعة ومؤنسة، ليس مصدرها مكونات: الزمن والصيغة والتبني، هما: المتخيل السردى ومستويات اللغة. فقد أبان الوصف والتحليل في هذه المدونة عن مساحة من السردية، مصدرها طرائق تكثيف المتخيل ومستويات اللغة وأساليب تكثيفها للمتخيل. لذلك كان الانحياز إلى توسيع السرديات للوقوف على بقية ملامح السردية، التي لم يتمكن واصف السردية الحصرية المكتفين بوصف طرائق اشتغال مكونات الزمن والصيغة والتبني، من تغطيتها، لكونها آتية من المتخيل ومستويات اللغة. وهو انحياز إلى خيار من خيارات توسيع السرديات، يخالف خيار التوسيع المشتغل بعناصر القصة والمنفتح على الدلالة، يتبنى خيار التوسيع القائم على، التمسك بالتعبير مصدرًا للسردية، وبالخطاب موضوعًا لتوسيع للسرديات (سرديات التمدد)، والملتزم بسردية الخطاب مشغلا للسرديات التوسيعية. لذلك كان التوسيع في المشغل الخيار المنهجي الذي سعت إليه "سرديات التمدد": في وصفها لما لم تصل إليه طرائق اشتغال مكونات الخطاب من سردية الخطاب (توسيع مجال السردية التعبيرية)، وفي وقوفها على مكونتين تعبيريتين للخطاب (توسيع مكونات الخطاب). وهو خيار في توسيع سرديات الخطاب وصف السردية، انشغل به سرديو الخطاب⁽¹⁾، الباحثون عن مكان السردية التعبيرية ومطائنها، ومنها سردية رواية الصحراء، التي عنها يصدر روائيو الصحراء في تحقيقهم لسردية نصوصهم ومنها المدونة التي اشتغلنا عليها.

2.1.3. لقد بين الوصف لسردية الخطاب في هذه المدونة، أن مصادر الحسن والإمتاع فيها، كامنة في طرائق تكثيف المتخيل، فهو المكونة السردية التي عنها تصدر سردية النصوص. وأن مات أخرى لجماليات النص، آتية من مستويات اللغة وطرائق الاشتغال بها، وأساليب تعبيرها، ونثرات قولها، فهي مكون سردى آخر تأتي منه سردية الخطاب، تجعله ممتعا ومؤنسا، وتمنحه خطابا، يصبح معه جميلا. هذان المكونان السرديان، "المتخيل" و"مستويات اللغة"، بهما تم توسيع مكونات الخطاب من ثلاث إلى خمس (الزمن، الصيغة، التبني، المتخيل، مستويات اللغة). وهذا ما عبر عنه أستاذي د. سعيد يقطين بـ "التدقيق" في تقديمه للكتاب بقوله "بهذه التدقيقات يبرز محمد الأمين انحيازه إلى السرديات التوسيعية، بما هي محاولة لتطوير السرديات بتجاوز الحدود التي حصرت فيها نفسها في بداية تكونها، وهي تسعى لتشكيل اختصاص يعني بـ "الخطاب" السردى، بالتركيز على مكوناته الداخلية بالوقوف على الزمن والصيغة والتبني. إنه اختيار واع يكشف عن رؤية متقدمة للتحليل السردى"⁽²⁾ وخلال الاشتغال بقضايا السرديات ما يقارب العقدين من الممارسة والبحث، تم تطوير هذا الطرح، اعتمادا على مرتكزين أساسيين: نظري أقيم بناؤه انطلاقا من الانشغال بأطروحة "سرديات الخطاب" ولاشتغال بها، مسائل أطروحة ميشل ماتوكولاس في توسيعه لـ "حدود السرديات"، وآخر تطبيقي أقيم أسسه على قاعدة تمدد مكونات الخطاب السردى لتوسيع، ما ضيقه السرديون الأول (جرار جنت، تودوروف...)، عند تحديدهم للسردية وحصرهم لمكونات خطابها.

(1) - من أوائل السرديين الذين أقاموا تفريقا منهجيا بين المنشغلين بوصف السردية، د. سعيد يقطين في كتابه الرائد في السرديات الوصفية، تحليل الخطاب الروائي: الزمن السرد والتبني، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1989، فيه اقتصر في وصفه لسردية الخطاب على أطروحة السرديين الحصريين، ص 60/

(- سعيد يقطين، تقديم كتاب، شعرية رواية الصحراء: المرجع السابق، ص 29)

السرديات التمدد ورواية الصحراء: توسيع الضيق واكتشاف الواسع.

1.4. يتأسس الطرح الذي يقترح هنا لتوسيع السرديات، على قاعدة تمدد عناصر الخطاب واتساع سردية الخطاب، لتشمل مساحات من جماليات القول السردية ومستويات من الإمتاع والمؤانسة فيه، لم يصل إليها السرديون الأول بحصرهم لمكونات الخطاب، لتوقفهم في البحث عن مآتي الحسن وجماليات السرد في القصة، عند حدود طرائق اشتغال مكونات الخطاب. فقد قادت مستويات الوصف والتحليل في السرديات التطبيقية لنصوص رواية الصحراء، إلى اكتشاف مكان من السردية في القصة ليس مصدرها طرائق اشتغال الزمن والصيغة والتبئير، وإنما طرائق تكثيف المتخيل في هذه النصوص و مستويات اللغة وأساليب قولها، كما أدّى وصف السرديات لخطاب "رواية الجنوب" ورواية الصحراء أحدي مظهراتها الإبداعية – إلى مناطق من سردية النص وطبقات قولها، لم تصل إليها إضاءة السرديات الحصرية في وصفها لمآتي الحسن، ومصادر الإمتاع والأنس فيها.

1.1.4. لقد كانت العودة الثانية للقصة، وليس إلى الخطاب موضوعا للبحث والتحليل مع السرديين التوسيعيين – والتي دعا إليها كولاس في بحثه عن سردية للنص، يريد أن يجمع شتاتها بالدعوة إلى الجمع بين مكونتي (القصة والخطاب) – العلامة على الطريق، التي دلت هذا الجهد – وهويبحث عن معالم لسردية رواية صحراء، مصدرها ليس زمن الخطاب وإنما المتخيل السردية – على أن يعود مع العائدين إلى القصة، لكن لا لوصف سردية مصدرها عناصر القصة، وإنما بحثا عن ما بقي من عناصر للخطاب كامنة في القصة، ما زالت لم توصف، تركها الأسلاف من السرديين الأول (جينت، تودوروف...) تتعايش مع عناصر القصة، كشفت السرديات الوصفية لنصوص رواية الصحراء عن مكونين منها هما: المتخيل السردية ومستويات اللغة، بهما أمكن الوقوف على معالم لسردية خطاب رواية الصحراء، منوعة لسردية رواية الجنوب ومبرزة لخصوصية سردية مغايرة لسردية رواية الشمال. وبهما تمت إضاءة مناطق من هذه السردية ظلت معتمة، لم تكن أدوات السرديات الحصرية لتصل إليها. وهو ما ساهم في توسيع للسرديات يحسن من أدواتها المنهجية، في قدرتها على وصف السردية التعبيرية للنص السردية، ويعزز من مداركها النظرية، في قدرتها على أن تمتلك رؤية مبصرة لمعالم السردية وحدودها، تتكئ على التعبير مدخلا للوصف والتحليل. وهو خيار في التوسيع يمدد السردية ويوسع ما ضيقه الحصريون بحصرهم لمكونات الخطاب في ثلاث مكونات (الزمن، الصيغة، التبئير) وحصرهم لحدود ملامح السردية التعبيرية في طرائق اشتغال مكونات الخطاب. فكانت "سرديات التمدد" الخيار المنهجي الموسع للسرديات على قاعدة التمسك بالتعبير مصدرها للسردية، وليس على أرضية الكشف عن مآتي للسردية مزدوجة تعبيرية ودلالية، تشتغل على القصة والخطاب معا.

سرديات التمدد: توسيع سرديات الخطاب

2.4. يتأسس طرح "سرديات التمدد" على خيار منهجي ينطلق من "سرديات الخطاب" عند السرديين الأول موضوعا للبحث والمساءلة، ومن السرديات التوسيعية خيار لتطوير السرديات التعبيرية والتحسين من أدواتها وكفاءتها المنهجية، عند السرديين الجدد، للكشف عن مكان من السردية التعبيرية في القصة، لم تطلها بعد يد الوصف والتحليل، فقد أبان الوصف لسردية رواية الصحراء، أنه ما زالت في "جبة القصة" مكونين تعبيريين لسردية بكر، لم تكشف عنها عدة الحصريين المكتفية من الأبعاد التعبيرية للقصة بالزمن والصيغة والتبئير، يتعين وصفهما والوقف عند ما يضيفان من مساحة لسردية الخطاب كشفت عنها السرديات الوصفية في رواية الصحراء :

1.2.4. المتخيل السردية، وهو في هذا الطرح القصة بعد أن تكتب أو تحكي، وليس المادة السردية، فالقصة قبل أن تكتب مادة سردية متاحة للجميع، وهي في تحديدها هذا أقرب إلى المعنى. ولذلك كانت القصة بما هي مادة سردية موضوعا لسميولوجيا السرد، لان البحث فيها مشغل دلالي، أما القصة بما هي متخيل فموضوع

للسرديات، لان البحث فيها مشغل تعبيرى، يتناول طرائق تكثيف القصة (المادة السردية) وصيغ تحقق متخيلاتها، وأساليب تكثيفها، وهذا المكون التعبيري من القصة، هو المكون الرابع من مكونات الخطاب السردى، المسمى بالمتخيل السردى.

1.2.4. مستويات اللغة وهو خامس مكونات الخطاب السردى الموسع لمساحة سردية الخطاب، المحقق لمراتب من السردية مرتبطة بالأساليب وطرائق التعبير، ومدارج من السردية آتية من الاشتغال باللغة وأسئلة النص السردى، ومكان من الإمتاع والمؤانسة، ناشئة من اللغة التي بها كتب النص السردى، وهو مكون لا يعتنى بمآتيه من الحسن إلا الأدباء من القصاص والروائيين الكبار، الذين يعتنون باللغة مصدرا للإمتاع، ويشغلون بمستوياتها أداة من أدوات الكتابة، المحققة لسردية من القول منشؤها أساليب تكثيف القصة، ولنا في تاريخ كتابة الرواية العربية أمثلة لروائيين، عرفوا بمقروءية عالية، نتيجة لما عرفوا به من أساليب ممتعة ومؤنسة، إضافة الى سردية نصوصهم، جاذبية للقراءة وسعت من قاعدة قراءة أعمالهم، من أمثال طه حسين، محمود المسعدى، وطيب صالح وغيرهم كثير.

2.2.4. بهذين المكونين تتسع مكان السردية وتوسع مكونات الخطاب لتشمل مكونين تعبيرين جديدين، يعززان غدة السرديات، في الكشف عن جوانب من السردية كانت مظلمة. وهو خيار منهجي من السرديات التوسيعية يوسع مجال السردية ومصادرها، لتشمل مآت من الحسن ومصادر من الإمتاع في الخطاب السردى، لم تكن لتصل إليها طرائق اشتغال مكونات الخطاب الثلاثة (الزمن، الصيغة، التبئير) عند الحصريين، وتمدد مكونات الخطاب السردى لتتنقل من ثلاث مكونات (الزمن، الصيغة، التبئير) إلى خمس مكونات (الزمن، الصيغة، التبئير، المتخيل ومستويات اللغة). فسردية الخطاب في هذا الخيار، لا تتوقف عند طرائق اشتغال الزمن والصيغة والتبئير، فحسب بل تطال مستويات أخرى من المشغل التعبيري، لم تزل حظها من الدرس والنقاش، هي طرائق تكثيف المتخيل ومستويات اللغة ودرجات إمتاع ثريتها. وبذلك تكون سرديات التمدد قد وسعت ما ضيقه المؤسسون الأول (مكونات الخطاب) على قاعدة سردية الخطاب لا القصة، ووسعت من دائرة السردية باكتشافها لمساحات من السردية مصدرها التعبير، وأداتها طرائق تكثيف المتخيل ومستويات اللغة.

سردية الصحراء والوعي بالنظرية النقدية: تركيب

1.5. لقد تبين مما سبق أن رواية الصحراء تشير قضايا أدبية متنوعة وتطرح أسئلة نقدية متعددة، ما تزال موضوعا للبحث والنقاش في البيئات العلمية العربية وحواضنها الثقافية، لا يمثل سؤال البحث عن هوية الشكل وسردية الخطاب، كما عرضنا لها هنا، في راهن الفكر الأدبي العربى، إلا أحد الأسئلة النقدية العديدة المطروحة، للنقاش والحوار. وهي الأسئلة المرتبطة في مشغلها البحثى بقضايا الوعي بأشكال الكتابة السردية ومنها الرواية، في علاقتها بالهوية وخصوصية الكتابة. وبأسئلة المنهج والأدوات الملائمة للكشف عن سردية لرواية الصحراء. فقد أنتجت مقامات قول أهل الجنوب وأحوالهم أشكالا سردية (رواية الصحراء)، لا تطابق مقتضيات حال أهل الشمال و منابت قولهم، التي تأسست عليها نظرية الرواية عند السوسيولوجيين، ولا تضيء أدوات السرديات الحصرية كل ملامح سردية الجنوب، لبقاء بعض مكونات الخطاب المحققة لسردية الخطاب (المتخيل، مستويات اللغة)، خارج دائرة الوصف والتحليل، فجاء رواياتهم (رواية الصحراء) غير قابلة للتصنيف في خانة أشكال الكتابة القائمة (رواية المدينة)، مباينة في سرديتها، التي عليها تأسس تنظيرهم للرواية (نظرية سوسيولوجيا الأدب).

1.1.5. لقد أثبتت الكتابات السردية لسكان أهل الجنوب، ومنهم سكان المنطقة العربية، أنها مكان لنوعيات من الكتابة السردية ذات هويات إبداعية مغايرة للكتابات السردية لأهل الشمال، لارتباطها هذه الكتابات

بالنثرات الأدبية للتكوينات الاجتماعية لمجتمعات الجنوب، وأنساقها اللسانية والأدبية والثقافية الخاصة، وصدورها عن رؤية إبداعية في تسريد حياة أهل البادية، وتكثيف متخيلاتهم لعالم الصحراء، وتعبيرهم عن منطوقاتهم وحكيهم لمسروقاتهم في مجالس سمرهم ومحافل ثقافتهم.

1.1.5. كما بينت الوصف والتحليل أن هذه الكتابات السردية، بأشكال كتابتها المتعددة والمتنوعة، تتطلب نظرة نقدية تتوكل على فهم للنظرية الأدبية وحذق لمناهجها ومتلاك لأدواتها، نحتاجه اليوم في بيئاتنا العلمية وحواسننا الثقافية، للتححر فكرنا الأدبي من بقايا النقد التقليدي، ورواسب الطرح النقدي المدرسي السائد، الذي دحضته تطورات النظرية النقدية وتجاوزته إبدالاتها المنهجية. ولئن ظل هذا طرح، غائبا عن بعض دوائر التداول العلمي القائم اليوم في بعض البيئات العلمية العربية، نتيجة تمسكها بالطرح السوسيولوجي، وولائها لتفكيره المنهجي وانصياعها لسلطة ذهنيته النقدية. فإن حضوره المتزايد في البيئات العلمية العربية — باعتباره خطابا مناهضا ومراجعا لبعض الأطروحات المدرسية، التي عاش عليها فكرنا الأدبي ردحا من الزمن، وما زالت تعيق تطور النظرية النقدية وتطبيقاتها المنهجية في جامعاتها ومراكز بحثنا العلمي — أمر يدعو للتفاؤل بأن هذه البيئات العلمية ستواكب التطورات النظرية والمنهجية التي يشهدها علم الأدب.

المراجع والمصادر:

- د. محمد القاضي: الرواية والتاريخ: دراسة في التخيل المرجعي، دار المعارف للنشر تونس 2008.
- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي: الزمن السرد التبيخ، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1989،
- سيزا قاسم: بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت 1685
- عبد الله إبراهيم: السردية العربية: بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، المركز الثقافي العربي بيروت 1992
- محمد الأمين مولاي إبراهيم: شعرية رواية الصحراء: شعرية الشكل وخصوصية النص (الكتب الفائزة بجائزة شنيق 2004) تقديم د. سعيد يقطين منشورات جامعة نواكشوط 2012
- محمد الأمين ولد مولاي إبراهيم وسعيد يقطين: "السرديات الكلاسيكية في التجربة العربية" كتاب الأعمال العلمية للمؤتمر العلمي الدولي "سرديات نواكشوط 2021" منشورات وحدة بحث "السرديات وتحليل الخطاب" كلية الآداب والعلوم الإنسانية. — جامعة نواكشوط، دار الأمان، الرباط 2023
- محمد الخبو: الخطاب القصصي في الرواية العربية المعاصرة، دار صامد للنشر والتوزيع وجامعة صفاقس، تونس 2003

سيمياءات الزخرفة في المخدات الجلدية التقليدية:

مساهمة في قراءة العلامات البصرية

أحمد المصطفى بداه

طالب باحث في مدرسة الدكتوراه - تخصص الأدب العربي

مكونة النص والمناهج - جامعة انواكشوط

الكلمات المفتاحية: سيميولوجيا - زخرفة جلدية - ثقافة مادية - هوية بصرية - موريتانيا - نص بصري

ملخص

يتناول هذا المقال زخارف المخدات الجلدية التقليدية الموريتانية من منظور سيميائي، ساعيا إلى الكشف عن الآليات البصرية التي تنتج الدلالة داخل هذا النمط من الثقافة المادية الصحراوية. وينطلق البحث من تحليل ستة نماذج مختارة تنتمي إلى أنماط زخرفية مختلفة، وذلك وفق منهج سيميائي وصفي تأويلي يقوم على ثلاث مراحل: وصف العناصر المرئية، وتحليل العلاقات التركيبية، واستنتاج الدلالات الثقافية الممكنة. وقد خلصت الدراسة إلى أن البنية الهندسية تمثل الأساس التنظيمي الذي تنتظم داخله العناصر وتنتج دلالتها، وأن التناظر والتكرار والتمركز آليات بنائية لإنتاج المعنى لا مجرد خصائص شكلية. كما بين التحليل أن اللون يؤدي وظائف تركيبية تتجاوز الجمالي نحو الدلالي، وأن هذه المنتجات تُشكل حوامل لذاكرة بصرية جماعية تعكس هوية المجتمع الصحراوي الموريتاني وتُعيد إنتاجها. ويُعاد توظيف الطابع البريدي الموريتاني لعام 1979 نموذجا لتحول العلامة المحلية إلى رمز ثقافي وطني عبر مسار إعادة الترميز.

Abstract

This article examines the ornamental patterns of traditional Mauritanian leather cushions through a semiotic lens, aiming to reveal the visual mechanisms that produce meaning within this form of Saharan material culture. Six specimens representing distinct ornamental typologies are analysed using a descriptive-interpretive semiotic methodology structured around three stages: description of visual elements, analysis of compositional relations, and inference of possible cultural meanings. The study concludes that geometric structure constitutes the primary organisational principle from which meaning emerges, and that symmetry, repetition and centrality operate as constructive devices for signification rather than mere formal properties. Colour is shown to fulfil compositional functions that extend beyond the aesthetic into the semiotic. These objects collectively constitute carriers of collective visual memory, reflecting and reproducing the cultural identity of Mauritanian desert society. The 1979 Mauritanian postage stamp is reread as a pivotal moment in the semiotic trajectory through which a local craft sign is recoded as a national cultural emblem.

Keywords: Semiology - Leather ornamentation - Material culture - Visual identity - Mauritania - Visual text

مقدمة

لم تحظ الصناعات الحرفية التقليدية في موريتانيا بما تستحقه من دراسة سيميائية أكاديمية منهجية، رغم ما تنطوي عليه من أنساق بصرية غنية تكشف عن منظومات جمالية وقيم ثقافية متراكمة عبر الأجيال. وتمثل المخدات الجلدية التقليدية، المعروفة محليا بـ «اصرامه» أو «لوسايد»، نموذجا لهذا الفن البصري؛ فهي في ظاهرها قطع أثاث مرتبطة بالحياة اليومية داخل الخيمة، غير أن سطحها الجلدي يحمل زخارف تُجسد نظاما علاميا يتجاوز بكثير الوظيفة النفعية المجردة.⁽¹⁾

ينطلق هذا المقال من فرضية مفادها أن الزخرفة الجلدية الموريتانية تُشكل نصا بصريا قابلا للتحليل السيميائي بالمعنى الدقيق الذي حدده لوتمان حين قضى بأن كل بنية دلالية منظمة تُعد نصا يُنتج عناصره معنى من خلال علاقاتها المتبادلة⁽²⁾. ومن ثم فإن الأسئلة التي يسعى المقال إلى الإجابة عنها هي: كيف يشتغل الشكل الهندسي بوصفه آلية لإنتاج الدلالة؟ وما وظائف اللون التركيبية داخل النسق الزخرفي؟ وكيف تتحول المخدة الجلدية من موضوع نفعي إلى حامل للهوية الثقافية وذاكرة الجماعة؟

لمقاربة هذه الأسئلة، اعتمدنا عينة من ستة نماذج تمثل أنماطا زخرفية مختلفة، تشمل: الطابع البريدي الموريتاني لعام 1979 (ش.1)، والمخدة ذات الخلفية السوداء (ش.2)، ومخدة الشراشيب (ش.3)، والمخدة ذات الكثافة الزخرفية القصوى (ش.4)، والمخدة الثنائية اللونية (ش.5)، والمخدة الحمراء ذات الشراشيب الزرقاء (ش.6). يتوزع المقال على أربعة محاور: إطار نظري يُحدد المرجعيات السيميائية المعتمدة، ثم تحليل البنية الهندسية، فسيميولوجيا اللون، وأخيرا المخدة بوصفها موضوعا ثقافيا وحاملا للهوية. وتُختتم الدراسة بخلاصة تُجمل النتائج وتستشرف آفاق البحث.

أولا: الإطار النظري - السيميولوجيا وقراءة الأنظمة البصرية

1.1 من العلامة اللغوية إلى العلامة البصرية

أرسى فردينان دي سوسير تصورا للعلامة اللغوية يقوم على ثنائية الدال والمدلول، غير أن امتداد هذا التصور نحو الأنظمة غير اللغوية هو ما مهد الطريق أمام سيميولوجيا الصورة والزخرفة. وقد كان رولان بارت الأوفر حظا في إنجاز هذه الخطوة، إذ أثبت أن الصورة الفوتوغرافية والإعلانية والزخرفية قابلة للتحليل وفق منطق علاماتي مستقل، تنتج فيه الدلالة عبر التنظيم الداخلي للعناصر لا عبر الإحالة المرجعية المباشرة.⁽³⁾ وقد وسع أمبرتو إيكو هذه المقاربة حين أكد أن كل منتج ثقافي يُصبح موضوعا للقراءة السيميائية متى انخرط في نظام للتواصل الاجتماعي، مهما كانت طبيعته المادية. وتستند هذه الفرضية إلى مبدأ أن القيمة الدلالية تنبثق من العلاقات بين العناصر لا من العناصر في ذاتها، وهو المبدأ الذي يجعل الزخرفة الجلدية - بما تحمله من أنساق شكلية ولونية - موضوعا مشروعا للدرس السيميائي.⁽⁴⁾

1.2 سيميولوجيا الثقافة ومفهوم النص البصري

أسهم يوري لوتمان في تأسيس مفهوم "النص البصري" بتعريفه كل بنية دلالية منظمة تُنتج عناصرها معنى من خلال علاقاتها المتبادلة، بصرف النظر عن طبيعة الوسيط - لغويا كان أم بصريا أم ماديا - وقد أتاح له هذا التعريف الموسع تحليل الفنون التشكيلية والأعراف والطقوس وفق الأدوات المفاهيمية ذاتها التي يُحلل بها النص الأدبي.⁽⁵⁾

وفي الإطار نفسه، يكتسب مفهوم "المحيط السيميائي" (Sémiosphère) أهمية خاصة لأغراض هذه الدراسة، إذ يُحدد الفضاء الثقافي الذي تكتسب فيه العلامات معانيها وتتداول وفق أعراف مشتركة. والزخرفة الجلدية الموريتانية تنتمي بامتياز إلى محيط سيميائي صحراوي بعينه تشكلت داخله وتُفهم في ضوءه.⁽⁶⁾

1.3 المنهج المعتمد

يعتمد هذا المقال منهجا سيميائيا وصفيا تأويليا يمر بثلاث مراحل متتابعة: (أ) الوصف الشكلي للعناصر البصرية المكونة للنموذج؛ (ب) التحليل التركيبي للعلاقات بين هذه العناصر (التناظر، التكرار، التأطير، التمرکز؛ (ج) التأويل الثقافي المشروع المقيد بالبنية البصرية ذاتها دون إسقاط دلالات جاهزة من الخارج. وهذا الأخير هو ما يُميز التحليل السيميائي المنهجي عن القراءة التأملية الانطباعية.

ثانيا: سيميولوجيا البنية الهندسية - الشكل بوصفه آلية للدلالة

2.1 الشكل الخارجي بوصفه حدا سيميائيا

تتقاسم معظم النماذج المدروسة شكلا خارجيا واحدا يقوم على تنظيم بصري يتكون من فضاءين مستطيلين متقاربين عند المنتصف، بما يُنتج تضيقا مركزيا وانفتاحا تدريجيا نحو الجانبين. ويؤدي هذا الشكل وظيفة سيميائية دقيقة؛ إذ يحدد الفضاء الزخرفي ويعزله عن محيطه، مُنشئا ما يسميه لوتمان "حدا سيميائيا" يفصل الفضاء الدلالي المنظم عن الفضاء الخارجي غير الدلالي.⁽⁷⁾



الشكل 1: الطابع البريدي

اختارت الدولة الموريتانية عام 1979 هذه المخدة لتمثيل الصناعات التقليدية في معرض Philexafrique 2

2.2 التناظر: من التوازن الشكلي إلى الاكتمال الدلالي

يمثل التناظر المبدأ التنظيمي الأكثر حضورا في عينة الدراسة. غير أن ما يُلفت الانتباه ليس مجرد وجود التناظر، بل تنوع أشكاله بين النماذج. ففي النموذجين الأول والثاني (ش.1 وش.2) يقوم التناظر على محور عمودي يقسم الشكل إلى قسمين متكافئين لكن غير متطابقين تطابقا حرفيا؛ يختلفان في نظامهما الزخرفي الداخلي مع احتفاظهما بالحجم نفسه والإطار ذاته.⁽⁸⁾



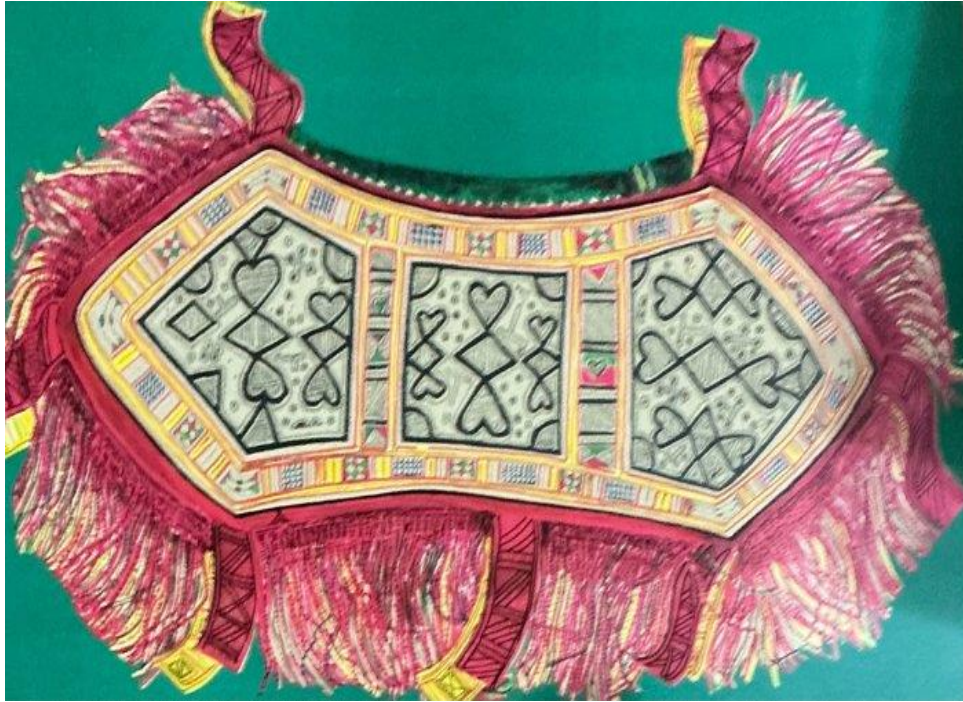
الشكل 2: مخدة جلدية ذات خلفية سوداء - زخرفتان متكاملتان

وهذا التكافؤ غير المتطابق هو ما يمنح التناظر هنا خصوصيته السيميائية. فلو كان القسمان متطابقين تطابقا كاملا لكان التكوين ميتا بصريا - مُغلّقا على نفسه. أما حين يحتفظ كل قسم بخصوصيته داخل وحدة المحور، فإن التكوين يُنتج توترا دلاليا خفيا بين التشابه والاختلاف، بين الوحدة والتنوع، وهذا التوتر بالذات هو ما يجعل العين تتحرك بين القسمين باحثة عن التطابق الكامل دون أن تجده تماما.⁽⁹⁾

2.3 المركز والهامش: التراتبية الدلالية للفضاء

يكشف النموذج الثالث (ش.3) عن منطق مغاير في تنظيم الفضاء الزخرفي. فالمخدة ذات الشراشيب تُنظم مساحتها وفق بنية ثلاثية: مركز هندسي صارم (ثلاثة مستطيلات بيضاء متجاورة)، وإطار زخرفي مُلون يُحيط بهذا المركز، وهامش حر تمثله الشراشيب المتدفقة التي تمتد خارج حدود الجلد نفسه.⁽¹⁰⁾

وتُنتج هذه البنية الثلاثية دينامية بصرية تُمثل أوضح تجليات ثنائية المركز والهامش عند لوتمان. فالمركز الأبيض - بشكله الهندسي المنتظم وعلاماته السوداء الواضحة - يمثل فضاء النظام والمعنى المحكم. والإطار يمثل منطقة الوساطة التي تحمل كلا من انتظام المركز وحرية الهامش. أما الشراشيب فهي فضاء الحركة والانفتاح، تكسر صرامة البنية الهندسية وتُضيف إليها بُعدا حسيا يتجاوز البصري نحو اللبسي والحركي.⁽¹¹⁾



الشكل 3: مخدة جلدية بشراشيب

2.4 الكثافة الزخرفية والنص المفتوح

يمثل النموذج الرابع (ش.4) حالة استثنائية في عينة الدراسة من حيث الكثافة الزخرفية. فالمخدة الكبيرة تكاد لا تُبقي فراغا غير مشغول: مئات الوحدات الزخرفية المتنوعة - دوائر، معينات، أشكال خمسية، عيون، أنصاف دوائر، أسهم - تملأ السطح كله في نظام يبدو عشوائيا في النظرة العابرة ويكشف عند التمعن عن شبكة من العلاقات الدقيقة التي تُنظمه.⁽¹²⁾



الشكل 4: مخدة ذات كثافة زخرفية قصوى

وهذا النموذج هو الأقرب إلى ما وصفه إيكوب "النص المفتوح": أي النص الذي لا يُعَملي تأويلا واحدا على قارئه، بل يُتيح طيفا من القراءات بحسب مستوى الانتباه وحجم الخبرة الثقافية للمتلقى. فالناظر المبتدئ يرى فوضى جمالية مُبهجة. أما القارئ المدرب سيميائيا فسيُدرك أن الفوضى الظاهرية تخفي وراءها نظاما هرميا يوزع الوحدات الكبيرة والصغيرة ويرتب علاقات الجوار والتبادل.⁽¹³⁾

ثالثا: سيميولوجيا اللون - بين التنظيم التركيبي والدلالة الثقافية

3.1 اللون بوصفه قيمة تركيبية

اعترض بارت - وهو يُحلل الأنظمة البصرية - على أي اختزال للدلالة اللونية في جداول رمزية جاهزة (الأبيض=البراءة، الأحمر=الخطر...)، مؤكدا أن المعنى اللوني لا يمكن فهمه إلا في سياق النسق الذي ينتمي إليه اللون ومن خلال علاقاته بالألوان المجاورة. ومن ثم، فإن التحليل اللوني المعتمد هنا سيتجنب الإسقاطات الرمزية الجاهزة ويُرَكز على الوظائف التركيبية للألوان داخل كل نموذج.⁽¹⁴⁾

3.2 التباين اللوني في النموذج الثنائي

يعتمد النموذج الخامس (ش.5) استراتيجية لونية مغايرة لبقية النماذج: فبدلا من توزيع الألوان بصورة متدرجة أو متشابكة، يُقسم التكوين المساحة الجلدية إلى فضاءين شبه متساويين يختلفان اختلافا جذريا في منطقتي اللون: الجانب الأيسر أبيض وأسود وأصفر بزخرفة خُلزونية ناعمة، والجانب الأيمن متعدد الألوان (أحمر، أصفر، أسود، أخضر) بزخرفة خطية وهندسية مكثفة.⁽¹⁵⁾



الشكل 5

ويُنتج هذا التقابل اللوني الحاد ما يمكن تسميته "تجاورا دلاليا": أي وضع نظامين زخرفيين متميزين في إطار واحد لإنتاج تعارض بصري مقصود. فالعين لا تستطيع الاستراحة في نقطة واحدة، بل تُجبر على التحرك باستمرار بين الجانبين، مما يُنتج توترا بصريا أكبر مما تُنتجه النماذج الأخرى ذات الانسجام اللوني الداخلي.⁽¹⁶⁾

3.3 بساطة اللون وشدة الدلالة

في مقابل تعقيد النماذج السابقة، يُقدم النموذج السادس (ش.6) - المخدة الحمراء ذات الشراشيب الزرقاء - درسا في الاقتصاد اللوني: سطح أحمر ويلونه أصفر فقط، بلا تعدد ولا تشابك. غير أن هذه البساطة اللونية لا تعني فقرا في الدلالة، بل على العكس - تجعل الوحدات الزخرفية الصفراء الثمانية (اثنتان في كل مربع من المربعات الأربعة) تبرز ببلاغة بصرية مكثفة لا تبلغها النماذج المكتظة بالألوان.⁽¹⁷⁾



الشكل 6: مخدة جلدية حمراء بشراشيب زرقاء

ويكشف هذا النموذج عن مبدأ سيميائي مهم: أن الكثافة الدلالية لا تتناسب طرديا مع كمية العناصر. فتكرار وحدة واحدة ثمان مرات في نظام شبكي صارم قد يُنتج دلالة أعمق من تكثيف عشرات الوحدات المتنوعة في فضاء واحد. إذ إن التكرار هنا لا يُعيد إنتاج الشكل فحسب، بل يُنتج إيقاعا بصريا يُجسد مبدأ الانتظام والنظام الذي يُعد من أعمق قيم الجماليات الإسلامية الزخرفية.⁽¹⁸⁾

3.4 الشراشيب بوصفها هامشا لونيا فاعلا

تجدر الإشارة إلى الدور السيميائي الاستثنائي الذي تؤديه شراشيب النموذج السادس (ش.6) من الناحية اللونية. فاللون الأزرق الداكن للشراشيب يقف نقيضا كاملا للأحمر الدافئ للجسم المركزي. وهذا التناقض اللوني الحاد - أحمر/أزرق - لا يوهن التكوين بل يُعزده، إذ يُبرز الجسم الأحمر أكثر مما لو أُحيط بلون قريب منه أو متناسق معه. ومن ثم تُصبح الشراشيب الزرقاء جزءا من المنطق اللوني للتكوين الكلي، لا مجرد تفصيل حواشي.⁽¹⁹⁾

رابعا: المخدة الجلدية - من الموضوع اليومي إلى الرمز الثقافي

4.1 الأشياء الثقافية وإنتاج الدلالة

أكد إيكو أن الأشياء المادية تنتقل تدريجيا من مستوى الوظيفة النفعية إلى مستوى الدلالة الثقافية بمجرد انخراطها في شبكة من المعاني التي يُلصق بها المجتمع. وتُمثل المخدة الجلدية التقليدية نموذجا يجسد هذه الحالة: فالمخدة وُجدت في الأصل لتوفير الراحة الجسدية داخل الخيمة التقليدية، ثم تراكمت عليها طبقات من المعاني الثقافية تجعلها اليوم وثيقة أنثروبولوجية بامتياز.⁽²⁰⁾

وما يُعمق هذه القراءة هو أن العناية الزخرفية الفائقة التي تبذلها الحرفية في تزيين سطح المخدة تفوق بكثير ما تقتضيه الوظيفة النغمية. فلو كان الأمر مجرد أثاث للجلوس لكفت قطعة جلدية مصبوغة باللون الأحمر دون زخارف. غير أن إضافة هذا الكم من الزخارف الدقيقة يدل على أن القيمة الجمالية والرمزية تُشكل جزءاً لا يتجزأ من قيمة الموضوع، وأن صاحب المخدة يُعلن من خلالها انتماءه إلى منظومة جمالية معينة.⁽²¹⁾

4.2 الزخرفة بوصفها ذاكرة بصرية جماعية

تكشف المقارنة بين النماذج الست أن ثمة "عائلة أشكال" تجمع بينها رغم تنوعها: الشكل الإهليجي المضغوط، والوحدة الحلزونية (الطرة)، والمعين، والشكل الخمسي، والنقطة المؤطرة. هذه الوحدات تُشكل ما يمكن تسميته "معجم الزخرفة الجلدية الموريتانية"، أي المفردات البصرية التي يتقاسمها الحرفيون ويُعيدون توليفها في كل منتج جديد.⁽²²⁾

وينسجم هذا التوصيف مع تعريف لوتمان للثقافة باعتبارها "ذاكرة غير وراثية للجماعة". فالحرفية التي تُزين مخدة جديدة لا تُعيد اختراع الزخرفة من الصفر، بل تُجرب توليفات جديدة من معجم بصري موروث. وبذلك تُؤدي كل مخدة جلدية وظيفة أرشيف بصري غير رسمي، تحفظ في مادتها الجلدية وأشكالها الملونة لمحة من الذاكرة الجمالية الجماعية.⁽²³⁾

4.3 الزخرفة والتمييز الاجتماعي

لا تعمل الزخرفة الجلدية في فراغ اجتماعي. فهي مُنتجة داخل حقل اجتماعي تنتظمه علاقات تقدير ومكانة وتمييز. وقد أثبت بورديو أن الذوق يُشكل رأسماً رمزياً يستخدمه الأفراد للتعبير عن مواقعهم الاجتماعية وإعادة تأكيدها. وهذا ما يجعل التفاوت في الكثافة الزخرفية والدقة التقنية بين المخدات مؤشراً اجتماعياً يُضاف إلى الدلالة البصرية.⁽²⁴⁾

فالمخدة الإهليجية الكبيرة (ش.4) ذات الكثافة الزخرفية القصوى تُعلن بوضوح عن قدر استثنائي من الوقت والمهارة والمواد. وهذا الاستثمار غير المباشر في الزخرفة هو ما يُحولها من مجرد أثاث إلى دليل على الإتقان الحرفي وبالتالي على القيمة الاجتماعية لصاحبها.

4.4 الطابع البريدي 1979: إعادة الترميز الوطني

تُعد عملية اختيار مخدة جلدية بعينها لتمثيل الجمهورية الإسلامية الموريتانية في معرض Philexafrique 2 عام 1979 حدثاً له دلالاته السيمائية. فهي لحظة تُقرر فيها الدولة ماذا تقول عن نفسها للعالم الخارجي عبر وسيط بصري هو الطابع البريدي. وكان بإمكانها اختيار معلم معماري أو منظر طبيعي أو شخصية تاريخية. غير أن اختيار قطعة حرفية يكشف عن قرار يقضي بـ: تعريف الهوية الوطنية بالثقافة المادية لا بالتاريخ السياسي أو الجغرافيا.⁽²⁵⁾

وتُنتج هذه العملية ما يُسميه بارت "التحويل الأسطوري" (Mythification)؛ أي تحول العلامة من مستواها الأول الذي هو الوصف الواقعي (مخدة جلدية موريتانية) إلى مستواها الثاني الذي هو الخطاب الأيديولوجي (رمز الهوية والتراث الوطني). وعند هذا المستوى الثاني لا تُقرأ المخدة بوصفها شيئاً، بل بوصفها مفهوماً: مفهوم "تثمين الصناعة التقليدية" و"الأصالة الموريتانية" و"عراقة الصناعة الوطنية".⁽²⁶⁾

خاتمة: نحو سيميولوجيا الثقافة الحرفية الصحراوية

أثبت التحليل السيميائي للنماذج الست أن الزخرفة الجلدية التقليدية الموريتانية تُشكل نظاماً علامياً متكاملًا، تنتج عناصره دلالة من خلال علاقاتها المتبادلة. وقد تجلّى ذلك في أربعة مستويات مترابطة: البنية الهندسية (الشكل الإهليجي، التناظر، المركز والهامش، التكرار)؛ والنظام اللوني (التباين، التوازن، الاقتصاد اللوني)؛ والوظيفة

الثقافية (حفظ الذاكرة، إنتاج الهوية، التمييز الاجتماعي)؛ والمسار الدلالي (إعادة الترميز من المحلي إلى الوطني) (27).

وتكشف هذه النتائج في مجموعها عن خصوصية بصرية موريتانية يمكن توصيفها بـ: هيمنة الشكل الإهليجي المضغوط، والتناظر غير المتطابق، والمعجم الزخرفي المشترك. وهذا ليس نتيجة قرار فردي عابر، بل هو تراكم حرفي جماعي متوارث شكلته قرون من الإنتاج داخل بيئة محددة ومحيط خاص.⁽²⁸⁾

وتفتح هذه النتائج آفاقا بحثية متعددة؛ على صعيد الموضوع، يستدعي المقام توسيع الدراسة لتشمل الصناعات الجلدية المجاورة (جماعات المفاتيح الجلدية "انسع"، عدة التدخين "اشروط"، المحافظ الجلدية "التاسفره"...) من أجل رسم خريطة سيميائية كاملة للثقافة المادية التقليدية. لأنه وكما يتضح فإن دراسة الصناعات التقليدية يمكن أن تنفض الغبار عن الكثير مما يتعلق بالمجتمع الذي أنتجها، وعن قيمه ومخاوفه وطموحاته الجمالية ورؤيته لنفسه في العالم.

الهوامش والإحالات

- (1) يوري لوتمان، بنية النص الفني، ترجمة فالح عبد الجبار، بغداد، دار المأمون للترجمة والنشر، 1988، ص 33 / يؤسس لوتمان هنا لمبدأ أن الوحدة في النص لا تكتسب قيمتها إلا من موقعها داخل الكل الدلالي
- (2) يوري لوتمان، بنية النص الفني، ص 17 / المفهوم الموسع للنص هو المفهوم الذي يتيح لنا الانتقال من تحليل الأدب إلى تحليل الفنون البصرية دون الوقوع في مقارنة استعارية غير دقيقة
- (3) رولان بارت، سيميولوجيا الصورة، ترجمة سعيد بنكراد، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2007، ص 19 / أرسى بارت هذا التصور في تحليله للإعلانات ثم وسعه في S/Z والغرفة المضيفة
- (4) أمبرتو إيكو، البنية الغائبة: مدخل إلى السيميائيات، ترجمة أنور مغيث، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2006، ص 41
- (5) يوري لوتمان، بنية النص الفني، ص 33
- (6) يوري لوتمان، بنية النص الفني، ص 61 / المحيط السيميائي مفهوم لوتماني متأخر طوره في "ميكانيزمات الثقافة". انظر أيضا: سعيد بنكراد، السيميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها، الرباط، منشورات الزمن، 2003، ص 117
- (7) يوري لوتمان، بنية النص الفني، ص 70 / "الحد السيميائي" هو المنطقة التي تفصل الفضاء الدلالي المنظم عن الفضاء غير الدلالي الخارجي
- (8) رولان بارت، سيميولوجيا الصورة، ص 28 / يميز بارت بين التناظر الذي يُنتج "انغلاق المعنى" والتناظر الذي يُنتج "توترا دلاليا خفيا"
- (9) أمبرتو إيكو، البنية الغائبة، ص 84 / يُعالج إيكو هذه الفكرة في سياق ما يُسميه "الكودات البصرية" وآلياتها في إنتاج التوقع وخرقه
- (10) سعيد بنكراد، السيميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 141
- (11) يوري لوتمان، بنية النص الفني، ص 81 / يُشير لوتمان إلى أن الهامش ليس منطقة لا-دلالة، بل منطقة دلالة مغايرة تُخصب المركز وتمنحه معناه الكامل
- (12) سعيد بنكراد، السيميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 163
- (13) أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية: التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، ترجمة سعيد بنكراد، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1996، ص 31
- (14) رولان بارت، سيميولوجيا الصورة، ص 51 / يُحذر بارت صراحة من "أسطرة الألوان"، أي تحويلها إلى قاموس رمزي ثابت، مؤكدا أن الدلالة اللونية تاريخية وسياقية لا طبيعية وكونية
- (15) رولان بارت، سيميولوجيا الصورة، ص 43
- (16) أمبرتو إيكو، البنية الغائبة، ص 101 / "التجاوز الدلالي" مفهوم يُشير إلى وضع نظامين أو قيمتين متعارضتين في إطار واحد لإنتاج توتر دلالي
- (17) سعيد بنكراد، السيميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 117

- (18) رولان بارت، سيميولوجيا الصورة، ص 28 / يُشير بارت في سياق آخر إلى أن الزخرفة الإسلامية التجريدية تستند إلى التكرار بوصفه وسيلة للتأمل لا مجرد إشباع بصري
- (19) أمبرتو إيكو، البنية الغائبة، ص 92 / مبدأ "إبراز الشكل بالخلفية المتناقضة" من أكثر مبادئ الجشطالت توظيفاً في السيميائيات البصرية
- (20) أمبرتو إيكو، البنية الغائبة، ص 121
- (21) بيير بورديو، التمييز: نقد اجتماعي لملكة الحكم، ترجمة حسن احجيح، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، 2016، ص 122 / يرى بورديو أن الاستثمار في "الشكل" عوضاً عن الاكتفاء بـ "الوظيفة" هو أحد أوضح مؤشرات الذوق الثقافي بوصفه رأسمالاً رمزياً
- (22) سعيد بنكراد، السيميائيات والتأويل: مدخل لسيميائيات تشارلز س. بيرس، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2005، ص 84
- (23) يوري لوتمان، بنية النص الفني، ص 95
- (24) بيير بورديو، التمييز، ص 143
- (25) رولان بارت، سيميولوجيا الصورة، ص 61
- (26) رولان بارت، سيميولوجيا الصورة، ص 61 / مفهوم "الأسطورة" (Mythification) طوره بارت في (أسطوريات Mythologies) - ، ويُشير إلى المسار الذي تتحول فيه العلامة التاريخية إلى طبيعة وكأنها حقيقة أبدية .
- (27) أمبرتو إيكو، البنية الغائبة، ص 41
- (28) سعيد بنكراد، السيميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 163

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب المترجمة إلى العربية

- إيكو، أمبرتو. البنية الغائبة: مدخل إلى السيميائيات. ترجمة أنور مغيث. القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2006
- إيكو، أمبرتو. التأويل بين السيميائيات والتفكيكية. ترجمة سعيد بنكراد. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2000
- إيكو، أمبرتو. القارئ في الحكاية: التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية. ترجمة سعيد بنكراد. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1996
- بارت، رولان. سيميولوجيا الصورة. ترجمة سعيد بنكراد. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2007
- بورديو، بيير. التمييز: نقد اجتماعي لملكة الحكم. ترجمة حسن احجيح. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2016
- لوتمان، يوري. بنية النص الفني. ترجمة فالح عبد الجبار. بغداد: دار المأمون للترجمة والنشر، 1988

ثانياً: المراجع العربية

- بنكراد، سعيد. السيميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها. الرباط: منشورات الزمن، 2003.
- بنكراد، سعيد. السيميائيات والتأويل: مدخل لسيميائيات ش. س. بيرس. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2005.
- حمداوي، جميل. السيميائيات والعنونة. الرباط: دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني، 2015.

ثالثاً: وثائق الأرشيف والصور

- الطابع البريدي رقم PA13، سلسلة 2 Philexafrique، قيمة 12UM، الجمهورية الإسلامية الموريتانية، يونيو 1979. تصوير: P. LAMBERT؛ طباعة: CARTOR.
- النماذج الجلدية (ش. 2-ش. 6): تواريخ الإنتاج غير محددة

مصادر التمويل في المصارف الإسلامية

محمد محمد الأمين اباه

دكتوراه في المالية الإسلامية

الكلمات المفتاحية: مصادر التمويل - المصارف الإسلامية - المصارف - التمويل - البنوك.

مقدمة

لقد ظهرت المصارف الإسلامية بديلاً اقتصادياً للبنوك التقليدية، القائمة على أساس الفائدة الربوية، فالبنوك الإسلامية اتخذت شعارها قول الله تعالى: {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا} (سورة البقرة، الآية 275)، وكذلك وضعت حداً للمعاملات المحرمة شرعاً، التي تسبب عدم الاستقرار وحدوث الأزمات الاقتصادية، فالإقتصاد الإسلامي يهدف إلى تحقيق التوازن الاجتماعي، بعكس الإقتصاد الوضعي الذي غالباً ما يكرس مبدأ التفاوت الاجتماعي. وتتلخص رسالة المصارف الإسلامية، في تخليص الأمة الإسلامية من التبعية الاقتصادية، من خلال استخدامها لوسائل وأساليب عملية مستندة إلى الأسس الشرعية، التي تجعل مصلحة الفرد المسلم هي أساس كل المصالح.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى عدة أهداف منها:

- 1_ بيان مفهوم المصارف الإسلامية وخصائصها.
- 2_ التعرف على مصادر الأموال في المصارف الإسلامية.

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي.

خطة البحث

المبحث الأول: مفهوم المصارف الإسلامية ونشأتها

أولاً: تعريف المصارف الإسلامية

ثانياً: نشأة المصارف الإسلامية

المبحث الثاني: مصادر التمويل الإسلامي

أولاً: مصادر المصارف الإسلامية الداخلية

ثانياً: مصادر المصارف الإسلامية الخارجية

المبحث الأول: مفهوم المصارف الإسلامية ونشأتها

إن دور الوساطة المالية في البنك الإسلامي، يقوم على مبدأ المشاركة في الربح والخسارة وفقاً للقاعدة "الغنم بالغرم"، بينما دور الوساطة المالية في البنك التقليدي يقوم على الاقتراض بفائدة من جانب والإقراض بفائدة إلى الجانب الآخر، وهذا من أهم مميزات المصارف الإسلامية عن التقليدية.

أولاً: تعريف البنوك الإسلامية

البنوك جمع بنك، وهي لفظة إيطالية يقابلها بالعربية المصارف،⁽¹⁾ وهي جمع مصرف بكسر الراء، وأصل كلمة مصرف في اللغة العربية على وزن مفعّل أي مكان الصرف، وهي مأخوذة من الصرف بمعنى تغير الشيء من حالة إلى حالة أو إبداله بغيره، أو رد الشيء عن وجهه.⁽²⁾

والمصرف في الفقه مأخوذ من الصرف وهو المكان الذي يتم فيه صرف النقود أي تبديلها بعضها ببعض.⁽³⁾ أما المصارف الإسلامية اصطلاحاً فقد عرفت بتعريفات متعددة، تختلف من حيث الشكل وتتفق من حيث الجوهر والمضمون، وسوف نستعرض بعض هذه التعريفات فيما يلي:

1_ المصارف الإسلامية هي "مؤسسة مالية مصرفية لتجميع الأموال وتوظيفها في نطاق الشريعة الإسلامية، بما يخدم بناء مجتمع التكافل الإسلامي، وتحقيق عدالة التوزيع، ووضع المال في المسار الإسلامي".⁽⁴⁾

2_ المصارف الإسلامية هي "مؤسسة مصرفية تلتزم في جميع معاملاتها ونشاطها الاستثماري، وإدارتها لجميع أعمالها بالشريعة الإسلامية ومقاصدها، وكذلك بأهداف المجتمع الإسلامي داخليا وخارجيا".⁽⁵⁾

3_ المصارف الإسلامية هي "مؤسسات نقدية مالية، تعمل على جذب الموارد النقدية من أفراد المجتمع، وتوظيفها توظيفا فعالا، يكفل توظيفها ونموها وفق القواعد المستقرة للشريعة الإسلامية، وبما يخدم شعوب الأمة على تنمية اقتصاداتها".⁽⁶⁾

من خلال تلك التعريفات السابقة للمصارف الإسلامية يتضح أن بعضها ركز على بعض وظائف المصرف الإسلامي، في مجال جمع الأموال واستثمارها، مع إبراز دور المصرف الاجتماعي، فيما ذكر بعضها دور المصرف الإسلامي في ممارسة العمليات المصرفية، مع عدم التعامل بالفائدة أخذاً أو عطاءً، بينما ذكر بعضها أن هدف المصرف الإسلامي ليس فقط تعظيم الربح، وإنما تحقيق القيم الروحية المرتبطة بوظيفة الإنسان في عمارة الأرض وأداء رسالته عليها، لذلك فإن عليها دوراً رئيسياً في التنمية الاقتصادية، باستخدام الأموال المتاحة من خلال أدوات التمويل الإسلامي مثل المضاربة والمشاركة...

ثانياً: نشأة المصارف الإسلامية

لقد نشأت المصارف الإسلامية تلبية لرغبة المجتمعات الإسلامية، في إيجاد صيغة للتعامل المصرفي وفقاً للشريعة الإسلامية، وبعيدا عن التعامل بالربا أخذاً أو عطاءً، التي تتعامل به البنوك التقليدية تحت مسمى الفائدة، يقول حسن صادق حسن (سبب نشأة البنوك الإسلامية كان نتيجة لدافع ديني بحت، وشعور الغالبية العظمى من البلاد الإسلامية، أن البنوك الموجودة فيها شبهة التعامل بالربا، هذا من جانب، ومن جانب آخر أن المد الإسلامي أصبح قاعدة واضحة في كثير من البلاد الإسلامية بعد استقلالها...)⁽⁷⁾

وقد شهدت نشأة المصارف الإسلامية في بدايتها تجربتين مهمتين: الأولى في مصر والثانية في باكستان؛

- (1) - إرشيد، محمد عبد الكريم، 2001. الشامل في معاملات وعمليات المصارف الإسلامية، ط 1، عمان: دار النفائس للنشر والتوزيع، ص 13.
- (2) - الرازي، محمد بن أبي بكر، 2008. مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر بك، ط 3، بيروت: دار الكتاب العربي، ص 361.
- (3) - برايج، بلال، 2018. قياس استقرار الأداء المالي للبنوك الإسلامية في ظل الأزمة المالية العالمية لسنة 2008، أطروحة دكتوراه في العلوم الاقتصادية غير منشورة، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، ص 3.
- (4) - عيد عادل، عبد الفضيل، الربح والخسارة في معاملات المصارف الإسلامية (دراسة مقارنة)، ط 1، الاسكندرية: دار الفكر الجامعي، ص 398.
- (5) - الزحيلي، محمد وهبة، 2006. المصارف الإسلامية، ط 3، دمشق: دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، ص 10.
- (6) - الخصري، محسن أحمد، 2008. البنوك الإسلامية، ط 1، القاهرة: إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، ص 17.
- (7) - بوجلال، محمد، 1990. المصارف الإسلامية: مفهومها، نشأتها، تطورها مع دراسة ميدانية على مصرف إسلامي، ط 1، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ص 11-12.

الأولى: تمثلت في مؤسسات ادخار ريفية قام بها أحمد عبد العزيز النجار، في قرية ميت غمر في دلتا النيل في منتصف عام 1963م، لتنتهي مبكرة في منتصف عام 1967م، أي بعد أربع سنوات من الممارسة،⁽¹⁾ بالرغم من النجاح التي حققته هذه التجربة إلا أنها لم يكتب لها الاستمرار، وذلك لأسباب داخلية، مثل عدم رسوخ الإطار النظري للأعمال المصرفية الإسلامية، وعدم توافر الكوادر المؤهلة والقادرة على إدارة الأعمال والنشاطات المصرفية، إضافة إلى أن هذه التجربة لم تلق الرعاية من المؤسسات الحكومية والأهلية في الداخل أو الخارج.⁽²⁾

الثانية: قام بها أحمد إرشاد من خلال محاولة لتحويل أحد البنوك إلى نظام خال من الفائدة سنة 1965م في باكستان، إلا أن هذه التجربة لم تكن أوفر حظاً من سابقتها، ولم تستمر سوى لبضعة شهور.⁽³⁾

وفي عام 1971م أسس في مصر بنك ناصر الاجتماعي، الذي يقوم بقبول الودائع وتقديم قروض حسنة أي بدون فوائد، كما يقوم بجمع الزكاة وإنفاقها في مصارفها الشرعية، حيث كان الهدف منه هو التكافل الاجتماعي.

وقد كان لمؤتمر وزراء مالية الدول الإسلامية، الذي انعقد عام 1973م دفعة قوية في سبيل إنشاء المصارف الإسلامية، حيث خرج المؤتمر ببيان يوصي بإنشاء بنك إسلامي دولي، هو البنك الإسلامي للتنمية الذي افتتح رسمياً عام 1975م، والهدف منه هو دعم التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي للدول الأعضاء والمجمعات الإسلامية وفقاً لمبادئ الشريعة الإسلامية، وفي نفس السنة أي 1975م أنشئ بنك دبي الإسلامي في دولة الإمارات العربية المتحدة، وهو أول بنك إسلامي خاص ذو طابع استثماري.

وقد استمرت بعد ذلك عملية إنشاء وتأسيس المصارف الإسلامية، حيث أسس عام 1977م ثلاثة مصارف إسلامية هي: بنك فيصل الإسلامي المصري، وبنك فيصل الإسلامي السوداني، وبيت التمويل الكويتي، وأعقبهما تأسيس البنك الإسلامي الأردني للتمويل والاستثمار عام 1978م،⁽⁴⁾ وفي عام 1979م أنشئ بنك البحرين الإسلامي.

ثم أنشئ البنك الدولي للاستثمار والتنمية في مصر عام 1980م، ثم أنشئ البنك الإسلامي الأردني للتمويل والاستثمار عام 1988م، ثم أنشئ البنك الإسلامي الدولي في لوكسمبورغ كأول بنك إسلامي في الدول الغربية. وقد ظهرت كذلك مؤسسات ومنظمات إسلامية داعمة للصناعة المالية الإسلامية، مثل: إنشاء الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية سنة 1977م، والمعهد الدولي للبنوك الإسلامية والاقتصاد الإسلامي بقبرص سنة 1981م، وهيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية سنة 1989م، والمجلس العام للبنوك الإسلامية بالبحرين سنة 2001م، ومجلس الخدمات المالية الإسلامية بماليزيا سنة 2002م وغيرهما من المؤسسات والهيئات المهمة بالصناعة المالية.

المبحث الثاني: مصادر التمويل الإسلامي

هناك تشابه بين المصارف الإسلامية والمصارف التقليدية، من حيث شكل مصادر الأموال في كل منهما، لأن كلاهما مؤسسة مالية، هدفها الرئيسي جمع الودائع وجذب المدخرات، إلا أن الفارق الجوهرى يتركز في طريقة استخدام الأموال في المصارف الإسلامية، عن استخدامها في البنوك التقليدية، وكذلك في تحديد الأهمية النسبية لكل مصدر من مصادر التمويل، فنجد المصارف التقليدية تعتمد على الودائع الجارية لديها باعتبارها أهم مصادر الأموال الخارجية، بينما تثبت الأرقام في المصارف الإسلامية أن نسبة الودائع الجارية أقل بكثير منها إلى نسبة الودائع

(1). المصري، رفيق يونس، 2001. النظام المصرفي الإسلامي (دراسة شرعية)، ط 1، دمشق: دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، ص 43.

(2). سحنون، محمود، 2010. اقتصاد نقدي ومصرفي، ط 1، قسنطينة: دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، ص 97.

(3). المكاوي، محمود محمد، 2009. البنوك الإسلامية: النشأة - التمويل - التطوير، ط 1، القاهرة: المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، ص 31-32.

(4). خصاونة، أحمد سليمان، 2008، المصارف الإسلامية، مقررات لجنة بازل - تحديات العولمة (استراتيجية مواجهتها)، ط 1، عمان: دار الكتاب

العالمي للشخص 64-65.

الاستثمارية، باعتبار أن كليهما يشكلان مصدرا من مصادر التمويل الخارجية للمصرف الإسلامي، أي أن اعتماد المصرف الإسلامي يكون على الودائع الاستثمارية، أكثر من الودائع الجارية.⁽¹⁾

أولا: مصادر المصارف الإسلامية الداخلية

تتمثل المصادر الداخلية للمصارف الإسلامية فيما يلي:

1_ حقوق المساهمين: وهي تتكون مما يلي:

أ_ رأس المال: هو عبارة عن رأس مال خاص يبدأ به المصرف نشاطه، ويمثل قيمة الأصول التي يحصل عليها المساهمون فيه، فلفظ رأس المال يقصد به في الفكر المالي الإسلامي أصل المال الذي يمتلكه الإنسان للانتفاع به ويشمل المال نقداً كان أو عرضاً.

وهو بمثابة تأمين لامتناع الخسائر من المساهمين عند التأسيس، وهو يعبر عن الأمان والحماية والثقة بالنسبة للمودعين.⁽²⁾

لذلك يجب على المصرف الإسلامي تفعيل الدور الاستثماري والتمويلي لرأس المال، من أجل الوصول لغايتين: الأولى تحقيق عوائد لأصحاب المصرف، والثانية الاستثمار في المشروعات ذات الآجال الطويلة.

ب_ الاحتياطات: تعتبر الاحتياطات مصدراً من مصادر الأموال التمويل في المصارف الإسلامية، شأنها في ذلك شأن المصارف التقليدية، وهي واجبة للحفاظ على رأس المال كاملاً.

وتعرف الاحتياطات بأنها "مبالغ مقتطعة من الربح الصافي المتحقق للمصرف، لتدعيم مركزه المالي، وتعتبر الاحتياطات حقاً من حقوق الملكية مثل رأس المال، أي أنها حق للمساهمين في المصرف".⁽³⁾

وهناك عدة أنواع من الاحتياطات في المصارف الإسلامية هي:⁽⁴⁾

_ الاحتياط القانوني الإلزامي: سياسة الاحتياطات الإلزامية تجبر المصارف على الاحتفاظ، لدى المصرف المركزي في حساب غير منتج للفوائد، بجزء أدنى من استحقاقاتها الواجبة الأداء، وأحياناً بجزء من قروضها الممنوحة.

_ الاحتياطي الاختياري: هو النوع الذي لا يفرضه القانون وتستخدمه المصارف لتدعيم مركزها المالي من جهة، ولمواجهة أية خسائر محتملة في قيم أصول المصرف تزيد عن قيمة الاحتياطي القانوني.⁽⁵⁾

_ الاحتياطي الخاص: هو عبارة عن حساب يتم توجيه نسبة من الأرباح السنوية إليه لمواجهة أية التزامات قد تطرأ على المصرف الإسلامي، أو لتقوية مركزه المالي.

2_ الأرباح المحتجزة:

هي الأرباح الفائضة والمتبقية بعد إجراء عملية التوزيع، وهي كذلك تعتبر من حقوق الملكية، أي تخص المساهمين، ويتم ترحيلها إلى السنوات التالية، وتستخدم في تمويل مختلف الأنشطة والعمليات، ويمكن للبنك أن يقرر احتجاز كل الأرباح المحققة بموافقة من الجمعية العامة.⁽⁶⁾

(1). شيخون، محمد، 2002. المصارف الإسلامية: دراسة في تقويم المشروعات الدينية والدور الاقتصادي والسياسي، ط2، عمان: دار وائل للنشر والتوزيع، ص 98.

(2). عيد عادل، عبد الفضيل، 2007. الربح والخسارة في معاملات المصارف الإسلامية (دراسة مقارنة)، ط1، مرجع سابق، ص 402-403.

(3). صوان، محمود حسن، 2001. أساسيات العمل المصرفي في الإسلام دراسة تحليلية مع ملحق الفتاوى الشرعية، ط1، عمان: دار وائل للنشر والتوزيع، ص 118.

(4). مكية، محمود عدنان، 2002. الفائدة موقعها بين التشريع والشرعية وتأثيرها في الحياة الاقتصادية، ط1، بيروت: منشورات الحلبي الحقوقية، ص 336.

(5). الراوي، خالد وهيب، 2001. إدارة العمليات المصرفية، ط1، عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع، ص 187.

(6). ناصر، الغريب، 2006. أصول المصرفية الإسلامية وقضايا التشغيل، ط1، القاهرة: دار أبو اللو للطباعة والنشر والتوزيع، ص 122.

والأرباح المحتجزة تمثل الفارق بين الأرباح التي حققها البنك في سنة معينة، والأرباح التي وزعها بالفعل على المساهمين.

3_ المخصصات:

يعرف المخصص بأنه مبلغ يخصم أو يحتجز من أجل الاستهلاك أو تجديد أو مقابلة النقص في قيمة الأصول أو من أجل مقابلة التزامات معلومة لا يمكن تحديد قيمتها بدقة تامة.

ثانياً: مصادر المصارف الإسلامية الخارجية

هي المصادر التي تتدفق من خارج المصرف الإسلامي، وتتشابه الموارد الخارجية للمصارف الإسلامية مع الموارد الخارجية للبنوك التقليدية إلى حد كبير من ناحية الشكل، ولا كنها تختلف عنها من ناحية الهدف. والمصادر الخارجية من أهمها ما يلي:

1_ الودائع المصرفية (الحسابات المصرفية): هي عبارة عن النقود التي يعهد بها الأفراد أو الهيئات إلى البنك، على أن يتعهد الأخير بردها أو برد مبلغ مساو لها إليه أو إلى شخص آخر معين، لدى الطلب أو بالشروط المتفق عليها.⁽¹⁾ وتنقسم الودائع المصرفية إلى ثلاثة أنواع هي كالتالي:

النوع الأول: الودائع الجارية (الودائع تحت الطلب):

هي التي يتم فيها الإيداع أو السحب دون قيد أو شرط،⁽²⁾ فهي المبالغ التي يودعها أصحابها لدى البنوك وتكون حاضرة للتداول وتحت طلب العاملين في أي لحظة أرادوها.

إن الودائع الجارية في المصارف الإسلامية، تأخذ حكم القرض ويجري عليها ما يجري على القرض، من الضمان ورد المثل، لذلك لا تحل الفوائد التي تدفعها البنوك وصناديق التوفير لو اضعي أموالهم فيها، بل تعتبرها محرماً، فهي تكيف على أنها قرض، فمجرد إطلاق اسم الوديعة عليها لا يغير من حقيقة الحكم، لأن العبرة للمعاني لا للألفاظ. ويضمن البنك الإسلامي كامل قيمة الوديعة، كما يحق للمودع حرية سحب جزء أو كامل قيمة الوديعة متى شاء.

النوع الثاني: الودائع الادخارية (حسابات التوفير):

هي عبارة عن الودائع التي يضعها المودعون على المصرف، ففي المصارف الإسلامية تشارك هذه الودائع في الاستثمار وتوزع عليها الأرباح، وتشارك في الخسائر، حسب الرصيد غير المسحوب، أما في البنوك التقليدية فتدفع عليها فوائد.

وتعد الودائع الادخارية أحد أنواع الودائع لدى المصارف الإسلامية وتنقسم إلى نوعين:

أ_ الادخار مع التفويض بالاستثمار: وهي التي يفوض المصرف الإسلامي باستثمارها، وحينئذ يحسب لكل نصيب من الأرباح، وذلك من خلال العائد من الربح أو الخسارة.

ب_ الادخار دون التفويض بالاستثمار: وهذا النوع لا يستحق ربحاً وهو بذلك يكون مشابهاً لنظام الحساب الجاري. وقد رأى الفقهاء المؤتمرون بمؤتمر المصرف الإسلامي بدبي "عدم إعطاء أرباح على الودائع الادخارية باعتبارها عقد قرض، إلا في الحالة التي ينص فيها عند طلب فتح الحساب على أن المعاملة بين المودع والمصرف تأخذ حكم المضاربة".⁽³⁾

النوع الثالث: ودائع استثمارية:

(1). عوض علي، جمال الدين، 2008. عمليات البنوك من الوجهة القانونية، ط2، القاهرة: دار النهضة العربية، 30.
(2). صالح، رشيد صالح عبد الفتاح، 2000. البنوك الشاملة وتطوير دور الجهاز المصرفي المصري، ط1، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ص 209..
(3). العبادي، عبد الرحيم، 2003. موقف الشريعة من المصارف الإسلامية المعاصرة، ط1، بيروت: منشورات المكتبة العصرية، ص 201.

هي الأموال التي يودعها أصحابها لدى البنوك الإسلامية، بهدف الحصول على عائد نتيجة قيام البنك باستثمار تلك الأموال، حيث يتحمل أصحاب هذه الودائع مخاطر الاستثمار، وهي تأخذ صورة عقد المضاربة المشتركة بين المودعين والمصارف والربح غير محدد بمبلغ معين.⁽¹⁾

ويقبل المصرف الإسلامي الودائع المصرفية لا على أساس أنها قروض مضمونة، وإنما يقبلها على أساس الاستثمار، فهو يقوم باستثمار أموال المودعين بنفسه، أو عن طريق المتعاملين معه بتمويله لعملياتهم الاستثمارية، فإذا قام المصرف بتمويل مشروعات المتعاملين فهو في هذه الحالة رب للمال، والمتعاملين هم المضاربين ويسمى ذلك استثماراً غير مباشر، وفي حالة قيام المصرف باستثمار الأموال بنفسه فهو في هذه الحالة مضارباً والمودعين هم أرباب الأموال وذلك طبقاً لعقد المضاربة بينهم، ويسمى الاستثمار حينئذ استثماراً مباشراً، لأن الاستثمار المباشر هو الاستثمار الذي يمتلك بموجبه المصرف الإسلامي المشروع الذي يقوم بتأسيسه وإدارته.

ويمكن تلخيص الفرق بين الحسابات الاستثمارية في البنوك الإسلامية والبنوك التقليدية في الجدول الآتي:

الجدول رقم 1: الفرق بين الحسابات الاستثمارية في البنوك الإسلامية والبنوك التقليدية

وجه الاختلاف	الودائع الاستثمارية في البنوك الإسلامية	الودائع الاستثمارية في البنوك التقليدية
ملكية الوديعة	تستمر ملكية المودع لأمواله مما يحمله مخاطر استثمارها ويجعل من حقه المشاركة في الأرباح	تنتقل ملكية المال من المودع إلى البنك، وبالتالي فإن المال يصبح ديناً في ذمة المصرف مما يحرم دفع أية زيادة للمودع
الأرباح أو الخسائر	يتحمل المودع الخسائر بنسبة مساهمته في رأس مال المضاربة في حال تحقيق خسائر ويأخذ حصته المتفق عليها من الأرباح في حالة تحقيق أرباح	لا يتحمل المودع أي خسائر في حال حدوثها ولا علاقة له بأرباح استثمار أمواله بل له عائد محدد سلفاً بغض النظر عن نتائج استثمار ماله
نوع العقد	عقد مضاربة جائز شرعاً	عقد إجارة على النقد غير جائز شرعاً (عقد ربوي)
ضمان العائد	العائد غير مضمون بالنسبة للمودع وغير محدد فله فقط حصة شائعة من الربح الذي يتحقق أو يتحمل الخسارة في حال حدوثها	العائد مضمون بالنسبة للمودع ومحدد سلفاً بغض النظر عن نتائج أعمال البنك الربوي

المصدر: الموسوي، حيدر يونس، 2013. المصارف الإسلامية أداؤها المالي وأثرها في سوق الأوراق المالية، ط 1، عمان: دار اليازوري للنشر والتوزيع، ص 41.

2_ صناديق الاستثمار:

تعتبر صناديق الاستثمار أحد مصادر الأموال في البنوك الإسلامية، حيث تمثل أوعية استثمارية تلبى احتياجات ومتطلبات المودعين من استثمار أموالهم بما يحقق لهم عوائد مجزية، وينشأ المصرف الإسلامي لهذا الغرض صندوقاً يطرحه للاكتتاب العام على المستثمرين، ويأخذ البنك نسبة شائعة في الربح مقابل إدارته للصندوق.

(1). الموسوي، حيدر يونس، 2013. المصارف الإسلامية أداؤها المالي وأثرها في سوق الأوراق المالية، ط 1، عمان: دار اليازوري للنشر والتوزيع، ص 41-42.

3_ دفاتر الادخار الإسلامية:

تعد دفاتر الادخار الإسلامية، أحد أنواع الودائع الادخارية بالمصارف الإسلامية، ويمكن سحب وإيداع هذه الدفاتر في أي وقت، ويتم صرف عائد ربح سنوي تحت حساب العائد وعلى أن تتم التسوية في نهاية العام.

4_ شهادات الودائع (شهادات الإيداع):

هي صكوك تصدرها مؤسسة مالية بفئات محددة، ولمدة زمنية محددة، تستحق عائدا يدفع سنويا وفق ما يتحقق من أرباح للمؤسسة المالية والتي قد تكون بنكا، ويتعين أن يتحدد في الشهادات نصيب المؤسسة المالية كمضارب في أموال الشهادات، حيث يكون وزن هذه الشهادات في العائد أعلى من وزن حسابات الاستثمار، ويزداد تبعا لزيادة فترة الشهادة، حتى يكون ذلك دافعا للإيداع لفترات أطول.⁽¹⁾

وتعتبر شهادات الإيداع أحد مصادر الأموال متوسطة الأجل في المصارف الإسلامية، ويتم إصدار تلك الشهادات بفئات مختلفة، تناسب مختلف شرائح المجتمع وتحفيز الأفراد على اقتنائها، كما يقوم البنك بتحديد مدة الشهادة من 6 أشهر إلى 5 سنوات.⁽²⁾

الخاتمة:

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج من أهمها ما يلي:

- _ المصادر الداخلية (الذاتية) في المصارف الإسلامية، تتمثل في رأس المال، والاحتياطات، والأرباح المحتجزة.
- _ المصادر الخارجية في المصارف الإسلامية، تتمثل في الودائع الاستثمارية والحسابات الجارية والصناديق الاستثمارية.
- _ تشابه المصارف الإسلامية والمصارف التقليدية، من حيث شكل مصادر الأموال في كل منهما، لأن كلاهما مؤسسة مالية، هدفها الرئيسي جمع الودائع وجذب المدخرات.
- _ الفرق الجوهرية بين المصارف الإسلامية والتقليدية يتركز في طريقة استخدام الأموال في المصارف الإسلامية، عن استخدامها في البنوك التقليدية، وكذلك في تحديد الأهمية النسبية لكل مصدر من مصادر التمويل، فنجد المصارف التقليدية تعتبر الودائع الجارية فيها من أهم مصادر الأموال الخارجية، بينما المصارف الإسلامية تعتبر الودائع الاستثمارية أهم مصادرها الخارجية.
- _ التمويل الإسلامي يقوم على مبدأ المشاركة في الربح والخسارة، بينما التمويل التقليدي يقوم على الفائدة الثابتة.

قائمة المراجع

- إرشيد، محمد عبد الكريم، 2001. الشامل في معاملات وعمليات المصارف الإسلامية، ط1، عمان: دار النفائس للنشر والتوزيع.
- بوجلال، محمد، 1990. المصارف الإسلامية: مفهومها، نشأتها، تطورها مع دراسة ميدانية على مصرف الإسلامي، ط1، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- برايج، بلال، 2018. قياس استقرار الأداء المالي للبنوك الإسلامية في ظل الأزمة المالية العالمية لسنة 2008، أطروحة دكتوراه في العلوم الاقتصادية غير منشورة، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر.

(1)النجار، أحمد عبد العزيز، المدخل إلى النظرية الاقتصادية في المنهج الإسلامي، ط2، بيروت: دار الفكر للنشر والتوزيع، ص51.

(2)الشمرى، صادق راشد، 2008. أساسيات الصناعات المصرفية الإسلامية (أنشطة التطورات المستقبلية)، ط1، عمان: دار اليازوري للنشر والتوزيع، ص48.

- الخضري، محسن أحمد، 2008. البنوك الإسلامية، ط 1، القاهرة: إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع.
- خصاونة، أحمد سليمان، 2008، المصارف الإسلامية، مقررات لجنة بازل - تحديات العولمة (استراتيجية مواجهتها)، ط 1، عمان: دار الكتاب العالمي للنشر.
- الرازي، محمد بن أبي بكر، 2008. مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر بك، ط 3، بيروت: دار الكتاب العربي.
- الراوي، خالد وهيب، 2001. إدارة العمليات المصرفية، ط 1، عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع.
- الزحيلي، محمد وهبة، 2006. المصارف الإسلامية، ط 3، دمشق: دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع.
- المصري، رفيق يونس، 2001. النظام المصرفي الإسلامي (دراسة شرعية)، ط 1، دمشق: دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع.
- المكاوي، محمود محمد، 2009. البنوك الإسلامية: النشأة - التمويل - التطوير، ط 1، القاهرة: المكتبة العصرية للنشر والتوزيع.
- الموسوي، حيدر يونس، 2013. المصارف الإسلامية أداؤها المالي وأثرها في سوق الأوراق المالية، ط 1، عمان: دار اليازوري للنشر والتوزيع.
- مكية، محمود عدنان، 2002. الفائدة موقعها بين التشريع والشرعية وتأثيرها في الحياة الاقتصادية، ط 1، بيروت: منشورات الحلبي الحقوقية.
- النجار، أحمد عبد العزيز، المدخل إلى النظرية الاقتصادية في المنهج الإسلامي، ط 2، بيروت: دار الفكر للنشر والتوزيع.
- ناصر، الغريب، 2006. أصول المصرفية الإسلامية وقضايا التشغيل، ط 1، القاهرة: دار أبو اللو للطباعة والنشر والتوزيع.
- صوان، محمود حسن، 2001. أساسيات العمل المصرفي في الإسلام دراسة تحليلية مع ملحق الفتاوى الشرعية، ط 1، عمان: دار وائل للنشر والتوزيع.
- عيد عادل، عبد الفضيل، الربح والخسارة في معاملات المصارف الإسلامية (دراسة مقارنة)، ط 1، الاسكندرية: دار الفكر الجامعي.
- عوض علي، جمال الدين، 2008. عمليات البنوك من الوجهة القانونية، ط 2، القاهرة: دار النهضة العربية.
- صالح، رشيد صالح عبد الفتاح، 2000. البنوك الشاملة وتطوير دور الجهاز المصرفي المصري، ط 1، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- العبادي، عبد الرحيم، 2003. موقف الشريعة من المصارف الإسلامية المعاصرة، ط 1، بيروت: منشورات المكتبة العصرية.
- سحنون، محمود، 2010. اقتصاد نقدي ومصرفي، ط 1، قسنطينة: دار بهاء الدين للنشر والتوزيع.
- شيخون، محمد، 2002. المصارف الإسلامية: دراسة في تقويم المشروعات الدينية والدور الاقتصادي والسياسي، ط 2، عمان: دار وائل للنشر والتوزيع.
- الشمري، صادق راشد، 2008. أساسيات الصناعات المصرفية الإسلامية (أنشطة التطلعات المستقبلية)، ط 1، عمان: دار اليازوري للنشر والتوزيع.

رحلة شيخ القراء سيدي عبد الله بن أبي بكر التنواجيوي ومكانتها في تاريخ التواصل العلمي بين موريتانيا والمغرب الأقصى

الشيخ إبراهيم آكيه

دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر

جامعة محمد الخامس بالرباط

كلمات مفتاحية: رحلة حجية، التواصل الثقافي، شيخ القراء التنواجيوي، المغرب الأقصى، بلاد شنقيط، الاسانيد القرآنية

ملخص البحث

يتناول هذا البحث دور عالم شنقيطي شكلت رحلته الحجية والعلمية جسر تواصل ثقافي بين بلاد شنقيط والمغرب الأقصى خلال الربع الأول من القرن الثاني عشر هجري، وعم تأثيره الثقافي أرجاء واسعة من غرب الصحراء وبلاد السودان، كما يحاول البحث إزالة الغموض الذي يكتنف مسار هذه الرحلة نتيجة لشح المعلومات المتوفرة عنها في المصادر، وذلك باستنطاق بعض الإشارات التاريخية الواردة في بعض المصادر حولها، ومقارنة تلك المعلومات ومحاولة استنتاج مسارات الرحلة ومحطاتها البارزة من خلال تلك المقارنات بين الروايات ودمج بعضها ببعض.

تقديم

ترتبط موريتانيا بعلاقات متشابكة مع المغرب الأقصى وهي علاقات متعددة الأبعاد والمجالات، ثقافية، وسياسية، واقتصادية واجتماعية، ولكل مجال من هذه المجالات شخصيات صنعت بعد تلك العلاقة ومكنت لها في ذاكرة التاريخ، ومن الشخصيات التي حفظت لنا المصادر دورها في مجال العلاقات الثقافية بين البلدين، شيخ قراء القطر الشنقيطي سيدي عبد الله بن أبي بكر التنواجيوي ت 1145 هـ الذي استقر في منطقة الجنوب المغربي عند مقفله من الحج مع بداية القرن الثاني عشر ولازم العلامة وحيد دهره وفريد عصره سيدي أحمد الحبيب اللمطي السجلماسي، وأخذ عنه علما وافرا وأجازه في عديد المجالات العلمية، فعليه أخذ إجازته في القرآن التي انتشرت في عموم منطقة الصحراء والساحل، كما أجازه إجازة في التصوف خاصة الفرع الناصري من الطريقة الشاذلية، وسنتطرق في حديثنا عن هذا العالم ورحلته ودوره الثقافي في التواصل بين بلاد المغرب الأقصى وبلاد شنقيط عبر نقاط عدة تجيب عن الأسئلة التالية:

متى انطلق التنواجيوي في رحلته؟ وماهي أهم محطاتها؟ كيف كانت الأوضاع السياسية لبلاد شنقيط في عصره؟ وكيف كانت علاقاته بأعيان المغرب الأقصى في عصره؟ وماهي أبرز أوجه تأثيره في الساحة الثقافية؟ وماهي مكانة الرجل العلمية والثقافية بناء على أقوال معاصريه وتلامذته ومن إهتم بترائيه من العلماء والباحثين؟ ثم من هم أبرز تلامذته والآخذين عنه؟

1- مسار الرحلة ومحطاتها:

لا تعطينا المصادر تفاصيل دقيقة حول مسار رحلة التنواجيوي، ولكننا إذا قمنا بمقارنة بعض الإشارات الواردة في هذه المصادر حول الرجل ورحلته يمكننا أن نخرج بتصورات هامة حول بداية انطلاقه وأبرز محطات الرحلة والتاريخ التقريبي إن لم يكن الدقيق لرجوعه منها إلى بلاد شنقيط، خاصة أن المصادر تجمع على تاريخ الوفاة

وهو 1145هـ⁽¹⁾ ، وبالتالي فإن هذا التاريخ يمكن الاستعانة به للقيام بحسابات شبه دقيقة توصلنا لتواريخ تقريبية لمسارات الرحلة وأهم محطاتها ، فمثلا حينما يزودنا سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم بمعلومات عن أهم محطات هذه الرحلة فإننا يمكن من خلال ما زودنا به أن نبني تصورا عن محطات الرحلة ومسارها وتحديد تواريخ جديدة تتعلق بها تنضاف إلى تاريخ الوفاة الذي تواترت عليه المصادر ، يقول سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم بهذا الخصوص " أقام سنتان بشنقيط يأخذ أهلها عنه القراءة عن مهارة وتحقيق وإمعان نظروا تدقيق ، ثم رحل إلى أهله تنواجيو ، وأقام 18 عاما ينشر العلوم ، لكن الغالب عليه نشر القرآن ، حتى صار يقول " نحن قرآنيون " وقد بلغني أنه أقام في طلب العلم بين المغرب والمشرق ثلاثين سنة"⁽²⁾

انطلاقا من هذه المعطيات الواردة في هذه الفقرة يمكننا القول بأن تاريخ العودة من الرحلة كان في حدود سنة 1125هـ ، بحكم أن مجموع السنوات التي قضاها في التدريس سواء في شنقيط أو في مضارب قبيلته البدوية هو 20 سنة ، وإذا نقصنا عشرين سنة من تاريخ الوفاة 1145هـ يكون تاريخ العودة الدقيق هو سنة 1125هـ ، وبناء على هذا التاريخ أيضا يمكننا التوصل إلى تاريخ آخر من خلال استغلال جزء من المعلومات الواردة في هذه الفقرة لسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم فإخباره لنا أن مسار الرحلة مشرقا ومغربا كان في حدود 30 سنة نتوصل بسهولة بناء على المعطيات السابقة إلى التاريخ التقريبي للمغادرة فإذا نقصنا ثلاثين سنة من تاريخ العودة 1125هـ نحصل على تاريخ جديد وهو 1095هـ بوصفه هو تاريخ المغادرة ، كما يوضح كلام ابن الحاج إبراهيم السابق أن للرحلة مسارين مسار مشرقى ومسار مغربي ، وإذا أضفنا لذلك إشارات مصدرية أخرى تشير إلى فترة مقامه مع شيخه والتي قدرتها المصادر بعشرين سنة⁽³⁾ فإن مسار الرحلة المشرقي انطلاقا من هذا يكون في حدود عشرين سنة أي من سنة 1095هـ وحتى سنة 1105هـ ، كما تجدر الإشارة أيضا إلى أن التاريخ التقريبي الذي توصلنا إليه للرحلة وهو سنة 1095هـ تتأكد منطقيته ووجهته من أوجه أخرى منها أن المصادر التاريخية تتحدث عن تنظيم الزاوية الناصرية لركب حج انطلق من المغرب باتجاه الديار المقدسة في حدود سنة 1096هـ أي بعد سنة واحدة من تاريخ انطلاق الشيخ في رحلته من شنقيط فهل يكون الشيخ بذلك قد التحق بهذا الركب وحج معه وأمضى عشرين سنوات بين الحجاز ومصر حاجا ومتعلما ؟

قد يكون هذا الأمر واردة خاصة أن نفس التساؤل ونفس التصور توصل إليه أحد الباحثين وهو الدكتور حماد الله بن السالم⁽⁴⁾ الذي تساءل هل رجع التنواجيو من رحلته مع ركب الحج المغربي.

2- الظروف السياسية في بلاد شنقيط إبان عودة التنواجيو:

تصادف رجوع شيخ القراء من تلك الرحلة في حدود سنة 1125هـ مع حدث بارز عرفته بلاد شنقيط وهو بروز أولاد أمبارك كقوة صاعدة استطاعت أن تحسم التفوق في منطقة الحوض بعد الانتصار على المجموعات التي كانت مسيطرة فيه كأولاد بوفايده وغيرهم ، فقد كان أولاد أمبارك قد انهوا لتوهم معركة كساري ضد أولاد بوفايده وذلك سنة 1124هـ ويبدو أن مشايخ الطريقة الناصرية خاصة تلامذة أحمد الحبيب اللمطي السجلماسي من المنطقة وعلى رأسهم التنواجيو قد انتهزوا فرصة هذا المشروع السياسي الجديد فعقدوا تحالفا مع أمراء أولاد أمبارك في خطوة تذكرنا بنفس مافعله تلامذة وجاج بن زلو اللمطي أيام قيام دولة المرابطين ، وقد استفادت إمارة

(1) - أشار الدكتور سيدي أحمد ابن الأمير لهذا الإجماع في تحقيقه لكتاب حوادث السنين وذلك عند ذكر المؤلف لحوادث سنة 1145هـ والتي أشار إلى وفاة التنواجيو فيها مبينا أنه نقل ذلك من عدة كتب حوليات أهمها: تاريخ ولاته، وتاريخ ولد اطوير الجنة، وتاريخ الشيخ أعمر، وتاريخ تجكجه،

انظر: كتاب حوادث السنين، لمؤلفه المختار بن حامد، تحقيق سيدي أحمد بن أحمد سالم، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الطبعة الأولى، أبو ظبي، 2011، صص 109-110

(2) - أحمد كوري بن يابه السالكي ، دراسة وتحقيق كتاب : النقل الموسوم بتبيين ماخالف فيه الحاج المرحوم ، لمؤلفه أبي محمد سيدي عبد الله بن أبي بكر التنواجيو ، الطبعة الأولى، 2019 ص 31

(3) - هناك بعض وثائق النسب الموجودة عند مجتمعه ورد فيها أنه لازم شيخه اللمطي عشرين سنة

(4) - حماد الله ولد السالم، موريتانيا في الذاكرة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت 2005، ص 97

أولاد امبارك من جهود هؤلاء العلماء في إطار نشر الثقافة العربية الإسلامية وتأسيس المحاضر القرآنية البدوية بكثرة في مجال الإمارة.

3- العلاقات السياسية والاقتصادية بين المغرب الأقصى وبلاد شنقيط في تلك الفترة

لا يمكن أن يغيب عن أذهاننا أيضا أن شيخ القراء كان معاصرا للسلطان العلوي المولى إسماعيل ويبدو جليا أن علاقته بالسلطان إن لم تكن المصادر تحدث عنها وذكرتها إلا أن قرائن الأحوال تقول أنه بلا شك قد ربطته بالسلطان علاقات وطيدة بحكم اهتمام السلطان بصحراء شنقيط وبأعيانها من الأمراء والعلماء خاصة مجال شيخ القراء الجغرافي الذي تذكر المصادر أن المولى إسماعيل اعترف بسلطة أهل بهدل فيه، خاصة السلطان بهدل وابنه هنون اللذين أسسا سلطتهم في باغنه وأجزاء من الحوض، وتشير المصادر⁽¹⁾ إلى أن ميناء الصويرة كان يشكل ميناء انطلاق تجار المغرب الأقصى باتجاه مراكز التجارة في المجال لمباركي كما يحدثنا بذلك مونكو ابارك في رحلته المشهورة.

ويبدو أن الزاوية الناصرية شكلت نقطة الوصل بين شيخ القراء والعديد من الشخصيات السياسية والدينية بالمغرب الأقصى، خاصة سلاطين الدولة العلوية وهي علاقة يبدو أنها بقيت في خلف أعيان مجتمع التنواجيوي حيث تزودنا رسالة الشيخ سيدي المختار الكنتي إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الله ت 1204هـ⁽²⁾ في شأن تولية الحيوني باسم أحد أعيان تنواجيوي يدعى ابابكر التنواجيوي يبدو من كلام الكنتي أنه شخص مقرب من السلطان ومؤتمن على رسائله إلى أعيان المجال الصحراوي ومن ضمنهم الكنتي.

4- أقوال العلماء والمؤرخين في الرحلة وصاحبها

عودة إلى رحلة التنواجيوي المذكورة فإن قلة من العلماء والمؤرخين اعتنوا بها وبتأثيرها وذلك لغياب معلومات وفيرة عنها لأنها ليست من الرحلات المدونة وممن نبه إليها وإلى أهميتها من المؤرخين الدكتور دود ولد عبد الله⁽³⁾ الذي يرى أن التنواجيوي "يعتبر ممن أثرت الرحلة في مسارهم الفكري ورجعوا بدعوات أضافت جديدا إلى الساحة الفكرية في المنطقة" كما يعتبر أن التنواجيوي صاحب هذه الرحلة قد جاء بطريقة جديدة في التجويد والضبط لاقت صدى واسعا في بلاد شنقيط⁽⁴⁾.

ويقول عنها حماد الله بن السالم⁽⁵⁾ متسائلا هل رجع التنواجيوي من رحلته الحجية تلك ضمن ركب الحج المغربي؟ "في القرن الثاني عشر الهجري 18 م نجد شيخ القراء في زمانه عبد الله بن أبي بكر التنواجيوي يرحل إلى الحج وفي طريق عودته يمر بسجلماصة فيلقى عالمها سيدي أحمد الحبيب اللمطي ويتلقى عنه القراءات السبع ونقل عنه على وجه خاص مسألة القراءة بالجييم الشديدة التي سيكون التنواجيوي ناشر سندها في الصحراء والممكن له فيها... وبذلك ساهم الحج والركب الشنقيطي المار من سجلماصة في نقل أهم أثر في علوم القراءات إلى بلاد شنقيط".

- (1) - ورد ذلك في رحلة مونكو ابارك عند حديثه عن بنوعم أيام سجنه فيها من قبل السلطان اعل بن أعمرين هنون بن بهدل حيث ذكر اسم تاجر يدعى مورا عبد الله قال إنه قدم إلى بنوعم من جبل طارق مروراً بميناء الصويرة ثم تشيت وأعطى بعض التفاصيل عن المدة الزمنية للقوافل وطرقها بين الميناء المذكور ومجال أولاد أمبارك
- (2) - الشيخ سيدي المختار الكنتي الكبير، رفض الركون لولاية الحيوني، رسالة إلى السلطان المغربي محمد بن عبد الله، تحقيق سيد أحمد أحمد جد، دار قوافل للنشر، الطبعة الأولى، مطبعة توب ابريس الرباط، 2017، ص 27
- (3) - دودود بن عبد الله، الفقيه والمجتمع في الحواضر الصحراوية محمد يحيى الفقيه ومجتمع ولاته نموذجاً، مقال نشر على الشبكة بتاريخ: 2014/01/12 عبر الرابط: <https://saharamedias.net/11729/>
- (4) - عبد الودود ولد عبد الله (دودود)، الحركة الفكرية في بلاد شنقيط حتى نهاية القرن الثاني عشر 18 م، مركز الدراسات الصحراوية، الطبعة الأولى، دارابي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2015، ص 168
- (5) - حماد الله ولد السالم، موريتانيا في الذاكرة العربية، مرجع سابق، ص 97

ويقول أقدم صاحب ترجمة للتوناجيوي وهو أبي عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر البرتلي الولاتي⁽¹⁾ مؤلف كتاب فتح الشكور في تراجم أعيان علماء التكرور: " هو الشيخ الأمام الفقيه المقرئ النحوي اللغوي المتفنن العالم العلامة وحيد دهره وفريد عصره حامل لواء السبع أبو محمد سيدي عبد الله بن أبي بكر التوناجيوي رحمه الله تعالى، كان رحمه الله تعالى أحد الأعلام المشهورين، والائمة المذكورين جد في طلب العلم وبلغ الغاية القصوى وأتى بخزانة نفيسة ووجد الناس يلحنون في القراءة ويصحفون في الحروف، فأزال اللحن والتصحيف عنهم ولاسيما مسألة الجيم المشهورة، وصحح القرآن وجوده وقصده الناس وأنتفعوا به، وأنتفع به خلق كثير فصاروا أئمة يقتدى بهم".

ويقول الطالب أبي بكر بن محمد بن اجبير العلوشي في تقرير على رسالة الجيم للتوناجيوي⁽²⁾: " الحمد لله الذي أودعنا الفصاحة في لسان المقال ، وأنقذنا بفضل كلمة الحق من غي الضلال ، المنعم علينا بهداية الإسلام ، وتبيين الحلال الطيب من الحرام ، ومن نعمه علينا مجيئ الهمام ، الجامع بين المعقول والمنقول، سيدي عبد الله بن أبي بكر التوناجيوي الصحيح الدراية والنقول ، الذي أظهر لنا صفة حرف الجيم الشديدة، بعد طول اللحن القبيح ، كما أن دأبه تبيين معضل غامض بأشقى نقل صحيح ، الصادق عليه الإكرام من قولهم (عند الامتحان يكرم المرء أو يهان) جزاه الله عنا وعن جميع المسلمين لنفعا العام لهم بالإحسان"

ويقول عنه سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي ت 1233هـ⁽³⁾ في رفع الخفاء عن منع ابدال الهمزة بالهاء وطرده الدخيل عن حروف التنزيل: " أقام بشنقيط سنتين يأخذ أهلها عنه القراءة عن مهارة وتحقيق وإمعان نظر وتدقيق ، ثم رحل إلى أهله تنواجيو ، وأقام 18 عاما ينشر العلوم ، لكن الغالب عليه نشر القرآن ، ، حتى صار يقول " نحن قرآنيون" وقد بلغني أنه أقام في طلب العلم بين المغرب والمشرق ثلاثين سنة"

ويقول عنه الشيخ سيدي الكبير ت 1285هـ⁽⁴⁾ ما كان مؤخذا منها أي القراءة عن سيدي عبد الله بن أبي بكر التوناجيوي فهو صحيح لعدالته"

ويقول عنه الدنبجه بن معاوية في تأليفه واضح البرهان في تراجم أشياخي في القرآن⁽⁵⁾:

" هذه الرواية التي كان يقرأ بها التوناجيوي ظهرت شمسها في البلاد الموريتانية، نشرها حرمه بن عبد الجليل في بلاد الكبله من موريتانيا، وأحمد بن بده بعده، وجيمها الشديدة هي العامة الفاشية الآن في مقارئ البلاد الإسلامية"

ويقول عنه فضيلة الشيخ محمد محفوظ ولد محمد الأمين في مؤلفه نشر الفضيلة في تاريخ القبيلة⁽⁶⁾: " اشتغل بجمع وتحصيل الكتب بالشراء والنسخ حتى جمع خزانة فريدة في جميع العلوم الشرعية، وقد كانت خزائنه تعد أهم نواة للخزانة العامة الفريدة التي كانت متداولة عند قبيلة تنواجيو سواء فيما يتعلق بعلوم القرآن ، أو الحديث أو الفقه، أو النحو أو غير ذلك، وقد ضاعت أكثر أصول تلك الخزانات ولما رجع إلى أرض الحوض كان مثار إعجاب أهل البلد فتوجه نحوه الطلبة من كل حذب وصوب طلبا للإرتواء من معارفه، فجلس يعلم تلك العلوم التي تخرج فيها

ويقول عنه محمد المختار ولد أباه في كتابه تاريخ القراءات في المشرق والمغرب⁽⁷⁾: " إن تأسيس مدارس قرآنية لم يتم في شكل منتظم ومتواصل إلا بعد رجوع التوناجيوي من تافلات، ومنذ ذلك العهد انطلقت حركة نشاط تدريس هذا العلم وازدهرت في عدة مناطق من شرق اقليم شنقيط"

(1) - أبي عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني

ومحمد حجي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، 2007، صص 208-209

(2) - أحمد كوري بن يابه السالكي، مرجع سابق، ص 26

(3) - نفس المرجع السابق، ص 31

(4) - نفس المرجع السابق، صص 31-32

(5) - الدنبجه بن معاوية، واضح البرهان في تراجم أشياخي في القرآن، تحقيق وإعداد زين العابدين ولد المصطفى، رسالة تخرج من المعهد العالي

للدراستات والبحوث الإسلامية، السنة الجامعية 2002-2003، صص 16-23

(6) - محمد محفوظ ولد محمد الأمين ولد السعيد، نشر الفضيلة في تاريخ القبيلة، كتاب غير منشور (نسخة PDF بحوزتنا) صص 42-45

(7) - محمد المختار ولد أباه، تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الطبعة الثانية، 2004،

ويقول عنه يحيى بن البراء في جزء التراجم من موسوعته المجموعة الكبرى للفتاوي⁽¹⁾: "يعد من أوائل العلماء الذين نشروا سند الفرع الناصري من الطريقة الشاذلية"
ويقول عنه أحمد كوري بن يابه السالكي في مقدمة تحقيق كتاب النقل الموسوم بتبيين ماخالف فيه الحاج المرحوم⁽²⁾: "إذا استحضرنّا شهادات المختصين عن المكانة التي وصل إليها الشناقطة في علمي الرسم والضبط، سندرك فضل الإمام التنواجيوي ونجاحه في غرس هذين العلمين في هذه التربة حتى اثمرت شجرتيها الطيبة.

5- مكانة الرحلة بين الرحلات الحجية والعلمية الشنقيطية:

تقاس مكانة أي رحلة علمية بمستوى تأثير صاحبها العلمي بعد رجوعه منها وكذلك بمستوى ما استفادة صاحبها منها بالمقارنة على ما كان عليه قبل إعمالها، وبالنظر إلى هذين الجانبين نفهم أن رحلة التنواجيوي كانت من الرحلات الحجية ذات الطابع العلمي الحاسم في التطور الفكري لصاحبها حيث غيرت من المستوى العلمي له بحكم ما جاء به من أسانيد علمية في مجالات علمية عدة أبرزها القرآن وعلومه والتصوف وعلومه، وهذه الاستفادة العلمية ومستواها العالي جاءا مضمينين في ترجمة صاحب الفتح له عباراته الشهيرة حيث يقول: "جد في طلب العلم فبلغ الغاية القصوى"

وتتميز هذه الرحلة أيضا بين الرحلات بعدد سنواتها فقد أمضى صاحبها مرتحلا ثلاثة عقود من الزمن عقد منها مشرقا وعقدين في بلاد المغرب فجمع فيها علوم الناحيتين وتأثر بالرافدين الثقافيين المشرقي والمغربي. لذلك لم يكن مستغربا أن يعرف الرجل طريقه إلى التأثير عند عودته فجل المباحث التي تطرق لها كان مستوعبا فيها لما هو مشهور في الناحيتين

ولم تقتصر أدوات التأثير ولا مجالات تميز هذه الرحلة عند ما تقدم ذكره، بل إن صاحبها أيضا عاد منها ومعه خزانة كتب وصفها صاحب الفتح "بالنفيسة"⁽³⁾ بها ازدادت الساحة الثقافية والعلمية بالصحراء ثراء، ووجد أهل العلم ضالته فاستنسخوا منها نسخ مؤلفات كانت غائبة عنهم، وطالعوا كتب لم تتوفر لهم في السابق وعموما تعد هذه الرحلة حسب أبرز المؤرخين الذين اهتموا بتاريخ الرحلات⁽⁴⁾ إحدى أهم الرحلات الحجية والعلمية الشنقيطية التي كان لصاحبها تأثير واضح جاء بجديد حرك الساحة الثقافية وأنهى ركودها، وترتب على تحريكه لها نهضة علمية غيرت من واقع بعض القضايا العلمية مقارنة بما كان عليه الوضع سابقا فيما قبل الرحلة، وأشهر ما تم فيه التحول الثقافي بتأثير من صاحب هذه الرحلة هو مجال القراءات وعلم التجويد أي مجال القرآن وعلومه.

6- سنده القرآني وأبرز الآخذين عنه

يعد سند سيدي عبد الله بن أبي بكر التنواجيوي أهم الأسانيد القرآنية وأشهرها انتشارا في عموم غرب الصحراء، خاصة بلاد شنقيط، بل إنه السند المتصل الوحيد لدى الشناقطة اليوم في إجازاتهم القرآنية، وقد نشر هذا السند مجموعة من تلاميذ الشيخ حفظت لنا الإجازات القرآنية المتداولة في محاضر البلاد وعموم المنطقة أسماء أربعة منهم وهم:

- الطالب صالح التنواجيوي

- محمد بن مولود الغلاوي

(1) - يحيى ابن البراء، المجموعة الكبرى، الشاملة لفتاوي ونوازل وأحكام أهل غرب وجنوب غرب الصحراء، المجلد الثاني، الترجمة 333، صص 106-107

(2) - أحمد كوري ولد يابه السالكي، مرجع سابق، ص 37

(3) - فتح الشكور، مصدر سابق، ص 368

(4) - يمكن الرجوع بهذا الخصوص إلى دراسات الدكتور دود بن عبد الله التالية:

الحركة الفكرية في بلاد شنقيط حتى نهاية القرن الثاني عشر م، مركز الدراسات الصحراوية، الطبعة الأولى 2015، صص 167-168
ينظر أيضا: دود بن عبد الله، الفقيه والمجتمع في الحواضر الصحراوية، محمد يحيى الفقيه ومجتمع ولاته نموذجا، مجلة رفوف، مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا، جامعة آدرار الجزائر، العدد الثامن، ديسمبر 2015، ص 161

- سيدي محمد بن عبد الله بن بابا التنواجيوي
- الطالب أعمر المشهور بالكنزي
- وعن هؤلاء الأربعة انتشرت طرق سنده⁽¹⁾ ، مع العلم أن الآخذين عنه كانوا "خلقا كثيرا" حسب عبارة فتح الشكور وكان معظمهم أئمة يهتدى بعلمهم ، ذكر مؤلف الفتح منهم مشاهير من غير أصحاب طرق السند الأربعة وهم :
- المختار بن عمر بن الحاج الطيب
- الخضر بن الفقيه محمد بن الحاج عثمان
- الياس بن الفقيه محمد بن الحاج عثمان
- عمر بن محمد بوه الإدليبي
- سيدي أحمد بن موسى بن ايجل الزيدي

7- مؤلفاته وفتاويه:

يبدو من سيرة العلامة سيدي عبد الله بن أبي بكر التنواجيوي كما تروىها المصادر أنه اشتغل بالتدريس أكثر من أي نشاط علمي آخر وقد بين صاحب أقدم ترجمة له وهو مؤلف كتاب فتح الشكور ذلك قائلا : " وقصده الناس وانتفعوا به وانتفع به خلق كثير فصاروا أئمة يقتدى بهم جعل الله تعالى بفضل ذلك حسنات له وضيء في القبر ودرجات في الآخرة " (2)

ومع ذلك فقد ترك العلامة سيدي عبد الله لنا، أثارا علمية تتمثل في بعض المؤلفات والفتاوي والقوائد الشعرية والأنظام وذلك على النحو التالي:

- كتابه النقل الموسوم بتبيين ما خالف فيه الحاج المرحوم : ويتبين من مقدمة الكتاب أن مؤلفه قام بتأليفه إياه قاصدا به نقد ما جرى به العمل عند نساخ المصاحف في بلاد شنقيط متخذا من المصحف الذي نسخه الحاج المرحوم⁽³⁾ في شنقيط نموذجا للمصاحف التي لا تتفق مع بعض ضوابط الرسم وقواعده عند الإمام الداني في كتابه المقنع وتلميذه أبا داود في التنزيل والأستاذ أبا الحسن علي بن محمد المرادي البلسني صاحب المنصف والشاطبي في العقيلة
- أما عن موضوع هذا الكتاب فقد بينه الدكتور أحمد كوري في تحقيقه له قائلا أن الامام التنواجيوي بحث فيه خمسا وستين مسألة وأن تسعة وخمسون من هذه المسائل تتعلق بمسألة حذف الألف وإثباتها وثلاثة من هذه المسائل تتعلق أيضا برسم الهمزة، ويضيف الدكتور أحمد كوري أن خمس من هذه المسائل لم يخالف فيها التنواجيوي المرحوم فاتفقا على الإثبات فيها وسبع وأربعون ذهب فيها المرحوم الى الإثبات ورجح فيها التنواجيوي الحذف، وسبع ذهب فيها المرحوم الى الحذف ورجح فيها التنواجيوي الإثبات ، ويعقب الدكتور أحمد كوري قائلا أنه من خلال تفاصيل إحصاء هذه المسائل وموقف الاثنين فيها يتبين أن مذهب المرحوم هو ترجيح الإثبات بينما مذهب التنواجيوي هو ترجيح الحذف⁽⁴⁾

(1) - انظر: سيدي محمد ولد عبد الله، السند القرآني دراسة وتأصيل، السند الشنقيطي نموذجا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت 2011، صص 245-292

انظر أيضا: الشيخ إبراهيم آكيه، سيدي عبد الله بن أبي بكر التنواجيوي بين إخفاء الأثر وإهمال الباحثين، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، جامعة انواكشوط، العدد التاسع عشر، 2017، صص 65-72

(2) - فتح الشكور، مصدر سابق: ص 369

(3) - هو شخصية شنقيطية لا تقدم عنها المصادر الكثير ويبدو أنه كان من القراء الأوائل وتعد أهم الإشارات التي وردت عنه وعن هويته تلك التي ذكرها عنه ابن انبوجة في إفادة الأقران حيث ذكر أنه علوي شنقيطي ، أما الباحثون المعاصرون فقد اختلفت تحقيقاتهم حول نسبته وهويته فاعتبر محمد المختار ولد إياه في تاريخ القراءات أن اسمه أويس وأنه علوي شنقيطي فيما رجح أحمد كوري في مقدمة تحقيقه للمؤلف المذكور أنه ربما هو الحاج عبد الله بن محمد بن أحمد بن أويس القلاوي الشنقيطي وذلك استرشادا منه بالإشارات التي ذكرها الأستاذ محمد بن أحمد بن الشريف بوي التيشيتي

(4) - أحمد كوري، مقدمة تحقيق كتاب النقل الموسوم، مرجع سابق، ص 60

فتاويه:

لسيدي عبد الله بن ابي بكر فتاوي عدة يقول عنها مؤلف الفتح : " له فتاوي في الفقه تدل على وسع باعه وكثرة اطلاعه يدعم الجواب بالنصوص الصريحة والنقول المعتمدة " (1)

وهذه الفتاوي هي على نوعين فتاوي طويلة على شكل تأليف وأهمها:

- رسالة تبيين مخرج الجيم وصفته: وموضوع هذه الرسالة هو تصحيح النطق بحرف الجيم الذي كان ينطق به عند أغلب قراء الشناقطة في مرحلة ما قبل مجيء التنواجيوي رخوا أو متفشيا فأراد شيخ القراء من خلال تأليف هذه الرسالة أن يبين أن جميع القراء واللغويين قد نصوا على أنه حرف شديد ورجع في هذه الرسالة الى مؤلفات شيخه اللمطي وغيره من مشاهير القراء الذين سبقوه ولهم مؤلفات في هذا الموضوع ومطلع هذه الرسالة هو: " وبعد فالمقصود بهذا الكلام تبيين مخرج الجيم وصفته "

- النقل الصحيح السليم في الصفة والمخرج للجيم: وتعد هذه الرسالة أيضا ردا على بعض من خالفوه في صفة نطق الجيم وقد صدرها بقوله: " وبعد فلما ورد على كلام من بعض الإخوان على سبيل الشكوى أردت أن أضع عليه شرحا يدع ليل خفيه صباحا وسميته بالنقل الصحيح السليم في الصفة والمخرج للجيم "

وقد أورد الدكتور يحيى ابن البراء هاتين الفتويين في موسوعته المجموعة الكبرى لفتاوي غرب وجنوب غرب الصحراء

- مجموعة من الفتاوي المتفرقة أوردها العلامة ابي عبد الله محمد المصطفى بن سيدي أحمد بن عثمان الغلاوي الشريف السيداوي في كتابه العمل المشكور في جمع نوازل التكرور.

- قصيدة شعرية في مسألة الجيم أيضا ومطلعها:

عجبت لمن للجيم يعز وتفشيا ويأتي بتصميم به لم يجز نص

ويترك ما قال الثقات عن النبي أولئك من بالحق في الأزل اختصوا (2)

وبطبيعة الحال فإن ما قدمناه من مؤلفات ليس هو كل ما ألفه الرجل ولكن ضياع الأثر حرمانا من تقديم المزيد فجل آثاره فقدت وقد تحدث العلامة محمد محفوظ في ترجمته له في كتابه نشر الفضيلة في تاريخ القبيلة عن أهم أسباب اختفائها معتبرا أن معظم مؤلفات الشيخ ربما فقدت في الحروب القبلية التي كانت تحدث من حين لآخر حيث كانت المكتبات من بين أهم ما يتم استهدافه من قبل الخصوم خاصة في الصراعات ذات الطابع الفكري ، هذا بالإضافة إلى عامل البداوة وما تتعرض له مكتبات أهل البدو من عوامل الطبيعة المختلفة التي تتسبب في تلفها كالمطر والرياح وغير ذلك.

الخاتمة

وخلاصة للقول فإن الترجمة التي عقدها مؤلف كتاب فتح الشكور للتنواجيوي كفيلة بلفت انتباه الباحثين الي مكانة هذا الشيخ العلمية كرائد للنهضة الثقافية في منطقة غرب الصحراء وجوارها من السودان الغربي خلال النصف الأول من القرن الثاني عشر هجري، ففي هذه الترجمة اشارات مهمة تدل على أن له الفضل في انتشار الأسانيد القرآنية وعلم القراءات والتجويد في تلك الحقبة، وأنه لعب دورا كبيرا في تعميق هذه المعارف المتخصصة وغيرها لدي النخب العلمية في "موريتانيا" وجوارها جنوبا، كما لعب دورا بارزا في تعريب المنطقة، فكانت جهوده في مايعرف اصطلاحا بقضايا ملاحن القراء بمثابة دروس في الفصاحة والنطق السليم للغة العربية، وشكلت نوازله في هذا المجال ماثرا مهما لقضايا ومساجلات علمية وفكرية ولغوية اثرت الساحة الثقافية في المنطقة، وأسست للتعلم في علوم اللغة من نحو وبلاغة.

(1) - فتح الشكور، مصدر سابق، ص 369

(2) - بحوزتنا نسخة من هذه القصيدة زودنا بها مشكورا الدكتور محجوب بن بيه، وتوجد نسخة الأصل بإحدى مكتبات أسرهم الكريمة كما أخبرنا بذلك، وثبتت هذه القصيدة أنه وظف الخطاب الشعري في مساجلاته حول مسألة الجيم.

وانطلاقا مما سبق فإن رحلة التنواجيوي التي مكنته من لعب هذا الدور الثقافي الرائد تعد إحدى الرحلات العلمية الهامة التي وطدت العلاقة الثقافية بين موريتانيا والمغرب وشكلت أكثر المحطات أهمية في تاريخ التواصل العلمي والثقافي بين البلدين.

قائمة المصادر والمراجع:

- أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، 2007.
- حماد الله ولد السالم، موريتانيا في الذاكرة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت 2005.
- الدنبجة بن معاوية، واضح البرهان في تراجم أشياخي في القرآن، تحقيق وإعداد زين العابدين ولد المصطفى، رسالة تخرج من المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، السنة الجامعية 2002 - 2003.
- سيدي عبد الله بن أبي بكر التنواجيوي، النقل الموسوم بتبيين ما خالف فيه الحاج المرحوم، دراسة وتحقيق أحمد كوري بن يابه السالكي، الطبعة الأولى 2019.
- سيدي محمد ولد عبد الله، السند القرآني دراسة وتأسيس، السند الشنقيطي نموذجاً، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت 2011.
- الشيخ إبراهيم أكيد، سيدي عبد الله بن أبي بكر التنواجيوي بين اختفاء الأثر وإهمال الباحثين، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، جامعة انواكشوط، العدد التاسع عشر، 2017.
- الشيخ سيدي المختار الكنتي الكبير، رفض الركون لولاية الحيون، رسالة إلى السلطان المغربي محمد بن عبد الله، تحقيق سيد أحمد أحمد جد، دار قوافل للنشر، الطبعة الأولى، مطبعة توب ابريس الرباط 2017.
- عبد الودود بن عبد الله، الفقيه والمجتمع في الحواضر الصحراوية، محمد يحيى الفقيه ومجتمع ولايته نموذجاً، مجلة رفوف، مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا، جامعة آدرار الجزائر، العدد الثامن، ديسمبر 2015، ص 161.
- عبد الودود ولد عبد الله (ددود)، الحركة الفكرية في بلاد شنقيط حتى نهاية القرن الثاني عشر 18م، مركز الدراسات الصحراوية، الطبعة الأولى، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2015.
- محمد المختار ولد أباه، تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الطبعة الثانية، 2004.
- محمد محفوظ ولد محمد الأمين ولد السعيد، نشر الفضيلة في تاريخ القبيلة، كتاب غير منشور (نسخة PDF بحوزتنا).
- المختار ابن حامدن، كتاب حوادث السنين، تحقيق سيدي أحمد بن أحمد سالم، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الطبعة الأولى، أبو ظبي، 2011.
- مونكو ابارك، من رحلات المستكشفين خلال القرن الثامن عشر إلى الإمارات العربية في بلاد الصحراء " رحلة المستكشف الإنكليزي مونكو بارك إلى إمارة أولاد مبارك"، ترجمة محمد بن بوعلي، دار النشر جسور، انواكشوط 2012.
- يحيى ابن البراء، المجموعة الكبرى، الشاملة لفتاوي ونوازل وأحكام أهل غرب وجنوب غرب الصحراء، المجلد الثاني.

قراءة في الرحلات العلمية للشيخ محمد محمود ولد التلاميذ التركي الشنقيطي، وتقييداته على الكتاب المخطوط

محمد عبد الله ولد يحيى ولد المختار

درجة الماجستير في التراث وعلوم المخطوط وتحقيق النصوص - جمهورية مصر
طالب دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر - موريتانيا

الملخص

يسعى هذا المقال إلى التعريف بعلم من أعلام الشناقطة في المشرق ووجه بارز من وجوه اللغة في التاريخ، كان صيته يملأ الأفق في حله وترحاله، وكان المنتقي والمبعوث من لدن السلطان العثماني والمراد حضوره من لدن ملك السويد، وكان أستاذ اللغة العربية في الأزهر الشريف فضلا عن عمله في فهرسة المخطوطات وتأليفها ونسخها مع ترك الأثر والتقييد على ما يقع في يده وما حوته خزائنه. فيعرض المقال لمحطات من حياته ثم رحلته العلمية إلى المشرق وتركيا ثم أخيرا استقراره في مصر، كما يعرض المقال لخزائنه وتعداد الكتاب المخطوط داخلها ثم يخلص إلى دراسة واستعراض بعض من تقييداته على المخطوط، وباختصار فإن المقال يتلمس خطي رحلة محمد محمود ولد التلاميذ الشنقيطي العلمية في المشرق أولا ثم أثره على المخطوط تأليفا وتقييدا ونسخا.

الكلمات المفتاحية: الشيخ الشنقيطي، محمد محمود ولد التلاميذ، التركي، الرحلات العلمية، المخطوطات، التقييدات، المكتبات، الوقف، التملك، التصحيح.

المقدمة

إن المتتبع لتاريخ بلاد شنقيط ليدرك بجلاء تلك السمعة المعرفية التي عرف بها الشناقطة، حيث ارتبط اسمهم بمعرفة اللغة ونظم القوافي والتفقه في مسائل الدين، وهي سمعة نيلت بفضل علماء أجلاء برزوا في فنون المعرفة المختلفة، وتركوا أثارا علمية وحضارية مازالت البشرية تجني ثمارها وتستظل بظلالها، وكان من أبرز هؤلاء محمد محمود ولد التلاميذ التركي الذي كان من أبرز سفراء المعرفة الشنقيطية في المشرق العربي بما في ذلك الحجاز وبلاد الشام ومصر وتركيا، حيث ترك بعد رحيله مكتبة زاخرة بالمعرفة قدر لنا أن تكون لنا ممارسة بحثية عينية مباشرة على هذه المكتبة المحفوظة في دار الكتب المصرية بباب الخلق حيث يكاد لا يخلو مخطوط من مخطوطات هذه المكتبة من تقييد من تقييدات مالك هذه المكتبة التي تمثل بصدق جهوده العلمية والثقافية، جهود يمكن بيانها من خلال المحاور التالية:

المحور الأول : مولده ونشأته

أنا المغربي المشرقي حمية*أذب عن القطرين بالسيف والسهم

بسيف لسان يفلق الصخر غربه*وسهم بنان صائب ثغره المرمي

ولد العالم الشيخ محمد محمود بن أحمد بن محمد التركي الشنقيطي، المعروف بـ "ابن التلاميذ"، سنة 1232 هجرية / 1816 م في ضواحي "جونابه وأشرم" بمنطقتي لبراكه وتكانت في وسط موريتانيا وهو أحد أعلام اللغة والأدب في موريتانيا والعالم العربي. حيث كان كبار أساتذة اللغة العربية وآدابها في رحاب جامع الأزهر إن لم يكن الأول بلا منازع لسعت علمه باللغة، وقد لُقّب بـ "ابن التلاميذ" نسبةً إلى والده الذي كان يُدرّس مجموعة من التلاميذ في خيمة، فاشتهر بالشيخ التلاميذ، وورث الابن اللقب وبه عرفه الناس⁽¹⁾ وهو ينتمي إلى قبيلة تركزو هي قبيلة موريتانية مشهورة موزعة البطون بين منطقتي لبراكه واطرارزه.

(1) أحمد تيمور باشا، أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، دار الأفق العربية، طبع سنة 2002 م، ص 390

بدأ ابن التلاميذ حفظ القرآن في سن مبكرة وبعد اتمام حفظه يمم وجهه شطر أخذ مبادئ الفقه واللغة على والده وبعض أفراد أسرته لتكون تلك بدايته المعرفية والتحصيلية التي قادته إلى علماء ومشايخ أجلاء .
فمن شيوخه البارزين عبد الوهاب ابن أكتوشني المشهور بجدود بن أكتوشني العلوي المتوفي سنة 1872 م ، وهو من أعلام شنقيط في اللغة ومن علمائها البارزين ومن هذا الشيخ ترسخ لدي ولدي التلاميذ الباع المعرفي في اللغة والتمكن من ناصيتها وهو ما نلمسه في الهاجس اللغوي الذي ظل الشغل الشاغل لولد التلاميذ حيث كانت اللغة ميدان معاركه الدائم كما سجلت أغلب مساجلاته في الجانب اللغوي .
ومن بين العلماء الذين أخذ عنهم ابن الأعمش الجكني صاحب المحظرة الكبيرة في تيندوف بالجزائر⁽¹⁾ ، وهنا نورد أن ولد التلاميذ أخذ زاده المعرفي من بلاد شنقيط فقها وسنة ولغة وأدبا قبل أن يغادرها ، وهو إلى ما حصله من معارف وعلوم كونت قاعدته المعرفية كان شديد قوة العارضة منافحا عن آرائه ومعتقداته .
وبعد رحلة المعرفة والتعلم هذه يمم محمد محمود ولد التلاميذ وجهه صوب الديار المقدسة لمقصد أداء فريضة الحج وهو يومئذ في الخمسين من العمر.

المحور الثاني: رحلته العلمية

1- الرحلة الحجازية

توجه محمد محمود ولد التلاميذ التركي في تاريخ نجهله تحديدا وإن كان في الأغلب الأعم مطلع ثمانينيات القرن الهجري الثالث عشر أي العقد السابع من القرن التاسع عشر الميلادي إلى مكة المكرمة ليصل إليها محملا بزاد معرفي وعلمي دقيق لا يوازيه إلى ما أبان عنه من اهتمام بالعلوم المشرقية ونهم في مطالعتها والاستفادة منها وهو سيكون له الأثر البارز في باقي محطات حياة محمد محمود ولد التلاميذ .
وسبلا للأغوار ولفهم أكثر لمسار هذه الرحلة فإننا نتلمس بعضا من مسالكها من خلال ما دونه في كتابه الحماسة والذي دون فيه جانباً من أخباره وتفاصيل بعضا من معاركه فنستخلص منه مروره بالمغرب ومصر وغيرها من بلدان شمال إفريقيا.⁽²⁾

ولا نجد ذكرا لمقام له ولا لقاء مع علماء في رحلته هذه اللهم اذا استثنينا ما نجده من ذكر عند صاحب الوسيط وما ذكره من أخذ ابن التلاميذ عن العالم التيندوفي ابن بلعمش الجكني بالجزائر في أثناء سفره إلى البقاع الطاهرة ، ولعل العوامل وراء ذلك كثيرة نذكر منها كونه قد عقد العزم على الحج ومعلوم ما يصاحب ذلك من انعقاد من تشوق للوصول إليها ما يجعل النفس تذهب عن كل مطلب غير ما يساعد على الوصول تلك البلاد وزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وبعد أداء فريضة الحج اتصل محمد محمود ولد التلاميذ بأمرأ مكة وحكامها وذلك في العهد العثماني ومن بين هؤلاء الحكام والأمراء كانت له الحظوة الجليلة والعلاقة الوطيدة مع الأمير الشريف عبد الله باشا ، وعلى ذات المنوال نسج علاقات مع علماء الحجاز، سرعان ما تحولت هذه العلاقات إلى ما هو أقرب للبغضاء، مرده ذلك كله تخالف الأراء حول مسائل اللغة والدين فقد كان الشيخ كما اسلفنا حاد الطباع شديد الاعتداد برأيه.
وقد كان له اتصال وعلاقة بالشيخ عبد الجليل براده وذات الأمر كان له مع عكاشة اليميني غير أن ذلك كله سرعان إلى ما تحول إلى خلاف بين الشيخ ومختلف علماء بلاد الحجاز، أما خلافه البين فكان مع ناظر الوقف المغاربي وهو رئيس المالكية .

وقد كان سبب الخلاف مع ناظر الوقف قول الشيخ التركي بأحقية بتولي الوقف بحجة أنه أعلم منه ، كما كان يخطئ الشيخ على الظاهر الوتري في شرحه لصحيح البخاري بالمسجد النبوي .

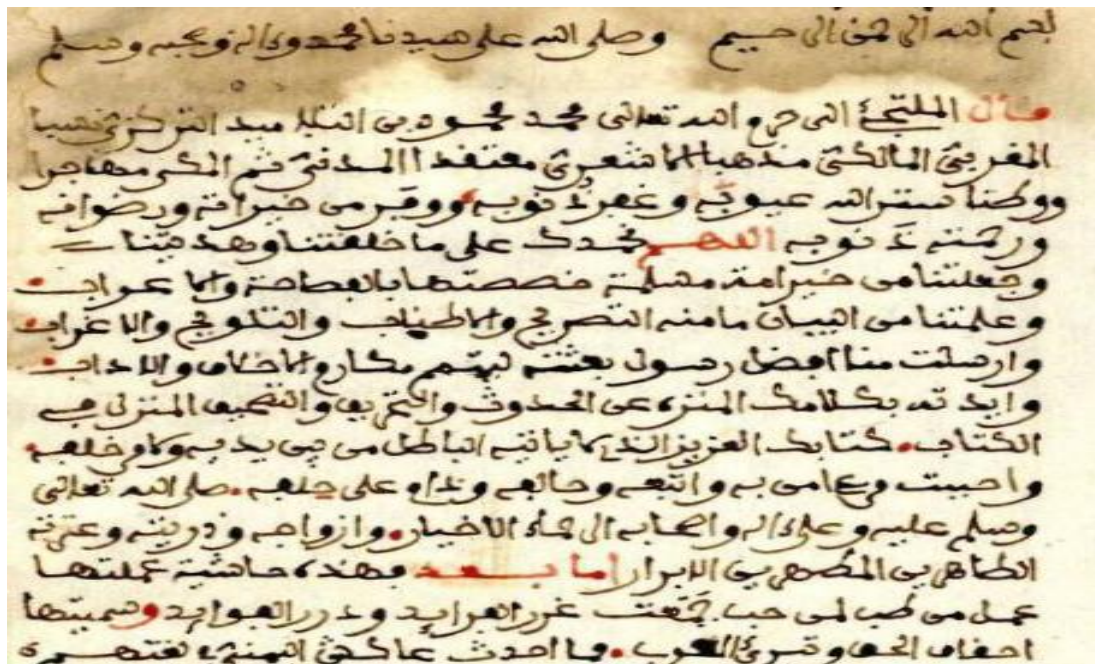
(1) أحمد بن الأمين العلوي ، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط والكلام على تلك البلاد تحديدا وتخطيطا وعاداتهم وأخلاقهم وما يتعلق بذلك ،

الشركة الدولية للطباعة ، مصر ، 2002 ، ص 391

(2) يذكر ابن التلاميذ في كتابه الحماسة انه حمل إلى أديب الحجاز عبد الجليل براده بالمدينة المنورة مكتوبات من أبناء عمه في فاس ومصر وجده

، انظر ابن التلاميذ الحماسة السنية ، ص 104

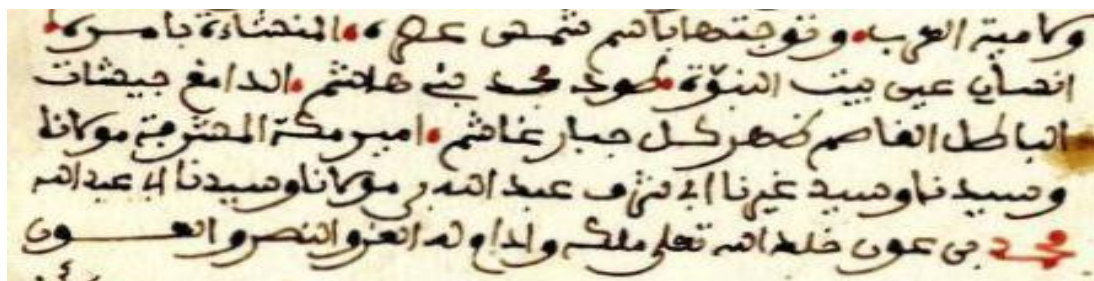
الصورة رقم (1) مقدمة كتاب إحقاق الحق وتبرئة العرب مما أحدث عاكش اليميني في لغتهم



المصدر: خزانة دار الكتب المصرية مكتبة ابن التلاميذ - الرمز (ش)

لقد كانت علاقة الشيخ محمود ولد التلاميذ مع العلماء الحجازيين تبدأ ودياً ثم لا تلبث أن تتحول إلى جفاء وتقاطع ، فهذا الشيخ أحمد فائز البرزنجي قد وقع بينهما خلاف وتقاطع ، حيث كان التركي يشنع على القاضي عياض اليحصبي المالكي في كتابه "مشارك الأنوار على صحاح الآثار" وكان الشيخ البرزنجي يغلط مالكا في الموطأ الأمر الذي جعل الشيخ التركي يؤلف رسالة في الدفاع عن مالك . وقد أوردنا ذلك كله لبيان ما كانت عليه العلاقة بين محمد محمود ولد التلاميذ التركي مع علما الحجاز فقد كان شديد المآخذ عليهم من خلال نقده عليهم ، فقلما وجدت أوجه اتفاق بينه وبينهم وإن كان اختلافه معهم حول المعارف والعلوم . وقد قاده هذا الاختلاف إلى التأليف فألف في الرد على عكاشة اليميني كتابه " إحقاق الحق وتبرئة العرب مما أحدث عاكش اليميني في لغتهم ولامية العرب " والذي أبان عن عجله في تأليفه بسبب سفره الطارئ⁽¹⁾

الصورة رقم (2) لامية العرب من كتاب إحقاق الحق وتبرئة العرب



(1) محمد محمود ابن التلاميذ التركي ، إحقاق الحق وتبرئة العرب مما أحدث عاكش اليميني في لغتهم ، ولامية العرب ، - مخطوط بحوزة الباحث - اللوحة 1

المصدر: خزانة دار الكتب المصرية مكتبة ابن التلاميذ - الرمز (ش)

وقد كان ميدان النحو من أبرز الميادين التي كان لشيخ بها معارك مع معاصريه مما سبب له تنافرا مع أقلبهم ، بل تخطي في تلك المسألة معاصريه فخطئ إمام اللغة العربية سيبويه في مسائل صرف (عمر)⁽¹⁾ لقد شكلت اللغة أحد أهم ميادين ولد التلاميذ بكم علوكعبه فيها ، وقد كانت أغلب مؤلفاته فيها وإن كانت مؤلفات غلب عليها طابع تصحيح الأخطاء اللغوية منها: "عذب المنهل في مسألة صرف ثعل" و"هوامش على كتاب الخصائص لابن جني" وكتاب "تصحيح اساس البلاغة للزمخشري" ، فضلا عن تصحيح القاموس ، وتصحيح "المخصص لبن سيده الذي كان سببا في وفاته ، ثم تصحيح الأغاني للأصفهاني .

أنا الذي لا أزال الدهر ذا شغف بنقدي الكتب أبدي خافي الكذب

أنا الذي لا أزال الدهر ذا فرح بما أنمي من علم ومن كتب

فدونكم معشري كتباً مهذبة من حسن ما قد حوت لا ينقضي عجيبي⁽²⁾

2- الرحلة التركية

لا مرأ في أن صيت ولد التلاميذ بعد وصوله الحجاز ومناظراته العلمية ومأخذه على علماء تلك البلاد جعل صيته يطوف أرجاء المعمورة وتحديدًا سلطان الباب العالي ، حيث استقدمه السلطان عبد الحميد الثاني ليولي وجهه صوب تركيا ، حيث كلفه السلطان سنة 1886 م بمهمة علمية تتمثل في الذهاب إلى إسبانيا ولندن وباريس⁽³⁾ بقصد وضع فهرس عامة للمخطوطات العربية الإسلامية⁽⁴⁾ في مكتبات هذه البلدان سبيلا إلى حفظها في مكتبات الاستانة ، حيث تعتبر هذه أول مهمة قام بها مسلم منذ سقوط الأندلس وقد وافق ولد التلاميذ على تلك المهمة غير أنه وضع جملة من الشروط كان في مقدمتها النظر في أمر الوقف المغاري في الحجاز والذي كان الشناقطة محرومين منه ، كما اشترط عليه أن يقدم له من يصحبه ليعلمه ويؤنس له وقت الصلاة وهي شروط توفربعضها

3- الرحلة الفرنسية الإسبانية

توجه الشيخ التركي سنة 1886 م في مهمة علمية إلى باريس ولندن وإسبانيا بهدف وضع فهرس عامة للمخطوطات العربية بغرض حفظ تلك الفهارس في مكتبة الاستانة ، وقد بذل الشيخ التركي في ذلك جهده ، جمعا وتدوينا ورصدا ، ومن ما يرصد غير جمع هذ المخطوطات ووضع الفهارس لها ذلك الحنين والشوق الذي كان يطوف طيفه على الشيخ التركي كلما جن الليل وتذكر مدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم فأنشد يقول :

ما ليل صول ولا ليل التمام معا * كليل باريس أوليلي بأندلس
لم أدرأيهما أقوى محافظة * على الظلام وحجب الصبح بالحرس
أهل سمعتم بليل لا صباح له * أم بالنهار البهيم الدائم الدنس ؟
يا ليل صرت ظلاما لا نجوم به * ولا بدورا ولا فقدان للغبس
يا ليل طيبة ما أشهاك عند جو * يعتاد منك الصباح الطيب النفس
يا ليلنا بتهامات الحجاز ويا * طيب الهواء بلا رطب ولا ييس

(1) أحمد ابن الأمين ، الوسيط في تراجم أدباء شقيقط ، الشركة الدولية لطباعة ، مصر ، الطبعة الخامسة ، 2002 م ، ص 383

(2) محمد محمود ابن التلاميذ التركي ، الحماسة السننية الكاملة المزية في الرحلة العلمية الشنقيطية ، مطبعة الموسوعات ، مصر ، 1939 م ،

ص 18

(3) رائد سعيد الشلاحي ، قطف العناقيد من ترجمة الشنقيطي ابن التلاميذ ، نسخة بحوزة الباحث ، وهي رسالة جعلها ترجمة للعلامة الشيخ

محمد محمود بن التلاميذ التركي الشنقيطي وقدمها المؤلف أمام تحقيقه للرسالة المعنونة بـ : إحقاق الحق وتبريء العرب مما أحدث عاكش

اليمني في لغتهم ولامية العرب ، وهي من رسائل الشيخ محمد محمود الشهيرة ، نسخة بحوزة الباحث - ص 26

(4) أحمد ابن الأمين ، مرجع سبق ذكره ، ص 392

يا ليل مكة يا ذ العدل حد لنا* ليل النصارى تعدى الحد في الدلس
يا ليل أصبح وأسجح قد ملكت وذر* ما أنت فيه من الطغيان والهوس
وألف بشيخ قريش في تفرد* ينلك ما شئت من عنس ومن فرس
وألف بشيخ قريش في تغربه* عن الأباطح دار الأنس والأنس⁽¹⁾

4- رحلته السويدية

وقد كانت هذه الرحلة بعد عودته من الرحلة الفرنسية الاسبانية وتحديدًا سنة 1888م ، حيث وجهت له دعوة من لدن المجمع العلمي السويدي باستوكهولم وهو مجمع تحت رعاية الملك اوسكار الثاني ، حيث طلب الملك من اوسكار الثاني من سلطان الباب العالي ارسال بعثة من العلماء المسلمين لمحاورتها مع جمع من المستشرقين على أن تكون مواضيع ذلك الحوار متصلة بالقرآن الكريم وعلوم اللغة العربية مشترطين على أن يكون رأس البعثة العلمية الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركي الشنقيطي الأمر الذي استجاب له سلطان الباب العالي ، وبعد أن تأهب الشيخ التركي ونظم ميميته الشهيرة والتي يقول فيها⁽²⁾

الا طرقت مي فتى مطلع النجم غريباً عن الأوطان في أمم العجم
فتى من مصاص العرب قد جاء شاكياً تعدي أهل الجور والظلم والهضم
منافية زارت على شحط دارها خذاً مذبا عن قريش وعن دعي
فتاة ضياء ضوء الشمس جبينها حصان رزان عبلة بضة الجسم
إذا غاب عنها البعل حيناً تخدرت ويرضيه نيل اللثم إن آب والشم
تصافحه عندلقى بأنامل سباط البنان لا غلاظ ولا كرم
وتسقيه من ثغراً غرمفلج لذيذ المذاق ذي رضاب وذو ظلم
لطيفة طي الكشح خصانة الحشا روادفها رياء من اللحم والشحم

إلي أن يقول :

فقال ودمع العين يحدر كحلها على حروجه لا دميم ولا جهم
أأنت الذي اختارتك من أهل طيبة ملوك السويد في مجادلها الشم
فراحت من السلطان بعثك وافداً عليهم خصوصاً أجل مجمعها العلمي
فكان من السلطان أمرك بعد ما شرطت أموراً لم تصادف أولى عزم

وفي مخاطبته لملك السويد يقول⁽³⁾

إلى ملك السويد «أسكارهم» الشهم سأرحل وفداً لا على جمل وهم
ولا فحل خيل أعوجي مسوم جواد معد للطراد وللغم
سليل جياذ سابقات إلى المدى عراب أعدت للسروج وللجم
ولكن على نجب شياطين جنة تولدن لا عن طرق صهب ولا دهم
أأسكار ذا الثاني سأتيك وافداً على بابك السامي لمجمعك ضخم
نحلتك مدحى إذ علت بك همة فراسلت تبغيني لتقبس من علمي
ونوهت لي باسمي وما كان خاملاً لتجمع بين الاسم عندك والجسم
فحبرت باسمي خطبة عربية فسارت بها الركبان في النجد والتهم
وما في ملوك الروم قبلك من رجا حضوري لديه لاشتهاري بالعلم ...
عن العرب العرباء آتيك نائباً وعن أمة الإسلام في العلم والفهم
وفي اللغة الفصحى القريشية التي بها أثبت القرآن في الصحف بالرسوم

(1) محمد محمود ابن التلاميذ التركي ، مرجع سبق ذكره ، ص 23

(2) المصدر السابق ، ص 6

(3) المصدر السابق ، ص 8

ولم أعتمد إلا على الله وحده وأبرأ ممن خاض في الغيب بالرجم
ولم أعتمد إلا على الله وحده وأبرأ ممن قال في العلم بالوهم
ولم أعتمد إلا على الله وحده وأبرأ ممن يدعي العلم بالزعم

ولعل الشيخ التركي لم يدر بخلده وهو ينظم ميميته استعداد لذهاب إلى السويد أن الأقدار دارت بغير ذلك ، حيث اشترط الشيخ التركي على الباب العالي من جديد انجاز وعوده السابقة التي لم تلبي لكي يتسني له الذهاب إلي إستكهولم فامتنع الباب العالي من جديد وأمر ابن التلاميذ برجوع إلي الحجاز وكان ذلك سبب في عدم ذهابه. وقد ضمن مسارهذه الرحلة كلها في كتابه " الحماسة السننية الكاملة المزية في الرحلة الشنقيطية التركزية " .

الصورة رقم (3) مقدمة الحماسة السننية الكاملة المزية في الرحلة الشنقيطية التركزية

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . ﴿ أما بعد ﴾
فإن السبب الحامل على ذكر ما اشتملت عليه أولى هذه القصائد هو الذب
عن العلم والحق عموماً وعن اسم الله تعالى وانساب آل النبي صلى الله عليه وسلم
وحديثه خصوصاً وردع بعض من يدعى العلم في هذا العصر وهو أحمد
البرزنجي المسمى الدعوى لجراته على تلاحين الامام أبي عبد الله مالك بن أنس

المصدر: نسخة بحوزة الباحث

5- رحلته إلي مصر

كانت مصر مستقرا للعالم التركي لأسباب كثيرة ، منها خلافه مع سلطان العالي، فبعد هذا الخلاف عاد إلى الحجاز واستقر في المدينة، غير أن أحد خصومه من علماء المدينة إلى الوشاية به، فطلب منه والي المدينة مغادرتها فوراً وفي هذا يقول⁽¹⁾:

رحلت عن الرسول وصاحبيه إلى بلد على علمي أمين
رحلت عن الرسول وصاحبيه محافظة على عرضي وديني
رحلت عن الرسول وصاحبيه مخافة خدن جهل يزدريني
رحلت عن الرسول وصاحبيه مخافة قوم سوء يبهتوني
وكانت هجرتي منه اضطراراً لبغي الحاسدين ذوي الجنون

أما السبب الآخر فلكون مصر موئل العلماء ومحط رحالهم وريع عزهم ، وبعد مقدمه إليها استقر به المقام في أول الأمر في بيت نقيب الأشراف محمد توفيق البكري وكانت صلته به حميدة ، كما كانت علاقته في أول مقدمه لمصر وطيدة محمودة مع مفتي الديار المصرية محمد عبده وظل بينهما ود إلى أن توافيا، كما جمعت به بشاعر السيف والقلم ورائد المدرسة لكلاسيكية محمود سامي البارودي علاقة طبعاً الود والتقدير⁽²⁾ .
ولئن كانت تلك علاقته مع هذين الشيخين قد تميزت بالود ردحا من الزمن ، فقد كان الجفاء والوحشة عنوان علاقته بباقي العلماء الأزهرين ، مرد ذلك إنكارهم عليه لبس الخفين الأسودين في محفل علمي سنة 1889م حيث

(1) رائد ابن سعد الشلاحي ، قطف العناقيد من ترجمة الشنقيطي ابن التلاميذ ، مرجع سبق ذكره ، ص 26

(2) أحمد حسن كيف عرفت الشنقيطي ، مجلة الأزهر ، المجلد 22 ، سبتمبر - 1961 ص 392

قام الرافي فقال (يا مولانا تنصرت بعدنا حيث ليست الخف الأسود؟) فرد عليه بأن قال له : (ما فعلت إلا السنة) ، وكان من الجلساء شيخ المالكية سليم البشري المالكي فقال : (أجمع على كراهية لبس الخف الأسود) فرد عليه الشيخ محمد محمود التركي : (ثبت في الصحيح أن النجاشي أهدي لرسول الله خفين فلبسهما ، ومسح عليهما ، فما لونهما⁽¹⁾) فقال لا أدري ، فقال التركي : (عجباً لك تدعي الإجماع ثم تقول لا أدري) . فما كان من أحد الحاضرين إلا أن قال : (أفدنا عن لون الخفين المذكورين ؟) فقال : (سأعلمه للوم فتلقيه من هناك)⁽²⁾ ، وقد أبان لهم في نفس المجلس أن لباس غير السوديين لا يلبسه غير النساء .

وبلغت قيمة ولد التلاميذ في القاهرة حدا جعل الإمام محمد عبده يسند إليه تدرس اللغة العربية بجامع الأزهر الشريف ، وقد كانت هذه المادة مهملة قبل مجيئه وأجري عليها رزقا من الأوقاف⁽³⁾ .

استقر ولد التلاميذ في القاهرة واستقدم زوجته وابنه من المدينة المنورة وظل عطائه العلمي متواصلا تأليفا ، وتحقيقا وتدرسا ، وبالقاهرة جمع كتبه في مكتبته التي ألت إلى الحفظ في دار الكتب المصرية بباب الخلق .

المحور الثالث : جهود ولد التلاميذ في بناء مكتبته

ظل العالم الشنقيطي محمد محمود ولد التلاميذ مشغولا بجمع الكتب واخرينسخها ثم يآلف حتي وصل أواخر عمره ، مخلفا مكتبة زاخرة بالمخطوط شملت أغلب فنون المعرفة حيث الشيخ الشنقيطي مكتبة ألت بعد وفاته إلى دار الكتب المصرية ، ولها جناح خاص ، وهي تحتوي على نفائس المخطوطات في شتى فنون المعرفة ، وقد عمل المفهرسون المصريون على فهرستها ضمن الفهارس الثمانية للدار ، ويرمز لها بحرف الشين ، اختصاراً للشنقيطي بعد الرقم ، وهي تحتوي على 345 مجلداً .

وقد نسخ الكثير من الكتب بخطه الجميل رحمه الله تعالى ، منها :

- 1- أساس البلاغة ، للزمخشري ، كتبها بخطه مضبوطة بالحركات ، ورقمها [1 ش]
- 2- "إضاءة الأدموس ورياضة النفوس من اصطلاح صاحب القاموس" ، لأبي العباس أحمد بن عبدالعزيز الهاللي ، وهي ضمن مجموع بخطه ، رقمه [24 ش] .
- 3- الأضداد ، لأبي حاتم السجستاني ، رقم [6 ش] .
- 4- الأضداد ، لابن السكيت ، برقم [6 ش] .
- 5- الصاحب ، لابن فارس ، كتبه في القسطنطينية سنة 1304 هـ ، ورقمه [7 ش] .
- 5- الفاخر ، للمفضل بن سلمة النحوي الكوفي ، سنة 1306 هـ ، برقم [51 ش]

ومن نفائس مكتبته :

- 1- كتاب اشتقاق أسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التنزيل وما يتعلق بها من اللغات والمصادر والتأويل ، لأبي القاسم الزجاجي ، مخطوط سنة 434 هـ ، وهو نادر ، ورقمه [3 ش] .
- 2- مجمل اللغة ، لابن فارس ، في مجلدين كتبا سنة 648 هـ ، [18 ش] .
- 3- الجمل الكبيرة ، لأبي القاسم الزجاجي ، ضمن مجموعة مخطوطة سنة 683 هـ ، بخط قديم . [67 ش] .
- 4- الجزء الثالث من خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعبدالقادر البغدادي (ت 1093 هـ) ، كتب في حياة المؤلف سنة 1080 هـ . [13 ش]
- 5- ضوء الذبالة ، وهو شرح على القصيدة الكبرى المسماة بالدرة الحنفية في الأغاز العربية ، كلاهما لابن الركن المعري الشافعي ، بخط أبي بكر بن عمر بن علي الحلبي سنة 895 هـ ، نقله من نسخة نقلت من خط المؤلف [34 ش] .

(1) محمد ابن عيسى ، سنن الترمذي ، باب ما جاء في الخف الأسود ، الحديث رقم 2820 (4/421) قال الترمذي هذا حديث حسن ، تحقيق

بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، طبع سنة 1998 م

(2) محمد بن عيسى بن سوره بن موسى بن الضحاك ، الشرائع المحمدية ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، المكتبة الإسلامية ، عمان ، الأردن ، 1989 م ، ص 51

(3) أحمد حسن الزيات ، كيف عرفت الشنقيطي ، مرجع سبق ذكره ، ص 394

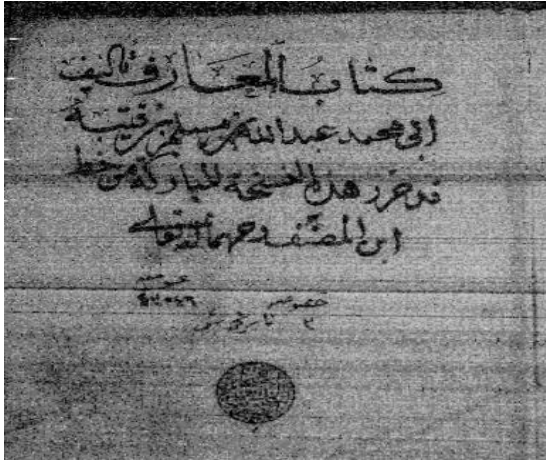
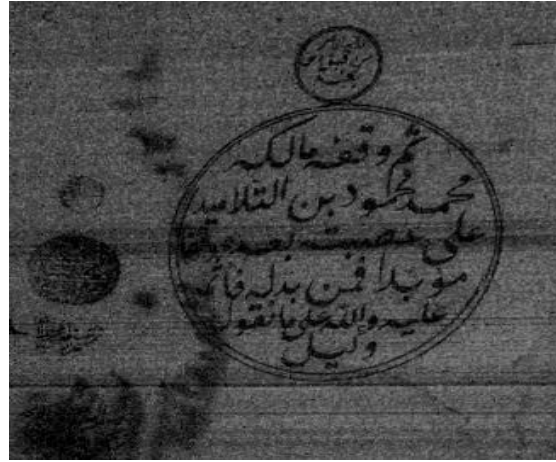
- 6- القواعد ، لجمال الدين حسين بن يازالنحوي البغدادي ، بخط عبدالله بن محمود الجيلي ، فرغ من كتابتها سنة 678هـ. [22 ش].
- 7- الكافية ، لابن الحاجب (ت 646هـ) ، كتبت سنة 678هـ. [21 ش].
- 8- المفضل في شرح المفصل للزمخشري ، شرح علم الدين علي بن محمد السخاوي (ت 643هـ) ، وهو الشرح الكبير ، إذ لعلم الدين شرحين على المفصل. الموجود منه الجزء الثالث والرابع ، في مجلدين ، كتب الجزء الثالث سنة 637هـ. والجزء الرابع بخط أحمد بن فرامز بن سروين الأبهري ، فرغ من كتابته سنة 633هـ ، وعلى أول ج 4 إجازة من المؤلف لصدر الدين عبدالرحمن بن محيي الدين علي المعروف بابن العريشي ، بروايته عنه سنة 633هـ. [19 ش].
- 9- المقدمة المحسنية في فن العربية ، لابن بابشاذ النحوي ، كتبت سنة 683هـ [67 ش].
- 10- وشي الحل في شرح أبيات الجمل ، لأبي العباس أحمد بن يوسف بن علي الفهري اللبلي ، بخط محمد بن إبراهيم بن عبدالعزيز بن إبراهيم الصنهاجي العزاب ، فرغ من كتابته سنة 857هـ. [3 ش].
- 11- المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية ، لأبي عبدالله محمد بن أحمد ابن مرزوق التلمساني المالكي ، بخط العلامة إبراهيم اللقاني ، فرغ منها سنة 1001هـ. [11 ش].
- هذه بعضها مع رمز الحفظ والرقم ، وأعلم أنني قد أطلت ، ولكن أرجو ألا تخلو من فائدة.
- وأما مؤلفاته ، فهي :
- 1- "إحقاق الحق وتبرئة العرب مما أحدثه عاكش اليميني في لغتهم" ، وهو بطلب شريف مكة ، وله حكاية مذكورة في "الوسيط" ص 381 ، مخطوط .
- 2- أشهر الكتب العربية الموجودة بخزائن إسبانيا ، مخطوط .
- 3- "الحق المبين المضاع في ردّ اختلاف الجهلة الأوغاد الوضاع" ، وهي رسالة وردت جواباً على أحمد بن زيني دحلان ، في قوله : إن لفظ ثعل الوارد في البيت الآتي ممنوع من الصرف ، وهو :
وسل بني ثعل أسمى الرماة وهم منا لأروع خوف السبي من ثعلا
ضمن مجموع بدار الكتب [68 ش].
- 4- "الحماسة السننية في الرحلة العلمية" ، طبع في القاهرة سنة 1319 هـ ، وقد حصلت على نسخة منه ولله الحمد والمنة .
- 5- شرح المفصل في النحو ، مخطوط .
- 6- تصحيح الأغاني ، مطبوع .
- 7- "عذب المنهل والمغل المسمى صرف ثعل" ، وهو نظم له ، ضمن مجموع [68 ش].
- 8- "عروس الطروس" ، مخطوط
- وغير ذلك كثير ، فإن كتاباته ليست محفوظة في مكتبته فقط بل هناك ما خطه بيده ، ورقمه عام لم يرمز به ش .

المحور الرابع: تقييدات محمد محمود ولد التلاميذ على المخطوط

لقد قدر لي أيام الدراسات العليا في جمهورية مصر العربية أن أباشر خزانة العلامة محمد محمود ولد التلاميذ لإجراء بعد البحوث والدراسات ، ومما لا تخطئه العين هو وجود آثاره التقييدية جلية على مخطوطات خزائنه ، فقلما يوجد مخطوط إلا وبه أثر تصحيح أو ووقف أو تملك أو مطالعة أو نظر أو نسخ ، هذا إذا لم يكن المخطوط من تأليفه ، هذا فضلا عن تأليفه وسنعرض بعضا من علامة التقييد التي كان العلامة الشنقيطي التركي يميز بها مقتنياته من الكتب .

فذا كتاب الأدب المفرد وقد أل إليه ، وعليه بعض من علامات التقييد من تملك ووقف ومقابلة وتصحيح وقد أرخ لذلك ربيع النبوي سنة 1303 للهجرة النبوية الشريفة بمكة المشرفة . حيث تمدنا هذه التقييدات بأهمية المخطوط من خلال اهتمام عالم بمنزلته بمخطوط ونسبته إليه سواء بالمقابلة أو التصحيح او التملك يرفع من قيمته ويعلی منزلته في فنه بين مؤلفات فنه ، فضلا عن ان هذه التقييدات تمدنا برحلة المخطوط وغيرها الكثير .

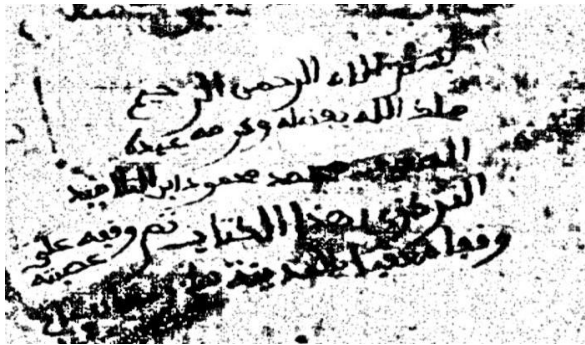
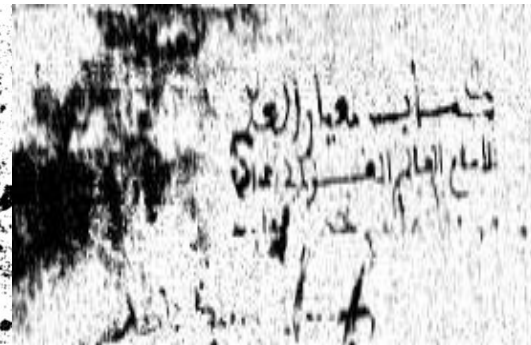
الصورة رقم (6) " الوقف " من تقييدات ابن التلاميذ على كتاب المعارف



المصدر: خزانة دار الكتب المصرية - مكتبة ابن التلاميذ - الرمز (ش)

وهذه نسخة كتاب المعارف لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ونص وقفها " ثم وقف مالكه محمد محمود بن التلاميذ على عصيته بعده وقفاً مؤبداً فمن بدله فإثمه عليه والله على ما نقول وكيل " والملاحظ في مخطوطات خزائنه وجود ختمه الذي كان يختم به وكثيراً ما كان يجعل التقييد داخل الدائرة

الصورة (7) " التملك والوقف " من تقييدات ابن التلاميذ على كتاب معيار العلم

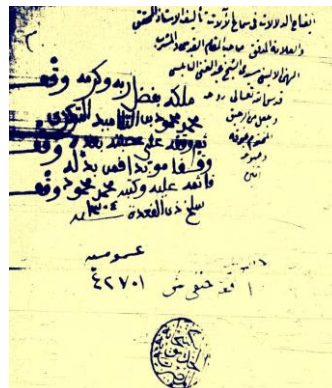


المصدر: خزانة دار الكتب المصرية - مكتبة ابن التلاميذ - الرمز (ش)

وهذا كتاب معيار العلم وقد تزين بملكية الشيخ الشنقيطي ثم وقفه على صيته من بعده ونص التقييد " بسم الله الرحمن الرحيم ملك الله بفضلهم وكرمه عبده الضعيف محمد محمود ابن التلاميذ تركزي هذا الكتاب هذا الكتاب ثم وقفه على عصيته وقفاً معقلاً بالمدينة "

الصورة (8) " التملك والوقف " من تقييدات ابن التلاميذ

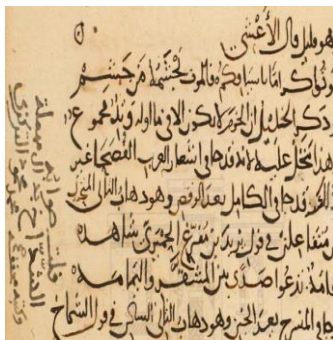
على كتاب ايضاح الدلالات في سماع الآلات



المصدر: خزانة دار الكتب المصرية - مكتبة ابن التلاميذ - الرمز (ش)

الصورة رقم (9) " التصحيح والتصويب " من تقييدات ابن التلاميذ

على كتاب فيه العروض والمهمات والقوافي



المصدر: خزانة دار الكتب المصرية - مكتبة ابن التلاميذ - برقم 4 عروض الرمز (ش)

فهذه كلها نماذج من بين أخرى حول تقييدات العلامة الشنقيطي ونماذج من بين أخرى عديدة محفوظة في دار الكتب المصرية وتحت أيدينا تبين كيف كان ولد التلاميذ منهمكا في العلم والمعرفة ، ومن خلالها ومن خلال هذه التقييدات فقد تمكنا من تحديد العمر الزمني لعدد المخطوطات ومراتبها في الأهمية والمنزلة التي يمكن تصنيفها فيها خصوصا ما تعلق بحكم بالمصدرية لهذه المؤلفات .

لقد ظل ولد التلاميذ مشغولا بالعلم والمعرفة جمن جمع للكتب ونسخ لها ومطالعة لها وترك الأثر والتقييد على كل ما طالته يده من مخطوط حتي وافاه الأجل المحتوم قبيل الغروب يوم الجمعة 23 شوال 1322، ديسمبر 1904م

المحور الخامس: ثناء العلماء عليه

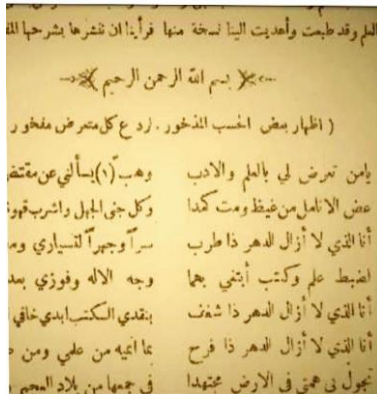
لقد أثني معاصرو محمد محمود ولد التلاميذ الشنقيطي ومن نهلوا من علومه عليه ، وشهدوا له بالتفرد في العلم والأدب والبلاغة وهذه بعض من تلك الشهادات :

المفكر المصري طه احسين : (كان أولئك الطلاب الكبار يتحدثون بأنهم لم يروا قط ضريبا للشيخ الشنقيطي في حفظ اللغة ورواية الحديث سندا ومتنا عن ظهر قلب)⁽¹⁾

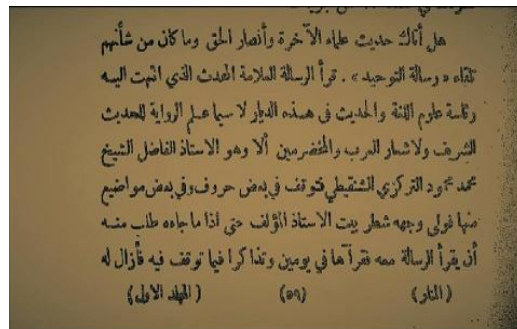
تلميذه أحمد حسن الزيات : (العلامة اللغوي الكبير)⁽²⁾

محمد رشيد رضا : (ساق الله إلى هذه البلاد رجلاً من الغرب، قد نبغ في علوم اللغة وآدابها رواية ودراية حتى صار إماماً يقتدى به فيها، ألا وهو العلامة المحدث الشيخ محمد محمود الشنقيطي، واللغة - كما لا يخفى على بصير - هي من سائر العلوم بمثابة الجسد من الروح، فمن يذم المشتغل بدقائقها زاعماً أن الأولى له الاشتغال بعلم الأخلاق الباحث عن صفات النفس مثلاً - هو كمن يذم المشتغل بدقائق الطب زاعماً أن الفلسفة العقلية أفضل منه؛ لأن العقل والنفس أفضل من الجسد. لو كان المصريون على هدى في طلب العلم لأحلوا الأستاذ الشنقيطي أعلى مكانة في الأزهر، ولكان الطلاب في حلقاته يعدون بالألوف، ولكنهم لم يرضوا بهضم حقه وعدم إحلاله محله حتى وجد فيهم من ينتقصه على إظهار دقائق لغة دينهم وكشف مخبأاتها)⁽³⁾

الصورة رقم (10) من ثناء مجلة المنار المصرية واشادتها بالشيخ محمد محمود ولد التلاميذ التركي وحديثها عن وقفه وغيره من تقييداته⁽⁴⁾



الصورة رقم (11) من تأييد مجلة المنار المصرية للشيخ التركي⁽⁵⁾



- (1) طه احسين، الأيام، مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، 1992 م، ص 276
- (2) أحمد حسن الزيات، البريد الأدبي في العروض والقوافي، مجلة الرسالة، العدد 675، سنة 1946 م، ص 49
- (3) محمد رشيد رضا، تأييد عالم وتفنيدهم، مجلة المنار، العدد الصادر 1899 م، ص 302
- (4) محمد رشيد رضا، مجلة المنار المصرية، الجزء الرابع، المجلد الأول، مطبعة المعارف بشارع الفجالة، مصر ص 59
- (5) المهدي ولد محي الدين، الشيخ محمد محمود ولد التلاميذ التركي وجهوده العلمية والثقافية في المشرق، مجلة الموكب الثقافي، العدد 58، سنة 2025 ص 6

الصورة (11) من تأبين مجلة الضياء المصرية (1904-1905) للشيخ التركي



وهذا نص تأبين مجلة الضياء المصرية، حيث كتبت في عددها الصادر سنة 1905 تأبيناً لولد التلاميذ منوّه بما كان عليه من علو كعب في العلم والمعرفة⁽¹⁾

الخاتمة

ومهما يكن من أمر فقد مثل الشيخ محمد محمود ولد التلاميذ التركي أحد أهم وأبرز سفراء المعرفة الشنقيطية خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وتجلت في كافة تفاصيل حياته الثقافة الشنقيطية والطباع الصحراوية من سرعة في الغضب واعتزاز بالنفس، إلى جانب ذلك فقد كان العالم اللغوي الفذ والهامي لها والفقه الديني المتبحر، وكان سيد المجالس إذا ناظر فضلاً عن المكانة التي احتجزها لنفسه جليسا للأمرء والسلطين والعلماء، كما وجدنا معشر المهتمين بالمخطوط وعلومه المعلم الشنقيطي الأول فقد كان يجمع بين التألف والنسخ كما مثلت مكتبته بما حوت كنزا معرفيا ليس تأليفا فقط بل بما تركه من تقييدات على المخطوطات المحفوظة داخل هذه المكتبة من نسخ وتملك ووقف ومطالعة ومقابلة ونظرو وتصحيح وتعقيب.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن التلاميذ، محمد محمود ابن التلاميذ التركي، الحماسة السننية الكاملة المزية في الرحلة العلمية الشنقيطية مطبعة الموسوعات بباب الخلق، مصر، 1939 م.
2. ابن التلاميذ محمد محمود ولد التلاميذ التركي، احقاق الحق وتبرئة العرب مما أحدث عاكش اليمني في لغتهم، ولا مية العرب، اللوحة 1 - مخطوط بحوزة الباحث.
3. ابن الأمين العلوي، أحمد بن الأمين العلوي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، الشركة الدولية للطباعة، مصر، ط 4، القاهرة 1984 م.

(1) ابراهيم اليازجي مجلة الضياء المصرية العدد 7، يناير 1905

4. ابن الأمين ، أحمد ابن الأمين ، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ، الشركة الدولية للطباعة ، مصر ، الطبعة الخامسة ، 2002 م .
5. ابن عيسى محمد بن عيسى ، سنن الترمذي ، باب ما جاء في الخف الأسود ، الحديث رقم 2820 (421/4) قال الترمذي هذا حديث حسن الشئائل المحمدية ، حديث صحيح ، المكتبة الإسلامية ، تحقيق بشار عواد معروف ، نشر دار الغرب الإسلامي ، عمان ، الأردن ، 1989م
6. باشا ، أحمد تيمور باشا ، أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث ، دار الأفاق العربية ، مصر ، طبع سنة 2002م .
7. رضا ، محمد رشيد رضا ، تأبين عالم وتفنيدهم ، مجلة المنار ، مطبعة المعارف بشارع الفجالة ، العدد الصادر 1899م .
8. رضا ، محمد رشيد رضا ، مجلة الأهرام المصرية ، الجزء الرابع ، المجلد الأول ، مطبعة المعارف بشارع الفجالة .
9. الزيات ، أحمد حسن الزيات ، كيف عرفت الشنقيطي ، مجلة الأزهر ، 1961م ديسمبر ، المجلد 22
10. الزيات ، أحمد حسن الزيات ، البريد الأدبي في العروض والقوافي ، مجلة الرسالة ، العدد 675 ، سنة 1946م
11. الشلاحي ، رائد سعيد الشلاحي ، قطف العناقيد من ترجمة الشنقيطي ابن التلاميذ ، نسخة بحوزة الباحث .
12. طه احسين ، الأيام ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، الطبعة الأولى ، 1992 م
13. محي الدين ، المهدي ولد محي الدين ، الشيخ محمد محمود ابن التلاميذ التركي و جهود العلمية والثقافية في المشرق ، مجلة الموكب الثقافي ، العدد 58 ، سنة 2025
14. اليازجي ، ابراهيم اليازجي مجلة الضياء المصرية العدد ، 7 ، يناير 1905.

ثورة العامة ضد الحكم المصري في فلسطين (1250هـ / 1834م)

حميدان محمود ناجي
طالب دكتوراه
جامعة منوبة،

الكلمات المفتاحية: الثورة، التجنيد، الحملة، الحكم، السلاح، فلسطين، مصر.

الملخص

توجه إبراهيم باشا لاحتلال بلاد الشام ومنها فلسطين في حملته عام 1831 م، فقد فتح إبراهيم باشا مدينة يافا عام 1831 م بدون حرب وقد عرض زعماء المدينة ومتسلمها الاستسلام وقد أبقى إبراهيم باشا على حاكمها متسلماً لها، ثم توجه إبراهيم باشا لافتتاح باقي المدن وخاصة عكا بعد أن حاصرها ستة شهور وهي مقر عبد الله باشا الوالي التركي، وقد اندلعت الثورة في جميع أنحاء فلسطين بسبب الأوامر التي أصدرها إبراهيم باشا بفرض التجنيد الإجباري ونزع السلاح من الأهالي وفرض الضرائب، وقد نجح في القضاء على الثورة في جميع أنحاء البلاد.

Summary :

Ibrahim Pasha's campaign to conquer the Levant, including Palestine, began in 1831. He captured Jaffa without a fight, as the city's leaders and governor offered their surrender. Ibrahim Pasha retained the governor in his position. He then proceeded to conquer other cities, particularly Acre, which he besieged for six months. Acre was the seat of Abdullah Pasha, the Ottoman governor. A revolt erupted throughout Palestine due to Ibrahim Pasha's orders imposing conscription, disarming the population, and levying taxes. He successfully suppressed the revolt across the country.

Keywords : Revolt, Conscription, Campaign, Rule, Weapons

مقدمة

توجه إبراهيم باشا لاحتلال بلاد الشام ومنها فلسطين في حملته عام 1831 م، فقد فتح إبراهيم باشا مدينة يافا عام 1831 م بدون حرب، وقد عرض زعماء المدينة الاستسلام، ليبقى إبراهيم باشا حاكمها متسلماً لها. توجه إبراهيم باشا لافتتاح باقي المدن وخاصة عكا بعد أن حاصرها ستة شهور، وهي مقر عبد الله باشا (الوالي التركي)، وقد اندلعت الثورة في جميع أنحاء فلسطين بسبب الأوامر التي أصدرها إبراهيم باشا بفرض التجنيد الإجباري ونزع السلاح من الأهالي وفرض الضرائب، وقد نجح في القضاء على الثورة في جميع أنحاء البلاد بعد أن قدم أبوه محمد علي باشا المساعدات وسار بنفسه لمساعدته.

تناول الفصل الأول أسباب الثورة التي ساهمت في اندلاع ثورة العامة ضد الحكم المصري في فلسطين منها نزع السلاح من السكان كذلك الدعايات السيئة التي بثتها الدولة العثمانية لتحريض السكان ضد الإدارة المصرية، وعندما استولت الحكومة المصرية على بلاد الشام فرضت التجنيد الإجباري على السكان لسد متطلبات التكوين العسكري ولتبين طبيعة الأهالي بإخضاعهم لنظام عسكري صارم، أما الفصل الثاني فقد بين مجريات وأحداث ثورة العامة ضد الحكم المصري ونتائج الثورة التي انتهت بفشلها وانتصار القوات المصرية التي شرعت في معاقبة الثوار بشتى الوسائل والأساليب.

مشكلة البحث:

تدور مشكلة البحث حول المعاناة التي تعرض لها السكان خلال الحكم المصري نتيجة السياسات التي اتبعها إبراهيم باشا ويمكن صياغتها في التساؤلات التالية:

هل كان حجم الضرائب التي فرض إبراهيم باشا كبيراً؟

هل كانت الخسائر الاقتصادية التي تكبدها السكان نتيجة الثورة والحروب فادحة؟

هل كان للتجنيد الإجباري آثار جانبية؟

هل نستطيع تأكيد الأسباب التي كانت وراء ثورة العامة ضد الحكم المصري؟

منهج البحث

اتبع هذا البحث المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي القائم على جمع المادة التاريخية من مصادرها الأصلية وتوظيفها في صياغة مواضيع الدراسة المتنوعة بغية الوصول إلى المعلومات التاريخية وتم الاستناد بدرجة كبيرة إلى ما تضمنته المصادر التاريخية.

أهداف البحث

- دراسة أوضاع الثورة ضد الحكم المصري بسبب السياسات التي اتبعها إبراهيم باشا،
- التأكد من موقف العامة من الحكم المصري،
- كيف كان موقف الدولة العثمانية من الحملة المصرية على بلاد الشام،
- معرفة أوضاع العامة خلال الحكم المصري.

المبحث الأول: أسباب الحملة وسيرها**أولاً: أسباب الثورة****أ. نزع السلاح**

بدأ محمد علي خطته بنزع السلاح حيث كان من الصعب على السكان الرضوخ لإرادة القيادة المصرية لأنهم اعتادوا على حمل السلاح واستعماله، فضلاً عن المتاجرة به لأنه كان يعبر عن ظاهرة القوة والعظمة⁽¹⁾، حيث كان الشخص يفضل التخلي عن زوجته دون ترك سلاحه أو تسليمه، لأنه يعتقد أن السلاح هو الضمان الوحيد لحريته واستقلاله، إضافة إلى ذلك كان لانعدام الأمن في البلاد الأثر الفعال في امتناع السكان عن تسليم سلاحهم والتصدي لقرار الحكومة بكل الوسائل والأساليب.

ب. الدعايات السيئة

لعبت الدعايات السيئة التي نجحت الحكومة العثمانية في نشرها عن طريق جواسيسها ووكلاء الدول الأوروبية بتشجيع السكان على المضي قدماً في مقاومة الحكم المصري⁽²⁾، مما كان له الأثر الإيجابي في تقويض دعائم الحكم المصري في بلاد الشام، ومن ذلك إلغاء عوائد العريان حيث كانت إصلاحات الحكومة المصرية قد قضت بحرمان البدو من الأموال التي كانوا يأخذونها من خزينة الشام⁽³⁾ ومن بعض القرى التي كانوا يتولون حمايتها.

ج. التجنيد الاجباري

فرض السلطان محمود الثاني التجنيد الاجباري في عام 1242هـ (1826م) فتذمر الناس لأنهم لم يعتادوا ذلك وأخذ بعضهم يفر من الجندية، ففقد حركتهم ومنعهم من السفر من مكان إلى آخر إلا بتذكرة (أشبه بجواز سفر) موقعة من المحكمة الشرعية، ووزعت الدولة الأختام على الولايات وأمرت بوجوب ختم في كل محكمة⁽⁴⁾. وتوقفت خطط الدولة العثمانية بشأن التجنيد الاجباري في بلاد الشام سنة 1246هـ (1830م) بسبب حملة إبراهيم باشا على الشام واحتلالها.

(1) أسد رستم، المحفوظات الملكية المصرية، 4 أجزاء، ط 2، منشورات المكتبة البوليسية، لبنان، 1987م، ج 3، ص 438، وثيقة رقم 3632.

(2) طنوس الشدياق، أخبار الأعيان بجبل لبنان، مخطوط الجامعة الأردنية، ميكروفيلم 754، ج 2، بيروت، ص 579.

(3) أسد رستم، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 296.

(4) سجل محكمة القدس الشرعية، 1247هـ / 1831م، (141 صفحة)، المجلد 315، ص 57.

وعندما استولت الحكومة المصرية على بلاد الشام فرضت التجنيد الاجباري على السكان لسد متطلبات التكوين العسكري ولتبيين طبيعة الأهالي بإخضاعهم لنظام عسكري صارم،⁽¹⁾ حيث تردد إبراهيم باشا في الانصياع لأوامر والده في قرار التجنيد في بداية الأمر، لأنه كان يرى غير ما كان يرى والده في التجنيد الاجباري، وكثيراً ما نصحه بألا يقدم على هذا العمل، مؤكداً له أن أهل الشام قبلوا حكمه مجبرين،⁽²⁾ غير أن نصائحه لم تجدي نفعاً. وقد بدأ إبراهيم باشا بتنفيذ سياسة والده القاضية بتجنيد السكان في سنة 1250 هـ (1834 م) حيث دعى إليه أصحاب المراكز بمن فيهم القضاة، وتداول معهم الطرق المختلفة التي تسلك لتجميع الأفراد، وحررت الأوراق الخاصة بالمجندين لإرسالها للضواحي والنواحي، وفي نهاية الاجتماع فرض عليهم تقديم شاب من كل خمسة مسلمين⁽³⁾ ليدرب على التكتيك المنتظم في الحرب، وحدد لهم مواصفات المجند ممن لا سقط فيه، وأن لا يكون من البيت نفران (أخوان)، ولا يؤخذ من ليس له عوض، حيث تراوحت أعمار المطلوبين للتجنيد ما بين خمسة عشر إلى خمسة وعشرين سنة. وقد كان هذا القرار شديد الوطأة على السكان وبخاصة الفلاحين والبدو فقبلوا الاستدعاء للخدمة بالقلق، وقرروا أن يثوروا،⁽⁴⁾ ذلك لأنهم لم يألفوا الحروب وإن كانوا قد ألقوا الحروب التي كانوا يشتركون فيها، والتي كانت تجمعهم فيها المبدأ والمصلحة والوطن حيث كان الجنود لا يغيبون عن بلدانهم إلا أياماً معدودة⁽⁵⁾ غير أن التجنيد في جيش إبراهيم باشا كان يخلو من هذه الميزات بسبب كثرة ما ينزل بالجنود من الهزيمة في البلاد التي يرسلون إليها لتأدية الخدمة وعدم عناية الحكومة بهم العناية الكافية⁽⁶⁾.

ثانياً: سير الحملة

بدأ الغزو المصري على يافا بقيادة إبراهيم باشا⁽⁷⁾ عام 1831 م عندما أصدر الفرمان السلطاني قرار بتعيين إبراهيم باشا قائداً عاماً على جيوش المورة وقائداً مستقلاً للعمارة المصرية، وصدرت الأوامر بتسهيل استئجار السفن التجارية في جميع الموانئ لنقل المعدات الحربية، وقد تم استئجار سبعين سفينة لهذا الغرض ما بين رودس ويافا⁽⁸⁾، وتم تعيين سليمان بك الفرنسي⁽⁹⁾ نائباً لإبراهيم باشا بعد أن عينه محمد علي باشا وخرج الجيش المصري في حملتين برية وبحرية⁽¹⁰⁾.

اشتملت الحملة على أربع كتائب من قوات المشاة وهي: الكتيبة الثامنة تحت إمرة يوسف بك ميرالاي، وكتيبة أحمد بك العاشرة، وكتيبة أحمد بك الثالثة عشرة، وكتيبة يعقوب بك الثانية عشرة، حيث كان إبراهيم باشا يمين القائد العام لكتائب المشاة، كما كان هناك عدد مماثل من كتائب الخيالة حيث كان القائد العام لقوات الخيالة

(1). رستم، المحفوظات، ج 2، ص 391، وثيقة رقم 3735.

(2). رستم، المحفوظات، ج 2، ص 208.

(3). رستم، المحفوظات، ج 2، ص 110، وثيقة رقم 1821. شولس، ألكزاندرو، 1993 م، تحولات جزرية في فلسطين 1856 - 1882 م، ترجمة: كامل جميل العسلي، ط 2، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ص 201.

(4). نعمة الله نوفل الطرابلسي، كشف اللثام عن محيا الحكومة والحكام في إقليمي مصر وبر الشام، مخطوط الجامعة الأردنية، ميكرو فيلم، 717، ص 477.

(5). زيدان، جورج، 1889 م، تاريخ مصر الحديث، ط 1، مطبعة المقتطف، مصر، ص 168.

(6). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 82، وثيقة رقم 4406.

(7). إبراهيم باشا: بن محمد علي باشا، قائد بعيد المطامح من ولاة مصر ولد في (نصرتلي) بالقرب من قوله "بالردملي"، وقدم مصر مع طوسون بن محمد بن علي سنة 1220 هـ وأرسله أبوه إلى نجد والحجاز سنة 1231 هـ ثم جعله قائدا للحملة المصرية سنة 1239 هـ في حرب المورة وفي سنة 1247 هـ سيره بجيش إلى سورية فاستولى على عكا ودمشق وحمص وحلب وانقادت له بلاد الشام. الزركلي، خير الدين، 1410 هـ/ 1990 م، الأعلام، 8 أجزاء، ط 9، دار العلم للملايين، بيروت، ج 1، ص 70.

(8). أسد رستم، المحفوظات الملكية، وثيقة رقم 147. الدباغ، مصطفى مراد، 1965 م، بلادنا فلسطين، 11 جزء، ط 4، دار الطليعة، بيروت، ج 7، ص 175.

(9). سليمان باشا الفرنسي: ولد في سنة 1788 م على سفينة والده أحد رجال الملاحة وأصحاب السفن في نهر الجاردن وفي أهل مدينة ليون ولما ترعرع دخل في مهنة الملاحة سنة 1820 م بإحدى السفن الحربية في طولون وهو في الثانية عشر من عمره.

(10). حسن إبراهيم سعيد، يافا من الغزو النابليوني إلى حملة إبراهيم باشا (1799 - 1831 م)، ط 1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2006 م، ص 118. وعلاء كامل سعادة، متسلمية نابلس في العهد المصري 1247 - 1256 هـ / 1831 - 1840 م، ط 1، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، ص 53.

عباس باشا حفيد محمد علي⁽¹⁾، وكان في الجيش فيلق من الملقمين وثلاثة فيالق من قوات المدفعية ونحو ألفي بدوي⁽²⁾، وإبراهيم باشا على رأس أسطول كبير يتكون من 16 سفينة حربية و17 سفينة نقل تحمل ضباط صف على متنها وكان من هؤلاء الكابتن عثمان بك نور الدين، ورئيس الأركان سليمان بك الفرنسي، وهاني بك البحري المسؤول المالي الأول، كما كان لديه 40 قارباً صغيراً وعدد من القوارب الخاصة بالحصار بالإضافة إلى الغذاء والذخيرة والعلف والإمدادات الطبية للقوات البحرية والريّة، حيث وصلت إلى يافا في 3 جمادى الثانية 1247هـ/9 تشرين الثاني 1831م⁽³⁾.

سار الجيش المصري برا عن طريق العريش وهكذا كانت الخطة⁽⁴⁾ عن طريق البر ليحاصر عكا مصحوباً معه أربعين ألف عسكر نظام، وفي طريقه من مصر إلى عكا تسلم جميع المدن التي كانت تابعة لعكا بدون حرب وهي غزة والرملة ويافا وحيفا والقدس، ونصب متسلمين من قبله⁽⁵⁾، حيث أرسل محمد علي عدداً من الرسائل إلى قائد الجيش والجنود يحثهم فيها على مضاعفة جهودهم لاحتلال المدينة التي شاع اسمها وسمعة تحصيناتها بين الناس⁽⁶⁾ حيث كان محمد علي قلقاً يصبو إلى احتلال عكا بأسرع وقت ممكن لتعزيز حكمه في مواجهة معارضيّه داخل مصر وخارجها⁽⁷⁾.

قاد إبراهيم باشا الفرقة المهاجمة بنفسه وقد تبع ذلك قتال طويل الأمد لكنه خسر الآلاف من جنوده، وبعد احتلال عكا نهب الجنود المصريون المدينة حيث كانت حالات الوفاة في أوساط المدنيين مرتفعة، ولحق دمار كبير بالبيوت والأسوار وغرقت البلاد في الدمار⁽⁸⁾.

تحركت القوة البحرية مع عتادها العسكري من الإسكندرية باتجاه يافا حيث عسكر الجيش المصري جنوب يافا على تلال بين المدينة ومقام الشيخ إبراهيم العجمي وكان ذلك سنة 1831م⁽⁹⁾، وأنشأ إبراهيم باشا إلى محمد علي باشا بوصوله إلى يافا في الثالث من جمادى الآخرة ويذكر أنه أنزل قوة من الجند إلى هذه البلدة وذكر له أسماء السفن التي كانت بحوزته⁽¹⁰⁾، وفي أثناء ذلك طلب عبد الله باشا من متسلمي فلسطين الانضمام إليه في مواجهة الغزو المصري⁽¹¹⁾ حيث وجه في رسالته الأخيرة في 21 جمادى الثانية 1247هـ/28 تشرين الثاني 1831م إلى محمد شاهين آغا متسلمه في القدس، وأشار إلى غزو محمد علي وأخبره أن الأسطول العثماني سيأتي لقتال محمد علي ولحماية هذه الأرض المقدسة⁽¹²⁾، كما أرسل عبد الله باشا رسالة أخرى إلى زعماء نابلس وجنين يطلب منهم دعمه في مقاومة الغزو المصري لكنهم لم يستجيبوا⁽¹³⁾.

- (1). أسد رستم، الأصول العربية لتاريخ سورية، 5 أجزاء، ط 2، المكتبة البوليسية، لبنان، ج 1، ص 127. خط همايون، إستانبول، أرشيف مكتب رئيس الحكومة، خط همايون رقم 19829، 19852.
- (2). خالد محمد صافي، 2010م، الحكم المصري في فلسطين 1831 - 1840م، ط 1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ص 70.
- (3). أسد رستم، الأصول العربية ج 1، ص 14. وأسد رستم، المحفوظات الملكية، وثيقة رقم 1018. خط همايون رقم 19852، 19959. عثمان نور بك : شارك وعائلته في ثورة سنة 1834 م فنفي وأخوه إلى مصر وعاد الجميع إلى جبل نابلس سنة 1841 م ، فحاول إعادة أملاكهم وإقطاعاتهم التي فقدوها فأدى ذلك إلى اشتراكهم في الحرب الأهلية . وعادل مناع، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني 1800 - 1918 م ، ط 1 ، جمعية الدراسات العربية ، القدس ، ص 320 .
- (4). الديباغ ، مصطفى مراد ، بلادنا فلسطين ، ج 7، ص 176 . العارف، عارف، 1430هـ/2009م ، تاريخ غزة ، تاريخ غزة ، ط 1 ، دار البراك للنشر والتوزيع، الرياض، ص 198 .
- (5). مؤرخ مجهول، حروب إبراهيم باشا في سوريا والأناضول، جزأين، ط 2، المكتبة البوليسية، بيروت، ج 1، 1986م، ص 14 .
- (6). العارف، عارف، المفصل في تاريخ القدس، ط 1، دار مكتبة الأندلس، القدس، 1380هـ/1961م، ص 277.
- (7). أسد رستم، الأصول العربية، ج 1، ص 105 - 106 . صافي، خالد محمد، الحكم المصري، ص 75.
- (8). أسد رستم، المحفوظات الملكية، وثيقة رقم 439 .
- (9). أسد رستم، المحفوظات الملكية، وثيقة رقم 1018 . صافي، خالد محمد، الحكم المصري، ص 76.
- (10). هشام شرابي، 1991م، يافا عطر مدينة، ط 1، بيروت، دار الفتى العربي، ص 77. حسن إبراهيم سعيد، يافا من الغزو النابليوني، ص 118.
- (11). أسد رستم، المحفوظات الملكية، وثيقة رقم 337 .
- (12). خالد محمد صافي، الحكم المصري، ص 72 .
- (13). سجل محكمة القدس رقم 315 ، ص 121 .

(13). أسد رستم، المحفوظات الملكية، وثيقة رقم 343، 348.

وعلى الرغم من أن يافا أصبحت ذات أهمية استراتيجية بصفتها خط الدفاع الأول عن جنوب غرب سورية في وجه الغزو المصري فإن حاميتها المكونة من 250 جندياً ألبانياً استسلمت على فورا وحاولت التفاوض في شأن الرواتب التي لم يدفعها إبراهيم باشا منذ أشهر، وقد أعيد تعيين إبراهيم آغا متسلماً للمدينة⁽¹⁾، وبعد احتلال يافا دخل إبراهيم باشا مدينة حيفا في 17 تشرين الثاني 1831م من دون جهد يذكر وقد اتخذها مركزاً له وقاعدة لتحركاته العسكرية⁽²⁾، وأثناء وجوده في حيفا جاء إليه شيوخ ومتسلمو حيفا ونابلس وطبرية وأعلنوا استسلامهم، كما أعلن متسلما غزة والقدس استسلامهم أيضاً⁽³⁾ حيث أعلن أربعة من زعماء جبل نابلس ولاءهم للمصريين وهم: حسين عبد الهادي وقاسم الأحمد وابنه وعبد الله جرار وطلبوا في الاحتفاظ بمناصبهم متسلمين كما كانوا خلال الحكم العثماني⁽⁴⁾.

المبحث الثاني: الثورة ضد الحكم المصري

أولاً. مجريات الثورة

بدأت نيران الثورة نشوبها سنة 1250هـ (1841م) في غزة ما برحت متنقلة من فلسطين إلى جبال العلويين ولم تنته إلا بانتهاء حكم محمد علي لبلاد الشام عام 1256هـ، ويبدو أن أوامر محمد علي القاضي باحتكار تجارة الحرير وتحصيل الفردة ونزع السلاح وإجراء التجنيد وصلت إلى إبراهيم باشا وهو مع أركان حربه سليمان باشا في مدينة يافا⁽⁵⁾ فبادر إلى إذاعة هذه الأوامر في متسلمية غزة التي قامت وقعدت لهذا الحادث العظيم حيث كان أول ظهور بوادر الاستياء والاضطراب بين القبائل البدوية التي لم تخضع في عهد الحكومة العثمانية لأي نوع من التكاليف التي فرضتها عليهم الحكومة الجديدة⁽⁶⁾.

أصدر محمد علي باشا الأوامر بفرض التجنيد الإجباري على السكان للجيش المصري وهو في يافا وقد كان هذا السبب المباشر لإعلان الثورة والعصيان وقد اتبع أساليب وحشية في تطبيقه، بالإضافة إلى ذلك فرض ضريبة جديدة عرفت بـ "الغرة" على كافة السكان الذكور، من سن الرابعة عشر فما فوق، وتراوح مقدار الضريبة ما بين خمسة عشر قرشا وخمسمائة قرش، وكانت تفرض بصورة جماعية على أصحاب الحرفة الواحدة أو سكان الحي أو المدينة أو القرية، كما عمل على جمع السلاح من الأهالي كوسيلة لمنعهم من مقاومة التجنيد ودفع ضريبة "الغرة"⁽⁷⁾، وقد جرب السكان المحليون عدة طرق لمقاومة التجنيد فهرب بعض الرجال إلى الصحراء أو الجبال وتعرضوا لكثير من المخاطر من أجل التهرب من الخدمة العسكرية لأن المصريين استخدموا العذيب في محاولاتهم اكتشاف أماكن الجنود الهاربين⁽⁸⁾، حيث أدى الخوف الشديد من التجنيد إلى تشويه البعض نفسه بقطع إصبع أو قلع عين غير أن إبراهيم باشا التف عليهم إذ شكّل فوجاً خاصاً بالعور كان يعسكر في يافا⁽⁹⁾، وقد هرب كثيرون من الذين جندوا وأصدر إبراهيم باشا أمراً إلى المتسلم بالقبض عليهم.

- (1). أسد رستم، الأصول العربية، ج 1، ص 127، وثيقة رقم 337. خط همايون رقم 20120 - F.
- (2). أسد رستم، المحفوظات الملكية، وثيقة رقم 339، 348.
- (3). أسد رستم، المحفوظات الملكية، وثيقة رقم 342، 349. خط همايون رقم 19755، 19839.
- (4). أسد رستم، المحفوظات الملكية، وثيقة رقم 342. صافي، خالد محمد، الحكم المصري، ص 80.
- (5). أبو عياش، عائدة فايق، 1996م، متسلمية غزة تحت الحكم المصري 1247 - 1256هـ / 1831 - 1841م، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ص 212.
- (6). رستم، أسد، الأصول العربية، ج 2، ص 111 - 113.
- (7). رافق، عبد الكريم، 1990م، الموسوعة الفلسطينية، 6 أجزاء، ط 1، هيئة الموسوعة الفلسطينية، بيروت، ج 2، ص 858 - 859. مناع، عادل، 1999م، تاريخ فلسطين في أواخر العهد العثماني 1700 - 1918م، ط 1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ص 143.
- (8). رستم، أسد، الأصول العربية، ج 2، ص 160 - 161. صافي، خالد محمد، الحكم المصري، ص 123.
- (9). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، وثيقة رقم 5307.

أمر إبراهيم باشا بتجنيد عدد معين من الرجال من كل قاطع في المدينة وذلك بنسبة 10% من عدد أولئك الذين يدفعون ضريبة الفردة⁽¹⁾، ففي كثير من الحالات تم تجنيد أخوين أو ثلاثة أو أب وابن من عائلة واحدة وخصوصاً من العائلات الفقيرة⁽²⁾.

حمل الناس السلاح وأخذوا يستعدون للثورة، وما هي إلا عشية أو ضحاها حتى اشتعلت نيران الثورة في غزة ويافا والقدس ونابلس والسلط والخليل، واشتبك الثوار مع الجنود المصريين في معارك دامية⁽³⁾، وانعدم الأمن وسادت الفوضى واختفى النصاري في أديرتهم واليهود في كنائسهم⁽⁴⁾، ففي غزة استولى البدو الضاريون خيامهم على الأمور كلها فأصبحوا الأمرين الناهين وانتشر رجالهم في المتسلمية يفعلون ما يشاؤون⁽⁵⁾، وانضم إليهم الأهالي في القرى المجاورة، حيث كان تجاسر الثوار فوق الوصف، وأوصلهم تجاسرهم إلى أبواب يافا للنهب والسلب، واستولوا على اللد والرملة⁽⁶⁾، وانسدت الطرق والمسالك، ولم يكن يدخل القدس لا مرسل ولا سالك⁽⁷⁾، وهجم الفلاحون على نقطة البريد في "إشدود"، وفر من فيها من الجنود إلى المدينة⁽⁸⁾، حيث تخرج موقف المصريين لدرجة أن القوات المصرية المرابطة في يافا خشيت خيانة أهلها وتجمع أهالي القرى على أبواب يافا وأظهروا العصاة⁽⁹⁾.

وصلت أخبار هذه المعارك إلى إبراهيم باشا في يافا حيث سارع بالتحرك إلى القدس مع جيشه فوصلها في اليوم التالي وخيم تحت أسوارها ودعا الحكام وشيوخ القبائل لاجتماع محاولاً وقف حركة دعاة الثورة بإدخال الخوف إلى قلوبهم إذ لم يترك لهم متسعاً من الوقت لتوحيد كلمتهم والتفاهم على الخطة التي يتخذونها فلبى النداء أكثر المدعوين وبلغهم بإرادة والده وطلب منهم اجابته عما إذا كانوا مستعدين لتنفيذها⁽¹⁰⁾ مبيناً لهم أنه ليس إلا وسيطاً بينهم وبين الباشا في مصر فقبلوا مطالبه مكرهين ثم تفرقوا في البلاد لدعوة الأهالي للتجنيد وبقي بعضهم عنده بصفتهم رهائن، ثم عاد إلى يافا ينتظر النجدات من مصر⁽¹¹⁾.

لعبت الدسائس والإشاعات دوراً في ذلك واستغل العثمانيون الموقف وحرصوا السكان على الصمود في وجه الحكومة المصرية⁽¹²⁾ وأذاعوا في البلاد خبراً مؤداه أن الدولة العثمانية قد حشدت جيشاً جراراً في سيواس وأسر إبراهيم باشا في جبل نابلس واعتداء الجيش المصري على سكان القرى حتى الأطفال وهجوم أهل عكا على الجنود المصريين في طرابلس وما إلى ذلك من الأقوال الملفقة والإشاعات الحربية الكاذبة⁽¹³⁾. فتحت الثورة باب التمرد من جديد ومنذ البداية سيطرت الروح القبلية ولمست الإدارة المصرية هذا الأمر في غزة، وكان على رأس الثوار هذه المرة القاضي محمد علي الخالدي⁽¹⁴⁾، وانضم إلى الثوار في غزة الشيخ قاسم أحمد النابلسي الذي كان قد فر من سجنه وقاد الثوار إلى القدس⁽¹⁵⁾، وكتب اللواء علي بك قائمقام غزة إلى محمد علي باشا يقول: إن الشيخ

(1). صافي، خالد محمد، الحكم المصري، ص 124.

(2). سجلات محكمة يافا الشرعية، سجل رقم 9، 1247 - 1255 هـ / 1831 - 1839 م، (426 صفحة)، ص 269، 383.

(3). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 408، وثيقة رقم 3416. رستم، أسد، الأصول العربية، ج 2، ص 11 - 12.

(4). أبو عياش، عائدة، متسلمية غزة، ص 213.

(5). العارف، عارف، المفصل، ص 280.

(6). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 410، وثيقة رقم 3496.

(7). رستم، أسد، الأصول العربية، ج 2، ص 110 - 111.

(8). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 404، وثيقة رقم 3467.

(9). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 407، وثيقة رقم 3484.

(10). شولس، الكزاندر، تحولات جذرية، ص 300.

(11). أبو عياش، عائدة، متسلمية غزة، ص 213.

(12). أبو عياش، عائدة، متسلمية غزة، ص 214.

(13). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 421.

(14). مناع، عادل، أعلام فلسطين، ص 145.

(15). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 308، وثيقة رقم 3435، وثيقة رقم 3560.

قاسم الأحمد استمال جميع أهالي جبل نابلس إلى جانبه وزحف بهم القدس فصده السرعسكري في قرية "لفتة" وكبده بعض الخسائر⁽¹⁾، كما انضم إلى الثوار آل أبي غوش انتقاماً من إبراهيم باشا لأنه سجن زعيمهم في عكا⁽²⁾. وصل الخبر إلى إبراهيم باشا حيث وجه ألياً من جيشه بقيادة الميرآلي حسن بك لرفع الحصار عن حامية القدس فتصدى له الثوار أيضاً ونشبت بينهم معركة دامية قتل فيها حسن بك ونحو ثلاثين جندياً وأكره الباقون على الرجوع إلى يافا⁽³⁾، وحضرت جموع غفيرة لمهاجمة القدس ويافا ففي القدس تسلل الثوار إلى جهة باب داود وقتلوا الحراس وفتحوا الباب فدخل الثوار منه ونهبوا دكاكين البلد وبعض بيوت اليهود⁽⁴⁾، حيث بلغ من احتدام الثورة أن نهض إبراهيم باشا نفسه بجيش ضم حوالي ستة آلاف مقاتل واتجه من يافا نحو القدس، فلما بلغ قرية العنب اشتبك مع الثوار في موقعة دامية استمرت من الظهر حتى المساء دون نتيجة ثم تجدد القتال وتغلب إبراهيم باشا على الثوار وفتح طريقه إلى القدس فوصلها في اليوم الثالث 24 محرم 1250هـ / 21 حزيران 1834م وفرق جموع الثائرين الذين كانوا قد دخلوها⁽⁵⁾.

فرمى الثوار جميع مسلمي القدس الذين انضموا إلى الثوار وأباح لجنوده نهب منازلهم ونهب في أثناء ذلك منازل بعض اليهود خطأً لقربها من منازل المسلمين⁽⁶⁾، غير أنه وجد موقفه في القدس حرجاً إزاء الثوار الذين يحيطون به من كل جانب النابلسيون كانوا يهاجمونه من جهة وعربان غزة من جهة ثانية ومواصلاته مع يافا مقطوعة لاعتراض آل أبي غوش في الطريق⁽⁷⁾، فوقع بين إبراهيم والثوار ثلاث وقائع كان النصر فيها لإبراهيم لكنه فقد خلالها قائد برتبة أمير لواء⁽⁸⁾.

أقلقت الثورة محمد علي باشا كثيراً فبادر إلى إرسال حسن حسني أفندي أحد أعوانه في مصر إلى غزة للوقوف على حقيقة الأمور واجتمع مع البكوات "علي بك وقوجة أحمد آغا وفرهاد آغا"⁽⁹⁾، ونقل إفادتهم عن الموقف في فلسطين إلى الباشا في مصر⁽¹⁰⁾ وتداول معهم الإجراءات اللازمة لقمع الثورة وفي كيفية إنزال العساكر على شواطئ غزة⁽¹¹⁾، وبناء على ذلك أنجد محمد علي باشا ولده بقوات من الجند برأً وبحراً⁽¹²⁾ وعهد بذلك إلى أحمد منكلي باشا⁽¹³⁾، ومن التخطيط الناجح أن تكون هزيمة البدو المشاغبيين على أيدي بدو نظاميين حيث عزز محمد علي باشا قوات قوجه أحمد آغا المرابطة في ضواحي غزة ب 750 فارساً من فرسان أولاد علي والجمعيات وعرب الوسطانية⁽¹⁴⁾ وغيرهم من القبائل وصرف لهم العليق والمؤن ونصب عليهم حسن بك الشماشيرجي قائداً عاماً⁽¹⁵⁾، ودفع لكل واحد منهم 500 قرش⁽¹⁶⁾ وأصدر أوامره إلى مدير الوسطانية بتخريب منازل البدو ونهب أموالهم بعد محو آثارهم⁽¹⁷⁾.

- (1). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 461، وثيقة رقم 3503.
- (2). دروزة، محمد عزة، 1963 - 1981 م، العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي من القرن الثالث إلى القرن الرابع عشر هجري في سورية الوسطى، ط 2، منشورات المكتبة والمطبعة العصرية في صيدا، دمشق، ج 3، ص 278.
- (3). دروزة، محمد، العرب والعروبة، ج 3، ص 278. أبو عياش، متسلمية، ص 215.
- (4). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 398، وثيقة رقم 3435.
- (5). أبو عز الدين، سليمان، 1929 م، "إبراهيم باشا في سوريا"، المطبعة العلمية، بيروت، ص 172 - 173.
- (6). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 406، وثيقة رقم 3468، ص 480، وثيقة رقم 3488.
- (7). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 399، وثيقة رقم 3438، 3440، ص 406، وثيقة رقم 3469.
- (8). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 406، وثيقة رقم 3474. أبو عز الدين، إبراهيم، ص 173.
- (9). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 404، وثيقة رقم 3467، 3468.
- (10). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 407، وثيقة رقم 3481، ص 410، وثيقة رقم 3496.
- (11). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 407، وثيقة رقم 3478، 3482.
- (12). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 409، وثيقة رقم 3492، 3495.
- (13). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 406، وثيقة رقم 4470.
- (14). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 412، وثيقة رقم 3507، ص 415، وثيقة رقم 3516.
- (15). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 413، وثيقة رقم 3509.
- (16). قصر عابدين، سجل 56، رقم 154، ترجمة من اللغة التركية في 14 نوفمبر 1936 م، القاهرة، مصر. منزل الدكتور عادل مناع، القدس، فلسطين.

وأكد على القائد أن يستمر بالزحف عليهم دون تراجع وتسليم من قبض عليهم سواء أكانوا رجالاً أو إناثاً أو صبياناً إلى أقرب متسلم⁽¹⁾.

لم يكتف محمد علي باشا بإرسال النجيدات إلى إبراهيم باشا بل حضر هو بنفسه لتأديب الأشقياء واستئصال نار الثورة من جذورها⁽²⁾، وفور وصوله غزة اجتمع بقواد الآليات فيها وحاول طمأنتهم والتخفيف من روعهم بأن حركة الأشقياء لا تستوجب الاهتمام والخوف⁽³⁾، ولما علم إبراهيم باشا بوصول والده إلى غزة لجأ للتغلب على الثوار بالوسائل السياسية فأوهمهم بأنه مستعد للعدول عن التجنيد والتسامح في غير ذلك من الأمور فقام الثوار بفك الحصار عنه وخرج من القدس⁽⁴⁾ حيث اجتمع مع والده وتم الاتفاق بينهما على الإجراءات التي ستتخذ لقطع دابرهم وتطهير البلاد من شرهم⁽⁵⁾.

اتبع إبراهيم باشا سياسة التفريق في مقاومة الثوار إذ أمّن على خطوط مواصلاته ما بين يافا وغزة وداخل فلسطين فضايق نطاق الثورة وذلك لأنه ضم آل أبي غوش وآل عبد الهادي لجانيه في حين حشد الشيخ قاسم الأحمد رجاله في بلدة تدعى الدير وزحف إبراهيم باشا إليه ونزل في قرية زيتا بالقرب من قرية دير الغصون في نابلس وواقع الثوار وانتصر عليهم⁽⁶⁾، ومن زيتا تقدم إلى غيرها من قرى نابلس توارزه قوات الشيخ حسين عبد الهادي في أعماله فكان يُؤمّن⁽⁷⁾ من يطلب الأمان ويحرق القرى التي يفر أهلها منها مثلما حدث في قرية قاقون، ثم أخذ يقبض على كل من تصل إليه يده من الذين اشتركوا في الثورة ويقتلهم⁽⁸⁾.

هرب الشيخ قاسم الأحمد ومن كان معه من الثوار والأتباع الذين ظلوا مصرين على المقاومة إلى الخليل، حيث كان محمد باشا أبو مرق الغزي وعيسى البرقاوي وعبد الله الجرار وناصر المنصور⁽⁹⁾، فتقدم إبراهيم باشا لمهاجمة الخليل في 29 ربيع الأول 1251هـ/ 25 آب 1834م⁽¹⁰⁾ حيث كان الثوار متربصين له في الطريق واشتبك معهم في عدة مواقع حتى ارتدوا إلى المدينة واستولى الجيش المصري عليها ودام النهب والسلب نهائراً كاملاً، وبلغ عدد القتلى نحو 600 وأسبر نحو 433 شخصاً من الخليل اقتادهم أحمد منكلي باشا للعمل في الأسطول حيث أدخل بعضهم في الجيش⁽¹¹⁾.

هرب زعماء الثوار من الخليل إلى الكرك التي تعقبهم إليها إبراهيم باشا وكانوا قد اعتصموا في قلعتها⁽¹²⁾ حيث حاصر القلعة وحاول فتحها عنوة بقوة من الفرسان الذين تكبدوا خسائر فادحة حيث فقدوا أميراً لاي وقائمقام وبكباشي وهم الذين تعاقبوا على قيادة الفرقة⁽¹³⁾، ورغم بسالة القوات المصرية في الهجوم إلا أنها أخفقت في اقتحام القلعة مما اضطر إبراهيم باشا لإصدار أوامره بالانسحاب حتى تصل المدفعية فاغتتم الثوار الفرصة وخرجوا من القلعة ليلاً دون أن يشعر بذلك المصريون وتوجهوا نحو السلط وهم يظنون أنهم وصلوا إلى مكان آمن⁽¹⁴⁾، فبادر الشيخ قاسم

(17). قصر عابدين، دفتر رقم 778، ديوان خديوي تركي - ص 145، رقم الإفادة 374، القاهرة، مصر، منزل الدكتور عادل مناع، القدس، فلسطين.

(1). قصر عابدين، دفتر رقم 778، ديوان خديوي تركي - ص 145، رقم الإفادة 374، القاهرة، مصر. أبو عياش، متسلمية، ص 216.

(2). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 406، وثيقة رقم 3476. رستم، أسد، الأصول العربية، ج 2، ص 419.

(3). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 416، وثيقة رقم 3520، 3544.

(4). أبو عز الدين، سليمان، "إبراهيم باشا"، ص 174.

(5). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 419، وثيقة رقم 3535.

(6). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 424، وثيقة رقم 3555، 3556.

(7). رستم، أسد، الأصول العربية، ج 2، ص 116، وثيقة رقم 134.

(8). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 422، وثيقة رقم 3549.

(9). رستم، أسد، الأصول العربية، ج 2، ص 116، وثيقة رقم 134.

(10). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 425، وثيقة رقم 3560، 3562.

(11). رستم، أسد، الأصول العربية، ج 2، ص 125 - 126.

(12). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 419، وثيقة رقم 3625. رستم، الأصول، ج 2، ص 125.

(13). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 440، وثيقة رقم 3634، ص 441، وثيقة رقم 3635.

(14). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 447، وثيقة رقم 3661، ص 398، وثيقة رقم 3435.

الدوخي شيخ عرب غزة بتسليمهم إلى الشيخ عامر الهندي⁽¹⁾ الذي قام بتسليمهم إلى إبراهيم باشا الذي كان مستمراً في مطاردة عربان غزة الفارين من وجه قوات الشماشيرجي إلى الكرك⁽²⁾، ولم يستطع الشماشيرجي القضاء على الثوار في غزة إلا بمساعدة أحمد منكلي باشا الذي استخدم شتى الوسائل والأساليب في إخمادها⁽³⁾.

ثانياً: نتائج الثورة

انتهت الثورة بفشلها⁽⁴⁾ وبانتصار القوات المصرية التي شرعت في معاقبة الثوار بشتى الوسائل والأساليب إذ نفت إلى مصر رهطاً من علماء فلسطين منهم الشيخ محمد علي الخالدي قاضي غزة⁽⁵⁾، وتم إعدام الشيخ مسعود الماضي وابنه عيسى ومحمد باشا أبو مرق⁽⁶⁾، كما تم تقويض العشائر البدوية وكسر شوكتهم⁽⁷⁾، أما من بقي من الأسرى الذين قبض عليهم في هذه الثورة، فقد نقلوا على سفن الأسطول من غزة إلى مصر إذ تم توزيعهم على الآليات المربطة فيها⁽⁸⁾.

شرع إبراهيم باشا بجمع الأسلحة من غزة قبل التجنيد تنفيذا لأوامر والده⁽⁹⁾، ومضى بالبحث والتقصي لضبط الأسلحة واستأجر شخصاً من كل حي ودفع له 500 قرش ليكشف الأسلحة المخفية ومن وُجد عنده سلاح عوقب ب 500 جلده، ومن لم تكن اللياقة لتحمل الضرب يرسل إلى سجن عكا، حيث مضت الأوامر التي تؤكد على جمع السلاح واستخدام الشدة، وقال إبراهيم باشا إلى محمد شريف باشا: "يا شريف شدد مشايخ الحارات، فإن المطلوب العالي هو أن تعلموا ما يمكن علمه في سبيل جمع الأسلحة فتجمعوها كلها"، وكانت القوات تجمع يومياً من متسلمية غزة حوالي 600 بندقية ونزل المسؤولون بأنفسهم للإشراف على هذا العمل وأخذت الموائيق على الوجوه والأعيان في غزة بعد أن حملوا المسؤولية بتحديد الوقت لانتهاه التسليم، كما حرر شيوخ الحارات سندات على أنفسهم كل من وُجد عنده سلاح من الآن إلى بعد سنتين فقصاصه القتل⁽¹⁰⁾، ونزلت القوات في الشوارع والحارات واستخدمت القوة في هذا العمل وتجبر من لا يقتني السلاح وخاف من العقاب فاضطر لشراؤه ليقدمه ويسقط عنه العقاب⁽¹¹⁾.

اشتدت إجراءات نزع السلاح مع حركات التمرد وصدرت الأوامر من محمد علي باشا إلى إبراهيم باشا باستخدام الإرهاب قائلاً: "إن إرهاب الأهالي في بر الشام يسهل عليه لم السلاح منهم، وأن المصلحة تقضي بمجازاة من يخفي سلاحه⁽¹²⁾ وانعكس هذا سلبياً على السكان الذين بادروا بالرحيل عن غزة إلى المناطق المجاورة أما فيما يتعلق بالأسلحة التي كانت تجمع في متسلمية غزة فكانت ترسل إلى العريش إذ يتم تكسيرها أمام الأهالي بناء على أوامر محمد علي باشا⁽¹³⁾.

تم تنفيذ قرار جمع السلاح وما سحب من تجنيد وهدأت الأحوال ولم يبق في البلاد الساحلية بلد لم ينفذ فيها أمر التجنيد من صفد في الشمال حتى غزة في الجنوب.

أما فيما يتعلق بالتجنيد الذي نُفذ قراره بعد انتهاء الثورة بمختلف الوسائل والأساليب التي اجمع على استنكارها المعاصرون لحكومة محمد علي إذ لم يكن له وقت ولا نظام مخصوص ولا على أصول القرعة الشرعية بل في

(1). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 443، وثيقة رقم 3645.

(2). رستم، أسد، الأصول العربية، ج 2، ص 129، وثيقة رقم 144.

(3). أبو عياش، عائدة، متسلمية غزة، ص 218.

(4). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 439، وثيقة رقم 3630.

(5). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 421، وثيقة رقم 3538.

(6). رستم، أسد، الأصول العربية، ج 2، ص 1222، وثيقة رقم 124.

(7). قصر عابدين، سجل 56، رقم 154.

(8). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، ج 5، ص 424، وثيقة رقم 3557.

(9). رستم، أسد، المحفوظات الملكية، ج 6، ص 439، وثيقة رقم 3564.

(10). لطيفة محمد سالم، 1990م، بلاد الشام تحت الحكم المصري 1831 - 1841م، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 2، ص 259.

(11). لطيفة محمد سالم، بلاد الشام، ص 295. أبو عز الدين، سليمان، "إبراهيم باشا في سوريا"، ص 165.

(12). أسد رستم، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 448، وثيقة رقم 3697، 3694.

(13). أسد رستم، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 482.

أي وقت صدرت به الإدارة تدور العساكر (الجنود) في المدن والقرى للقبض على أي من وجدوه وإذا وُشي بأحد أنه مختبئ في أحد البيوت تهجم العساكر وتدخل إلى ذلك البيت فجأة للبحث عنه ويهرب الشبان ، كذلك أقبل كثير من الناس على قطع إصبع السبابة من الكف اليمين أو يقتلعون العين من الشمال⁽¹⁾ ، أما يوم التجنيد فكان يوم حزن واضطراب أفكار عظيمة كثر فيها عويل النساء وبكاءهن حزناً على المجندين من ذويهم ، حيث فر عدد كبير منهم إلى الجبال والبراري وبعضهم أُبعد في فراره إلى بغداد إلى ما بين قبائل البادية⁽²⁾.

بناء على ذلك ومحاولة للتخفيف من اليأس الذي ساد بين الناس من تجنيد الشباب لجأت الحكومة إلى تحديد الخدمة خمسة عشر سنة للمجندين الجدد كما خصم خمس سنوات من المدة التي أمضاها القدماء ويتم التقييد من يوم الحضور ويسرحون بانتهاء مدتهم، كما طبق نظام الكفالات على المجندين وذلك بأن يتعهد ويقر قريب المطلوب للتجنيد بإحضاره عند هروبه واستعمل البدل في بعض الأحيان فمن كان له مُلكٌ باعوه ودفَعوا بدلات عن أولادهم بمال جزيل وبالجهد والجهيد حتى يعطوهم أولادهم بالبدلات المذكورة، وارتفعت الأسعار في هذا الشأن حتى وصل ثمن البدل إلى عشرة آلاف⁽³⁾.

وُجدت الرشوة مكاناً لها فرئيس الحي الذي عليه أن يسلم العدد المطلوب لعب بهذا الأمر، وأصبح يقوم بعملية تبديل بين شخص وآخر وفقاً للمبلغ الذي يقدم له وعلى ذلك لم تتمكن الأرملة الفقيرة أن تجد ما تعطيه عن ابنها الوحيد من هذا المصير، وألقيت الأعباء على غير القادرين إلى جانب ذلك حدثت بعض الحالات الاستثنائية البسيطة التي تقرر فيها العدول عن تجنيد البعض لتحقيق مصلحة الدولة كإرسال الأنفار لقطع الأخشاب وبعض الزراعيين والصناع والعمال الذين يعملون لصالح الحكومة⁽⁴⁾.

مضت الحكومة المصرية على هذا الأساس في عملية التجنيد نظراً لاستمرارية الحاجة للجندية ولم يقتصر أمر التجنيد على المسلمين بل شمل أيضاً المسيحيين الذين كان إبراهيم باشا يرى في تجنيدهم أنه يستطيع أن يبعد الدول الأوروبية عنهم وعن إثارة الفتن، فضلاً إلى رغبته في إزالة العداوة بينهم وبين المسلمين وتوطيد الصداقة بينهم⁽⁵⁾، وهكذا هذأت الأحوال ولم يبق في البلاد الساحلية بلد لم ينفذ فيها أمر التجنيد ونزع السلاح⁽⁶⁾.

خاتمة

- (1) فرض المصريون ضريبة جديدة هي ضريبة الفردة التي شكلت عبئاً كبيراً على السكان.
- (2) تجنيد الآلاف من فلاحي وعمال البلاد اللذين كانوا يعملهم يردون مردوداً إلى المجتمع شكل خسارة كبيرة لهذه البلاد تحت الحكم المصري وتحولت من قوة منتجة إلى قوة مستهلكة.
- (4) قاوم الفلسطينيون السياسات المصرية وخصوصاً تلك المتعلقة بالتجنيد ونزع الأسلحة بعد أن استمرت الثورة التي اندلعت نحو أشهر وشاركت فيها قطاعات المجتمع حيث دفع محمد علي نفسه إلى التوجه إلى فلسطين على رأس قواتها 15000 جندي لمساعدة ابنه في إخمادها.
- (4) تسببت السياسة المصرية بتقليص السكان المحليين وزاد عدد الأجانب ولا سيما اليهود، وأدى ذلك إلى تعميق الانقسام في بنية المجتمع المحلي كما شجعت السلطات المصرية على الهجرة من مصر إلى فلسطين.

قائمة المصادر والمراجع:

أ. المخطوطات:

- (1) الشدياق، طنوس، أخبار الأعيان بجبل لبنان، مخطوط الجامعة الأردنية، ميكرو فيلم 754، ج 2، بيروت.

(1) . الطرابلسي، المخطوط، 495، الكلية، 48 - 49 . شولس، ألكزاندر، تحولات، ص 301.

(2) . الطرابلسي، المخطوط، 95، الكلية، 48 - 49 . شولس، ألكزاندر، تحولات، ص 301.

(3) . ميخائيل مشاققة، تاريخ محمد علي باشا، مجلة المقتطف، ج 7، م 30، 1905م، ص (521 - 646)، ص 596.

(4) . لطيفة سالم، بلاد الشام، ص 292.

(5) . أسد رستم، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 480، وثيقة رقم 3824.

(6) . أسد رستم، المحفوظات الملكية، ج 2، ص 448.

(2) الطرابلسي، نعمة الله نوفل، كشف اللثام عن محيا الحكومة والحكام في إقليمي مصر وبر الشام، مخطوط الجامعة الأردنية، ميكروفيلم، 717.

ب. المصادر:

- (3) الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، ط 4، بيروت، دار الطليعة، 11 جزء، 1965م.
 - (4) دروزة، محمد عزة، 1963 - 1981م، العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي من القرن الثالث إلى القرن 14 هجري في سورية الوسطى، ط 2، دمشق، منشورات المكتبة والمطبعة العصرية في صيدا.
 - (5) رافق، عبد الكريم، الموسوعة الفلسطينية، ط 1، بيروت، هيئة الموسوعة الفلسطينية، 6 أجزاء 1990م.
 - (6) رستم، أسد، المحفوظات الملكية المصرية، ط 2، لبنان، منشورات المكتبة البوليسية، 4 أجزاء، 1987م.
 - (7) رستم، أسد، الأصول العربية لتاريخ سورية، ط 2، لبنان، المكتبة البوليسية، 5 أجزاء.
 - (8) الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط 9، بيروت، دار العلم للملايين، 8 أجزاء، 1410هـ / 1990م.
 - (9) زيدان، جورج، تاريخ مصر الحديث، ط 1، مصر مطبعة المقتطف، 1889م.
 - (10) سالم، لطيفة محمد، بلاد الشام تحت الحكم المصري 1831 - 1841م، مكتبة مدبولي، القاهرة 1990م.
 - (11) سعادة، علاء كامل، متسلمية نابلس في العهد المصري 1247 - 1256هـ / 1831 - 1840م، ط 1، عمان، دار البشير للنشر والتوزيع.
 - (12) سعيد، حسن إبراهيم، يافا من الغزو النابليوني إلى حملة إبراهيم باشا (1799-1831م)، ط 1، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2006م.
 - (13) شرابي، هشام، يافا عطر مدينة، ط 1، دار الفتى العربي، بيروت، 1991م.
 - (14) شولس، ألكزاندر، تحولات جذرية في فلسطين 1856 - 1882م، ترجمة: كامل جميل العسلي، ط 2، منشورات الجامعة الأردنية، عمان 1993م.
 - (15) صافي، خالد محمد، الحكم المصري في فلسطين 1831 - 1840م، ط 1، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2010م.
 - (16) العارف، عارف، (1380هـ / 1961م)، المفصل في تاريخ القدس، ط 1، دار مكتبة الأندلس، القدس.
 - (17) العارف، عارف، تاريخ غزة، تاريخ غزة، ط 1، دار البراك للنشر والتوزيع، الرياض، 1430هـ / 2009م.
 - (18) أبو عز الدين، سليمان، "إبراهيم باشا في سوريا" بيروت، المطبعة العلمية، 1929م.
 - (19) أبو عياش، عائدة فايق، متسلمية غزة تحت الحكم المصري 1247 - 1256هـ / 1831 - 1841م، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، 1996م.
 - (20) مشاققة، ميخائيل، تاريخ محمد علي باشا، مجلة المقتطف، ج 7، م 30، 1905م.
 - (21) مناع، عادل، أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني 1800 - 1918م، ط 1، جمعية الدراسات العربية، القدس.
 - (22) مؤرخ مجهول، حروب إبراهيم باشا في سوريا والأناضول، جزأين، ط 2، المكتبة البوليسية، بيروت 1986م.
- #### ج. السجلات:
- (23) خط همايون، إستانبول، أرشيف مكتب رئيس الحكومة.
 - (24) سجل محكمة القدس الشرعية، 1247هـ / 1831م، (141 صفحة)، المجلد 315.
 - (25) سجلات محكمة يافا الشرعية، سجل رقم 9، 1247 - 1255هـ / 1831 - 1839م، (426 صفحة).
 - (26) قصر عابدين، سجل 56، رقم 154، ترجمة من اللغة التركية في 14 نوفمبر 1936م، القاهرة، مصر. منزل الدكتور عادل مناع، القدس، فلسطين.
 - (27) قصر عابدين، دفتر رقم 778، ديوان خديوي تركي - ص 145، رقم الإفادة 374، القاهرة، مصر، منزل الدكتور عادل مناع، القدس، فلسطين.

تنوع المشاهد الطبيعية والثقافية بجبال الأطلس وانعكاسها على الجذب السياحي جهة بني ملال خنيفرة انموذجا

مراد طويل^{1*} سعيد عارف¹ خديجة لكدالي² نادية الماشوري²

1 مختبر دينامية المشاهد، والمخاطر والتراث، شعبة الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة السلطان مولاي سليمان بني ملال-المغرب
2 مختبر الإنسان والمجال في العالم المتوسطي، شعبة الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، جامعة محمد الخامس-المغرب

* البريد الإلكتروني للمؤلف الأول: morad.touil19@gmail.com

الكلمات المفتاحية: المشاهد-الثقافة الجبلية-التسويق الترابي-الجيومورفولوجيا-الكرطوغرافية

ملخص البحث

يعتمد الاقتصاد على المستوى العالمي على الاستثمار الأمثل لمختلف الموارد المتاحة داخل كل بلد أو منطقة من خلال العمل على تطوير هذه الموارد وتنظيمها، ولعل السياحة أصبحت في عصرنا الحالي قطاعا اقتصاديا متميزا يحظى باهتمام جل الدول والقارات من أجل تطوير مختلف وسائل الجذب السياحي. في هذا السياق تهدف هذه الورقة البحثية إلى تحديد دور تنوع المواقع الجيومورفولوجية والمشاهد الثقافية بجهة خنيفرة بني ملال-المغرب ووقعها الإيجابي على السياحة، حيث تعرف جبال الأطلس عموما بغناها الطبيعي وراثتها الثقافي كما تعد الجهة بشكل خاص موطن السياحة الإيكولوجية بامتياز كونها تحتوي على بنية طبيعة مميزة من مواقع جيومورفولوجية، منتزهات، عيون، أودية ومغارات... وتساهم هذه المعطيات البحثية مجتمعة في جرد وتقييم/تصنيف وبرمجة المشاهد والمواقع الجيومورفولوجية الكترونيا بهدف تسويقها وإبراز دورها الريادي في الجذب السياحي.

Résumé

L'économie mondiale repose sur un investissement optimal des diverses ressources disponibles dans chaque pays ou région, grâce au développement et à l'organisation de ces ressources. À notre époque, les ressources humaines sont devenues une industrie et une ressource importante, attirant l'attention de la plupart des pays afin de développer divers moyens de développement souhaité. Les montagnes de l'Atlas dans notre pays, le Maroc, restent un patrimoine naturel avec des paysages diversifiés et un espace qui embrasse une culture riche. Dans ce contexte, ce travail de recherche vise à définir le rôle historique de la montagne à deux niveaux. La première est liée à la diversité paysagère, principalement liée aux formes géomorphologiques qui renforcent l'attrait touristique, et la seconde concerne la centralité de la montagne dans la richesse de la culture marocaine, le cas des montagnes du Haut Atlas. Cependant, malgré le rôle important que joue la montagne, elle souffre de plusieurs problèmes, dont les plus importants sont le changement climatique et la dégradation de l'environnement d'une part, et l'impact de la mondialisation sur la culture locale d'autre part. Nous pouvons donc nous poser la question de savoir comment ce document de recherche peut aborder tous ces aspects.

Mots-clés : paysages - montagne - développement - patrimoine naturel.

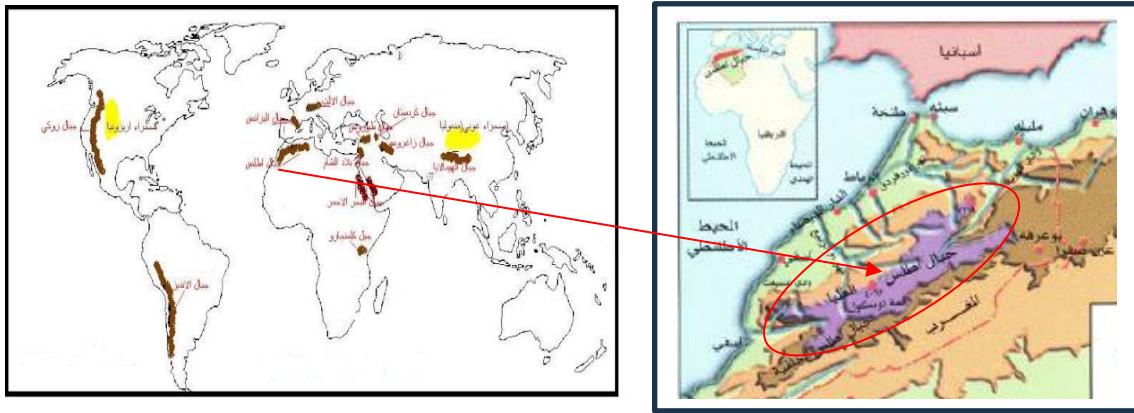
1- مقدمة

تُعد جبال الأطلس في المغرب موطنًا لعدة مشاهد طبيعية خلابة وثقافية فريدة، حيث تتجلى العلاقة المتناغمة بين الإنسان والبيئة عبر قرون من التفاعل. هذه المشاهد ليست مجرد مناظر طبيعية، بل هي نتاج أنظمة بيئية ومعمارية واجتماعية متكاملة، تعكس أنماط حياة تقليدية وأساليب استغلال الموارد الطبيعية التي طورها السكان المحليون، خاصة الأمازيغ، للحفاظ على استدامة الحياة في بيئة جبلية قاسية.

2- تقديم المجال المدروس

جبال الأطلس تقع في شمال غرب إفريقيا حيث تعبر قلب المغرب من المحيط الأطلسي غربا نحو بعض دول المغرب العربي شرقا. وفي المغرب تحديداً، تُعد جبال الأطلس من أهم المعالم الجغرافية وتنقسم إلى ثلاثة سلاسل رئيسية:

- الأطلس المتوسط: يقع في وسط المغرب، ويمتد من نواحي فاس إلى بني ملال، ويتميز بغاباته الكثيفة وموارده المائية.
- الأطلس الكبير: يُعد أعلى سلسلة جبلية في شمال إفريقيا، ويمتد من نواحي أكادير في الجنوب الغربي إلى شمال شرق المغرب، ويضم جبل توفال، أعلى قمة في المغرب وإفريقيا الشمالية (4167 متراً).
- الأطلس الصغير: يقع جنوب الأطلس الكبير ويمتد قرب الصحراء، ويمر عبر مناطق مثل تزنيت وتافراوت.



الشكل رقم 1: خريطة موطن جبال الأطلس (مؤسسة الكويت للتقدم العلمي)

3- المنهجية

اعتمدنا في هذا المقال على جميع المعطيات ونقدها وتحليلها ثم تقديمها وذلك من خلال المراحل التالية:

- الإطلاع على مجموعة من المقالات والبحوث والكتب التي لها صلة بالبحث العلمي عامة والمتمحورة حول تدهور المشاهد البيئية والثقافية بجبال الأطلس.
- تحليل وتأويل مختلف البيانات المستخلصة، للإجابة على التساؤلات المطروحة وتنظيمها طبقاً لتسلسل منهجي وتقديم المقال في حالته النهائية.

4- النتائج والمناقشة

على ضوء هذا المقال خلصنا إلى أن المكون الطبيعي والثقافي ذو أهمية جغرافية بالغة لكل بلد بحيث إن جبال الأطلس تشكل غنى طبيعي ناتج عن تفاعل الإنسان والمجال.

4-1 / المشاهد الطبيعية والثقافية ودورها في الجذب السياحي

تقول Manon Morelli في مقالها L'Atlas au Maroc, une aventure au-delà des dunes أن جبال الأطلس تتمتع بأهمية جغرافية ومناخية كبيرة. تشكل جبال الأطلس حاجزاً مناخياً يفصل مناخ البحر الأبيض المتوسط في الساحل الشمالي لأفريقيا عن مناخ الصحراء الكبرى إلى الجنوب. ويؤثر هذا على أنماط الرياح وهطول الأمطار ودرجات الحرارة، وبالتالي على أنواع النباتات والحيوانات التي يمكن العثور عليها هناك. وتبقى جبال الأطلس ببلدنا المغرب موروثاً طبيعياً متنوع مشاهدته الطبيعية ومجالاً يحتضن ثقافة غنية، فكتلة الأطلس عموماً والجبال خصوصاً تلعب دوراً تاريخياً على مستويين، الأول مرتبط بالتنوع المشهدي المتعلق أساساً بالأشكال الجيومورفولوجية التي تعزز الجذب السياحي والثاني يهم مركزية الجبل في غنى الثقافة المغربية حالة جبال الأطلس الكبير.



الشكل رقم 2: صورة للأطلس (وكيديا)

1-4-1/ تعريف المشهد

المشهد هو نظام بيئي وواقع طبيعي تؤثر فيه العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ووليدا لتوازنات لعلاقة تفاعلية بين المعطى البشري والعناصر الطبيعية⁽¹⁾. وبذلك يكون المناظر الجغرافية أحد الركائز الأساسية للمشاهد الطبيعية التي تؤثر في عيش الإنسان على سطح الأرض.

1-4-2/ تعريف المشهد الطبيعي

عرّف سوير المشهد الثقافي بأنه الوحدة المحددة للدراسة الجغرافية. فقد رأى أن الثقافات والمجتمعات لا تنشأ فقط من داخل المحيط الخاص بها، ولكن تتشكل تبعاً لها أيضاً⁽²⁾. وبالتالي يمكن القول بأن المزج بين المناظر الجغرافية والإنسان يخلق لنا المشهد الثقافي.

إن التفاعل بين الإنسان والمجال تؤدي حتماً إلى تكوين صورة بصرية تؤكد أهمية المشاهد الجغرافية في تعزيز الثقافة البصرية ودعم التنمية من خلال الجذب السياحي.

2-4/ تنوع المشاهد الطبيعية بجمال الأطلس - الأطلس الكبير نموذجاً

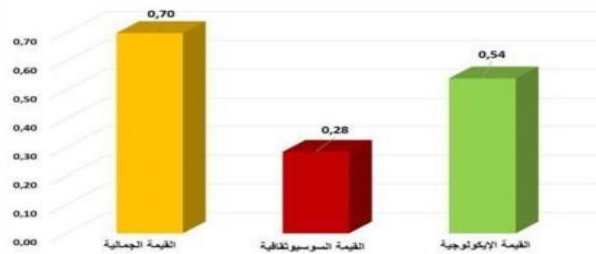
تنفرد سلسلة جبال الأطلس الكبير بمميزات خاصة حيث تضم أعلى القمم على مستوى القارة الإفريقية - جبل توبقال - إضافة إلى التنوع البيولوجي - الإحيائي وكذا تنوع المشاهد الطبيعية من عيون ومغارات وكهوف، ومدارات التراثية المبنية كالقصور والقصبات والقرى التقليدية...

1-2-4/ المشاهد الطبيعية بجمال الأطلس الكبير حالة جيوبارك مكنون

تزخر جبال الأطلس عموماً والأطلس الكبير خصوصاً بمشاهد طبيعية خلابة تعتبر وجهة سياحية مهمة؛ حيث التناغم بين الإنسان والطبيعة وفي هذا السياق يحتضن الأطلس الكبير منتزه الجيوبارك المكون المصنف عالمياً كتراث ضمن اليونيسكو. فما هو الجيوبارك مكنون؟

الشكل 3: الجيوبارك أو المنتزه الجيولوجي هو مجال ترابي يضم واحداً أو عدة مواقع ذات الأهمية العلمية الكبرى على المستوى الجيولوجي والاركيولوجي والطبيعي والثقافي ويقتضي أن يمتد مجاله الترابي على مساحة واسعة تسمح بإقامة أنشطة اقتصادية مستدامة من خلال استثمار وتنظيم ما يمنحه هذا التراث. ويقتضي هذا التصور المساند والمحتضن من طرف منظمة اليونسكو⁽³⁾.

يمثل المبيان (الشكل رقم 3) تقييم المشاهد حسب القيمة حيث تبقى القيمة الجمالية الأكثر جذبا وتأثيرا؟



الشكل رقم 3: مقارنة بين المشاهد حسب القيمة

(1) نور الدين الزيتوني - مجلة البحوث الجغرافية

(2) نفسه

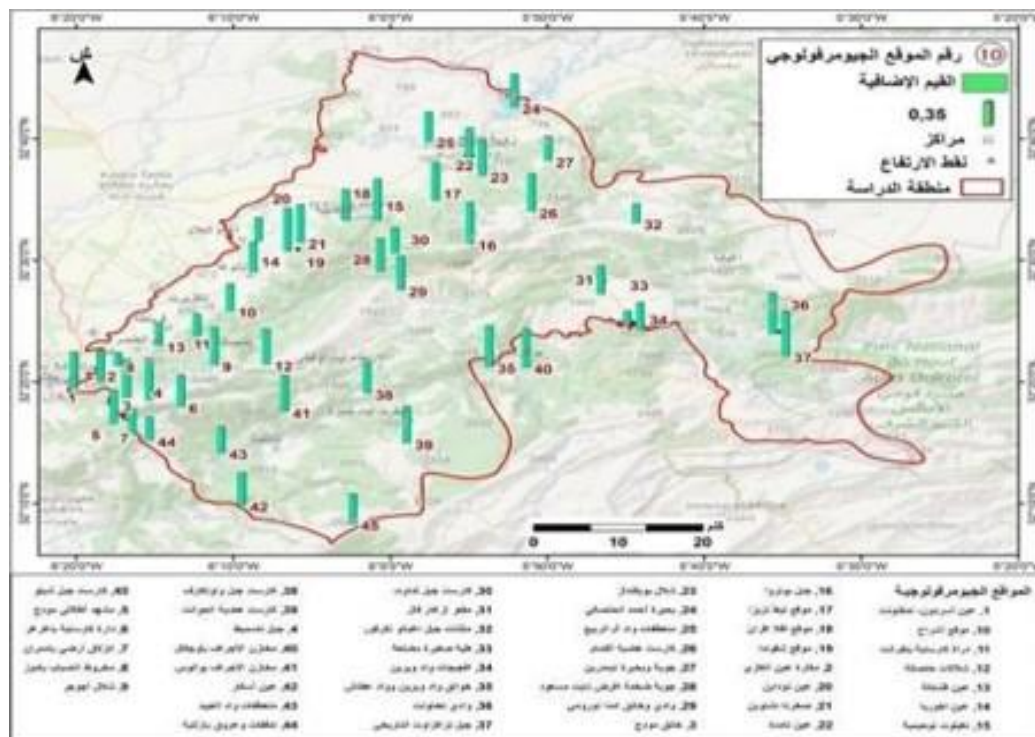
(3) الجيوبارك - العين الإخبارية

4-2-2/ مكونات المشاهد الطبيعية بالأطلس الكبير

تحتل المناظر الطبيعية مساحة تحدها الطبيعة الكونية من مناخ، دورات المياه، التربة، المعادن، النباتات والحيوانات. فهي على سبيل المثال، مناظر طبيعية إما جبال مرتفعة، عيون، أودية، مغارات، أو غابات أو صحارى... ويختلف المشهد الطبيعي عن المشهد الثقافي الذي تم إنشاؤه بواسطة الناس. في القرن الحادي والعشرين، لم تعد هناك مناظر طبيعية كاملة البكر لم تمسها الأنشطة البشرية⁽¹⁾.

تعتبر الأشكال الجيومورفولوجية أهم مكونات المشهد الطبيعي بجبال الأطلس الكبير حيث تشكل المجاري المائية والعيون الكارستية إضافة إلى أشكال أخرى مختلفة العناصر الأساسية للمشهد الجغرافي الطبيعي ذو القيمة الإيكولوجية والسوسيوثقافية والجمالية.

وتتوزع المشاهد الطبيعية بمختلف أرجاء الأطلس الكبير عموما وبمنتزه جيوبارك امكون على وجه الخصوص بشكل متباين (الشكل ...)

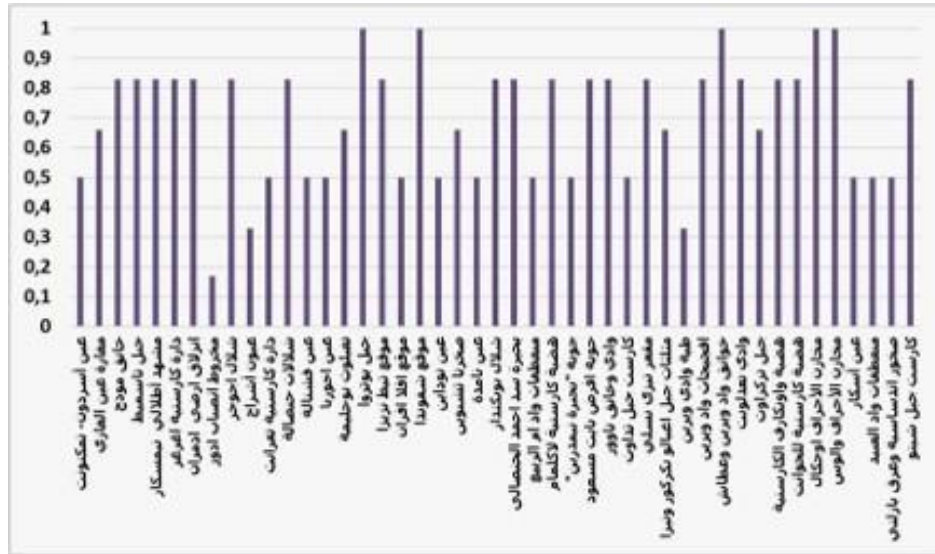


الشكل رقم 4: خريطة بعض المشاهد الجيومورفولوجية بالأطلس الكبير (توفيق آيت عمر)

حظيت هذه المواقع أيضا بقيم إضافية مختلفة، بلغ متوسطها (0.51)، نظرا إلى خصائصها الجمالية المتفردة والمرتبطة بتنوع عناصر المشهد الجيومورفولوجي. كما تميزت بوظائف إيكولوجية مهمة، تهم بالخصوص المواقع الموجودة بالمحمية الإيكولوجية "تيزي نايت ويرا" بمنطقة القصيبة وتلك الموجودة بوادي "تعدلونت" بأغبال، حيث تنمو هناك أشجار الأرز التي تعد تراثا إيكولوجيا وطنيا. في حين أن قيمتها السوسيوثقافية ضعيفة، تعكس ضعف أهميتها الدينية، التاريخية، الأدبية والفنية ومستوى إدراكها الاجتماعي، باستثناء مواقع جد محدودة كعين أسردون، عين تامدة، جبل تاسميط، تغلوت نوحليمة، مخازن الأجراف بأوجكال... استأثرت هذه المواقع بقيمة استعمال مهمة بلغت (0.62). بحكم إسهامها الملحوظ في النمو الاقتصادي المحلي (الفلاحة، السياحة، الماء الصالح للشرب) وكذلك بفضل ولوجيتها وما توفره من ظروف مواتية تضمن القيام بزيارات سياحية آمنة⁽²⁾.

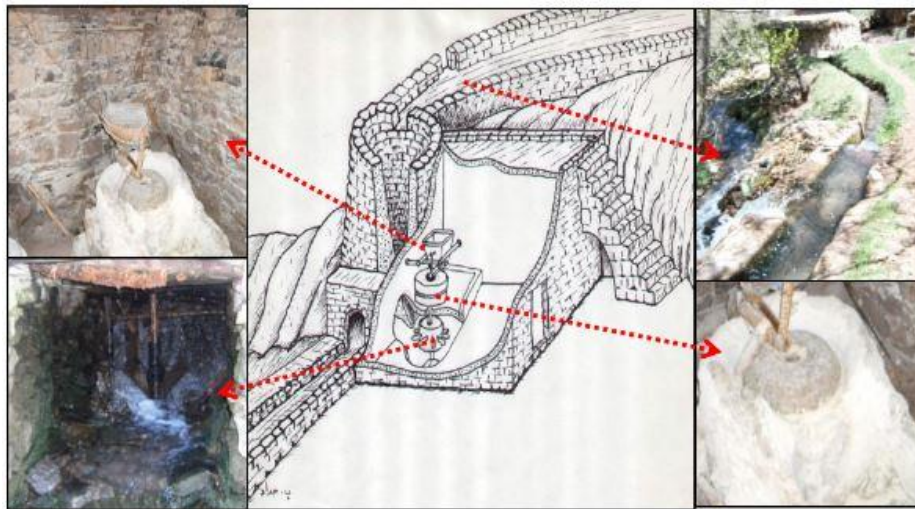
(1) إريك بروبك، بتصرف

(2) توفيق آيت عمر



الشكل رقم 5: مبيان تقييم المواقع الجيومورفولوجية (توفيق آيت عمر)

إن ما يعطي لأغلب هذه المشاهد الطبيعية جمالية وبهاء هو التواجد المستدام للماء، حيث أن هذا الأخير يكتسي أهمية بالغة في المنطقة الأطلسية برمتها وبذلك يعتبر تراث مائي شاهد على تأقلم سكان الأطلس مع الظروف الطبيعية وإبداع طرق وتقنيات لاستعمال وتوزيع الماء بشكل تشاركي خاص.



الشكل رقم 6: الطواحن المائية كتراث بآيت بوكماز (محمد الغاشي، حنان الرداد وفادية لحلو)

عرض لبعض المشاهد الطبيعية لجبال الأطلس



المشهد 4: قرية جبلية



المشهد 4: شلالات الأطلس



المشهد 4: جبل تويقال



المشهد 3: قرية تاكزيت



المشهد 6: وادي أوريكا



المشهد 5: قصبة أوريكا

4-3/ المشاهد الثقافية بجبال الأطلس الكبير

تظل المشاهد الثقافية بجبال الأطلس شاهدة على غنى تراث الحضارة المغربية والذي على المباني والأماكن الدينية والتاريخية والتحف من منشآت دينية، ومبان حربية ومدنية مثل الحصون والقصور، إضافة إلى تراث يجمع كل ما يدخل في خانة العادات والتقاليد الشعبية والحرف والصنائع والموسيقى الشعبية.

فالمشاهد بمختلف أنواعها عبارة عن تراث خلفه الأجداد

فما هو إذن المشهد الثقافي وما هي وظائفه؟

4-3-1/ تعريف المشهد الثقافي

عرّف سوير المشهد الثقافي بأنه الوحدة المحددة للدراسة الجغرافية. فقد رأى أن الثقافات والمجتمعات لا تنشأ فقط من داخل المحيط الخاص بها، ولكن تتشكل تبعاً لها أيضاً⁽¹⁾. وبالتالي يمكن القول بأن المزج بين المناظر الجغرافية والإنسان يخلق لنا المشهد الثقافي.

4-3-2/ أهمية ووظيفة المشاهد الثقافية في تعزيز التراث

يشكل التراث، بكل أشكاله، قضية رئيسية في مجتمعنا. ولا يقتصر الأمر على المعالم والأعمال الفنية، بل يشمل أيضاً التقاليد والمهارات والممارسات الثقافية التي تشكل هويتنا الجماعية. إن فهم أهمية التراث يعني الاعتراف بدوره الأساسي في نقل إرثنا وذاكرتنا الجماعية، مع تعزيز التماسك الاجتماعي. إن هذا الكنز الثقافي، سواء كان ملموساً أو غير ملموس، يربطنا بماضيينا ويقدم لنا دروساً قيمة لصياغة مستقبلنا المشترك.

الوظيفة الاجتماعية للتراث

كما يلعب الحفاظ على التراث دوراً أساسياً في التماسك الاجتماعي. ومن خلال ترسيخ الشعور بالهوية، فإنه يوحد الأفراد حول القيم المشتركة ويسمح لهم بالشعور بأنهم جزء من المجتمع. يساعد التراث غير المادي، مثل المهرجانات التقليدية أو الممارسات العرفية، على خلق روابط قوية بين الأجيال. وبهذا المعنى، فإنها تمثل ناقلاً حقيقياً للمسؤولية الجماعية التي تشجع أعضاء المجتمع على المشاركة في تعزيزها ونقلها⁽²⁾.



الشكل رقم 6: خريطة الشاهد الثقافية

4-3-4/ عناصر المشهد الثقافي بجمال الأطلس الكبير

تتنوع المشاهد الثقافية بجمال الأطلس حيث يشكل المعمار أحد أهم المؤثرات الثقافية بمنطقة الدراسة وتتجلى في القصبات والقصور والقرى ، وإلى جانب هذه المشاهد المبنية نجد التراث المغنى الذي يتمثل في أنواع الرقصات

كأحيدوس وأحواش وتايسكوين...

وفي التالي نماذج للمشهد الثقافي العريق في الحضارة المغربية

(1) نفسه

(2) Michel Vernières



مشهد رقم 8: جامع الكتبية



مشهد رقم 7: ويلي



مشهد رقم 10: رقصة أواش



مشهد رقم 9: جامع الفنا



مشهد رقم 12: الزربية الأطلسية



مشهد رقم 11: دار الدباغ

4-3/ برمجة المواقع السياحية على شبكة الانترنت باستخدام Web-SIG

بعد جرد وتصنيف العديد من المواقع الجيومورفولوجية والأثرية التي تزخر بها جبال الأطلس والتي لها وقع مباشر على الجذب السياحي بإفريقيا عامة يكن أن طرح التساؤل عن كيفية الوصول لهذه المشاهد السياحية بسهولة من طرف السائحون؛ وفي هذا السياق قد تكون نظم المعلومات الجغرافية على الأنترنت Web-SIG أبرز الحلول الاستراتيجية لتسويق سياحي متطور

فما هو الـ Web-SIG؟

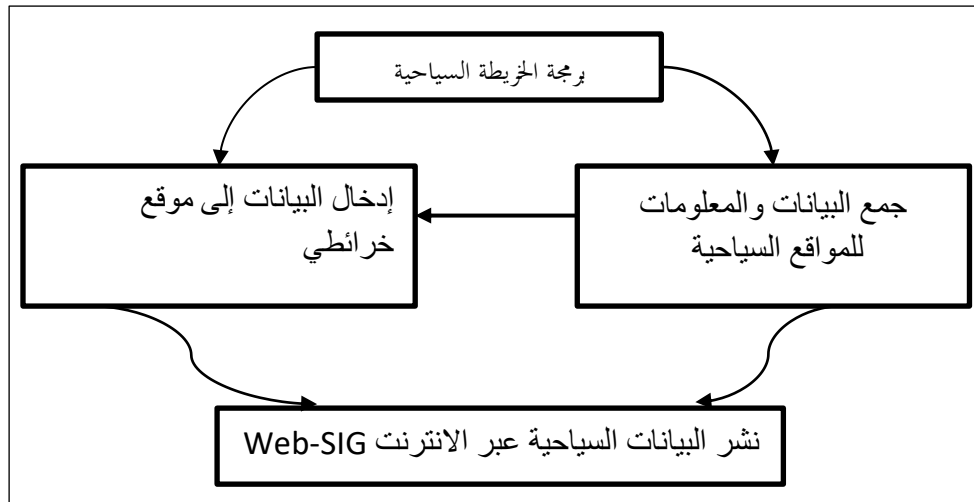
ظهرت حلول نظم المعلومات الجغرافية على الويب لأول مرة منذ ما يقرب من عشر سنوات. إلا أنها لم تحل محل حلول سطح المكتب التقليدية إلا مؤخرًا، مستفيدةً من سهولة الوصول إلى الويب. اعتمدت هذه الحلول في البداية على هياكل زيون-خادم تقليدية، ثم مؤخرًا على هياكل موجهة نحو الخدمات. وقد أتاحت هذه الحلول لمجتمع واسع من المستخدمين أنظمة المعلومات الجغرافية، بل إن بعضها جعلها متاحة لعامة الناس⁽¹⁾.

وبذلك تكون نظم المعلومات الجغرافية على الأنترنت أداة ووسيلة متطورة تساعد السائحون على الوصول إلى المواقع السياحية والخدمات المتواجدة في الأماكن التي يختارونها للاستجمام.

كان تطبيق حلول نظم المعلومات الجغرافية على الويب في البداية ظاهرة تحتكرها الشركات والإدارات: إذ أتاحت حلول الشبكة الإنترنت إمكانية الوصول إلى نظم المعلومات الجغرافية بتكلفة معقولة لجميع المشغلين أو الباحثين المشاركين مباشرةً في أنشطتهم اليومية. ومنذ عام 2005، ومع انتشار الوصول إلى الإنترنت عريض النطاق، أثرت هذه الظاهرة أيضًا على عامة الناس (مثل جوجل إيرث، وخرائط جوجل، والبوابات المؤسسية للهيئات المحلية والخدمات العامة، وغيرها)⁽²⁾.

4-3-1/ منهجية برمجة الخريطة الجيوسياحية

المنهجية التي يطرحها الباحث تعتمد على جمع البيانات والمعلومات المرتبطة بالمواقع الجيومورفولوجية والمآثر التاريخية ذات الجذب السياحي والعمل على تصنيفها ثم إدخال البيانات على برنامج ArcGISOnline أو موقع My Maps وهو موقع لنشر البيانات الجغرافية عبر شبكة الأنترنت العالمية حيث يطلع عليها السائحون وموظفو الشركات السياحية عبر Web-SIG (الشكل 7).



الشكل رقم 7: تصميم برمجة الخريطة السياحية (عمل الباحث)

(1) ألكسندر باوثونييه - قسم رسم الخرائط وتحليل المعلومات الجغرافية، 2010

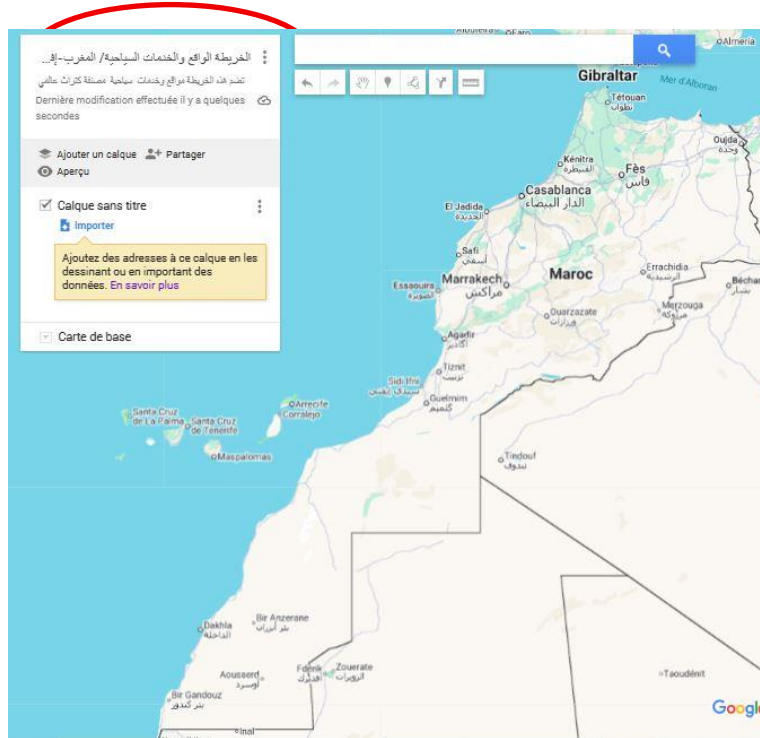
(2) نفسه

1. جرد وتصنيف البيانات المراد برمجتها على الخريطة السياحية والتي تنقسم في هذه الورقة البحثية إلى:
 - مواقع جيومورفولوجية: عيون، مغارات، أودية...
 - مواقع أثرية: قصور، قصبات، متاحف...
 - خدمات سياحية: فنادق، مقاهي، مطاعم...
2. استخدام ArcGisOnline أو خرائطي My Maps لإضافة المواقع والخدمات السياحية في هذه الورقة البحثية
تم استخدام خرائطي وتفعيل خيار البحث عن الأماكن.
بعد الولوج إلى My Maps والنقر على الرئيسية نقوم بإنشاء خريطة (الشكل).



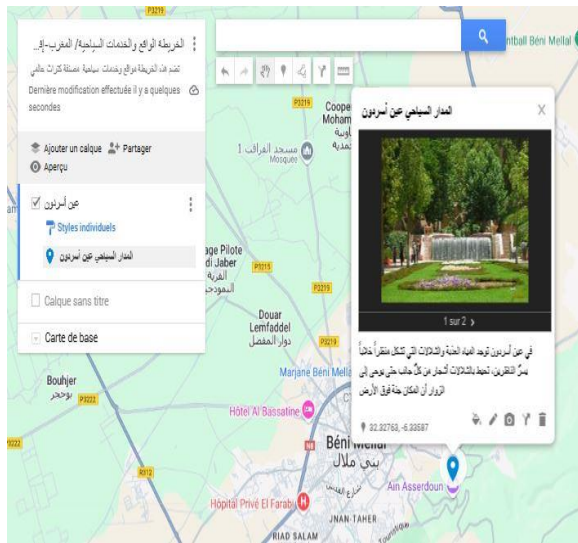
الشكل رقم 8: إنشاء خريطة على My Maps (عمل الباحث)

3. إدخال البيانات الخاصة بالخريطة الجيوسياسية حيث نقوم باختيار عنوان مناسب للخريطة والتعريف بها (الشكل 9).

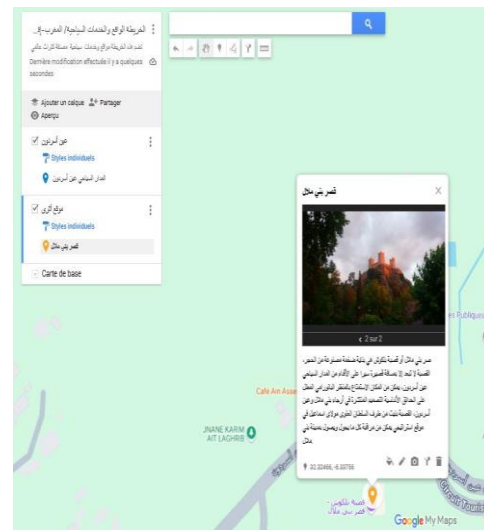


الشكل رقم 9: إدخال البيانات الرئيسية للخريطة الجيوسياسية (عمل الباحث)

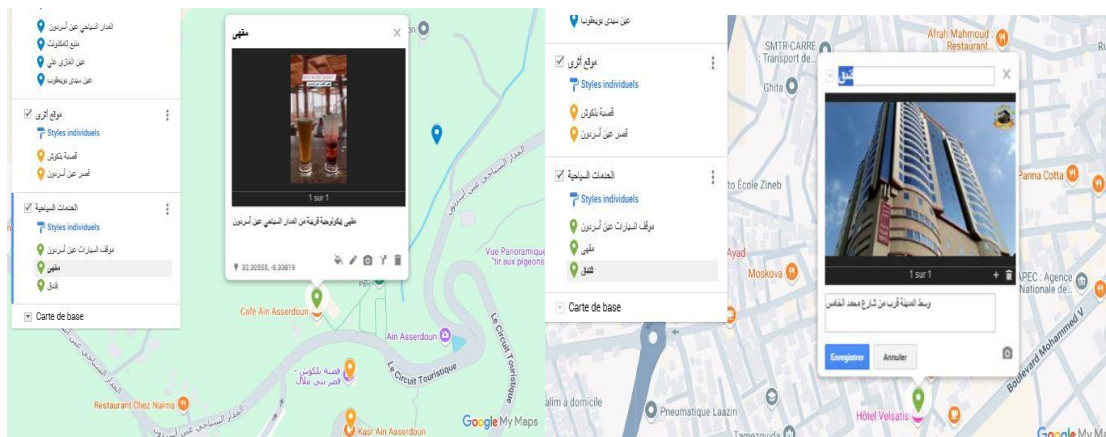
4. في هذه المرحلة الرابعة يتم إدخال البيانات المرتبطة بالموقع السياحي كالاسم والمكان وبعض مواصفاته ثم إضافة صور خاصة بذلك الموقع (الشكل 10, 11, 12).



الشكل رقم 11: إدخال بيانات الموقع



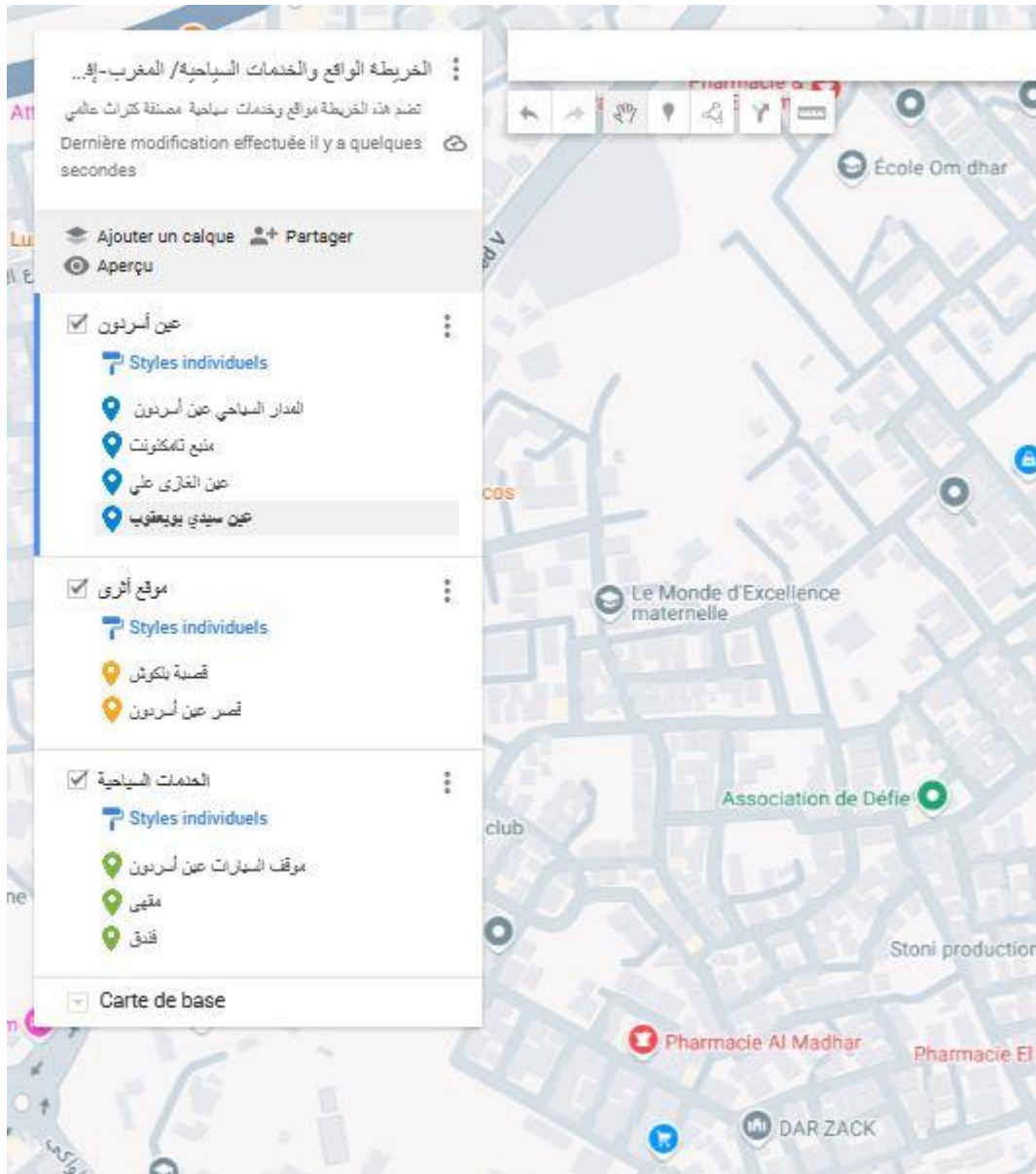
الشكل رقم 10: إدخال بيانات الموقع الأثري



الشكل رقم 12: إدخال بيانات الخدمات السياحية

5. المرحلة السابقة تهتم نماذج من العمل فيجب تكرارها لإضافة مزيد من المواقع والخدمات السياحية.
6. بعد إدخال قاعدة البيانات الجغرافية المتعلقة بالخريطة السياحية عملنا على نشرها عبر Web-Sig ويمكن للمطلع على هذا المقال الولوج إلى الخريطة الجيوسياسية (الشكل 13) من خلال الرابط أسفله.

<https://www.google.com/maps/d/u/0/edit?hl=fr&mid=1Kdhzz8XU6WNgIrkuPbWQm3hm4foQGpA&ll=32.33005821874262%2C-6.33966841891346&z=17>



الشكل رقم 13: الخريطة الجيوسياسية على الـ Web-SiG (عمل الباحث)

خاتمة

تُعد المشاهد الثقافية بجمال الأطلس تجسيدًا لتاريخ طويل من التفاعل بين الإنسان والوسط الطبيعي الجبلي. وهي ليست مجرد مناظر طبيعية، بل أنظمة معيشية ومعمارية واقتصادية تعكس أنماطًا تقليدية في التكيف مع التحديات البيئية الصعبة. من الزراعة المدرجاتية والعمارة الطينية إلى أنظمة الري الجماعي، تبرز هذه المشاهد كتراث ثقافي-بيئي يعكس معرفة محلية متوارثة. كما تلعب دورًا محوريًا في التنمية الترابية، غير أنها تواجه اليوم تهديدات متزايدة بفعل التغيرات المناخية، والهجرة، وضعف التأطير المؤسسي، مما يفرض ضرورة تسمينها ضمن منظور التنمية المستدامة والحفاظ على الهوية المحلية. وتبقى جبال الأطلس مجالًا يحتضن ثقافة غنية ببلدنا المغرب موروثة طبيعيًا تتنوع مشاهد الطبيعة ونتيجة ملموسة لتفاعل طويل الأمد بين الإنسان وبيئته الطبيعية، ونظرًا لأهمية السياحة في مسلسل التنمية بأفريقيا باعتبارها قطاعًا واعدًا تمت برمجت المواقع والخدمات السياحية إلكترونيًا على الخريطة الجيوسياسية لتسهيل الولوجية إليها.

البليوغرافيا

المراجع العربية

الجغرافيا الثقافية، دار الحكمة.

المشهد منفذ للدراسة الجغرافية والمسح بالعينة، نور الدين الزيتوني.

قراءة كاشفة لمكانة جبال الأطلس الكبير للاستاذ عبدالله بوشطارت.

التراث الجيولوجي والجيومرفولوجي بالمنطقة الشمالية الشرقية للمنتزه الجيولوجي الجهوي مكنون المغرب : مورد ترابي جديد في خدمة التنمية المحلية، توفيق آيت عمر

الأطلس الكبير.. طبونيميا وميثولوجيا وجغرافيا.

خصائص المناظر الطبيعية الجغرافية، العناصر والأمثلة.

تاريخ القصبات والقصور بالمغرب | مفتاح المعرفة.

القلع والقصبات في المغرب، محمد القاضي.

قصبة باب أوريكا جنة الجبل.

ألكسندر باوثونيه - قسم رسم الخرائط وتحليل المعلومات الجغرافية، 2010

المراجع الأجنبية

Le patrimoine : une ressource pour le développement, Michel Vernières

L'Atlas au Maroc, une aventure au-delà des dunes

Patrimoine hydrologiques du bassin d'Aït Bouguemmaz, haut Atlas central (province d'Azilal), gestion et répartition.

Art rupestre du Maroc : un patrimoine riche, menacé et peu valorisé.

أثر المناخ على زراعة البصل في ولاية الترارزة

محمد أدوكميني

طالب باحث

منسقية المجال والأرض والإنسان

مدرسة الدكتوراه/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة نواكشوط

الكلمات المفتاحية: المناخ - الزراعة - البصل - زراعة البصل - الترارزة

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى دراسة أثر العناصر المناخية (درجة الحرارة والأمطار والرطوبة والرياح) على زراعة وإنتاج البصل في ولاية الترارزة لبيان أثر الخصائص المناخية ومعرفة مدى توافقها مع المتطلبات المناخية لمحصول البصل، ومن ثم القيام بالتحليل الإحصائي لمعرفة العلاقة بين عناصر المناخ وإنتاج البصل، وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي إلى جانب استخدام بعض البرامج الإحصائية (Excel و SPSS و ARG-GIS)، وذلك لاستخراج الأشكال المختلفة، وإيجاد العلاقة بين العناصر المناخ وإنتاج البصل من خلال التحليل الإحصائي للارتباط بيرسون.

وتوصل الباحث إلى جملة من النتائج منها أن منطقة البحث أظهرت تبايناً في عناصر المناخ بين فصلي الصيف والشتاء مما يعطى للمنطقة إمكانية أكبر للتنوع في زراعة المحاصيل، كما أظهرت الموازنة المائية المناخية في محطة روصو أعجزا مائياً بمقدار - 1880.7 ملم، وهذا العجز يشمل الأشهر الجافة والماطرة، لذا يجب استخدام الري التكميلي، كما بين التحليل الإحصائي وجود تباين في طبيعة العلاقة بين العناصر المناخية وإنتاج البصل في منطقة البحث.

Résumé en français

Cette étude vise à analyser l'impact des facteurs climatiques (température, précipitation, humidité, et vent) sur la culture et la production d'oignons dans la région de Trarza, en fin de mettre en évidence l'influence des caractéristiques climatiques et déterminer leur compatibilité avec les exigences climatiques de la culture de l'oignon. Elle procède ensuite à une analyse statistique pour établir la relation entre les facteurs climatiques et la production d'oignons. La recherche s'est appuyée sur une approche descriptive et analytique, ainsi que sur l'utilisation de certains logiciels statistiques (Excel, SPSS, ARC – GIS), afin d'extraire les différentes tendances et de mettre en évidence la relation entre les éléments climatiques et la production d'oignons par le biais d'une analyse statistiques de corrélation de Pearson.

Le chercheur est parvenu à une série de conclusions, parmi lesquelles le fait que la zone d'étude présente une variation des éléments climatiques entre l'été et l'hiver, ce qui offre à la région une plus grande possibilité de diversification des cultures, De plus le bilan hydrique climatique de la station de Rosso a révélé un déficit hydrique de - 1880.7 mm, Ce déficit concerne aussi bien les mois secs que les mois pluvieux, ce qui rend nécessaire le recours à l'irrigation d'appoint, l'analyse statistique a également mis en évidence une variation dans la nature de la relation entre les éléments climatiques et la production d'oignons dans la zone d'étude.

مقدمة

ترتبط الأعمال الزراعية ارتباطا وثيقا بالظروف المناخية، وخاصة زراعة الخضروات التي تكتسي أهمية كبيرة لدورها في تأمين الغذاء، وتحقيق دخل للمزارعين، وتساهم في دعم الاقتصاد الوطني، ويأتي محصول البصل ضمن أهم محاصيل الخضروات التي تتأثر بالعناصر المناخية المختلفة من درجات حرارة ورطوبة وتساقطات مطرية ورياح، فلكل محصول من المحاصيل الزراعية متطلبات مناخية لا يمكن تجاوزها لأن عدم توفر هذه المتطلبات يضر بعملية الإنتاج الزراعي ويجعلها غير اقتصادية وفيها نوع من المجازفة.

ويسمح المجال الزراعي لمنطقة البحث (ولاية التراب الوطني) بإقامة تنمية قادرة على تحقيق الاكتفاء الذاتي ليس للتراث فحسب، بل لموريتانيا عامة. لذلك يجب دعم وتطوير البرامج الإنمائية القطاعية والتي من أهمها التوجه نحو تطوير المجال الزراعي للصفة والنهوض به من الوضع التقليدي إلى وضع جديد أكثر انتعاش في أنماط وأساليب الزراعة مما من شأنه أن يحدث ثورة في مجال الإنتاج تماشيا والمتطلبات الاستهلاكية للسكان،⁽¹⁾ أهمية البحث: تكمن أهمية دراسة أثر المناخ على زراعة البصل في كونه مصدر غذاء مهم للسكان يستلزم توسع زراعته لذا وجب تحديد مدى ملائمة الظروف المناخية السائدة لزراعة البصل، وفهم طبيعة العلاقة بين العناصر المناخية المختلفة ومردودية المحصول.

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى:

- التعرف على الخصائص المناخية في منطقة البحث
- تحديد المتطلبات المناخية لزراعة محصول البصل
- التعرف على واقع زراعة البصل في منطقة البحث
- التعرف على العلاقة بين العناصر المناخية المختلفة وزراعة البصل
- إشكالية البحث: تتمثل مشكل البحث في سؤال جوهري هل للخصائص المناخية تأثير على زراعة البصل في منطقة البحث؟ أما الأسئلة الفرعية هي:
- ما هي الخصائص المناخية لمنطقة البحث؟
- ما هي المتطلبات المناخية لزراعة البصل وواقع زراعته في منطقة البحث؟
- ما هي العلاقة بين العناصر المناخية وإنتاجية البصل؟

فرضية البحث

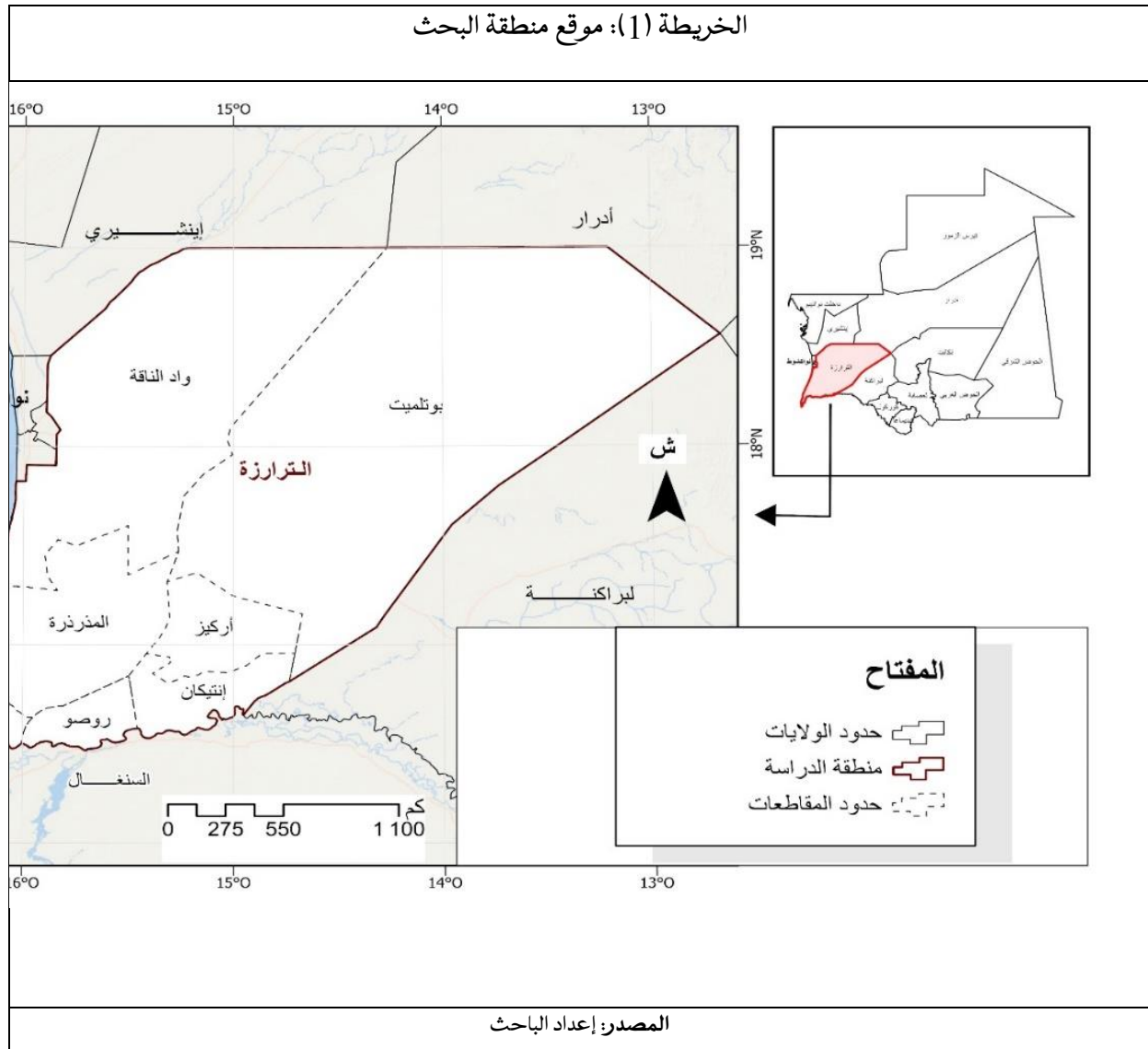
تؤثر الخصائص المناخية لمنطقة البحث على زراعة وإنتاج البصل في ولاية التراب الوطني.

حدود البحث:

- الحدود المكانية: تقع ولاية التراب الوطني في غرب موريتانيا، وتمتد على مساحة تقدر بـ 67000 كلم² أي ما يعادل 6.5% من مجموع مساحة التراب الوطني التي تصل 1030700 كلم²، تحدها من الشمال ولايتي إينشيري وآدرار، ومن الشرق ولاية لبراكنت، ومن الجنوب نهر السنغال، وتبعد 202 جنوب العاصمة نواكشوط.⁽²⁾
- وفلكيا تقع منطقة البحث بين دائرتي عرض 16 - 19° شمالا، وبين خطي طول 14 - 16° غربا.
- الحدود الزمانية: تعتمد الحدود الزمانية للبحث على ما تم الحصول عليه من البيانات الإحصائية سواء كانت للعناصر المناخية أو للمحاصيل الزراعية سيغطي البحث السلسلة الزمنية ما بين 1995 - 2025، للبيانات المناخية ولمحصول البصل للحملات الزراعية 2021 - 2022 و2022 - 2023 و2023 - 2024 و2024 - 2025.

(1) . الوكالة الوطنية للإحصاء والتحليل الديموغرافي، دراسة حول ولاية التراب الوطني، 2024، ص 29

(2) . المرجع السابق، ص 7



المنهج المتبع: اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي في وصف الخصائص المناخية السائدة في ولاية الترارة، وواقع زراعة البصل بها، كما تم توظيف المنهج الاحصائي لتحليل العلاقة بين العناصر المناخية والإنتاج الزراعي باستخدام معامل الارتباط والانحدار الخطي.

محاور البحث: قسمنا البحث إلى المحاور التالية: المبحث الأول: الخصائص المناخية في منطقة البحث والمبحث الثاني: المتطلبات المناخية لمحصول البصل وواقع زراعته في منطقة البحث، والمبحث الثالث: علاقة العناصر المناخية بزراعة البصل، إضافة إلى مقدمة وخاتمة.

المبحث الأول: الخصائص المناخية في منطقة البحث

تعد دراسة العناصر المناخية في منطقة البحث عاملا مهما ومؤثرا في النشاط الزراعي وخصوصا زراعة الخضروات بمختلف أنواعها، لذا فإن السياسات الزراعية التي توضع ينبغي أن تراعي العناصر المناخية السائدة في منطقة الدراسة لأنها العامل المحدد لنجاح أو فشل أي نشاط زراعي، وسيعتمد البحث في هذا المحور على إبراز الخصائص المناخية لولاية الترارة استنادا على بيانات الهيئة الوطنية للأرصاد الجوية لمحطة روصو للمدة (1995 - 2025).

1 - درجات الحرارة:

تعد درجات الحرارة من أهم عناصر المناخ لأنها تؤثر على بقية العناصر الأخرى من ضغط جوي ورياح ورطوبة، فاختلاف درجة حرارة سطح الأرض من مكان لآخر يؤدي إلى اختلاف قيم الضغط الجوي الذي بدوره يتحكم في توزيع الرياح ونظام هبوبها وما يرتبط بها من حركة السحب وسقوط الأمطار.

1 - 1 - المتوسطات الشهرية والفصلية لدرجات الحرارة العظمى: يتضح من الجدول (1) أن المعدل الفصلي خلال فصل الشتاء بلغ 33.6°م، وسجل شهر يناير (32.9°م) أقل متوسط شهري خلال شهور فصل الشتاء يليه شهر ديسمبر (33.3°م) ثم فبراير (34.8°م).

وبلغ المعدل الفصلي خلال فصل الصيف 37.9°م، وأعلى درجة حرارة عظمى سجلت في شهر مايو (40.4°م) خلال شهور الصيف، ويرجع ارتفاع الحرارة في هذا الفصل إلى صفاء الجو وطول النهار وانعدام الغطاء النباتي وتأثير الكتل الهوائية الصحراوية الجافة.

الجدول (1) المعدلات الشهرية والفصلية لدرجات الحرارة (°م) في منطقة البحث للمدة 1995 - 2025				
الشهر	درجة الحرارة العليا	درجة الحرارة الدنيا	متوسط درجة الحرارة	المعدل الفصلي
ديسمبر	33,3	17,5	25,4	
يناير	32,9	16	24,4	
فبراير	34,8	17,7	26,1	
الشتاء	33,6	17		25,3
مارس	37,5	19	28,2	
أبريل	39,5	20,5	30	
مايو	40,4	21,8	31,1	
يونيو	38,7	23,5	31,1	
يوليو	36,6	24,5	30,5	
أغسطس	35,9	25,3	30,6	
سبتمبر	36,7	25,6	31,1	
أكتوبر	38,8	24,5	31,5	
نوفمبر	37,1	20,7	28,9	
الصيف	37,9	22,8		30,3
المصدر: الهيئة الوطنية للأرصاد الجوية				

1 - 2 - المتوسطات الشهرية والفصلية لدرجات الحرارة الدنيا: بلغ المعدل الفصلي خلال الشتاء 17°م، وسجل شهر يناير 16°م أقل متوسط شهري خلال شهور فصل الشتاء، يليه شهر ديسمبر 17.5°م، ثم شهر فبراير 17.7°م، ويعود هذا الانخفاض لدرجات الحرارة إلى ضعف الاشعاع الشمسي وتأثر المنطقة بالأليزي البحرية.

1 - 3 - المتوسطات الشهرية والفصلية لدرجات الحرارة الاعتيادية: بلغ الاتجاه لعام لدرجات الحرارة للمدة 1995 - 2025 نحو 29°م، والمعدل الفصلي في فصل الشتاء 25.3°م، والصيف 30.3°م، وسجل شهر أكتوبر (31.5°م) أعلى متوسط حراري، بينما أدنى متوسط حراري في شهر يناير (24.4°م).

ويعود هذا التباين في درجات الحرارة إلى تأثير منطقة البحث بعدة عوامل منها الموقع الجغرافي ونوعية التضاريس وطبيعة الغطاء النباتي والضغط الجوي المختلفة كالضغط المرتفع الآسوري والضغط المرتفع سانت هيلانه والضغط المرتفع الصحراوي والضغط المنخفض الصحراوي.

2 - الأمطار: تعد الأمطار مظهرا من مظاهر التساقط الذي يشمل البرد والثلج، ويشترط لتكوين المطر انخفاض درجة الحرارة إلى نقطة الندى، ووجود تيارات هوائية تحمل قدرا كافيا من بخار الماء، وتوفر نويات التكاثف، وتعد الأمطار المصدر الرئيس المغذي للمياه السطحية (البحيرات والأنهار)، ومصدرا لتغذية المياه الجوفية.⁽¹⁾

(1) - . الجحيشي، أحمد كصاد عاجل، الموقع الجغرافي الأمثل مناخيا لزراعة محاصيل الخضر الشتوية في وادي نهر الفرات في العراق، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة القادسية، 2022، ص 76.

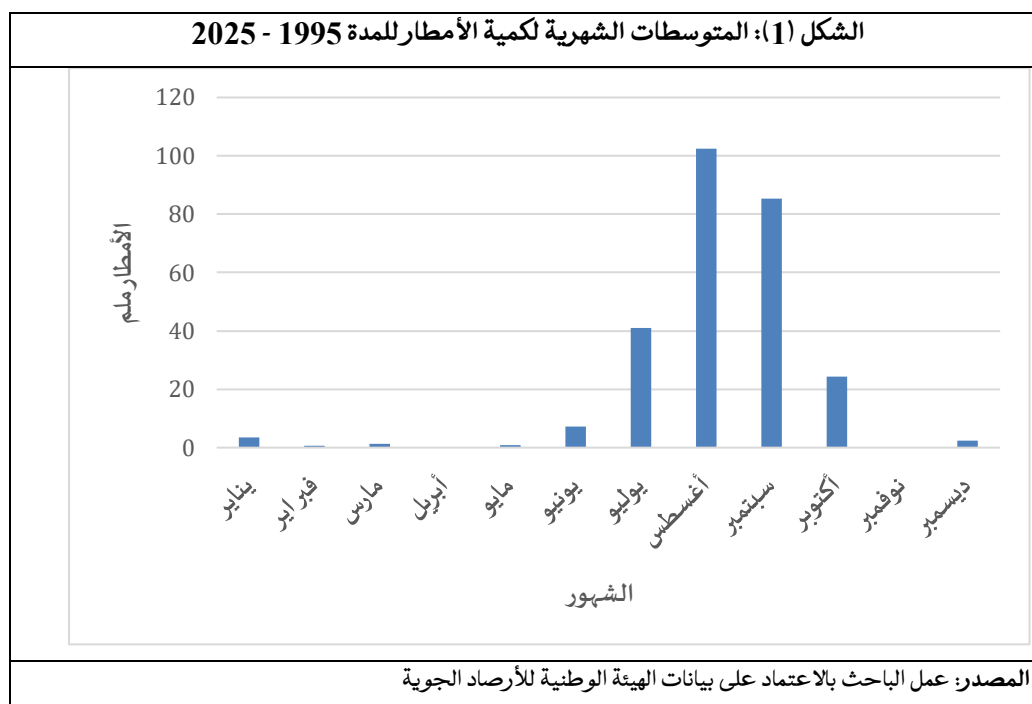
الجدول (2): المعدل الشهري والفصلي للأمطار (ملم) في منطقة البحث من 1995 - 2025		
الشهر	المعدل الشهري	المعدل الفصلي
ديسمبر	2,4	
يناير	3,5	
فبراير	0,7	
الشتاء		2,2
مارس	1,2	
أبريل	0,3	
مايو	0,8	
يونيو	7,2	
يوليو	41	
أغسطس	102,4	
سبتمبر	85,3	
أكتوبر	24,4	
نوفمبر	0,3	
الصيف		29,2
المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على بيانات الهيئة الوطنية للأرصاد الجوية		

يبين الجدول (2) والشكل (1) المعدلات الشهرية والفصلية لكميات الأمطار بمنطقة البحث، ما يلي:

- تذبذب كمية الأمطار من شهر إلى آخر ومن سنة لأخرى،
- أن المعدل الفصلي لكمية الأمطار في فصل الشتاء 2.2 ملم، ويظهر شهر يناير (3.5 ملم) أعلى كمية مطرية مسجلة في هذا الفصل خصوصا في منطقة البحث، بينما تصل الأمطار أدنى مستوياتها في شهر فبراير ويعود ذلك إلى ضعف تأثير المنخفضات الجوية وقلة الرطوبة القادمة من المحيط الأطلسي.
- بلغ المعدل الفصلي لكمية الأمطار في فصل الصيف 29.2 ملم، في حين سجل شهر أغسطس أعلى كمية للأمطار في منطقة البحث حيث سجل (102.4 ملم) ثم يليه شهر سبتمبر (85.3 ملم).
- أن الأشهر الماطرة هي يوليو - أغسطس - سبتمبر - أكتوبر، وبلغت على التوالي 41 ملم - 102.4 ملم - 85.3 ملم - 24.4 ملم.

يبين الجدول (2) والشكل (1) المعدلات الشهرية والفصلية لكميات الأمطار بمنطقة البحث، ما يلي:

- تذبذب كمية الأمطار من شهر إلى آخر ومن سنة لأخرى،
- أن المعدل الفصلي لكمية الأمطار في فصل الشتاء 2.2 ملم، ويظهر شهر يناير (3.5 ملم) أعلى كمية مطرية مسجلة في هذا الفصل خصوصا في منطقة البحث، بينما تصل الأمطار أدنى مستوياتها في شهر فبراير ويعود ذلك إلى ضعف تأثير المنخفضات الجوية وقلة الرطوبة القادمة من المحيط الأطلسي.
- بلغ المعدل الفصلي لكمية الأمطار في فصل الصيف 29.2 ملم، في حين سجل شهر أغسطس أعلى كمية للأمطار في منطقة البحث حيث سجل (102.4 ملم) ثم يليه شهر سبتمبر (85.3 ملم).
- أن الأشهر الماطرة هي يوليو - أغسطس - سبتمبر - أكتوبر، وبلغت على التوالي 41 ملم - 102.4 ملم - 85.3 ملم - 24.4 ملم.



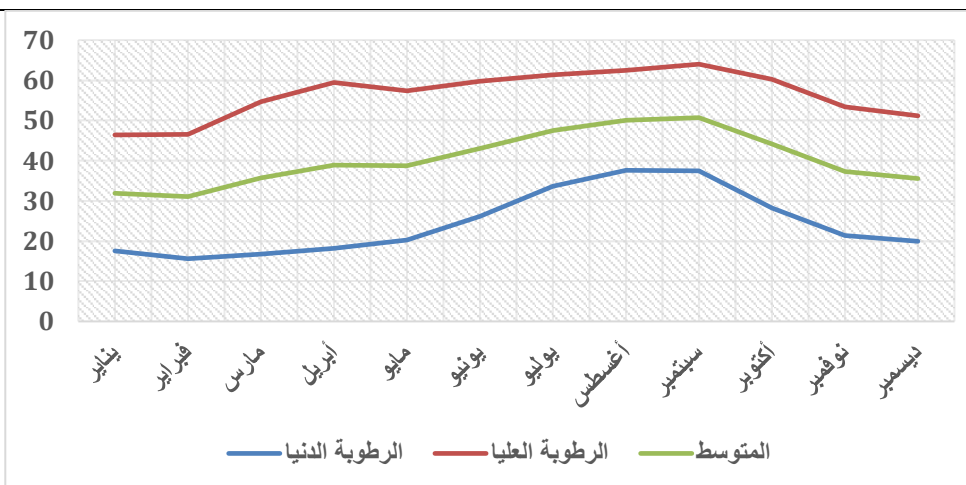
3 - الرطوبة النسبية: هي نسبة بخار الماء الموجودة فعلا في الهواء (ضغط بخار الماء الفعلي) إلى كمية بخار الماء اللازمة لإشباع الهواء (ضغط بخار الماء الاشباعي) على درجة حرارة معينة، وهي أكثر المقاييس شيوعا، وتتراوح بين صفر إلى 100 %، ويمكن زيادة الرطوبة النسبية بطريقتين: إضافة بخار الماء عن طريق التبخر أو تبريد الهواء، ويتناقص درجة حرارة الهواء تقل درجة إشباع الهواء أو ضغط بخار الماء الاشباعي مما يزيد من قيمة الرطوبة النسبية، فالرطوبة النسبية في الليل والشتاء أكثر مما هي عليه في النهار والصيف بسبب اختلاف درجة الحرارة⁽¹⁾.

الجدول (3): المعدل الشهري والفصلي للرطوبة (%) في منطقة البحث للمدة 1995 - 2025				
الشهر	الرطوبة النسبية العليا	الرطوبة النسبية الدنيا	متوسط الرطوبة	المعدل الفصلي
ديسمبر	51,2	20	35,6	
يناير	46,4	17,5	32	
فبراير	46,5	15,6	31	
الشتاء	48	17,7		32,8
مارس	54,6	16,8	35,7	
أبريل	59,5	18,2	38,8	
مايو	57,3	20,2	38,7	
يونيو	59,8	26,2	43	
يوليو	61,3	33,7	47,5	
أغسطس	62,5	37,6	50	
سبتمبر	64	37,4	50,7	
أكتوبر	60,2	28,2	44,2	
نوفمبر	53,4	21,3	37,3	
الصيف	59,2	26,6		42,8

(1) . حسن سمور، علي غانم، المدخل إلى علم الجغرافيا الطبيعية، 1998، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ص 63

المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على بيانات الهيئة الوطنية للأرصاد الجوية

الشكل (2): المعدلات الشهرية العليا والدنيا والمتوسط للرطوبة في منطقة البحث للمدة 1995 - 2025



المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على بيانات الهيئة الوطنية للأرصاد الجوية

يتضح من الجدول (3) والشكل البياني (2) أن الرطوبة مرتفعة في فصل الصيف وخصوصا في الأشهر الماطرة (يوليو - أغسطس - سبتمبر - أكتوبر) حيث بلغت على التوالي 50.7 - 50 - 44.2 مقارنة بالشتاء حيث تعمل الحرارة المرتفعة على ازدياد نسبة التبخر ومن ثم ارتفاع نسبة الرطوبة.

4 - التبخر/النتح: Evapotranspiration

التبخر Evaporation يعني تبخر الماء من سطح الأرض ومن المسطحات المائية، والنتح Transpiration يعني تبخر الماء من النبات، ومجموع التبخر من سطح الأرض والمسطحات المائية والنبات يعني التبخر/النتح Evapotranspiration⁽¹⁾ (عادل الراوي سعيد الراوي، قصي عبد المجيد السامرائي، المناخ التطبيقي، جامعة بغداد 1990، ص99).

لقد تمكن العالمان بليني وكريدل من التوصل إلى معادلة تربط بين الاستهلاك الفعلي للمحصول، ومتوسط درجة الحرارة الشهرية وكمية ضوء النهار، ومعامل يتوقف على النهار، ومعامل يتوقف على المحصول وهي من أكثر الطرق شيوعا في تقدير قيم شهرية معقولة للاستهلاك المائي للمحصول.

لقد اشتقت هذه المعادلة في ظروف المناطق الجافة للولايات المتحدة الأمريكية لذلك فهي الأكثر ملائمة في التطبيق للمناطق الجافة وشبه الجافة في العالم.

وتكتب معادلة بليني - كريدل بالصيغة التالية:

$$EPT = KP (0.46TC + 8.13)$$

حيث أن:

EPT = التبخر/النتح الممكن (ملم)

TC = معدل حرارة الهواء الشهرية (°م)

$$K = (0.0311TC + 0.24)$$

P = نسبة عدد ساعات النهار من الشهر إلى عددها في السنة

(1) . عادل الراوي سعيد الراوي، قصي عبد المجيد السامرائي، المناخ التطبيقي، جامعة بغداد 1990، ص99

الجدول (4): معدل النسب اليومية لساعات النهار السنوية لبعض دوائر العرض					
الأشهر	دوائر العرض				
يناير	0.27	0.27	0.27	0.26	0.25
فبراير	0.27	0.27	0.27	0.26	0.26
مارس	0.27	0.27	0.27	0.27	0.27
أبريل	0.27	0.28	0.28	0.28	0.28
مايو	0.27	0.28	0.28	0.29	0.29
يونيو	0.27	0.28	0.29	0.29	0.30
يوليو	0.27	0.28	0.29	0.29	0.30
أغسطس	0.27	0.28	0.28	0.28	0.29
سبتمبر	0.27	0.28	0.28	0.28	0.28
أكتوبر	0.27	0.27	0.27	0.27	0.26
نوفمبر	0.27	0.27	0.27	0.26	0.25
ديسمبر	0.27	0.27	0.27	0.26	0.25

المصدر: سلام هاتف أحمد الجبوري، أساسيات في علم المناخ الزراعي، الطبعة الأولى، دار الراجية للنشر، 2015.

ص 70

عند تطبيق معادلة بيلي - كريدل على محطة روصو توصلنا إلى النتائج في الجدول (5)

الجدول (5): معدلات التبخر وقيمة k و p لمحطة روصو وفقا لمعادلة بيلي - كريدل				
الأشهر	درجة الحرارة (°م) TC	قيمة K	قيمة P	التبخر ETO
يناير	24.4	1	8.06	156
فبراير	26.1	1	7.28	146.5
مارس	28.2	1.1	8.37	176.6
أبريل	30	1.2	8.4	184.2
مايو	31.1	1.2	8.99	201.6
يونيو	31.1	1.2	8.7	195.1
يوليو	30.5	1.2	8.99	199.2
أغسطس	30.6	1.2	8.68	192.7
سبتمبر	31.1	1.2	8.4	188.4
أكتوبر	31.5	1.2	8.37	189.3
نوفمبر	28.9	1.1	7.8	167.1
ديسمبر	25.4	1	7.75	153.5

المجموع السنوي	29		2150.2
المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على الجدول (1) و (4)			

يتضح من الجدول (5) أن المجموع السنوي لكمية التبخر في محطة روصو بلغ (2150.2 ملم) على قيم التبخر في شهر مايو 201.6 ملم، بينما يقل التبخر في أشهر الشتاء (يناير 156 ملم، ديسمبر 153.5 ملم، فبراير 146.5 ملم) بسبب انخفاض درجات الحرارة.

معادلة بيولي للمطر الفعال

وضع بيولي عام 1958 معادلته عن فاعلية المطر على النحو التالي:

$$Ep = \frac{p}{(1.025)^t} \quad (1)$$

إذ أن:

Ep = فاعلية المطر الشهرية

P = معدل المطر الشهري (البوصة)

T = معدل الحرارة بالفهرنهايت

1.025 = قيمة ثابتة لها علاقة بكمية التبخر

على ضوء درجة الرطوبة (المطر الفعال) وتباينها وضع بيولي تصنيفا لنوعية المناخ كما في الجدول رقم 6.

الجدول (6): فاعلية المطر ونوع المناخ ورمزه وفقا لمعادلة بيولي		
الرمز	نوع المناخ	فاعلية المطر
A	رطب جدا	أكثر من 16.2
B	رطب	8.7 - 16.2
C	شبه رطب	4.7 - 8.7
D	شبه جاف	2.5 - 4.7
E	جاف	أقل من 2.5
المصدر: الجبوري، سلام هاتف، علم المناخ التطبيقي، الطبعة الأولى، العراق، بغداد، 2014، ص 111.		

تم التوصل إلى النتائج في الجدول (6)

$$Ep = \frac{p}{(1.025)^t} \text{ بعد تطبيق المعادلة}$$

الجدول (7): معدلات درجات الحرارة (°ف) والأمطار (بوصة) في محطة روصو بيولي			
الأشهر	درجة الحرارة (°ف)	الأمطار (بوصة)	فاعلية المطر
يناير	76	0.17	0.02
فبراير	79	0.03	0
مارس	83	0.02	0
أبريل	86	0.01	0
مايو	88	0.01	0
يونيو	88	0.26	0.02

(1) . الجبوري، سلام هاتف، علم المناخ التطبيقي، الأولى، العراق، بغداد، 2014، ص 110 - 111

يوليو	87	1.68	0.19
أغسطس	87	4.08	0.47
سبتمبر	88	3.64	0.41
أكتوبر	89	0.88	0.09
نوفمبر	84	0	0
ديسمبر	78	0.05	0
المصدر: عمل الطالب بالاعتماد على بيانات الوكالة الوطنية للأرصدة الجوية خلال الفترة من 1995 - 2025			

يتضح من الجدول (1) أن المجموع السنوي لفاعلية المطر لمحطة روصو، وفقا معادلة بيلي نحو 1.2 وهو أقل من 2.5، وبذلك فإن محطة روصو تقع في منطقة ذات مناخ جاف رمزها E.

الموازنة المائية المناخية: *équilibre hydrique climatique*

إن دراسة الموازنة المائية تدل على مدى كفاية أو نقصان الأمطار الساقطة لحاجة المحاصيل الزراعية، ومن ثم مدى الحاجة لإجراء ري تكميلي.

وقد وضعت العديد من المعادلات الرياضية لاستخراج الموازنة المائية المناخية ومن أشهرها المعادلة التالية:

$$P - PE = \pm \quad (1)$$

إذ إن:

P = التساقط (مم)

PE = التبخر/ النتح الممكن (مم)

$\pm$ = إشارة الموجب (+) تعني وجود فائض مائي، بينما إشارة (-) تعني وجود عجز مائي

الجدول (8): الموازنة المائية المناخية			
الشهر	الأمطار	التبخر-النتح	قيم الموازنة المائية المناخية
يناير	3,5	156	-152,5
فبراير	0,7	146,5	-145,8
مارس	1,2	176,6	-175,4
أبريل	0,3	184,2	-183,9
مايو	0,8	201,6	-200,8
يونيو	7,2	195,1	-187,9
يوليو	41	199,2	-158,2
أغسطس	102,4	192,7	-90,3
سبتمبر	85,3	188,4	-103,1
أكتوبر	24,4	189,3	-164,9
نوفمبر	0,3	167,1	-166,8
ديسمبر	2,4	153,5	-151,1
المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على الجدول (2) و (5)			

يظهر من الجدول (٩) أن المجموع السنوي للموازنة المائية المناخية بلغت - 1880.7 ملم وأن شهور السنة سجلت عجزا مائيا بلغت ذروته خلال شهر مايو (-200.8 ملم)، لينخفض في شهري أغسطس (-90.3 ملم)، وسبتمبر (-103.1 ملم)، وهذا يؤكد حاجة زراعة الخضروات إلى الري وخاصة زراعة البصل.

5-الرياح: تعرف الرياح بأنها حركة الهواء الأفقية الناتجة عن الاختلافات الضغطية بين منطقتين، فيتحرك الضغط من مراكز الضغط العالي إلى مناطق الضغط الواطئ حاملا معه خصائصه الفيزيائية التي تميزه من حرارة ورطوبة، كما أن للرياح علاقة بحدوث الكثير من مظاهر الطقس كحدوث البرق والرعد والعواصف الغبارية والغبار المتصاعد.^(١)

الجدول (٩): المعدل الشهري والفصلي للرياح (م/ث) للمدة 1995 - 2025		
الشهر	المعدل الشهري	المعدل الفصلي
ديسمبر	4,1	
يناير	5,3	
فبراير	4,3	
الشتاء		4,5
مارس	4,4	
أبريل	4	
مايو	3,6	
يونيو	4,1	
يوليو	3,7	
أغسطس	3,6	
سبتمبر	3,1	
أكتوبر	3,2	
نوفمبر	3,4	
الصيف		3,6

المصدر: بيانات الهيئة الوطنية للأرصاد الجوية

يظهر الجدول (٩) تفاوتاً في معدلات سرعة الرياح المرصودة في محطة روصو بين فصلي الشتاء والصيف، حيث تسجل المحطة معدلاً فصلياً يبلغ 4.5 م/ث خلال فصل الشتاء، وسجل شهر يناير (5.3 م/ث) أعلى متوسط لسرعة للرياح خلال شهور الشتاء، وتفسر ذلك إلى نشاط حركة الكتل الهوائية في تلك الفترة. بينما ينخفض المعدل الفصلي لسرعة الرياح في فصل الصيف 3.6 م/ث بسبب ضعف نشاط الكتل الهوائية، وسجل شهر مارس (4.4 م/ث) أعلى متوسط لسرعة الرياح خلال شهور الصيف.

تظهر مؤشرات التكرار الاتجاهي للرياح في محطة روصو صدارة واضحة للرياح الشرقية بنسبة (28.2%)، تليها الرياح الغربية بنسبة (27%)، ثم الرياح الشمالية بنسبة (26.3%)، وفي المقابل تسجل المحطة نسبة تكرار متباينة للاتجاهات الثانوية، حيث بلغت نسبة الرياح الشمالية الشرقية (16%)، بينما انخفضت نسبة الرياح إلى الشمالية الغربية (2.5%)، ويعكس هذا التوزيع خصائص الموقع، والذي يقع تحت التأثير المزدوج والمتبادل للكتل الهوائية البحرية الرطبة (الغربية)، والقارية الجافة (الرياح الشرقية).

الجدول (10): النسبة المئوية لتكرار اتجاه الرياح في منطقة البحث للمدة 1995 - 2025					
اتجاه الرياح	شمالية	شمالية - شرقية	شرقية	غربية	شمالية غربية
%	26,3	16	28,2	27	2,5

المصدر: بيانات الهيئة الوطنية للأرصاد الجوية

(1) . ظلال جواد كاظم، دلال حسن كاظم، تحليل جغرافي لأثر المناخ على زراعة الخضروات الشتوية ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية ، 2021 ، ص 215.

المحور الثاني: المتطلبات المناخية لمحصول البصل وواقع زراعته في منطقة البحث

تعد المتطلبات المناخية من العوامل الأساسية التي تؤثر على نجاح زراعة محاصيل الخضروات حيث تلعب الظروف الجوية دورا محوريا في تحديد جودة المحصول وكميته، وتختلف الخضروات في احتياجاتها المناخية مما يتطلب من المزارعين فهم هذه المتطلبات لضمان نمو مثالي وتحقيق أعلى إنتاجية. وزراعة الخضروات معروفة منذ زمن بعيد، فهناك أنواع من الخضروات تعود زراعتها إلى أكثر من 4000 عام ومنها البصل واللفت والبقلاء والباذنجان، والأخرى تعود زراعتها لأكثر من ألفي سنة كالشوندرو والجزر والكرفس والسبانخ والثوم.

وقد شهدت زراعة الخضروات تطورا كبيرا خلال السنوات الأخيرة، وتعددت الأنواع المزروعة منها، وأصبحت محاصيلها تشكل جزءا من غذاء السكان في مختلف دول العالم، فالخضروات غنية بالعناصر الغذائية المهمة كالفيتامينات والأملاح المعدنية وغيرها من العناصر الضرورية للجسم.

كما سنتناول في هذا المحور أيضا واقع زراعة البصل في ولاية التارزة من حيث المساحة والإنتاج لأنه محصول استراتيجي للمزارعين بسبب قدرته على تحقيق عوائد اقتصادية جيدة، وإمكانية تخزينه لفترات طويلة مقارنة ببعض محاصيل الخضروات الأخرى، ويدخل في الاستهلاك اليومي، كما أنه من محاصيل الخضروات المهمة في ولاية التارزة.

1 - المتطلبات المناخية لزراعة البصل: وتشمل المتطلبات المناخية لزراعة البصل ما يلي:

1-1 - درجة الحرارة: البصل من المحاصيل الشتوية، ويحتاج إلى درجة حرارة منخفضة في مراحل نموه الأولى، وتبلغ درجة الحرارة الدنيا التي يتحملها المحصول (2°C)، وفي حالة انخفاض درجة الحرارة عن هذا الحد يؤثر على نمو النبات، وقد يؤدي إلى هلاكه.

ويتطلب محصول البصل درجة حرارة مثلى خلال فصل نموه وهي (15 - 20°C)، وفي حالة ارتفاع أو انخفاض درجة الحرارة عن الحد المثالي، يؤدي ذلك إلى التزهير المبكر ويقلل من جودة وإنتاجية المحصول، كما يحتاج إلى درجة حرارة عليا تبلغ 30°C، أما الارتفاع الشديد في درجة الحرارة إلى 40°C يمنع تكوين الأبصال.

الجدول (11): درجة الحرارة الدنيا والمثلى والعليا لمحصول البصل			
المحصول	درجات الحرارة الدنيا (°م)	درجات الحرارة العليا (°م)	درجات الحرارة المثلى (°م)
البصل	5 - 2	30	20 - 15
المصدر: الجحيشي، أحمد كصاد عاجل، الموقع الجغرافي الأمثل لمناخيا لزراعة محاصيل الخضروات الشتوية في وادي نهر الفرات في العراق، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة القادسية، 2022، ص 41			

كان Smith وThompson عام 1938 أول من درس تأثير درجات الحرارة على تكوين الأبصال في البصل، وقد وجد أنه على الرغم من أن البصل يتأثر أساسا بطول الفترة الضوئية عند تكوين الأبصال، إلا أن الحرارة المرتفعة نسبيا كانت ضرورية أيضا، كما لاحظنا أن الانخفاض في درجات الحرارة يؤدي إلى تأخير تكوين الأبصال.⁽¹⁾

فصل النمو: يقصد به المدة الزمنية التي يحتاجها النبات خلال حياته منذ بداية نموه وتزهيره وإثماره حتى امتصاص الثمار، أو هو المدة الزمنية التي لا ينخفض فيها المتوسط اليومي لدرجة الحرارة عن صفر النمو بالنسبة لحياة النبات.⁽²⁾

يبدأ فصل النمو في منطقة البحث من نوفمبر ويستمر لمدة 150 يوما حسب بيانات إدارة الإحصاء الزراعي التابعة لوزارة الزراعة والسيادة الغذائية

الحرارة المتجمعة: الحرارة المتجمعة هي درجات الحرارة التي تتوفر لنمو المحصول، أو هي مقدار درجات الحرارة التي تتجمع خلال فصل النمو، وفوق الحد الأدنى لنمو النبات (صفر النمو)، وتحسب درجات الحرارة

(1) . حسن أحمد عبد المنعم، إنتاج البصل والثوم، الطبعة الأولى، الدار العربية للنشر والتوزيع، 2000، ص 141.

(2) . شحت إبراهيم شحت، أثر المناخ على المحاصيل الحقلية، 2014، ص 132

المتراكمة من المعدلات الشهرية لدرجات الحرارة، ومن الأشهر التي يزيد فيها المعدل عن صفر النمو، ويمكن حساب الحرارة المتراكمة باستخدام العلاقة التالية:

$$ح ت = (ح - ح ن) \times ن^{(1)}$$

حيث أن:

ح ت: درجات الحرارة المتراكمة

ح: المتوسط الشهري لدرجة الحرارة

ح ن: درجة الإنبات (صفر النمو)

ن: عدد أيام الشهر

هناك معادلة أخرى وضعها العالم السوفييتي سليتينوف لتحديد الحرارة المتجمعة تكتب على النحو التالي:

$$X = \frac{a+b}{2} d^{(2)}$$

إذ إن

x = الحرارة المتجمعة بالدرجات المئوية

b = درجة حرارة اليوم الأخير من الشهر بالمئوي

a = معامل ثابت قدره (10°م) أو العتبة الحرارية

d = عدد الأيام التي تزيد حرارتها عن 10°م في الشهر

ويمكن استخراج الحرارة المتجمعة لفصل النمو عن طريق مجموع درجات الحرارة التي تتجمع في جميع الشهور التي يشملها ذلك الفصل.

ويحتاج البصل إلى حرارة متجمعة تبلغ 1828°م، وقد أشار De Bon (1987) أن نمو البصل يبدأ عند درجة أساس تقارب 5°م، وتستخدم هذه القيمة في حساب الوحدات الحرارية المتجمعة، وعند احتسابنا للحرارة المتجمعة في منطقة البحث بلغت 3251.8°م.

1 - 2 - الفترة الضوئية: يعتبر البصل من نباتات النهار الطويل بالنسبة لتكوين الأبصال، فقد اكتشف Garner وAllard عام 1920 أن نباتات البصل لا تبدأ في تكوين الأبصال إلا بعد أن تتعرض لفترة ضوئية لا تقل عن حد معين، ثم أوضح Allard وMagruder عام 1937 أن الفترة الضوئية الحرجة لتكوين الأبصال تتراوح من 12 ساعة في الأبصال المبكرة إلى 15 ساعة في الأصناف المتأخرة.

ومع أن الفترة الضوئية هي العامل الأساسي المحدد لتكوين الأبصال، إلا أن شدة الإضاءة قد تحل محل الفترة الضوئية في نطاق محدود، فقد تعوض الإضاءة القوية النقص في طول الفترة الضوئية، كما قد تعوض الفترة الضوئية الطويلة الانخفاض في شدة الإضاءة، ولكن ذلك يتم في نطاق محدود، حيث لا يمكن أن تتكون الأبصال إذا نقصت الفترة الضوئية كثيرا عن الفترة الحرجة مهما ازدادت شدة الإضاءة، كذلك يؤدي نقص شدة الإضاءة إلى تأخير تكوين الأبصال.⁽³⁾

الجدول (12): الحدود الضوئية الدنيا والعليا والمثلى لمحصول البصل			
المحصول	الحدود الضوئية الدنيا	الحدود الضوئية المثالية	الحدود الضوئية العليا
البصل	11	14	18
المصدر: أحمد كصال عاجل الجحيشي، الموقع الجغرافي الأمثل مناخيا لزراعة محاصيل الخضر الشتوية في وادي نهر الفرات في العراق، 2022، ص 38			

(1) . غانم، علي أحمد، المناخ التطبيقي، الطبعة الأولى، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، 2010، ص 160.

(2) . الجبوري، سلام هاتف أحمد، أساسيات في علم المناخ الزراعي، الطبعة الأولى، دار الراية للنشر، 2015، ص 56.

(3) . حسن، أحمد عبد المنعم، إنتاج محاصيل الخضر، الطبعة الأولى، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991، ص 548 - 549.

1 - 3 - الرطوبة والأمطار: يحتاج محصول البصل إلى رطوبة نسبية عالية تتراوح بين (80 - 90)، أما الرطوبة المنخفضة فتفضل قرب النضج، وتؤدي في بداية حياة النبات إلى ضعف النمو الجذري، وصغر حجم النبات، وعدم انتظام الأبصال ونقص المحصول وتبكيره. وزيادة الرطوبة خاصة في المراحل الأخيرة من النمو تؤدي لزيادة الإصابة بالأمراض مثل عفن الرقبة، واصفرار النبات وتأخير النضج وضعف مقدرة الأبصال على التخزين.⁽¹⁾ أما الأمطار فتتراوح ما بين (250 - 350 ملم)، وانخفاضها خلال مرحلة النضج والحصاد يساعد على تحسين جودة الأبصال وإطالة مدة تخزينها.

الجدول (13): متطلبات الرطوبة والأمطار لمحصول البصل		
المحصول	متطلبات الرطوبة	متطلبات الأمطار
البصل	80 - 90 %	350/250 ملم
المصدر: أحمد كصال عاجل الجحيشي، الموقع الجغرافي الأمثل لمناخيا لزراعة محاصيل الخضر الشتوية في وادي نهر الفرات في العراق، 2022، ص 15		

1 - 4 - الرياح: تحدث الرياح القوية، وجميع العوامل الجوية (المطر، البرد، سفي الرمال) تأثيرات سلبية كبيرة على محصول البصل وحجم الأبصال المتكونة، ويتباين مقدار التأثير حسب مقدار الضرر الحادث للأوراق وموعد حدوثه، فمثلا أدت إزالة 67% من أوراق النبات - في محاكاة لأضرار الرياح - إلى نقص المحصول بدرجة أكبر مما أحدثته من إزالة 33% من الأوراق، ولكن ازداد مقدار الضرر - في كلتا الحالتين - عندما أزيلت الأوراق عند بداية تكوين الأبصال، عما لو كانت إزالتها في مرحلة مبكرة من النمو، وكان التأثير السلبي لإزالة الأوراق كبيرا على محصول الأبصال الكبيرة التي يزيد قطرها عن 8.25 سم، كما أدت جميع معاملات إزالة الأوراق - أيا كان موعدها أو شدتها - إلى تأخير النضج.⁽²⁾ (حسن أحمد عبد المنعم، إنتاج البصل والثوم، ص 70 - 71).

2 - واقع زراعة البصل في منطقة البحث: يعد البصل أحد أهم محاصيل الخضر في العالم نظرا لزارعته على نطاق واسع بالمقارنة بمحاصيل الخضر الأخرى، ويتبع للعائلة الثومية ويسمى علميا بـ *Allium cepa*، ويعتقد أن موطن البصل يمتد من فلسطين إلى الهند، وإن كان البعض يعتقد أن موطنه في شمال إيران فقط، وقد استعمله قدماء المصريين في الغذاء وفي الأغراض الطبية.⁽³⁾

وللبصل أهمية اقتصادية حيث يزرع البصل من أجل أبصاله التي تؤكل طازجة وفي السلطة، كما يستخدم في التخليل والطهي لإكساب الطعام نكهة مميزة، ويعتبر بصل الرؤوس متوسط في محتواه من الكربوهيدرات والكالسيوم، أما البصل الأخضر فهو غني بالكالسيوم، ومتوسط في محتواه من الكربوهيدرات والحديد وفيتامينات (أ)، (ب)، (ج)، وللبصل تأثير مضاد للميكروبات، وله تأثير شبيه بالأنسولين، ويقوي ضربات القلب، وينشط حركة الأمعاء.

ويرجع الطعم والرائحة المميزة للبصل إلى لمركبات كبريتية زيتية طيارة، تتكون نتيجة لتفاعلات انزيمية لا تحدث إلى بعد جرح البصلة.⁽⁴⁾

وسنركز في هذا الجزء على البيانات الإحصائية المتوفرة والمتعلقة بالمساحة والإنتاج لمحصول البصل في ولاية التارزة وهي الحملات الزراعية 2021 - 2022 و 2022 - 2023 و 2023 - 2024 و 2024 - 2025.

2 - 1 - تطور المساحة والإنتاج: نظرا للأهمية الاقتصادية الكبرى لمحصول البصل لدى الموريتانيين من حيث استعماله في المائدة الغذائية اليومية وقابلية تخزينه لفترات طويلة مقارنة ببعض الخضروات الأخرى، وكثرة

(1) . المملكة العربية السعودية، المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني، إنتاج الخضروات المكشوفة والمحمية الإنتاج، 2004، ص 74 - 75.

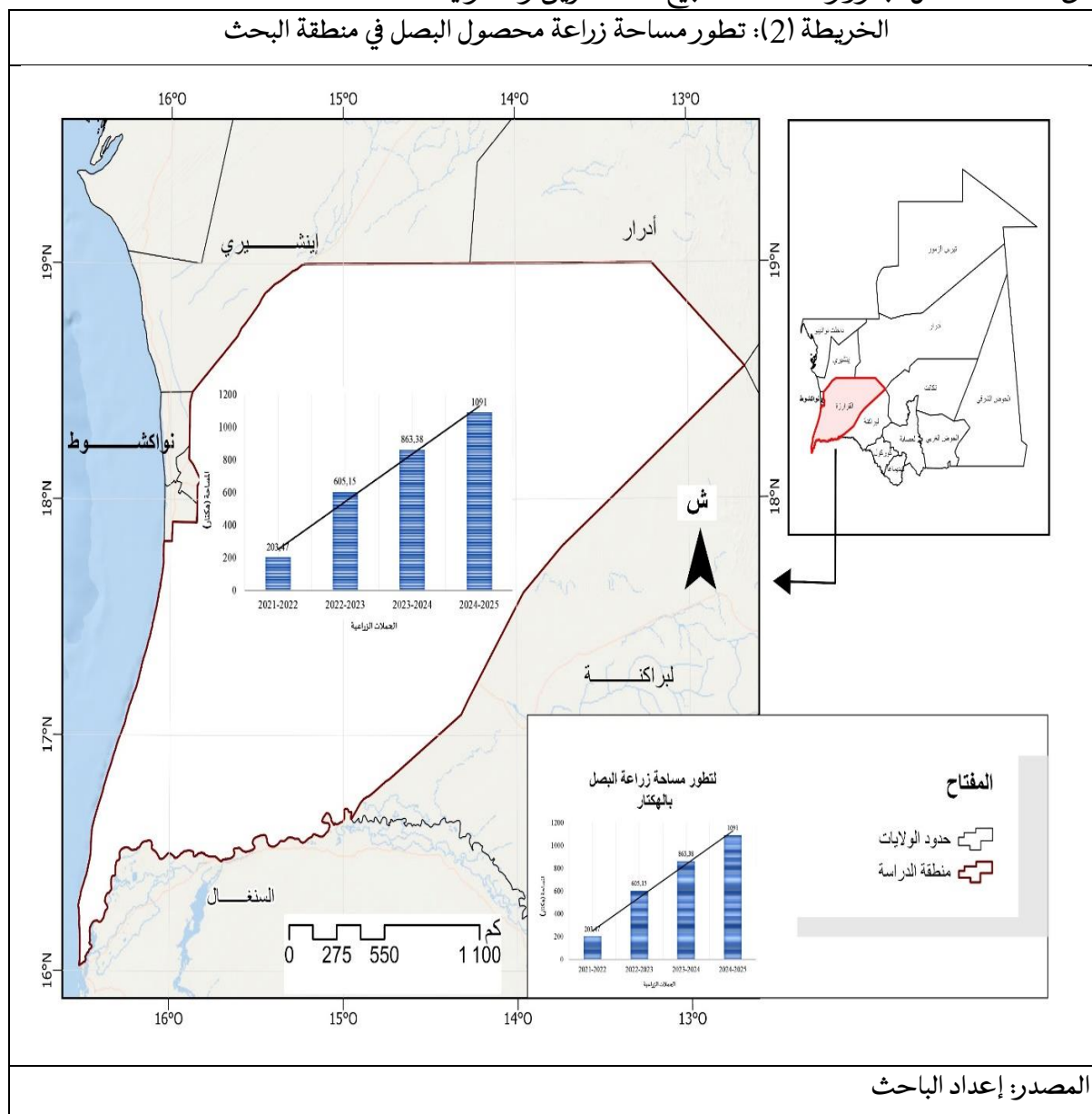
(2) . حسن أحمد عبد المنعم، إنتاج البصل والثوم، مرجع سابق، ص 70 - 71.

(3) . حسن أحمد عبد المنعم، إنتاج محاصيل الخضر، مرجع سابق، ص 517.

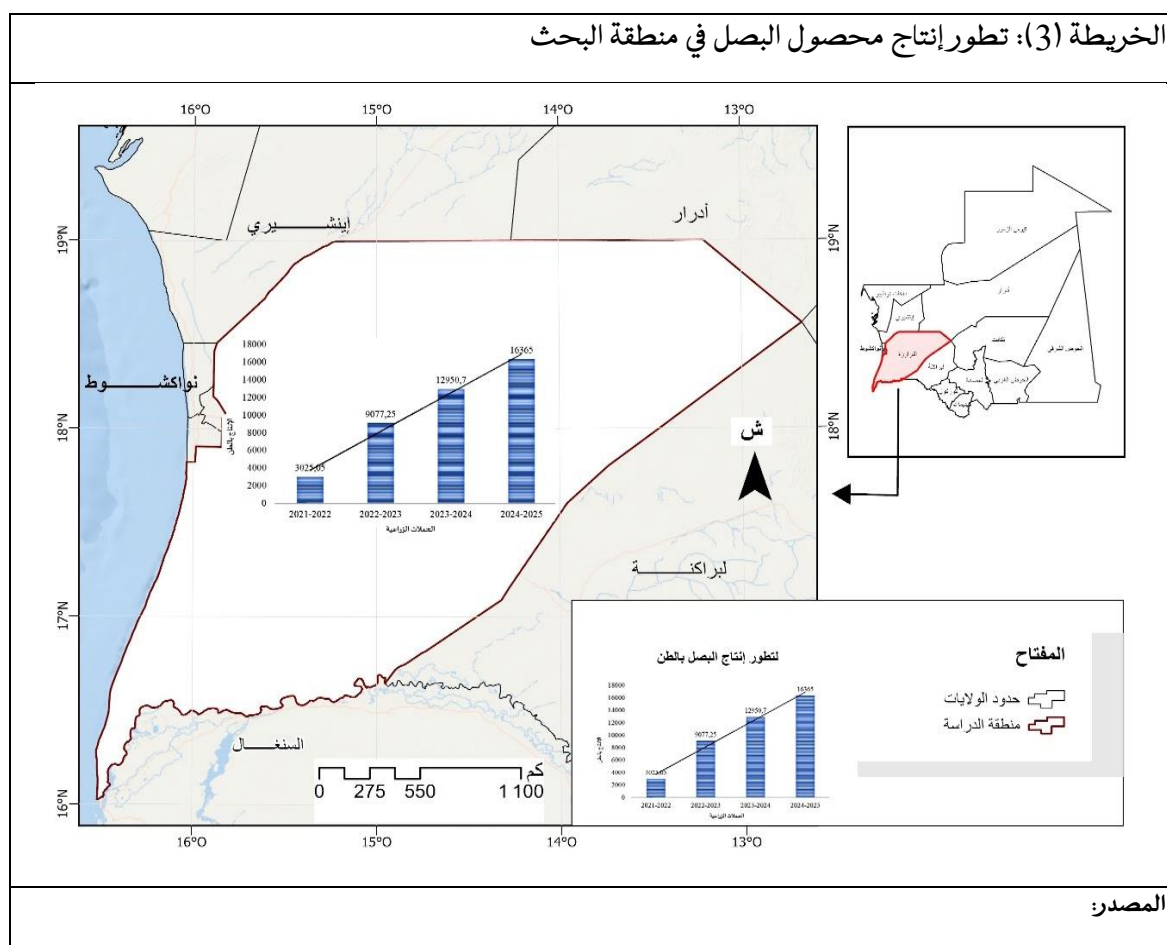
(4) . المملكة العربية السعودية، الإنتاج النباتي (إنتاج الخضر المكشوفة والمحمية)، للصف الثاني، 2004، ص 71.

الطلب عليه مما يمكنه من توفير دخل أكبر للمزارعين تزايدت المساحة المزروعة بالبصل خلال فترة الحملات الزراعية المدروسة ومن ثم تزايد الإنتاج أيضا عبر هذه الحملات الزراعية. شهدت زراعة البصل تطورا في المساحات المزروعة في منطقة البحث بسبب توفر الظروف البيئية الملائمة، وارتفاع حاجيات السكان من هذا المحصول، حيث تضاعفت المساحة المزروعة بمحصول البصل من 203.47 هكتارا في الموسم الزراعي 2021 - 2022 إلى 605.15 هكتارا في الموسم الزراعي 2022 - 2023 أي بنسبة 66.3%، ثم توالى الزيادة في المواسم الزراعية 2023 - 2024 و 2024 - 2025 وهي على التوالي 863.38 هكتارا، و 1091 هكتارا أي بنسبة 29.9% و 20.8%. وترجع هذه الزيادة المستمرة إلى توسيع المساحات المستصلحة، و التسهيلات الجمركية من خلال رفع الرسوم الجمركية عن التجهيزات والمعدات الزراعية، وخفضها إلى 3.5% على المدخلات مثل البذور والأسمدة لتشجيع المستثمرين والتعاونيات.

الخريطة (2): تطور مساحة زراعة محصول البصل في منطقة البحث



إن التطور الحاصل في المساحة المزروعة بالبصل رافقه تطور في الإنتاج، وعند حسابنا للإنتاج اعتمدنا متوسط المردودية 15 طن في الهكتار (ورشة عمل للتبادل والتشاور حول تحسين آليات التسويق، 2025، المهندس مولاي مولاي إدريس، وكريم با)، رغم اختلاف المردودية في التقارير الصادرة من الجهة المختصة وهي إدارة الإحصاء الزراعي التابعة لوزارة الزراعة والسيادة الغذائية. وتتصف هذه التقارير بإعطاء متوسط المردودية بشكل عام على المستوى الوطني دون الأخذ بعين الاعتبار خصوصية كل منطقة من حيث توفر خصوبة التربة واستخدام الأساليب الحديثة والخبرة، بينما الورشة المعدة من طرف المهندس مولاي مولاي إدريس، وكريم با، أخذت بعين الاعتبار الاختلاف بين الأماكن في زراعة الخضروات وبالتالي اختلفت المردودية بين ولايات البلد رغم أن هذه المعطيات أخذت من الجهات الحكومية المختصة، وعند احتسابنا للإنتاج اعتمدنا ما جاء في ورشة عمل للتبادل والتشاور حول تحسين آليات التسويق.



تظهر الخريطة (3) أن إنتاج البصل تطور عبر الحملات الزراعية المدروسة حيث ارتفع الإنتاج من 3052.05 طن إلى 9077.25 طن خلال الموسم الزراعي 2022 - 2023 أي بنسبة 66.3% مقارنة بالموسم الزراعي 2021 - 2022، ثم تواصل ارتفاع الإنتاج في الحملات الزراعية 2023 - 2024 و2024 - 2025 على التوالي 12950 طن - 16365 طن أي بنسبة 29.9% - 20.8%، وهذا التطور في إنتاج البصل يرجع إلى تطور المساحات المزروعة وتوفر الظروف البيئية المناسبة على الرغم من بعض المشاكل التي يعاني منها المزارعين الصغار والمتوسطين من بينها مشكلة التخزين والتسويق والإرشاد الزراعي ونقص الدعم الحكومي.

2 - 2 - معامل التوطن الزراعي: يعد من أساليب التحليل الكمي الذي يهدف إلى قياس الدرجة التي تحدد نصيب وحدة مكانية معينة من النشاط الزراعي، وتستخدم معايير متعددة لقياس معامل التوطن مثل عدد العاملين في الزراعة أو الإنتاج أو المساحة. ولحساب معامل التوطن الزراعي نستخدم المعادلة التالية:

معامل التوطن = $\frac{\text{إنتاج المحصول في الولاية} / \text{إجمالي إنتاج الخضروات في الولاية}}{\text{إنتاج المحصول في موريتانيا} / \text{إجمالي إنتاج الخضروات في موريتانيا}}$ ^(١)

معامل توطن البصل = $\frac{\text{إنتاج البصل في الولاية} / \text{إجمالي إنتاج الخضروات في الولاية}}{\text{إنتاج البصل في موريتانيا} / \text{إجمالي إنتاج الخضروات في موريتانيا}}$

الجدول (14) معامل التوطن الزراعي لمحصول البصل		
الموسم الزراعي	المحصول	منطقة البحث
2022 - 2021	البصل	0.6
2023 - 2022		0.97
2024 - 2023		0.86
2025 - 2024		0.97
المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على بيانات الهيئة الوطنية للأرصاد الجوية		

- يظهر الجدول أن معامل التوطن لمحصول البصل خلال الحملة الزراعية 2021 - 2022 حوالي 0.6 في ولاية الترارزة، ويشير ذلك إلى غياب التخصص النسبي في إنتاج البصل في الولاية.

- سجلت ولاية الترارزة معامل توطن بلغ 0.97، خلال الحملة الزراعية 2022 - 2023، وهي قيمة تقترب من الواحد الصحيح، مما يعكس تمثيلاً متوازناً للمحصول بمستوى يقارب المتوسط الوطني.

- أظهرت نتائج معامل التوطن لمحصول البصل في منطقة البحث خلال الحملة الزراعية 2023 - 2024 حوالي 0.86، وهي قيمة أقل من الواحد الصحيح مما يدل على أن الولاية لا تُعد متخصصة في إنتاج البصل.

- بلغ معامل توطن محصول البصل 0.97 في ولاية الترارزة خلال الحملة الزراعية 2024 - 2025، وهي قيمة تقل عن الواحد الصحيح، مما يُشير إلى أن إنتاج البصل في الولاية لا يتمتع بدرجة عالية من التخصص مقارنة بمتوسط إنتاجه على المستوى الوطني.

المحور الثالث: تحليل علاقة العناصر المناخية وإنتاج البصل

يمثل التحليل الإحصائي أداة أساسية في دراسات المناخ التطبيقي حيث يستخدم في معالجة البيانات المناخية وتحليلها وتفسيرها بغية الكشف عن العلاقات والاتجاهات والتغيرات المناخية، كما يساهم في قياس درجة تأثير العناصر المناخية المختلفة على الأنشطة البشرية وخاصة النشاط الزراعي من خلال استخدام أساليب مثل الارتباط والانحدار واختبارات الدلالة الإحصائية مما يساعد على الوصول إلى نتائج علمية دقيقة تدعم عمليات التخطيط واتخاذ القرار.

وسنتناول في هذا المحور علاقة الارتباط ما بين العناصر المناخية (درجة الحرارة - الأمطار - الرطوبة - الرياح) مع إنتاج البصل في ولاية الترارزة، واعتمدت هذه الدراسة على معامل الارتباط بيرسون الذي يستخدم لقياس قوة واتجاه العلاقة الخطية بين متغيرين كميين، وتنحصر قيم الارتباط بين (+1 ، -1)، إذ أن قيمة الارتباط (+1) تعني وجود علاقة خطية موجبة تامة بين المتغيرين، أما إذا كانت قيمة معامل الارتباط تساوي (-1) فتعني وجود علاقة عكسية خطية سالبة بين المتغيرين، أما قيمة (الصفر) فتعني عدم وجود علاقة خطية بين المتغيرين، وهذا يعني أن القيم التي تقترب من (+1) أو (-1)، تشير إلى وجود درجات ارتباط قوية بين الارتباط الموجب والسالب، أما القيم التي تقترب من (الصفر) فتشير إلى ضعف الارتباط سواء كان موجبا أو سالباً.

$$\sum_{i=1}^n r = \frac{n \sum x_i y_i - \sum x_i \sum y_i}{\sqrt{n \sum x_i^2 - (\sum x_i)^2} \sqrt{n \sum y_i^2 - (\sum y_i)^2}} \quad (2)$$

(1) هارون، أحمد علي، جغرافية الزراعة، 2000، ص 72

(2) صالح، أشواق حسن حميد، أثر المناخ في نمو وإنتاجية المحاصيل الصيفية في محافظة كربلاء، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية ابن رشد - جامعة بغداد، 2009، ص 231.

حيث إن:

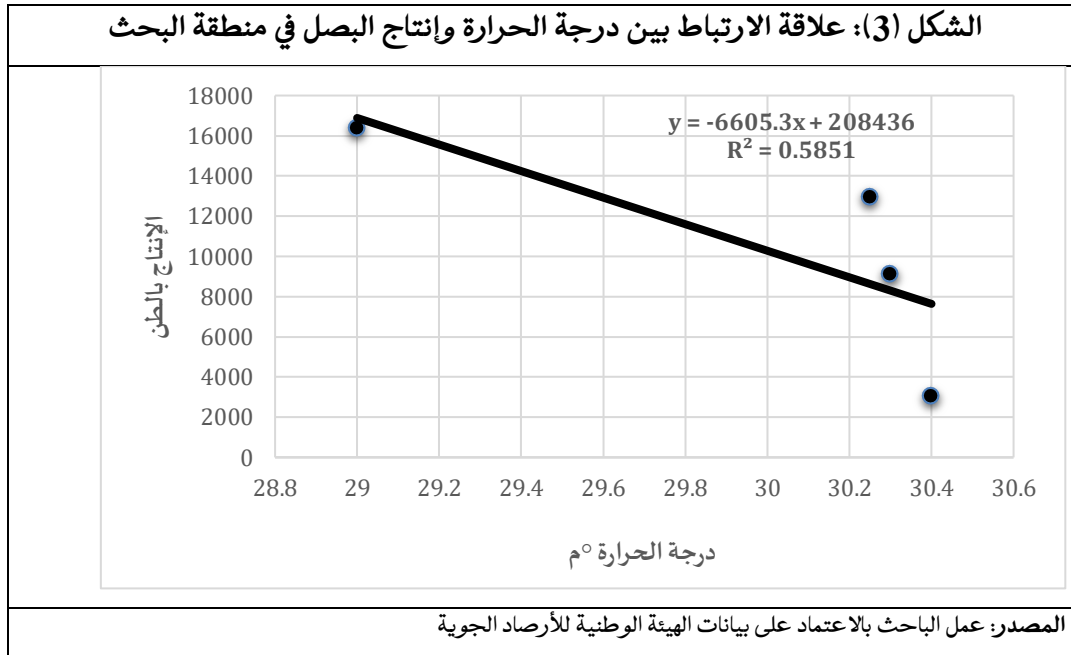
R = معامل ارتباط بيرسون

X, Y = قيم المتغيرات

N = عدد المتغيرات

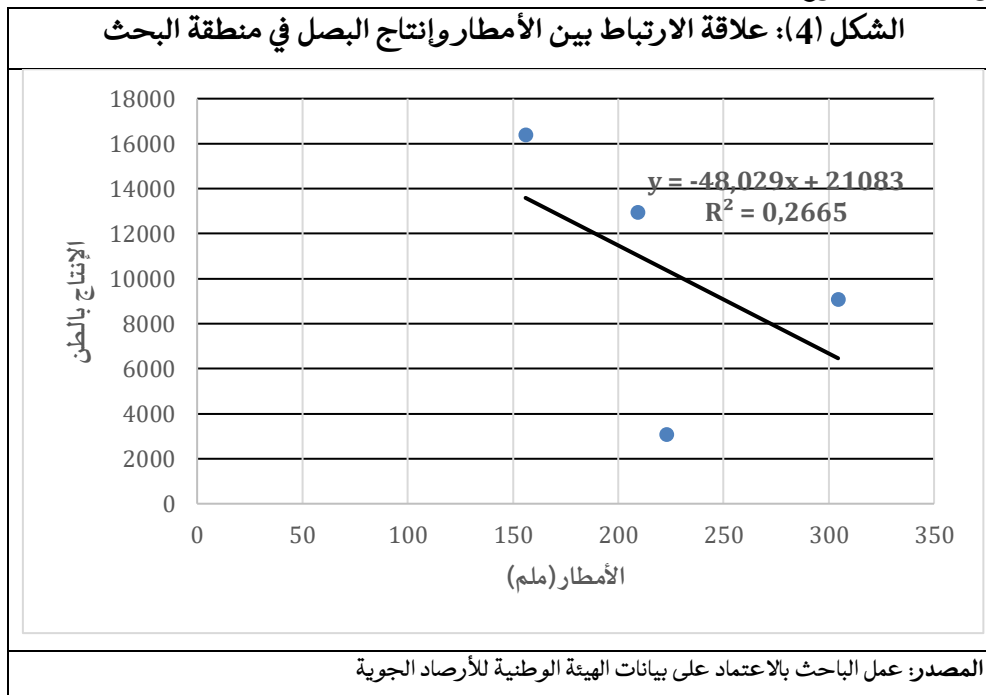
1 - العلاقة بين متوسط درجة الحرارة وإنتاج البصل في ولاية الترازة

أظهر نتائج حساب معامل الارتباط بيرسون بين درجة الحرارة وإنتاج البصل وجود علاقة ارتباط سالبة متوسطة إلى قوية، حيث بلغ معامل الارتباط - 0.76، وهذا يدل على وجود علاقة عكسية بين المتغيرين، أي أنه كلما انخفضت درجة الحرارة ارتفع إنتاج محصول البصل في منطقة البحث أي أن البصل يكون أكثر ملائمة للدرجات الحرارية المعتدلة أو المنخفضة.



2 - العلاقة بين الأمطار وإنتاج البصل في ولاية الترازة

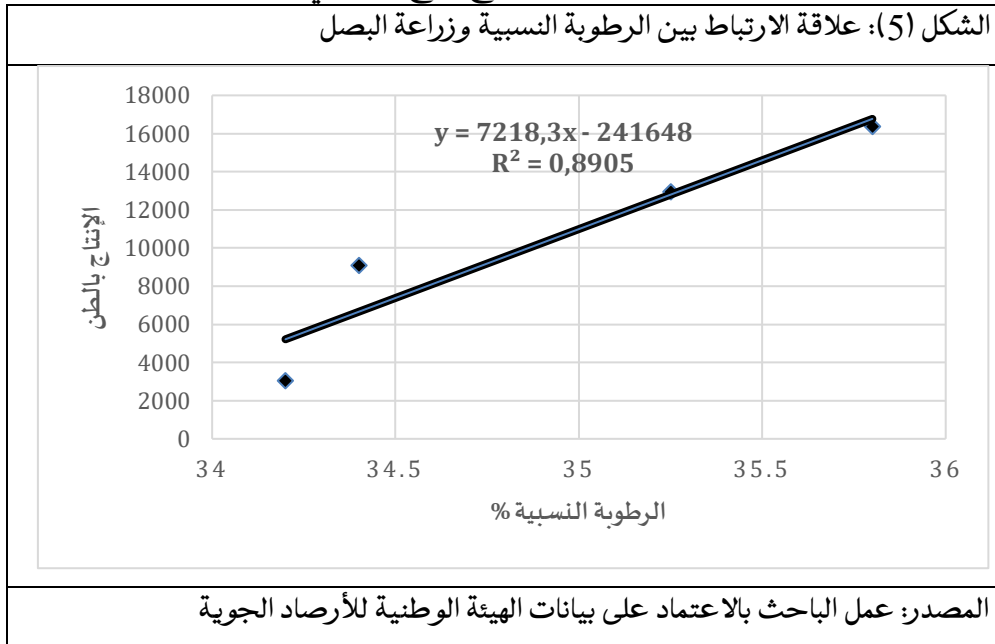
أظهر التحليل الإحصائي أن العلاقة عكسية متوسطة بين الأمطار وإنتاج البصل، حيث بلغ معامل الارتباط (-0.5)، وبالتالي يميل الإنتاج نحو الانخفاض مع ارتفاع كمية الأمطار، إلا أن محدودية البيانات المتاحة أربع سنوات فقط فلا يمكن تعميم هذه النتيجة على المنطقة المدروسة.



3- العلاقة بين الرطوبة النسبية وإنتاج البصل في ولاية الترارزة

أظهر التحليل الإحصائي وجود علاقة طردية قوية بين الرطوبة النسبية وإنتاج البصل، حيث بلغ معامل الارتباط (0.9)، وتشير هذه النتيجة إلى أن زيادة الرطوبة النسبية ارتبطت بارتفاع إنتاج البصل في منطقة البحث.

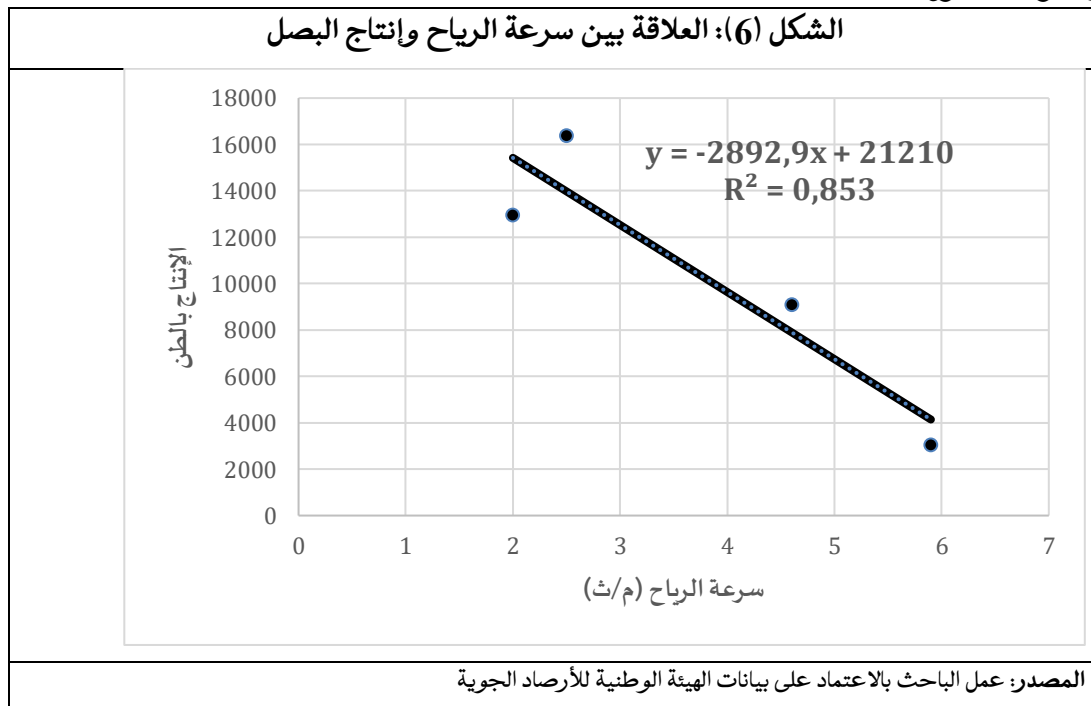
الشكل (5): علاقة الارتباط بين الرطوبة النسبية وزراعة البصل



4- العلاقة بين سرعة الرياح وإنتاج البصل في ولاية الترارزة

أظهرت نتائج التحليل الإحصائي وجود علاقة ارتباط عكسية قوية جدا بين الرياح وإنتاج البصل، حيث بلغ معامل الارتباط (-0.9)، وتشير هذه النتيجة إلى أن شدة الرياح تؤدي إلى انخفاض إنتاج البصل، وهو ما يعكس التأثير السلبي للرياح على نمو المحصول.

الشكل (6): العلاقة بين سرعة الرياح وإنتاج البصل



الخاتمة

تبين من خلال البحث أن ولاية الترارزة تتمتع بمقومات طبيعية متنوعة كان لها الدور الكبير في نجاح زراعة محاصيل الخضروات ومنها محصول البصل، رغم ما تعانيه هذه الزراعة من مشاكل متعددة من بينها التخزين والتسويق والجرارات الزراعية وقلة التأطير الزراعي ونقص الاستثمارات في مجال الخضروات، ويمكن تلخيص ما توصل إليه الباحث من نتائج كما يلي:

- سجلت منطقة البحث تباينا في عناصر المناخ بين فصلي الصيف والشتاء مما يعطى للمنطقة إمكانية أكبر للتنوع في زراعة المحاصيل.
- احتساب الموازنة المائية المناخية في محطة روصو أظهرت عجزا مائيا بمقدار - 1880.7 ملم، وهذا العجز يشمل الأشهر الجافة والماطرة، لذا يجب استخدام الري التكميلي.
- كمية الحرارة المتجمعة في منطقة البحث تكفي لزراعة محصول البصل.
- أظهرت نتائج التحليل الإحصائي وجود تباين في طبيعة العلاقة بين العناصر المناخية وإنتاج البصل في منطقة البحث.

المراجع باللغة العربية

- 1 - حسن، أحمد عبد المنعم، إنتاج محاصيل الخضر، الطبعة الأولى، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991.
 - 2 - حسن، أحمد عبد المنعم، أساسيات إنتاج الخضر والتكنولوجيا للزراعات المكشوفة والمحمية، الجزء 1، مصر، القاهرة، مطبعة الدار العربية للطباعة والنشر، 1992.
 - 3 - حسن، أحمد عبد المنعم، أساسيات إنتاج الخضر في الأراضي الصحراوية، مطابع المكتب المصري الحديث، الطبعة الأولى، الدار العربية للطباعة والنشر، 1994.
 - 4 - حسن، أحمد عبد المنعم، إنتاج البطاطا، الطبعة الأولى، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999.
 - 5 - مجموعة من الباحثين، 1978، ج. إ. م، دراسة مسحية شاملة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والتعليم، معهد الدراسات والبحوث العربية، 1978.
 - 6 - حسن، أحمد عبد المنعم، إنتاج الفلفل والباذنجان، الطبعة الأولى، مطابع المكتب المصري الحديث، 2001.
 - 7 - الجبوري، سلام هاتف أحمد، أساسيات في علم المناخ الزراعي، الطبعة الأولى، دار الراية للنشر، 2015.
 - 8 - الراوي، عدنان محمود، البياتي، هزاع، أسس علم المناخ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، دار الحكمة، الموصل، 1990.
 - 9 - الراوي، عادل سعيد، السامرائي، قصي عبد المجيد، المناخ التطبيقي، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، 1990.
 - 10 - كربل، عبد الإله رزوقي، ماجد السيد ولي، علم الطقس والمناخ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة البصرة، كلية الآداب، 1986.
 - 11 - طريح، عبد العزيز، الجغرافية المناخية والنباتية، ط4، الإسكندرية، مطبعة دار الجامعات المصرية، 1967.
 - 12 - السامرائي، قصي عبد المجيد، المناخ والأقاليم المناخية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2008.
 - 13 - الزوكة، محمد خميس، جغرافية الزراعة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000.
 - 14 - مرعي، مخلف شلال، حسون، إبراهيم محمد، جغرافية الزراعة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، 1996.
 - 15 - هارون، علي أحمد، جغرافية الزراعة، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000.
 - 16 - غانم، علي أحمد، المناخ التطبيقي، الطبعة الأولى، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، 2010.
 - 17 - الحلو، عبد الكاظم علي، دراسات في المناخ التطبيقي، الطبعة الأولى، مطبعة شركة المارد، النجف، 2021.
 - 18 - المالكي، عبد الله سالم، دراسات في المناخ التطبيقي، 2017.
 - 19 - الأحيدب، إبراهيم بن سليمان، المناخ والحياة، دراسة في المناخ التطبيقي، 2017.
 - 20 - المياح، علي محمد، الجغرافية الزراعية، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1967.
 - 21 - العوامي، سعيد ادريس، أسس علم المناخ، الطبعة الأولى، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2017.
 - 22 - أبو سموره، حسن، الجغرافيا الحيوية والتربة، ط2، دار المسرة، عمان، الأردن، 2009.
 - 23 - يوسف، عبد المجيد فايد، جغرافية المناخ والنبات، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
 - 24 - المملكة العربية السعودية، الإنتاج النباتي (إنتاج الخضر المكشوفة والمحمية)، للصف الثاني، 2004.
 - 25 - حسن أحمد عبد المنعم، إنتاج البصل والثوم، الطبعة الأولى، الدار العربية للنشر والتوزيع، 2000.
 - 26 - الجبوري، سلام هاتف، علم المناخ التطبيقي، الأولى، العراق، بغداد، 2014.
- ### الرسائل الجامعية
- 1 - صالح، أشواق حسن حميد، أثر المناخ في نمو وإنتاجية المحاصيل الصيفية في محافظة كربلاء، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربة ابن رشد - جامعة بغداد، 2009.
 - 2 - ياس، نبراس عباس، أثر المناخ في زراعة الخضروات الصيفية في محافظات الفرات الأوسط، رسالة ماجستير، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، 2006.
 - 3 - العنكوشي، هيفاء نوري عيسى، علاقة الخصائص المناخية بزراعة المحاصيل الزراعية في محافظة النجف، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، 2004.

- 4 - البديري، وفاء موحان عجيل، أثر المناخ في إنتاج محاصيل الخضر الصيفية في محافظة القادسية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة القادسية، كلية الآداب، 2008.
- 5 - عبد الله، أنعام حميد جوده، أثر العناصر المناخية في الإنتاج الزراعي (النباتي) في محافظة بغداد، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، 2022.
- 6 - عبد الله الشيخ، عبلة عبد الرحمن، المناخ وأثره على زراعة الخُضر في مناطق الاستصلاح الجديدة بالدلتا المصرية، دراسة في المناخ التطبيقي باستخدام نظم المعلومات الجغرافية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإنسانية، 2014.
- 7 - الجحيشي، أحمد كصاد عاجل، الموقع الجغرافي الأمثل مناخيا لزراعة محاصيل الخضر الشتوية في وادي نهر الفرات في العراق، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة القادسية، 2022.
- 8 - شحت إبراهيم شحت، أثر المناخ على المحاصيل الحقلية، 2014.

المراجع باللغة الأجنبية

- 1- Impacts des changements climatiques sur les cultures maraîchères au nord du Burkina Faso : Cas d'Ouahigouya Réseau National des Agro- sylvo- pasteurs du Faso (RENAF).
- 2- Agricole 2016 – 2017, Direction des Statistiques et des Systèmes d'Information Agricoles (DSSIA).
- 3 - Rapport sur le Recensement des périmètres Maraichères (Campagne Agricole 2018– 2019), Direction des Statistiques et des Systèmes d'Information Agricoles (DSSIA).
- 4 - Série mise en valeur maraîchage, Direction des Statistiques et des Systèmes d'Information Agricoles (DSSIA).
- 5 - Direction des Statistiques et des Systèmes d'Information Agricoles (DSSIA), **Fiche Technique**.
- 6 - De Bon, H. (1987). Développement de l'oignon. (Allium cepa L) en zone tropical. CIRAD-IRAT.